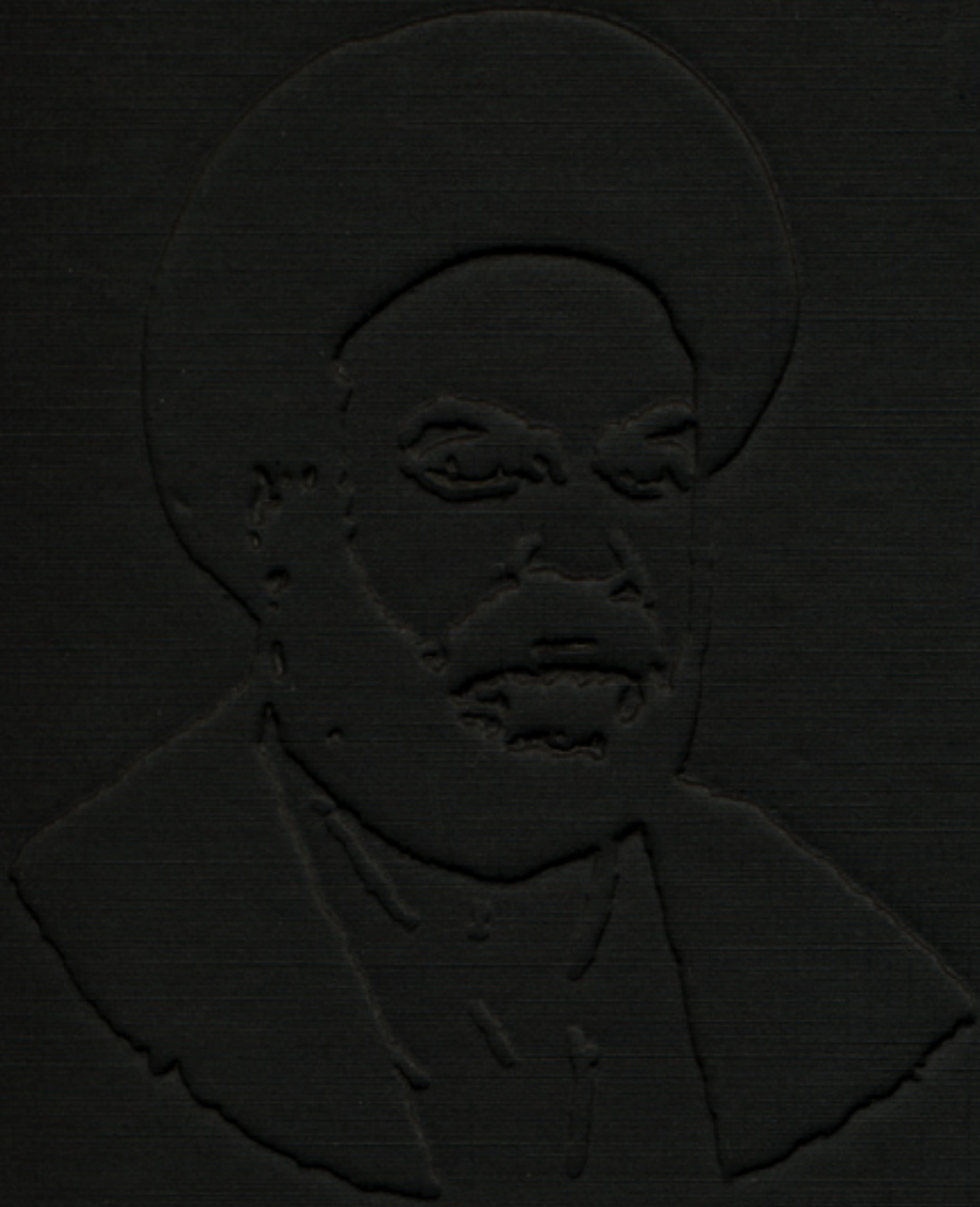


حَسَيْنَ بَرَكَهَ الشَّامِي



طَلَبُوا فَوَقَدُوا النُّورَ

فَمِثْلُ نَبِيِّ النَّبِيِّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ

قوافل النور

الطبعة الثانية

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

بغداد



دار الإسلام

Dar AL-Islam Foundation

www.daralislam.com



Books.Rafed.net

ملحمة

قوافل البيت

ملحمة شعرية في سيرة النبي وأهل بيته

حسين بركات الشامي

أهل البيت عليهم السلام في القرآن الكريم



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» ^(١).
- «يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» ^(٢).
- «وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ» ^(٣).
- «فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ» ^(٤).
- «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» ^(٥).
- «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» ^(٦).

(١) الأحزاب / ٣٣.

(٢) المائدة / ٦٧.

(٣) ابن القاصص / ٥.

(٤) آل عمران / ٦١.

(٥) المائدة / ٥٥.

(٦) الشورى / ٢٣.



أهل البيت عليهم السلام في السنة

- قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إني أوشك أن ادعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عزوجل وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وأنّ اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»^(١).

- قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إنما مثلي ومثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»^(٢)

- قال الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام:

«إنّ الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كعدد نقباء بني اسرائيل، وكانوا اثني عشر، الفائز من والاهم، والهالك من عاداهم منهم: حسن، وحسين، ثم الأئمة من ولد الحسين عليه السلام»^(٣)

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٩٤/٢ ط. بيروت.

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٩١/١٢ ط. بيروت.

(٣) عيون اخبار الرضا: ٤٥/١ ط. النجف. والبحراني، العوالم: ٢٦٢/١٥ ط. قم.





المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين .. نحمده، ونستغفره، ونستعين به ونتوكل عليه، هو الله حسبنا ونعم الوكيل، والصلاة والسلام على اشرف خلقه ورسله محمد المصطفى وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه المنتجبين ومن دعا بدعوته الى يوم الدين. وبعد:

تشكل سيرة الرسول المصطفى ﷺ واهل بيته الاطهار ﷺ الصورة الحية للاسلام، فهم التجسيد العملي للمفهوم الاسلامي، ولبادئ الرسالة الخالدة، من خلال اقوالهم ومواقفهم المعصومة، لذلك فان الكتابة عنهم كتابة عن الاسلام الاصيل، واستيحاء لمفاهيمه، وتعاليمه، ومسيرته، فمن اراد ان يفهم الاسلام لا بد له ان يدرس حياة الرسول ﷺ واهل بيته ﷺ، دراسة واعية مدركة، وهي عملية شاقة بطبيعة الحال، نتيجة ما طرأ على التراث الاسلامي من تشويه، وتحريف دخل مصادر التأريخ والسيرة منذ اوائل عصر التدوين.

لقد كُتِبَ عن سيرة الرسول ﷺ واهل بيته ﷺ كم هائل من المؤلفات والبحوث والدراسات، وكان للشعر حضوره الحي في هذا المجال، فلقد نظم الشعراء منذ عهد الرسول ﷺ وطوال الفترات اللاحقة الكثير من القصائد والملاحم في فضائل الرسول والقادة الافذاذ من اهل بيته ﷺ، حتى شكل ذلك رصيذاً ضخماً متميزاً في تراث الشعر العربي، وقد تخصص بعض الشعراء في



اهل البيت عليهم السلام، فوظفوا ملكتهم الادبية في هذا المجال الغني، فكتبوا المديح والرثاء ونظموا في المناقب والسيرة وابدعوا فيهن جميعاً.

ورغم كثرة ما نظم في هذا المجال الخصب الا ان اضافة المزيد يبقى حاجة مستمرة، فالموضوع واسع بلا حدود، ومهما كتب فيه يظل نزرًا يسيرًا. لا سيما بالنسبة لاجيالنا الواعدة التي تشقّ طريقها وسط التحديات، فهي بأمس الحاجة الى استحضار تلك السيرة العطرة والتأريخ المشرق لكي تنهل منه الدروس والمفاهيم والعبر.

وتعدُّ ملحمة قوافل النور تجربتي الثانية في نظم هذا النمط من الملاحم، حيث صدرت لي ملحمة «الفية بن بركة» وهي ملحمة شعرية أدبية، تاريخية، سياسية، حركية، تؤرخ لمسيرة الحركة الاسلامية في العراق للفترة ١٩٦٨-٢٠٠٣م وهي الفترة السوداء التي سيطر فيها حزب البعث على مقاليد الأمة في العراق فعاش الشعب العراقي بكل فئاته، وشرائحه الاجتماعية والسياسة فصول المحنة الرهيبة عبر حمامات الدم، والتشرد، والمقابر الجماعية، والحروب المدمرة، حتى تحولت أرض السواد الخضراء الجميلة الى خراب ورماد تعصف به الريح.

وملحمة «قوافل النور» مشروع أدبي وتاريخي، حافل بفضائل ومواقف أهل البيت عليهم السلام ومدرستهم الفذة ذات الجذور الراسخة بالاصالة والعمق الرباني والامتداد الرسالي، وهي زاد الخطيب الحسيني الهادف الذي يحرص على تقديم المادة التاريخية والادبية الحية لجماهيره على مختلف المواقع والساحات، حيث يجد الخطيب في قوافل النور القصة التاريخية ذات السند الصحيح، والامثال السامية، والمواعظ المؤثرة، والدروس الاخلاقية، والمواقف الاجتماعية والسياسية التي تحفل بها سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسيرة الائمة من اهل بيته الطاهرين عليهم السلام. وهي ملف ادبي، عقائدي يجد فيه المثقف متعة المراجعة التاريخية والفكرية وهو يتصفح السيرة العطرة والحياة الثرة لاهل البيت عليهم السلام.



كما يجد فيها طلبة الجامعات والشباب مادة التاريخ القديمة بلغة حديثة تتناسب مع روح العصر تجيب على تساؤلاتهم الفكرية والسياسية والادبية وهم يواصلون دراستهم وتنمية مواهبهم في مضمار الادب واللغة والتاريخ.

أما الناقد الادبي لقوافل النور فانه يقف امام رؤية تاريخية شاملة لمراحل ومحطات ذات احداث معقدة ومواقف متشابكة يكشف من خلالها الرؤية الادبية، والخلفية الثقافية، وملامح المنهج الذي يسلكه الشاعر، كما يكشف الصور الموحية التي تكمن وراء مفردات قاموسه اللغوي.

لقد بدأت نظم هذه الملحمة في خضم معاناة الجهاد الفكري والسياسي، في منافي الهجرة التي قاربت ربع قرن من الزمن المثقل بالهموم والآمال المتطلعة للعودة، والمساهمة في بناء ما هدمته الحقبة السوداء من حكم طاغية العراق.

ورغم ان الذاكرة كانت في الوطن كنت انتهر آنذاك اية فرصة لنظم الابيات، ومراجعة التاريخ، وضبط النصوص والروايات، وكثيراً ما كنت استثمر ساعات السفر الطويلة لمواصلة النظم، وكتابة الهوامش والملاحظات، وتقويم الشعر، واختيار المفردات المناسبة، حتى اكملت -بعون الله- الاجزاء السبعة من هذه الملحمة المباركة.

وحين دخلت بغداد بعد سقوط الصنم فيها، في ٩ نيسان ٢٠٠٣ وتنسبت عبرها العابق بأشداء الشهداء الابرار، حسبت ان علاقتي بالشعر قد توقفت، حيث رأيت نفسي مستغرقاً في عالم جديد، وتجربة جديدة، هي تأسيس وبناء ديوان الوقف الشيعي ومؤسساته، وهو عالم جديد وواسع، ومعقد، الا انه ممتع.

ورغم اني لا امتلك حينئذ الوقت، بل وحتى التفكير في «قوافل النور» ثانية بسبب غمرة العمل، والانغماس في تفاصيله ليلاً ونهاراً، لكن بفضل الله تعالى، وأتماً للعهد الذي قطعته على نفسي، صممت وبقوة ان أواصل الملحمة المباركة من جديد، وان انتزع نفسي من مجبوحة هموم العمل المضني، لاجر ثانية، في عالم الشعر لاتمام ما بدأت به في ليالي الغربة.



وهكذا كان حين احسست ان هاتفاً يدفعني دائماً لمواصلة نظم قوافي - هذه الملحمة - والابتعاد عن الكسل والاسترخاء، فبدأت بنظم حياة الامام الصادق، الحافلة بالعطاء والمفعمة بالخير، وفضائل العلم، ومكارم الاخلاق.

وقد اجد نفسي مضطراً أن اذكر للقراء الاعزاء ان هذه الملحمة الشعرية الطويلة لم تشكل في اجواء الفراغ والترف الادبي، انما كنت اعدُ فصولها شعراً ونثراً وسط المعاناة، وعلى اضواء الشموع في ليالي بغداد الحزينة، فالظلام ما زال يحاصر بغداد حتى بعد سقوط الاصنام. بل ان اكثر فصول الملحمة واحداثها المثيرة والمفجعة في حياة اهل البيت عليه السلام جاءت مع الدموع لأن التاريخ - مع الاسف - ما زال يعيد نفسه باستمرار، حيث تتكرر تلك الفواجع الفضيعة في كل مرحلة من مراحل تاريخنا وعلى مختلف خطوط الصراع والمواجهة.

فالامام جعفر الصادق عليه السلام هو اول جزء يطبع في العراق بعد العودة، وتلته الاجزاء الاخرى السبعة للأئمة الطاهرين، وبعد اكمال النظم والتعليقات على باقي الاجزاء في حياة الائمة الهداة عليه السلام اقترح علي بعض الاخوة الاعزاء ان اجمع كل اجزاء قوافل النور في مطبوعة واحدة متكاملة خصوصاً وأني قد أضفت إليها أبياتاً لتغطية بعض النقاط التاريخية المهمة، وكذلك من اجل ان تكون الملحمة بكل فصولها حاضرة بين يدي القراء الكرام، ولكي تظهر روعة الترابط غير المرئي بين اجزائها، وتبرز الخيوط الموصلة عبر التاريخ بين كل المواقف الرائعة في مسيرة وحياة اهل البيت عليه السلام الزاخرة بالعطاء الدائم الذي ليس له انقطاع، واشير هنا الى ان عدد ابیات هذه الملحمة قد بلغ (٣٥٩٤) ثلاثة آلاف وخمسمائة واربعة وتسعين بيتاً.

و«مؤسسة دار الاسلام» اذ تقدم هذه الملحمة الشعرية قوافل النور لقراء العربية، انما تهدف الى تعميق الصلة والرابطة بين ابناء الامة، وبين عناصر القوة في عقيدتها المتمثلة بسيرة الرسول عليه السلام واهل بيته عليه السلام عبر الزمن، وتهدف كذلك الى اكتشاف ينابيع الخير والبر والقيم الانسانية، ومواقف البطولة والفداء في



تاريخ أمتنا من خلال السيرة العطرة لشخصية الرسول الاكرم ﷺ واهل بيته
الاطهار الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

وفي الختام أود ان اوجه جزيل شكري وامتناني لكل الاخوة الاعزاء من
العلماء والادباء، الذين ابدوا ملاحظاتهم التاريخية والادبية والفنية الطيبة عن
قوافل النور يوم كانت تصدر عن مؤسسة «دار الاسلام» في لندن على شكل
سلسلة، ذات اجزاء متعددة، وأخص بالشكر والتقدير كلاً من الاخوة
والاصدقاء الاعزاء:

- الاخ الدكتور عدنان هاشم الموسوي ، الذي كتب تقريراً جميلاً
بعد اطلاعه على الجزء الاول والثاني فقط، والرسالة تكشف عن مدى
ذوقه الادبي، وفهمه لادب الملاحم في التاريخ.

- الاخ الدكتور طارق نجم عبد الله ، الباحث والناقد الادبي، حيث
راجع الاجزاء الخمسة الاولى، وأبدى ملاحظاته اللغوية، والادبية القيمة،
وأظهر اعجاباه بالملحمة من خلال دراسته الدلالية الموسعة التي قدمها لها،
وهي تكشف عن مدى احاطته بأصول النقد الادبي في الدراسات اللغوية.

- الاخ الاستاذ الاديب المبدع جواد جميل ، على ما ابداه من
ملاحظات ادبية ، وتاريخية، وفنية قيمة خلال اعداد هذه الملحمة المباركة.

- الاخ الشيخ كاظم القرشي، حيث ساهم مشكوراً في اعداد بعض
الهوامش والتعليقات، للأجزاء الاخيرة من الملحمة.

- كما اشكر ولدنا المهذب السيد احمد مهدي بركة على جهوده
الفنية المتميزة الدؤوبة، التي بذلها من اجل ان تخرج ملحمة قوافل النور
بهذه الحلة الجميلة الأخاذة، حيث واكب الملحمة منذ أجزائها الأولى
وحتى النهاية.



وفي الختام

أسأل الله تعالى ان يحقق كل الاماني الخيرة للمخلصين، وان يوفق جميع العاملين لخدمة الدين والوطن والانسان.

كما اسأله سبحانه ان يجعل بلدنا العراق الحبيب بلداً آمناً وان يرزق اهله من الثمرات، وان يطوي هذه الصفحة البغيضة السوداء لملفات حزب البعث والتكفيريين بصفحة مشرقة مباركة، يعود فيها العراق كما كان منذ القدم مركزاً للعلم، ومصدراً للاشعاع الفكري والروحي والادبي للمنطقة والعالم. انه مجيب الدعاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

حُسَيْنُ بَرَكَةَ الشَّامِي

محرم الحرام / ١٤٢٨ هـ

بغداد - الكاظمية



رسالة تقريض

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة الأخ الفاضل السيد حسين الشامي حفزه الله وأطال عمره:

تحية طيبة:

أشكر لكم هديتكم القيمة «قوافل النور» في سيرة المصطفى وأهل بيته فجزاك الله عن المصطفى وأهل بيته أفضل الجزاء وجزاك الله من ابن بار لهولاء العظام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وإني وإن كنت لم أطلع على الجزئين السابقين إلا أنني أرى في الجزئين اللاحقين ذلك الفرع من ذاك الأصل وكأن هذه الكتب ذرية بعضها من بعض.

أنني وأنا أقرأ هذه الملحمة ذكرتني بأيام الرجز الغابرة، حيث كان الرجز أقرب البحور الشعرية إلى ساحات الحرب، ومعارك العرب حافلة بهذا النوع من الشعر الغنائي الجميل الخفيف على الروح والشاحذ للهمم.

وذكرني هذان الكتابان بأيام رؤبة، والعجاج، وأبي نجم العجلي، والذي ما تزال قصائدهم في الرجز خالدات في بطون كتب الشعر والأدب، وحسب علمي أن هذا النوع من الفن الشعري قد ضمير في قرائح الشعراء لإنصرافهم إلى بحور الشعر الأخرى، فلم أرَ - وقد أكون مخطئاً - رجزاً يؤبه به منذ أيام رؤبه، والعجاج حتى فتح الله على الشعر بقريحة شاعرنا ابن بركة الشامي، فهو قد رقد مجد أهل البيت عليهم السلام كما رقد الأدب بشعره الجميل.

تقبلوا خالص التحيات

الدكتور عدنان هاشم الموسوي

لندن





قوافل النور .. دراسة دلالية

بقلم : د. طارق نجم عبد الله (*)

«الشعر» في أصل وضعه اللغوي يعني: العلم، ولهذا قالت العرب : لیت شعري، أي، لیت علمي، وفي الحديث: «لیت شعري ما صنع فلان!» أي لیت علمي حاضر، أو محیط بما صنع، فحذف الخبر. و«الشعر» منظوم القول، غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية.

قال الأزهري: الشعر، القريض المحدود بعلامات لا یجاوزها والجمع أشعار، وقائله شاعر، لأنه یشعر ما لا یشعر غیره، أي؛ یعلم. (١)

وقد وردت كلمة «الشعر» مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكرٌ وقرآن مبين﴾ (٢)

قال المفسرون: إن الله تعالى لم یعلم الرسول الكريم ﷺ قول الشعراء وصناعة الشعر، أي ما أعطیناه العلم بالشعر وإنشائه، وما ينبغي له یقول أن الشعر من عند نفسه، حتى لا یقع في معرض تزیین المعاني بالتخیلات الشعرية التي یراد بها أن تكون أوقع في النفس، وتنظیم الكلام بأوزان موسيقية لیكون أوقع في السمع، لأن آية رسالته ومتن دعوته القرآن الكريم المعجز في بیانه الذي هو

(*) استاذ متمرس في اللغة العربية، وعلوم القرآن، والرئيس السابق لقسم اللغة العربية في كلية الآداب - جامعة صنعاء. حقق كثيرا من الكتب والمخطوطات، وصدرت له عدة دراسات لغوية، یعمل الان مديراً لمكتب رئیس الوزراء العراقي.

(١) لسان العرب / مادة : ش ع ر.

(٢) يس ٦٣: ٦٩



ذكر وقرآن مبین، ووردت كلمة «شاعر» في القرآن الكريم في أربعة مواضع هي:

١ - قوله تعالى: ﴿بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾^(١)

فالآية الكريمة تشير إلى موقف المتردد في توجيه ما سمعه من نص قرآني بهره، فمرة يقول سحر، ومرة يقول شعر، ومرة يقول حلم، ولا يجزم على واحد.

٢ - قوله تعالى: ﴿ويقولون إنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون﴾^(٢)

وهو من كلام الكفار الذين يأنفون ما سمعوه ويستخفون بمن يدعوهم ويقولون: لا ندع عبادة الأصنام لقول شاعر مجنون - يعنون النبي ﷺ -

٣ - قوله تعالى: ﴿أم يقولون شاعرٌ نربص به ريب المنون﴾^(٣)

وهو قول الكفار أيضاً فهم ينتظرون به حدثان الموت وحوادث الدهر فيهلك كما هلك من تقدم من الشعراء.

٤ - قوله تعالى: ﴿وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون﴾^(٤)

أي أنّ الله سبحانه وتعالى نفى عنه هذه الصفة لأنّ القرآن الكريم ليس بصفة الكلام المعتاد وأنه ليس بشعر، بل هو ضرب من الكلام الخارج عن الأنواع المعتادة، وإذا بعد عمّا جرت به العادة في تأليف الكلام فذلك أدل على إعجازه، ومن الآيات الكريمة الأربع يتبيّن أنّها لم ترد في مقام ذم الشعراء، بل

(١) الأنبياء ٢١: ٥

(٢) الصافات ٢٧: ٣٦

(٣) الطور ٥٢: ٣٠

(٤) الحاقة ٦٩: ٤١



يستفاد منها إبراز خصوصية النص القرآني في نظمه اللغوي الذي يختلف عن الشعر. وقد رأى بعضهم أنّ ذم الشعر والشعراء يفهم من قوله تعالى:

﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون * ألم تر أنّهم في كل وادٍ يهيمون * وأنّهم يقولون ما لا يفعلون﴾^(١)

فهل الشعراء فئة مذمومة عند الله، وليس للانسان الذي يريد أن يحصل على محبة الله ورضاه أن يكون شاعراً؟

وبالرجوع إلى كتب التفسير لم أجد فيها من يقطع باستفادة ذم الشعر والشعراء مطلقاً من الآيات الكريمة. بل إنّهم فرّقوا بين الشعراء الذين يفرون من الواقع ويلجأون إلى الخيال، الذين هم بلا هدف وسرعان ما يتبدل خطّهم الفكري لأنهم واقعون تحت تأثير العواطف، وأنّهم يقولون ما لا يفعلون ولا يطبقون كلامهم على أنفسهم، وبين الشعراء المخلصين ذوي الأهداف السامية ودعاة الحق، الذين يبحثون في شعرهم عن الأهداف الإلهية ولا يغرقون في الأشعار فيغفلون عن ذكر الله، صفاتهم، الإيمان والعمل الصالح وذكر الله كثيراً، والانتصار للحق مستعينين بشعرهم في الذبّ عنه.

الصنف الأوّل ذمّهم القرآن الكريم، وأن أتباعهم من الغاوين، أمّا الصنف الثاني، أعني شعراء الهدف والعقيدة فهؤلاء سلاح قوي في المعركة تماماً كما هو النبل عندما يسدده المقاتل إلى صدور الأعداء.

قال في مجمع البيان ٢٠٨/٧:

«عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال: يارسول الله! ماذا تقول في الشعر؟ فقال: إنّ المؤمن مجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأنما ينضحونهم بالنبل، وقال النبي ﷺ لحسان بن ثابت: أهجهم وروح القدس معك...».

(١) الشعراء ٢٢٤:٢٦-٢٢٦



قال آية الله السيد فضل الله: «إنّ المسألة في الشعر هي مسألة المضمون والموقف وليست مسألة الشكل والكلمة»^(١)

وقد بحث هذه الموضوع بحثاً وافياً الشهيد السعيد السيد محمد محمد صادق الصدر رحمه الله في كتابه «ما وراء الفقه» فقد استدللّ على رجحان الشعر نظماً وانشاداً بعدة أدلة من السنّة النبويّة.

منها ما روى عن الرسول الكريم ﷺ أنه قال: «إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحراً».

وما رواه أبو هارون المكفوف قال:

«قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا هارون! أنشدني في الحسين عليه السلام فأنشدته، فقال: أنشدني كما تنشدون، يعني بالرقّة، قال: فأنشدته:

أمرر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكيّة

قال: فبكي، ثمّ قال: زدني، فأنشدته القصيدة الأخرى...»

وعن الحسن بن الجهم قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «ما قال فينا مؤمن شعراً يمدحنا به إلاّ بنى الله له في الجنّة بيتاً أوسع من الدنيا سبع مرّات، يزوره فيها كل ملك مقرب وكل نبي مرسل».

يضاف إلى ذلك عدد من النقول التاريخية الموثوقة التي يصل مجموعها إلى حد الاستفاضة بل التواتر في استماع الأئمة المعصومين عليه السلام إلى الشعر وإجازتهم له بل وإنشادهم له ونظمهم له وذلك في موارد كثيرة منها:

١ - الديوان المنسوب إلى الإمام علي عليه السلام.

(١) من وحي القرآن : ١٧٩/١٧.



٢- نسب قول الشعر ونظمه إلى الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام والأئمة الآخرين عليهم السلام.

٣- إن رجال الإمام الحسين عليه السلام من هاشميين وأصحاب في واقعة الطف كانوا يرتجزون الشعر تحدياً للأعداء وتأكيداً على الهدف الذي يؤمنون به.

ثم يضيف السيّد الشهيد الصدر الثاني «رحمه الله» أدلة أخرى، منها:

١- الإجماع والسيرة فإن كثيراً من العلماء والفقهاء والمتدينين وأصحاب الكرامات هم من الشعراء بل من أعاضهم... من أشهرهم الشريف الرضي، والشريف المرتضى، والغزالي، وابن الفارض، والسيّد محمد سعيد الحبوبي. وغيرهم، ولم نجد أحداً قد أشار إليهم أو إلى أحدهم بأنه يفعل في ذلك منكراً أو يكتسب إثماً. بل كل الألسن طافحة في مدحهم والثناء عليهم.

٢- أنّ الشعر الحق مصداق وتطبيق حقيقي لكثير من القواعد الشرعية الواضحة.

٣- الاستدلال لرجحان الشعر الحق بحكم العقل العملي الذي عرفوه في علم المنطق بأنه إدراك ما ينبغي أن يعمل، فإن هذا العقل يحكم بحسنة ورجحانه لا محالة، فإذا ضمنا إلى ذلك القاعدة القائلة: بأن كل ما حكم به العقل حكم به الشرع ثبت رجحانه الشرعي أيضاً^(١).

لا شك أنّ الذوق الشعري له قيمته في صورة ما لو استعمل اسعمالاً صحيحاً وكان له أثر إيجابي، فالشعر ينبغي أن يؤدي دوره في وجود الإنسان ليكون ذا قيمة كبرى والأيسوق الناس نحو الخيال أو الضياع وعدم الانتفاع.

(١) للتفضل ينظر: ما وراء الفقه: ١٠/٩٣-١١٦.



وكان للملاحم دورها في تحقيق أهداف كبرى يسعى إليها من يدرك أهمية الشعر في حياة الانسان. وقد تحدث السيد حسين بركة الشامي عن دور الملحمة في مقابلة إذاعية قائلاً: «أدركت من خلال تجربتي أن هناك تراجعاً في الشعر الملحمي أو أنه أصبح هوية المتقاعدين من الشعراء. ولذلك أقدمت على هذه الملحمة التي بدأتها قبل أن أنضمّ إلى شعراء التقاعد بحياة الرسول وعصور الاسلام الأولى في ضوء الثابت والصحيح من التاريخ الاسلامي وقد تصل إلى خمسة آلاف بيتاً.

وهدي من ملحمة «قوافل النور» التاريخية أن أقرب الفجوة أو الفاصلة بين الماضي والحاضر، وبين القديم والجديد وبين الشباب والشيوخ. فأجيانا اليوم بحكم تطورات الأشياء بدأت تبتعد عن مصادر ومنابع الهوية، والأصالة التاريخية فكانت قوافل النور، اللغة، والصورة، والملحمة، والإيقاع مفردات تقريبية لهذه الفاصلة خاصة بين شباب الهجرة، الذين يتزايدون بشكل مضطرد بحكم الزمن ويواجهون صراع الهوية.

كما أنني آمنت بأن الشاعر يستطيع أن يساهم في حقول معرفية عديدة كالتاريخ، والاجتماع، والسياسة، والتربية، والثقافة، فنلاحظ أن هناك شعراء فقهاء، فلاسفة، وشعراء لغويين، ومؤرخين، وشعراء في مجالات ثقافية أخرى. فالشاعر لا يجب أن يبقى حبيس الصورة أو محلقاً في عوالمه الحاملة وخيالاته الواسعة». «انتهى»

ولهذا كانت شاعريته ذات قيمة وهدف عندما عقد العزم على نظم سيرة الرسول الأكرم والعترة الطاهرة من أئمة الهدى، وكبار علمائنا في ألفيته التي طبع منها أربعة أجزاء باسم «قوافل النور» وصدرت عن دار الإسلام بلندن، لأن حركة الرسول الأكرم وعترة الطاهرة ﷺ حركة هادفة ولها غاية مستقبلية لأن المستقبل هو المحرك لأي نشاط من النشاطات التاريخية، على الانسان المسلم أن يعي تاريخه حتى تعود الدولة للمسلمين، لأنهم هم دون غيرهم الموعودون



بانتصار الحق، ولهذا كان الوعي الإسلامي والفكر الإسلامي والإلتزام الإسلامي ضرورات ملحة للمسلمين حتى يمدّهم إسلامهم بأسباب المنعة والقوة، ويزودهم بالمعاني والصفات التي فقدوها من جراء تهاونهم في جلّ أمورهم، ومنها الغفلة عن تاريخ العترة الطاهرة وحركة المصلحين عبر الزمن.

أراد السيّد الشامي أن يكتب تاريخ العترة الطاهرة منظوماً في شعر معبرٍ يحمل الهدف وجمال التعبير ليجعله وسيلة لحفظ التاريخ الهادف من حياة الأمة، بصورة تخلق من الواقعة التاريخية رقّة عبارة تقرب المفهوم بصورة لغوية مختلفة، فجمال التشبيه الذي تقرأه في مواضع عدّة من الملحمة، يترك في نفس القارئ أثراً، قد لا يحدثه نص تاريخي مدون، ففي نظمه لمعركة صفين مثلاً وعند تصويره لسيطرة جند الإمام عليه السلام على نهر الفرات بعد أن منعهم جنود معاوية منه قال:

فانكشفت زمرة أهل الشام وابتسم الفرات للإمام^(١)

نجد أن عبارة «وابتسم الفرات للإمام» فيها تصوير دقيق للواقعة التاريخية يعكسه جمال النظم والصورة التشبيهية المعبرة التي تنقل ضيق الفرات بمن كان يحتل ضفافه، فكأنه كان يعيش حالة من الضيق والحزن، وأن هذا الحزن وحالة الكآبة قد زالت بوصول جيش الإمام عليه السلام حيث تحول الحزن إلى ابتسامة عريضة لإمام الأمة، وولي أمرها، وقائدها إلى حياة كريمة تسعدها في الدارين.

إنّ موضوع الملحمة وجمال التعبير اللغوي فيها دفعني لدراستها، وآثرت أن تكون هذه الدراسة لغوية أهداف منها بيان جمال اللغة، وبيان مواطن ذات دلالات لغوية تناثرت في أبيات الملحمة. (*)

(١) القوافل : ٥٥/٢ .

(*) لقد جاءت دراسة الدكتور طارق (حفظه الله) بعد صدور الاجزاء الخامسة فقط ولم تتناول بقية الاجزاء من الملحمة.



إن طبيعة البحث تقتضي وصفاً موجزاً لما صدر من أجزائها، ثم الدراسة اللغوية لأبيات منها.

الجزء الأول من الملحمة تكفل نظم سيرة النبي الأكرم ﷺ حيث بلغت أبيات هذا الجزء ٣١٠ أبيات. توزعت بعد التقديم على الموضوعات التالية: العرب قبل الاسلام، المولد المبارك، بدء الدعوة، الهجرة إلى الحبشة، الهجرة إلى يثرب، معركة بدر، معركة أُحد، معركة الخندق، صلح الحديبية، معركة حنين، غزوة تبوك، البراءة من المشركين، غدير خم، مرض النبي ووفاته.
بدأ هذا الجزء بقوله:

وأحمدُ الله على نعمائه وما حباني فيه من آلائه
مصلياً على النبي الهادي وآله أئمة الرّشادِ

وختمه بتصوير واقعة انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى بقوله:

وانقطع الوحي عن النزول بعد غياب طلعة الرسول
فالحزن في كلّ القلوب خيما والصيحة امتدت لأعنان السما
لكنّما الرسالة الغراء باقية خالدة معطاء

أما الجزء الثاني فقد نظم فيه سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ والصديقة الطاهرة بنت رسول الله فاطمة الزهراء ﷺ. وقد بلغت أبياته ٢٩٢ بيتاً. (*)

متضمناً الموضوعات التالية: أهل البيت ﷺ في القرآن والسنة، المولد الشريف، أول القوم إسلاماً، مبيته في فراش النبي، فضائله ومواقفه، إمامته، خلافته، معركة

(*) طبع القسم المتعلق بفاطمة ﷺ والامام علي ﷺ في الطبعة الاولى بجزء واحد بعنوان (علي وفاطمة) ولكنه في هذه الطبعة جاء مستقلاً بعنوان خاص بهما ﷺ.



الجمال، الكوفة العاصمة الجديدة، معركة صفين، مصرع عمار بن ياسر، خدعة رفع المصاحف، فتنة التحكيم، معركة النهروان، عهده لمالك الأشتر، مؤامرة الخوارج جرح الإمام، شهادته، وأما في القسم المتعلق بفاطمة فيتضمن عليها السلام:
 أصحاب الكساء، ثم الولادة المباركة للزهراء البتول، خطبتها واحتجاجها، وفاتها. بدأ هذا الجزء بقوله:

فضلٌ لأهل البيت ليس يُنكرُ حدث فيه المصطفى والسورُ
 فهم بنص «الذكر» طاهرونا من كل رجس يورث المجونا

وختمه بموقف الإمام عليه السلام بعد وفاة الزهراء عليها السلام قال:

يكفكف الدمع بحزنٍ وأسى وقلبه يبكي بكاءً أخرسا
 أخفى الإمام قبرهاً عشية لرغبة الزهراء في الوصية
 ألف سلامٍ وصلاة تتلى على البتول ما هلالٌ هلاً

وفي الجزء الثالث تأريخ سبط الرسول الأكرم الإمام الحسن المجتبي عليه السلام تضمن هذا الجزء ١٠٨ أبيات موزعة على الموضوعات التالية: المولد المبارك، دوره التاريخي، في معركة الجمل، في معركة صفين، في الكوفة، خلافة الإمام الحسن، محنته، خيانة قائد الجيش، الهدنة وشروط الصلح، تداعيات الصلح، عودة الإمام إلى المدينة، إغتياله بالسهم، شهادته. بداه بقوله:

بيت يضمُّ فاطماً وحيدرا صار بحبِّ أحمدٍ مسورا
 ينتظرُ الجميع فيه شبلا قد طاب فرعاً طاهراً وأصلا
 ذاك هو السبطُ الزكي الحسن ریحانة النبي والمؤمن

وختمه بموقف للإمام السبط الحسين عليه السلام بعد استشهاد أبي محمد الحسن عليه السلام:



حيث بكى الحسين عند قبره مذكراً بقدسه وطهره
بعداً لهذا الزمن الغدار معانداً لصفوة المختار
إليك منا يرفع السلام فأنت فينا القدوة الإمام

وكان الجزء الرابع والأخير من الأجزاء المطبوعة أطولها حيث تضمن سيرة سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام عدد أبيات هذا الجزء ٦٨٥ وموضوعاته هي:

المولد المبارك ، صفات وشمائل الحسين، الحسين عليه السلام يرفض الثورة في زمن معاوية، ضحايا العقيدة من أصحاب الإمام علي عليه السلام، هلاك معاوية وخلافة يزيد، الحسين عليه السلام يقرّر مشروع الثورة، رسول الحسين عليه السلام، سفر مسلم بن عقيل، وصول ابن زياد إلى الكوفة، إشتعال الثورة قبل موعدها، مسلم يقاتل وحده، البيان الأوّل لثورة الحسين عليه السلام، الحسين عليه السلام يلتقي جيش الحرّ في الصحراء، الحسين عليه السلام يصل إلى كربلاء، موقف الأنصار عشية المعركة، يوم عاشوراء دعاء الحسين عليه السلام، خطبة الحسين عليه السلام قبل المعركة، زهير بن القين: يخطب بين الصفيين، برير بن خضير يذكرّ الناس بالحسين عليه السلام، الحسين عليه السلام امتداد لرسول الله صلى الله عليه وآله، توبة الحر، الأنصار يستبشرون بالشهادة، أوّل امرأة تقتل مع الحسين عليه السلام أبو الشعثاء، الحسين عليه السلام يصلّي وسط المعركة، شهادة حبيب بن مظاهر الأسدي، شهادة زهير بن القين، شهادة برير بن خضير، شجاعة عابس، جون يدافع عن الحسين عليه السلام، استغاثة الحسين عليه السلام، شهادة علي الأكبر، بطولة عبد الله بن مسلم، قتال آل أبي طالب، شهادة القاسم، بطولة العباس، وداع الحسين الأخير، الطفل الرضيع، دعاء الحسين عليه السلام قبل مقتله، الحسين عليه السلام يهزم الجموع، السهام تصيب قلب الحسين عليه السلام، صريعاً يجبن شجعانها، رأس الحسين عليه السلام فرس الحسين عليه السلام زينب: اللهم تقبلّ منا هذا قربان ،حرق الخيام ومحنة السجّاد عليه السلام. بدأه بقوله:

من بعد أن أضاء بيتُ المصطفى بالحسن الزكيّ حين أشرفا
ينتظر النبيّ شبل ابنته في عامه الرابع من هجرته



وختمه بحرق الخيام يوم العاشر والمحنة التي حلت بينات النبوة والإمام
السجادة عليه السلام بعد ذلك:

وباتت النساء يوم العاشر والخوفُ يكوي كل قلبٍ حائرٍ
ومحنة السجادة في العيالٍ قد عظمت حتى على الجبالِ

وكان للسيد الشامي تعليقات مهمة على مواضع من أبيات الملحمة التي
تحتاج إلى توضيح أو زيادة بيان للواقعة التاريخية التي قد لا تكون صورتها
واضحة لبعض من قراء الملحمة اعتمد فيها على أهم المصادر التاريخية عند
المسلمين.

بعد هذا الوصف الموجز ستكون الدراسة اللغوية الموجزة التي ستعنى بدراسة
الأساليب اللغوية في ضوء نتائج علم اللغة المعاصر، مع الاهتمام بالمعنى الذي
يتضمنه التركيب اللغوي، معتمداً على النظرية التوليدية التحويلية التي وردت في
كتاب الأخ الدكتور خليل عمايرة في كتابه «في نحو اللغة وتراكيبها».

ولغرض توضيح الفكرة فإنّ الجملة في العربية إذا كانت تحمل الحد الأدنى من
الكلمات ويحسن السكوت عليها فهي جملة توليدية، وتكون توليدية إسمية مثل:
«محمدٌ نبِيٌّ» و«عليٌّ إمامٌ» أو توليدية فعلية مثل «انتصر المسلمون».

وقد يجري على هذه الجملة تغير في مبانيها يترتب عليه تغير في المعنى وبذلك
تصبح جملة تحويلية إسمية مثل «إنّ محمداً لرسول الله» فقد زيدت «إنّ» للتأكيد
وكذا اللام «لرسول». أو تحويلية فعلية مثل «قمتُ احتراماً لأستاذي» حيث زيد
عنصر سببي للجملة الفعلية بعد ركنيها الأصليين الفعل والفاعل.

وعناصر التحويل التي يسمح المقام بدراستها في الملحمة هي:



الترتيب والزيادة والحذف. حيث سائبين بإيجاز توضيح كل عنصر مع التطبيق على بعض من أبيات الملحمة، ومدلول البيت بناءً على عنصر التحويل المشار إليه:

أولاً: الترتيب

يعد الباحثون الترتيب من أبرز عناصر التحويل وأكثرها وضوحاً، لأن المتكلم يعمد إلى كلمة حقها التأخير فيقدمها، أو كلمة حقها التقديم فيؤخرها، طلباً لإظهار ترتيب المعاني في النفس. يقول عبد القاهر الجرجاني:

«الترتيب فن من الفنون التي يأخذ بها الفصحاء، وأصحاب البيان في الأساليب، وأولئك الذين يجيدون التصرف في القول ووضع في الموضع الذي يقتضيه المعنى»^(١).

ويقول سيبويه: «... وإن كان إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم بيانه أعنى...»^(٢).

فجملة «أكرم محمد علياً» جملة توليدية فعلية لا تركيز فيها على أي جزء من أجزاء المعنى وهدفها نقل الخبر من صورته الذهنية في ذهن المتكلم إلى صورة منطوقة تفيد الإخبار لا غير. لكن إذا قصد المتكلم نقل الخبر بتركيز على جزء من أجزائه وإظهار عنايته واهتمامه به فإنه يقدم ذلك الجزء فيدرك السامع المعنى الجديد.

وجملة «محمد أكرم علياً» لا تحمل نفس المعنى الذي حملته الجملة الأولى لأن التأكيد في الجملة الثانية على محدث الحدث جرياً على قول اللغويين العرب

(١) دلائل الإعجاز / ٨٣ .

(٢) الكتاب ١ / ٣٤ .



«العرب إذا أرادت العناية بشيء قدمته» ولهذا فالجملة الثانية جملة تحويلية فيها عنصر من عناصر التحويل «الترتيب».

وبناءً على هذا الفهم نجد أنّ السّد الشامي قد استخدم عنصر التحويل هذا في كثير من أبيات الملحمة منها عند حديثه عن حالة العرب قبل الإسلام، قال:

عادتهم وأد البنات جهلاً مستسهلين دفنها والقَتلاً
والخمرُ فيهم والرّبا قد شاعا بجهلهم قد ألفوا الضياعاً^(١)

فجملة «الخمر فيهم والرّبا قد شاعا» قدّم السيّد كلمة «الخمر» وهي فاعل الفعل «شاع» لأنّ الجملة الأصل «شاع الخمر فيهم» لأنه يريد بيان الشائع في المجتمع العربي، أي العناية بما هو شائع لا بمفهوم الشياخ، قدّم الفاعل «الخمر» على فعله «شاع» مع ملاحظة أمرين في هذا المقام:

أولهما أنّ الألف في «شاعا» لإشباع حركة الفتح لاستقامة وزن البيت وليست ألف الضمير، والثاني أنني أقول بفاعلية الخمر بناءً على ما يراه الكوفيون من جواز تقديم الفاعل على فعله خلافاً للبصريين، وعلى قول البصريين في المعنى لا في الشكل فالخمر عندهم فاعل في المعنى مبتدأ في الصنعة النحوية. وكذا الحال في حديثه عن سيرة الإمام علي عليه السلام:

وسورة الدهرُ لهم تشيرُ إذ أكرمَ اليتيمُ والأسيرُ
وأطعموا الطعامَ دون منّة لكنّما حبّأ له والجنة^(٢)

فقد قدم الفاعل «سورة» على فعله «تشير» لتأكيد المفهوم الذي جاءت به سورة الدهر في قوله تعالى: ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾^(٣)

(١) القوافل ١/١٦.

(٢) القوافل ٢/١٤.

(٣) الانسان ٧٦:٨.



لأنه سيكون قاصراً لو بقي الفاعل في موضعه من الترتيب: «تشير سورة الدهر» إذ لا عناية فيه لشيء. لأن تقديم الفاعل «سورة الدهر» يحمل دلالة معنوية كبرى تشدّ القارئ إلى الذي تشير إليه السورة المباركة في القصة المشهورة في هذا المقام.

وتكفل السيد توضيح الواقعة بهامش وثقه من كتب التفسير عن أسباب نزول السورة ودلالاتها. ونفس الغرض يتكرّر في قوله:

عِدَّتْهُمْ قَالَ النَّبِيُّ إِثْنَا عَشَرَ أُمَّةً وَقَادَةَ إِلَى الْبَشَرِ
الْحَقُّ فِي مَدَارِهِمْ يَدُورُ وَالْعِلْمُ فِي صُدُورِهِمْ وَالنُّورُ^(١)

وهناك ضرب آخر من الترتيب ورد في الملحمة في حديثه عن خلافة الإمام عليه السلام قال:

إِلَى عَلِيٍّ مَالَتْ الْحَشُودُ وَأَقْبَلَتْ لِلْبَيْعَةِ الْوَفُودُ
حَتَّى غَدَتِ مِثْلَ رَيْبِضَةِ الْغَنَمِ وَهُوَ يَقُولُ لَا وَقَدْ قَالَتْ نَعَمْ^(٢)

فقد قدم من مالت إليه الحشود «علي» المجرور بحرف الجر الذي يدل على تعدية الفعل، حيث إن أصل الجملة «مالت الحشود إلى علي» ولكنها جاءت جملة فعلية محولة بالترتيب، حيث تقدّم الجار والمجرور لأنّ عناية الناظم موجهة إلى مَنْ مالت الحشود إليه لا الإخبار المجرد، فمن مالت إليه الحشود ليكون خليفة للمسلمين في موقعه الذي أراده الله له هو «علي» ولهذا لا بدّ أن يتقدّم لكونه المعنى به.

(١) القوافل ١٦/٢.

(٢) القوافل ٣٧/٢.



ولهذا فالجملة الفعلية التحويلية بهذه الصورة «إلى عليّ مالت الحشود» أبلغ من الجملة التوليدية الفعلية «مالت الحشود إلى عليّ» وأكثر دلالة على إبراز المعنى المراد، ونفس الغرض يرد في حديثه اتخاذ الكوفة عاصمة للإمام عليه السلام:

فهو لهم كهفاً غداً وقدوةً ومثلاً بعد الرسول أسوة^(١)

وفي بيت الملحمة الذي يؤرخ لجرح الإمام علي عليه السلام:

والعهدَ أعطاه لنجله الحسن خليفةً من بعده ومؤتمناً^(٢)

نرى جملة فعلية تحويلية عنصر التحويل فيها الترتيب بتقديم المفعول به «العهد» على فعله لأنه أراد التركيز على هذا المعنى، وفي موضع آخر أراد العناية بتاريخ ميلاد الإمام الحسن عليه السلام لا حادثة الميلاد ولهذا قال:

في النصف من شهر الصيام ولداً فالملأ الأعلى يهني أحمداً^(٣)

مقدماً وقت الميلاد على الفعل «ولد» لأنّ غرضه تاريخ واقعة الميلاد. وفي الشطر الثاني قدّم الفاعل على الفعل لعظمته لأن تركيبه «يهني الملأ الأعلى أحمداً» أقل دلالة في التعبير من «الملأ الأعلى يهني أحمداً».

ونراه في موضع آخر يعطي عناية بالمكان الذي وصل فيه خبر استشهاد مسلم ابن عقيّل إلى الإمام الحسين، وعناية أخرى بالشهيد، قال:

وفي (زرود) جاءت الأنبياءُ بمسلم قد فتك الأعداءُ^(٤)

(١) القوافل ٤٩/٢.

(٢) القوافل ٨١/٢.

(٣) القوافل ١٠/٣.

(٤) القوافل ٥٦/٤.



ففي الشطر الأول قدّم الجار والمجرور «وفي زرود» على جملة الفعل والفاعل، لتكون الجملة تحويلية فعلية بالترتيب، لأنّ إيضاح المكان له أهميته في التأريخ لخط مسيرة الإمام الحسين عليه السلام، وفي الشطر الثاني قدّم ما هو مفعول به على الفعل وفاعله لتكون الجملة هي الأخرى تحويلية فعلية فيها عنصراً تحويلياً: أحدهما الترتيب والآخر الزيادة «قد» لتحقيق وقوع الفعل بشخص الشهيد مسلم بن عقيل عليه السلام. ليعطي الخبر إيقاعه المناسب في النفس، ولعلّ القراءة الدلالية للتركيب تفيد الفارق بين «فتك الأعداء بمسلم» وبين نصّ الملحمة المشار إليه. لأنّ إفادة التخصيص المرادة حققها تقديم الجار والمجرور في الموضعين وليست المسألة متعلقة بالوزن الشعري وضرورته، لأنّ الشاعر عنده قدرة على صياغة القوافي بما يتلاءم مع غرضه، ولعلّ من أمثلة ذلك في شعرنا العربي قول الشاعر:

بيد العفاف أصون عزّ حجابي وبمصمتي أسمو على أترابي

فإنّ الجار والمجرور قد تقدّم لإفادة التخصيص، ولو كان التركيب قد جاء «أصون عزّ حجابي بيد العفاف» لكانت الدلالة مختلفة عن الغرض المراد من التقديم، وكذا الحال في الشطر الثاني. وفي نظمه ليوم عاشوراء كان هناك أكثر من موضع فيه تحويل في الترتيب منها قوله:

و حين هزّ الرّاية العباسُ احتبست في الأضلع الأنفاسُ
لأنّه الثابتُ في الطعانِ وقابضُ الأرواح في الميدانِ^(١)

أراد بتقديم المفعول به «الرّاية» لأنها محط الأنظار في الحروب، لتكون دليلاً على حاملها، لأنّ مَنْ يحمل الرّاية له مكانته المميزة عند قائد المعركة، ولهذا تجد القارئ يتلهف بعدها إلى معرفة الحامل، وهو هنا العباس بن علي عليه السلام.

(١) القوافل ٦٧/٤.

وهذا العنصر يتكرر في الملحمة وأمثله كثيرة يطول الحديث بذكرها تفصيلاً.

ثانياً: الزيادة

وأعني بها هنا زيادة عنصر من عناصر التحويل يضاف إلى الجملة الأصل التي سُميت بالجملة التوليدية لتحقيق زيادة في المعنى، هذه الزيادة يعبر عنها النحاة بالتمتات أو الفضلات، ويسمّيها البلاغيون «القيد». لأن كل زيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى، فنقول مثلاً «حضر زيد فرحاً» فقد بينا حال زيد عند الحضور، هذا المعنى الجديد حققه عنصر الزيادة في الجملة الثانية، لأنّ الحكم كلما ازدادت قيوده ازداد إيضاحاً وتخصيصاً.

والقيود في الجملة العربية كثيرة، منها المفاعيل، والحال، والتمييز، والنواسخ بأنواعها وذلك كاستمرار وحكاية الحال الماضية في «كان» والتوقيت بزمن في «ظل» وأخواتها، والمقارنة في «كاد» وأخواتها، والتأكيد في «إنّ» والتشبيه في «كأن» وغير ذلك.

وبالقراءة المتأنية لـ«قوافل النور» نجد فيها مواضع كثيرة جاءت على نسق هذا العنصر من عناصر التحويل لتحقيق أغراض مختلفة زادت في إيضاح المعنى وتخصيصهن ومنها قوله في التأريخ لبدایات الدعوة المباركة:

فكذبوه حسداً وجهلاً وقد سما قولاً به وفعلاً^(١)

فجملة «كذبوه حسداً» فيها عنصر زيادة لبيان سبب تكذيب المشركين للرسول الكريم ﷺ وأن هذا التكذيب لم يأت لسبب عقلي يقبله العقل أو بالمحاجة العقلية، بل لبيان أنهم لا يملكون القدرة العلمية على ردّ دعوة الرسول التي جاءت بها من السماء، وإنما دفعهم الحسد لا غير.

(١) القوافل ١/٣٦.

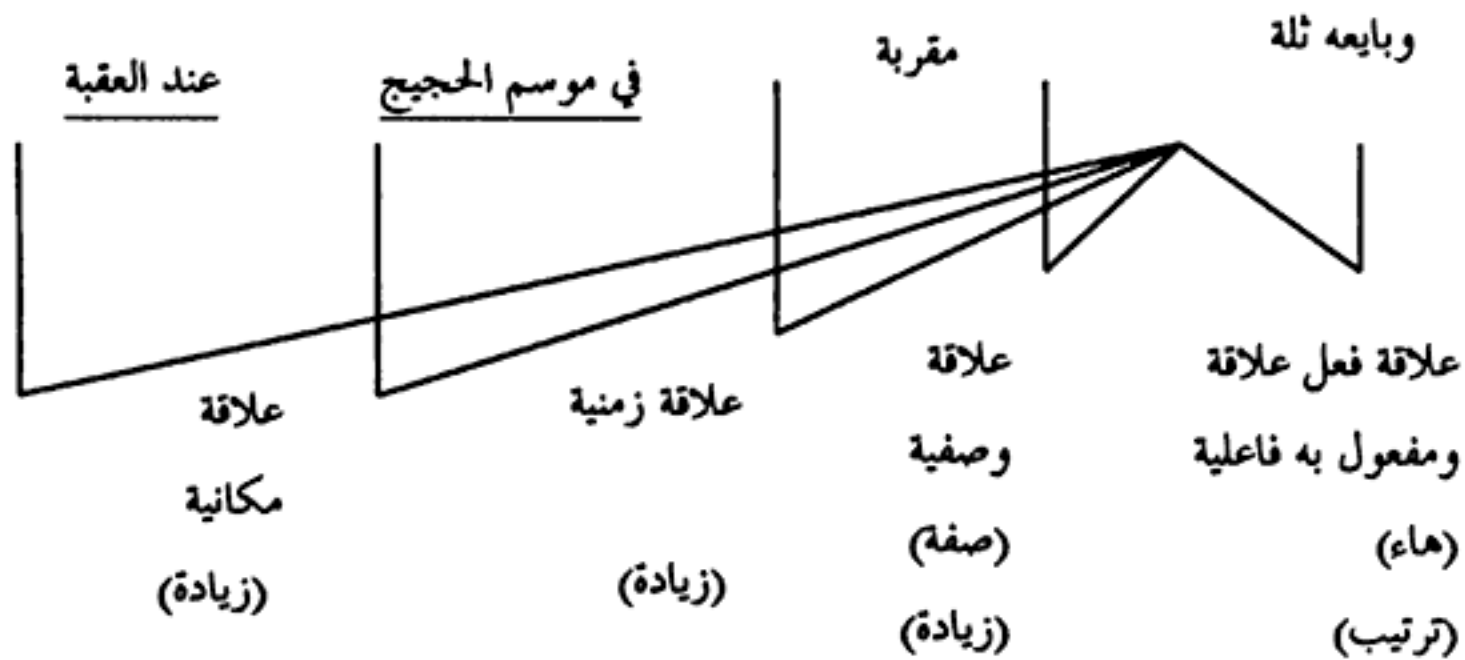


يضاف إلى ذلك عنصر زيادة آخر جاء بالتبعية مع تحقيق نفس الغرض «وجهاً» فالقيد هنا أوضح جانباً من الأجواء المحيطة بالرسول وأصحابه في عهد الرسالة الأول. وفي قوله عند الحديث عن أهل يثرب ومبايعتهم المعروفة:

وامتدت الدعوة نحو يثرب فصافحت أكفها كف النبي
وبايعته ثلثة مقربة في موسم الحجيج عند العقبة^(١)

نجد أكثر من عنصر زيادة في البيت الثاني: أولها الزيادة بالوصف، أو ما يعبرون عنه بقيد التبعية «ثلثة مقربة» لأن هؤلاء هم الذين جاؤوا مع مصعب بن عمير سفير الإسلام الأول إلى يثرب قبل الهجرة المباركة إليها، فالمبايعون ليسوا من عامة الناس، أو من العناصر غير الفاعلة في الواقع الاجتماعي المعاش في «يثرب» بل هم من المقربين الواعين لمقاصد الرسالة السماوية.

والقيد الثاني بيان زمن البيعة الذي هو من ضرورات الواقعة التاريخية، لأن التاريخ يستلزم تحديد الزمن لأي من أحداثه ولهذا جاء القيد «في موسم الحجيج» وهو وقت معروف معلوم عند العرب قاطبة. أمّا القيد الثالث فكان في بيان مكان البيعة «عند العقبة» لأن للمكان دوره في تصديق الواقعة التاريخية عند تحليل الرواية. ويمكننا تحليل البيت على الشكل التالي:



(١) القوافل ١/٣٧.

وفي موضع آخر من الملحمة تعمد أن يكون قيد الوصف بالجملة الإسمية، وهي أقوى لتحقيق هذا المعنى، وذلك عند حديثه عن صلح الحديبية وإرسال قريش لوفد يمثلها للتفاوض وهو الذي كان على رأسه «سهيل بن عمرو» فإن السيد الشامي قد أدرك ضرورة التعريف برئيس الوفد القرشي، وأنه لا بد أن يكون من علية القوم ليتحقق الهدف من مجيئه قال:

وارتبكت قريشُ من هذا الخبر فأرسلت وفداً ليردعَ الخطر
يقدمهم سهيلاً بن عمرو وهو حكيمٌ عارفٌ بالأمر^(١)

فإن القيد لا بد أن يكون في هذه الواقعة محققاً لكثير من الفائدة، لأن قارىء التاريخ لأبداً أن يعرف هذا الرجل الذي بعثه أهل مكة ليكون ممثلاً لهم في حوار مع الرسول ﷺ وهم أعرف الناس به، لهذا تعمد السيد الشامي أن يصف شخص سهيل بجملة إسمية «وهو حكيم عارف بالأمر» فيها أكثر من خبر إضافة إلى استعمال الضمير «هو».

هذه الصورة جعلت القارئ على بينة من شخص «سهيل» حققها عنصر الزيادة أو قيد التبعية كما ذكرنا.

وجاء بقيود أخرى ذات دلالات مختلفة تضافرت لإبراز المعنى المقصود الذي توخاه في حديثه عن واقعة فتح خيبر، والإشارة إلى الواقعة المعروفة المتمثلة في بعث الرسول ﷺ لأبي بكر لفتح الحصن وعودته دون تحقيق الهدف، ثم إرساله لعمر بن الخطاب وعودته معتذراً، عندها قال الرسول قولته الشهيرة: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرّار غير فرار» حيث أعطى الراية للإمام علي عليه السلام. لقد صور السيد الشامي هذا القول بالبيت التالي:

(١) القوافل ٦٧/١.



قال: غداً إنني سأعطي الراية إلى فتى يُعرف بالهداية^(١)

ففي البيت أكثر من عنصر زيادة، وهي: زيادة الزمان «غداً» زيادة التأكيد «إن» و«السين» في «سأعطي» لأنها تفيد الوعد بحصول الفعل، فدخولها على ما يفيد الوعد مقتضى لتوكيده وتثبيت معناه، ومعنى «السين» أن ذلك كائن لا محالة.

وزيادة الوصف للفتى المعني بالبيت وهو الإمام علي، جعلت أركان البيت تتكامل لأداء الغرض المقصود.

هذا ما سار عليه في مواضع العناية والاهتمام وهي عدة في الملحمة منها حديث يوم الدار حين دعا الرسول الأكرم عشيرته ولم يبادر للمؤازرة غير الإمام علي عليه السلام:

فقال أنت يا علي بعدي خليفتي ووارثي في عهدي^(٢)

فقد أدخل عنصرين من عناصر الزيادة بين المسند إليه والمسند «يا علي بعدي» لتأكيد مضمون الخبر باعلان خلافة الإمام بعد الرسول وأضاف عنصر زيادة بالتبعية «ووارثي في عهدي» حيث تكامل بناء المعنى بهذه العناصر لتعطي النص بُعداً دلالياً لا يتحقق إلا بهذه القيود، لأن الأمر على درجة عالية من الأهمية لما له من أثر في مسيرة الدعوة الإسلامية ومستقبلها، ولعل في التوافق الحاصل بين المسند إليه الضمير «أنت» وبيان أسلوب النداء «يا علي» الفاصل بين ركني الجملة، ما يفيد التآلف اللغوي المطلوب في مثل هذه التراكيب الهادفة إلى تأليف المعاني العالية المضامين.

(١) القوافل : ٧٤/٢.

(٢) القوافل : ٢٤/٢.



ومن هذه المضامين العالية التعريف بعهد الإمام علي لمالك الأشر، ذلك العهد الذي يعد نهجاً متكاملًا لإدارة الحكم يستفاد من مفاهيمه الرسالية في كل عصر ومكان، لقد أبرز هذا المعنى بقوله واصفاً للعهد:

وهو لعمرى خيرُ عهدٍ كتبَا ما زال لآن يثير العجبا^(١)

فقد استخدم عنصر الزيادة بالقسم «لعمرى» وهو من درجات التوكيد العالية أعقبه بزيادة «ما زال» التي تفيد الاستمرار في عطاء العهد الى الوقت الحاضر، وأنه يدخل العجب في النفوس. وعلى هذا المنهج سار في توظيف النواسخ في مواضع عدّة، منها:

قال عليّ: «املكوه عني كي لا يضيع نسلُ طه منّي»
فإنه الوارث بعدي فيكمو في فتنة مروعة تأتيكم^(٢)

إشارة الى وصية الامام عليه السلام بخلافة الامام الحسن عليه السلام باستعمال عنصر التأكيد «إن» وزيادة «كان» في إشارته الى ابي الشعثاء يزيد بن زياد الكندي الذي جثا على ركبتيه بين يدي الإمام الحسين عليه السلام:

وكان في معسكر الأعداء يزيدُ الفحلُ ابو الشعثاءِ
لما رأى ما فعل الأوغادُ مال إلى الحسين لا يذادُ
ثم جثا بين يدِ الحسين يرمي سهاماً نعتت بالبين
والسبط يدعو كان بالتسديد فما توانى القوس من يزيدِ^(٣)

(١) القوافل ٢٤/٢.

(٢) القوافل ٢١/٣.

(٣) القوافل ٩٥/٤.



وفي وصفه لأصحاب الحسين عليه السلام وهم يؤدون صلاة الظهر معه يوم العاشر من محرّم، استعمل عنصر زيادة بالتبعية ليعطي الصورة التي يستحقونها في ذلك الموقف الصعب بين جحافل الأعداء التي أغلقت عقولها وقلوبها على الانحراف عن خط الرسالة:

وقام للصلاة بالأبرار الخاشعين القلب للجبار^(١)

أن هؤلاء الأبرار الذين يؤدون فريضة الصلاة تحت وابل من السهام، هم الخاشعة قلوبهم لله الواحد الأحد «الجبار» فلا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا تشيهم الصعاب مهما كانت، بل الموت عندهم أمنية غالية يسعون إليها لنيل مرضاة الله جلّت قدرته، وقد وفق السيد الشامي توفيقاً واضح المعالم في تصويره لهؤلاء الأبرار في هذا الموقف وغيره باستعماله لعناصر الزيادة المختلفة:

وهتف الحسينُ بالأصحاب لجنّة مفتوحة الأبواب
فيها الرسولُ جدُّنا ينتظرُ قدومكم بلهفةٍ فاستبشروا
قالوا نفوسنا لنفسك الفدا فإننا بين يديك الشهدا
والله لا لن يصلوا حماكاً ما نبضت عروقنا حراكاً^(٢)

وهناك مواضع زيادة كثيرة في الملحمة وفق السيد الشامي في وضعها في الأبعاد الدلالية المطلوبة لإيضاح الوقائع التاريخية إيضاحاً يرفع اللبس والشبهات، ويترك في النفس المفهوم الواعي لسيرة الأطهار، الرسول وآله الطاهرين.

(١) القوافل ٩٩/٤.

(٢) القوافل ١٠٠/٤.



ثالثاً: الحذف

يراد به عنصر التحويل الذي يعني نقصاً في الجملة النواة التوليدية الإسمية أو الفعلية لغرض في المعنى، وتبقى الجملة تحمل معنى يحسن السكوت عليه، وتحمل اسمها الذي كان لها قبل أن يجري عليها التحويل.

فإن سأل أحدهم قائلاً: من نجح؟ وأجيب: عليّ، فإن كلمة «عليّ» في سياقها تحمل معنى يحسن السكوت عليه فهي جملة، ولكنها جملة قد حذف ركن من أركانها وهو الفعل «نجح» فهي جملة تحويلية، القصد من التحويل فيها هو الإيجاز، وهو ما تسعى العربية الى تحقيقه.

وهو عنصر من عناصر بلاغة المتكلم، ولهذا قال عبد القاهر الجرجاني:

«هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، فالصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين»^(١).

ومن شرط الحذف أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف وإلا كان تسمية وألغازاً، ومن شرطه أنه متى ما أظهر المحذوف زال ما كان في الكلام من الحسن والطلاوة.

وفي ملحمة السيد الشامي «قوافل النور» مواطن كثيرة للحذف لأغراض مختلفة منها وجود القرائن الدالة على المحذوف، أو ضيق المقام عن إطالة الكلام، أو المحافظة على القافية، أو لتعيينه وعدم احتمال غيره، وغيرها من الأغراض الواردة في كتب النحو والبلاغة ومعاني النحو. أذكر بعضاً منها لإتمام الفائدة:

لقد تكرر في الملحمة حذف الفاعل لوجود القرائن الدالة عليه، منها:

(١) دلائل الإعجاز ١١٢.



وعُذِبَ الصَّحْبُ عَلَى الْهَجْرِ بِالنَّارِ وَالْقِيُودِ وَالصَّخُورِ^(١)

فغرضه هنا رغبته في إظهار تحقير الفاعل بصون اللسان عن ذكر من يتولى تعذيب الطليعة المؤمنة، إضافة إلى عدم تحقيق غرض معين في الكلام بذكر الفاعل في هذا الموضع، وعن هجرة المسلمين إلى الحبشة قال عدة أبيات فيها مواطن حذف للفاعل هي:

هاجر بعض الصحب للنجاشي	ميامين وجهة الأحباش
يقودهم جعفر الطيار	البطل المجاهد المغوار
إذ لاحقتهم زمرة المعاصي	يقدمهم من مكة ابن العاص
يريد أن يخادع النصاري	من أجل أن يرجع بالأسارى
لكن موقفاً لجعفر الأبى	قد أنقذ الثلة من صحب النبي
ورابطت بقية مجاهدة	ظلت على كفر قريش شاهدة
تحتضن الرسول في إخلاص	تطمع بالنجاة والإخلاص ^(٢)

فقد حذف فاعل الفعل «يريد» في البيت الرابع لكون الفاعل معلوماً لا يحتاج إلى ذكره، وكذا فاعل الفعل «يخادع» في البيت نفسه، وحذف فاعل الفعل «أنقذ» لدلالة السياق عليه لأنه متعلق بجعفر، والبقية المجاهدة الوارد ذكرها في البيت السادس هي فاعل الفعل «تحتضن» والفعل «تطمع». حذف المفعول به من بيت الملحمة الذي يؤرخ لهجرة الرسول الكريم:

غادر في المساء ثاني إثنين من غير أن تراه كل عين^(٣)

(١) القوافل ٢٦/١.

(٢) القوافل ٣٤/١-٣٥.

(٣) القوافل ٤٣/١.



لكون مكان الهجرة معلوماً لشهرته في تاريخ الإسلام. ومن مواطن الجمال حذفه للفاعل في الحديث عن بداية الأذان في المدينة المنورة أوضحه في بيت لاحق ليعطي بعدين للموضوع أحدهما تشريع الأذان ودوره في حياة المسلمين، ثم الإشارة الى اول من اذن في مسجد الرسول:

ورفع الأذان للصلاة أنشودة في شفة الدعاء
أول من صاح به بلال ومن به قد ضجت الأغلال^(١)

فقد وصف الأذان بكونه أنشودة في شفاة الدعاء، وتعتمد حذف الفاعل في هذا الموضع رغبة في الإبهام لتشويق القارئ الى ذكره، وبعد البيت المعني جاء البيت الثاني الذي افصح فيه عن فاعل الأذان بجملة إسمية أقوى في الدلالة مع وصف لبلال وكونه من المسلمين الأوائل الذين تحملوا عذاب المشركين حتى أثرت فيه الأغلال وهو يعذب في رمضاء مكة. وعندما التقى جيش الحر بن يزيد الرياحي بركب الحسين عليه السلام في الصحراء كان جنود الحر عطشى بحاجة الى من يسقيهم الماء فكانت نفس الحسين الكبيرة ورحمة سيد الشهداء بهم، حيث سقاهم الماء ورشّف خيلهم، ويترجح عندي أن السيد الشامي أراد التعجيل بإيراد المسند فحذف المسند اليه في قوله:

عطشى فأعطاها الحسين الماء ورشّفوا خيولها الضمائم^(٢)

كأنه أراد «هم عطشى» لأنّ المسند هنا هو محل العناية ولهذا حذف المسند إليه مع دلالة السياق على المحذوف، ولو ذكر لكان في الكلام ضعف دلالي يترفع من ينشد الفصاحة عن ذكره، والجملة هنا جملة تحويلية إسمية عنصر التحويل فيها الحذف كما مرّ بنا.

(١) القوافل ٤٣/١.

(٢) القوافل ٥٨/٤.



تلك وقفة موجزة وقراءة متواضعة لقوافل النور التي نظمت سيرة النبي المصطفى ﷺ والعترة الطاهرة ﷺ، هدي منها التعريف بهذا العمل المبارك الهادف، الذي آمل ان يتم وفق الرؤية الواعية التي أرادها ناظم الملحمة، وأدعو إخواننا وأبناءنا، وأخواتنا وبناتنا خصوصاً أبناء المهاجر العراقية إلى حفظها تيسيراً لفهم تأريخ هداة الانسانية وقادة البشرية الى خير دينهم وديناهم، ولا ننسى العلماء كانت لهم عناية كبيرة في نظم علومهم في منظومات يهدفون منها تسهيل حفظ العلوم والاستفادة منها في حياتهم العلمية والعملية.

إننا ندرس سيرة الرسول وأهل بيته عليهم أفضل الصلاة والسلام لكي نجعلها منهجاً لنا في حياتنا في كل المناحي، ولنيل مرضاة الهل جلّت قدرته.

إن هذه الوقفة القصيرة محاولة أولية لدراسة هذا اللون من النظم ترافقها رغبة في دراسة أخرى من جانب آخر من جوانب هذا المشروع الأدبي والعطاء الشر.

أدعو الله تعالى لسماحة السيد حسين بركة الشامي بالتوفيق والسداد في عمله ومنه تعالى نستمد العون، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. طارق نجم عبد الله

لندن في ١٧ رجب ١٤٢٣هـ

٢٤ أيلول ٢٠٠٢م



الجزء الأول

النبي المصطفى ﷺ





الأهّاء

البيك يا جداه .. يا محمد بن عبد الله

البيك سيدي يا رسول الله

أرفع هذه الملحمة الشعرية (قوافل النور)

المفعمة بالحب والولاء ... لك ولأهل بيتك الاطهار..

والعابقة بشذا الاصرار ، والايمان برسالتك الحية التي لا تموت..

راجياً ان تكون بضاعة مزجاة ، تنفعني يوم الورود على الله..

وهو حسبنا ونعم الوكيل.





إضاءة

بسم الله نفتح ملحمة «قوافل النور» الشعرية بهذا القسم الأول المخصص لشخصية النبي المصطفى الأكرم ﷺ وسيرته العطرة، هذا الرجل العظيم الذي بدأ يتيمًا، فقيرًا، شريدًا، مهاجرًا، ولكنه استطاع بقوة ارادته وتسديد ربه أن يصنع أمة، ويبعث نهضة، ويغير وجه التاريخ.

إن شخصية النبي الأكرم ﷺ تمثل خلاصة المضامين الربانية لرسالات السماء عبر المسيرة البشرية الطويلة بما تنطوي عليه من تجارب ومواقف، وأحداث، وتحولات ضخمة، تشكل مجموعها تراث الانسانية، وحركتها المستمرة نحو الأفضل.

إن مسيرة الرسول الأعظم ﷺ تمثل الانطلاق الأكبر نحو بناء واقع انساني موحد، تذوب فيه فوارق العرق واللون والانتماء، وتمتزج كلها في اطار الاسلام الذي اراده الله تعالى ديناً خاتماً للبشرية، ومنهجاً شاملاً ينظم سلوكها ومواقفها، في بناءٍ متكامل فيه الامم والشعوب، والاقوام، وتحكم شريعته حياتهم من أجل ان تنتهي قرون الظلام والعذاب، ويشرق نور الاسلام الساطع أملاً دائماً، وحقيقة ممتدة.

ولقد كان الرسول ﷺ دائب الحركة، كثير العطاء، حتى لقد عبر عنه علي عليه السلام في إحدى كلماته الرائعة:



«طبيبٌ دوارٌ بطبه قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه، يضعُ ذلك حيث الحاجة إليه».

و«مؤسسة دار الاسلام» إذ تشرع في اصدار هذه الملحمة المباركة بحياة النبي المصطفى ﷺ وتتلوها الأقسام الاخرى في حياة وسيرة الائمة الطاهرين من اهل البيت ﷺ، إنما تهدف الى تقديم التراث الاسلامي الاصيل بعيداً عن شوائب التشويه وغبار السنين، وذلك من خلال الأسلوب الأدبي الذي يجمع بين أصالة التاريخ، واللغة المعاصرة، وجزالة المفردة الحديثة، الى أجيال المسلمين من اجل ان يكون لهم وقوداً في معركة المصير والحضارة، وهم يواجهون تحديات العصر وصراع الهوية.

نسأل الله تعالى ان يجعلنا من المقتدين برسول الله ﷺ والمعتصمين بسنته المطهرة، والثابتين على خطه وهديه، إنه ولي التوفيق.



في البدء^(١)

أبدأ باسم الخالق الرحمن
واحمدُ الله على نعمائه
مصلياً على النبي الهادي
والشكرُ لله على الهدايه
ملحمةً سامية المعاني
وما حباني فيه من آلائه
وآله ائمة.. الرشاد
والبعدُ عن مسالك الغوايه

(١) بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، واصحابه المنتجبين، ومن دعا بدعوته الى يوم الدين وبعد:
فقد عقدت العزم على نظم ملحمة شعرية في سيرة الرسول ﷺ واهل بيته ﷺ متوكلاً على الله في ذلك، تتضمن اهم فصول التاريخ الاسلامي ومحطاته الفاصلة منذ بدء البعثة النبوية الشريفة وحتى غيبة الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه، مروراً بكل المراحل والوقفات التاريخية في حياة الرسول والائمة ﷺ.

وقد استوحيتُ فكرتها من خلال اسفاري خصوصاً سفرات الحج الى الديار المقدسة، وكان الهدف منها تقريب صورة التاريخ لاذهان الشباب المسلم من خلال استعراض ملاحم البطولات التاريخية بالاسلوب الشعري الذي يداعب الاحاسيس، ويستقر في الذاكرة بدون عناء.

فاستعنت الله في ذلك وبدأت النظم في احدى ليالي الجمعة من عام ١٤١٩ هـ رغم زحمة الاعمال والاشغال، كما قد شرحتُ ملحمة قوافل النور بهوامش موجزة مستقاة من اهم مصادر التاريخ الاسلامي وكتب التراث.

فالحمد لله على توفيقه لاكمال هذه الملحمة التي أرجو أن تكون نقطة مضيئة في سجل اعماله وأن تنفعني يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون.



فهو الذي يُجيبُ كل سائل
ان اذكر النبي والائمة
والعلم والسنة والقرآن
نبراسنا المنير في الحياة
فهم تراجم لوحي شرعا
والعلم والجهاد والسداد
وشيد صرخ الحق واليقين
فمنهم يسطع نور... يهدي
وحيث ابواب الدعاء مشرعه

واستعينه على مسائلي
فقد دعوته بكل هممه
فهم حماة الدين والايمان
بهم عرفنا الله والآيات
ما خاب من الاهم واتبعنا
اهل التقى والحلم والرشاد
ومن بهم قام عمود الدين
من لدن النبي حتى المهدي
بدأتها احدى ليالي الجمعة

* * *



العرب قبل الاسلام

بذكر أحوال جزيرة العرب ترنو الى نور النبي المرتقب
وحيث كان الروم في طغيان والفرس في صوامع النيران
والعرب عكف على الاصنام في حمأة الضلال... والحرام
عادتهم وأذ البنات جهلا مستسهلين دفنها والقتلا
الخمير فيهم والربا قد شاعا بجهلهم قد ألقوا الضياعا^(١)

(١) كان العرب في الجاهلية، وهي المرحلة التي سبقت بعثة الرسول ﷺ يعيشون حياة قاسية خشنة، فلم تكن تحكمهم نظم سياسية او مدنية، انما كانت حياتهم العامة تقوم على تحكيم المقاييس الجاهلية والصراعات والقهر والغلبة. كان النظام الغالب على حياتهم، هو التنقل طلباً للمرعى والماء، مما كان يدفعهم الى التقاتل من اجل هذين المطلبين، لان فيهما حياتهم واستمرار معيشتهم. وفيما كانت حياتهم تقوم على هذا النمط الصعب، كانت تحيط بهم دول قوية مستقرة، ابرزها دولة فارس في الشرق، ودولة الروم في الشمال، وهاتان الدولتان كانتا تتمتعان بقوة ونظام مدني متين.

كان العرب يعبدون الاصنام، وكان لكل قبيلة وثنها الخاص. وقد سرت هذه العبادة في بني اسماعيل بعدما تكاثروا وضافت بهم مكة، فقد تفرقوا في البلاد، وحمل كل واحد منهم حجراً من حجر الحرم، كانوا يطوفون به حيثما ينزلون، ومع مرور الزمن نسوا دين آباءهم، وعبدوا الاوثان، وذكر ابن اسحاق في سيرته واليعقوبي في تاريخه: ان عمر بن لحي وهو شيخ خزاعة، سافر الى الشام، ورأى هناك ان الناس يعبدون الاصنام، فأخذ منهم «هبل» ونصبه على الكعبة.



⇒ وكان العرب يخضعون لعادات وتقاليد خاصة بهم، منها وأد البنات، وهي عادة بشعة كانت منتشرة بينهم، حيث يعمد الاب الى دفن الانثى التي تولد له، لانه يرى فيها عاراً عليه، او انها ستلحق به العار في المستقبل، فيما لو سقطت بيد اعدائه خلال الحروب المستمرة فيما بين القبائل، حتى قال شاعرهم:

سَمِيَتْهَا إِذْ وَلِدَتْ تَمُوتُ وَالْقَبْرُ صَهْرٌ ضَامِنٌ زَمِيَتْ

وكان الخمر شائعاً بين العرب في الجاهلية، الى جانب دور البغاء. كما كان الربا شائعاً في معاملاتهم التجارية، وكان من مصادر الثراء عند القلة منهم، لكنه في المقابل كان سبب دمار وعبودية للكثرة الكاثرة.



المولد المبارك

ثمَّ بدأ نور النبيِّ (احمدا) فهو بشيرُ الحقِّ والنذيرُ يُعرفُ باسمِ الصادقِ الامينِ وهو (لابراهيم) قدماً ينتسب اشرق من ضيائه (حراء) يدعو الى التوحيد والصلوة وانظفاً اللظى بنار (كسرى) يقول لا اله الا الله مصداقاً بشارة (التوراة) فقد دعا من (آل عبد المطلب) يدعوهم لنصرة العقيده

يحملُ للناسِ مشاعل الهدى لم ينطفئ سراجهُ المنيرُ في كلِّ موطن وكلِّ... حينِ ثم (هاشم وعبد المطلب) ونُورت بهديه الصحراءُ فانهار من صدها عرشُ (اللاة) واضطرب الروم بأرض (بُصرى) الهُنا لا تعبدوا سواه وما حوى (الانجيل) من آياتِ رجأهم والكلُّ منهم مضطرب فهم وجوه اسرة حميده^(١)

(١) تتفق الروايات في كتب التاريخ والسيرة ان الرسول ﷺ ولد عام الفيل، اي في سنة ٥٧٠ للميلاد، لكن هناك خلافاً في يوم ولادته، والارجح انه ولد في اليوم السابع عشر من شهر ربيع الاول.

ولم يرَ عبد الله بن عبد المطلب ابنه، فقد توفي في طريق عودته من الشام، وهكذا شاء الله ان يعيش الرسول حالة اليتيم، فتكفله جده عبد المطلب، ثم عمه ابو طالب «رض».



⇒ عاش النبي ﷺ خمسة اعوام بين قبيلة بني سعد، حيث تعهدت برضاعته حليلة السعدية، وكانت تلك من عادات العرب لينشأ الاولاد على الفصاحة والفروسية.

كان النبي ﷺ منذ طفولته يتمتع بسجايا وصفات وخلق رفيع يختلف عن اخلاق مجتمعه، مما جعله يتميز في محيطه، لذلك كان يُعرف بالصادق الامين.

وقد كان النبي قبل بعثته، يذهب الى غار حراء في جبل النور، وهو جبل خارج مكة، ولكنه يظل على البيت الحرام، حيث كان يتفرغ للعبادة والتأمل. فقد كان الله سبحانه يعده لتحمل الرسالة الخاتمة، وكانت ملامح النبوة ظاهرة عليه، وفي لحظة حبس فيها التاريخ أنفاسه، وفي غار حراء نزل جبرئيل ﷺ على النبي ﷺ وألقى اليه كلمة الوحي والبدء بالنبوة، وكانت اول كلمات نزلت عليه هي الآيات الخمس الاولى من سورة العلق والتي اولها ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ ثم توالى بعد ذلك نزول الوحي عليه ﷺ .

وقد وردت البشارة بالنبي محمد ﷺ بالتوراة والانجيل، وكان اليهود والنصارى يعرفون ان الله سبحانه سيبعث نبياً الى البشرية، يكون دينه خاتم الاديان، وكان علماءهم يعرفون اوصافه، وعلاماته، وتذكر كتب التاريخ، ان اليهود ارادوا اغتيال النبي ﷺ قبل بعثته، وقد نصح احد الرهبان عمه ابا طالب ان يحرسه من غدر اليهود. لذلك كان عمه شديد الحرص عليه، وقد جاءت البشارة بالنبي ﷺ في القرآن الكريم على لسان عيسى ﷺ في قوله تعالى: ﴿ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾.



بدء الدعوة

لكنهم قد واجهوه بالغضب
مستهزأً بجمعِهِ هذا العدد
لكنما الاطيابُ منهم آمنوا
اولُ من صدقهُ (عليُّ)
وزوجهُ (خديجةُ) الغنيّة
والصفوةُ الابرارُ (آلُ ياسرِ)
كالثائرِ البرِّ (ابي ذر) ومن
واخرون جُلّهم شبابُ
وامنت به جموعُ الضعفا
مثل ابي طالب شيخ البطحا
يقيه بالنفس وبالبنين
فاشتدّ من اعدائه العنادُ
وعُدّبَ الصحبُ على الهجيرِ
لكنما الدعوةُ ظلت تسري
ينزلُ (جبرائيلُ) بالقرآنِ
فحوصرت اذ ذاك (آلُ هاشمِ)
مرّت ثلاث من سني القهرِ
موسومة بالحزن والعذاب

وكان في اولهم (ابو لهب)
ملوحاً له بجبلٍ من مسدّ
والكلُّ منهم للنبي ضامنُ
السوارثُ الخليفةُ الوصيُّ
السيرةُ الطاهرةُ الوفيّة
وكلُّ حرّ طاهرٍ وصابرٍ
لم ترتجف خطاه ايام المحن
بفضلهم قد نطق الكتابُ
وبعضهم قد نصروه بالخفا
في السر داوى للنبي جرحاً
ويكتم الايمان في يقين
وتصبت لذلك الاوتادُ
بالنار والقيودِ والصخورِ
بكل قوة وكلّ.. صبرٍ
يفتحُ آفاقاً من المعاني
(بالشعبِ) رافضين كلّ ظالمٍ
وذاك للرسول اقسى العمرِ
اذ فقدوا جمعاً من الاصحابِ



فيها ابو طالب صبراً قد قضى وعندها ضاق علي (طه) الفضا
وزوجه (خديجة) الكبيره وهي له الاهلون والعشيره
لله صبرٌ لا يجاريه احدٌ تاريخُ (احمد) به قد انفرذ^(١)

(١) امر الله نبيه ان يدعو عشيرته، وذلك عندما نزل عليه قوله تعالى: ﴿وأندر عشيرتك الاقربين﴾ فبدأ بدعوة بني عبد المطلب، كما روى ذلك اهل الحديث والسير، كالطبري وابن الاثير، وابن عساكر وابن كثير وغيرهم. فقد روي الطبري عن الامام علي بن ابي طالب عليه السلام قال:

«لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: ﴿وأندر عشيرتك الاقربين﴾ دعاني رسول الله ﷺ فقال لي: يا علي... اصنع لنا طعاماً، واجعل عليه رجل شاة، واملاً لنا عساً من لبن ثم اجمع بني عبد المطلب، حتى اكلهم، وابلغهم ما أمرتُ به. ففعلت ما امرني به... فلما أراد رسول الله ان يكلمهم، بدره ابو هب الى الكلام فقال: لهدما سحركم صاحبكم. فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله ﷺ، فقال الغد يا علي... ففعلت... ثم تكلم رسول الله ﷺ فقال: يا بني عبد المطلب اني والله ما اعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به، اني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد امرني الله ان ادعوكم اليه فأياكم يؤازرنني على هذا الامر على ان يكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم؟. قال: فأحجم القوم عنه جميعاً وقلت: انا يا نبي الله اكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي ثم قال: ان هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا».

بقي النبي ﷺ يدعو الناس الى الاسلام، بطريقة سرية لمدة ثلاث سنوات، فكان المؤمنون الاوائل يخفون إيمانهم خوفاً من بطش قريش. وقد اتخذ المسلمون من دار ابن ابي الارقم المخزومي مقراً سرياً لهم، حيث كانوا يقرأون القرآن الكريم ويتعلمون احكام الاسلام ويتدارسون شؤون الدعوة، وكان اول من آمن به الشباب، والرجال الأحرار، أمثال: مصعب بن عمير، وعمار بن ياسر، وأبيه، وأمه سمية، وكانوا حلفاء لبني مخزم. كما امن به: ابو ذر الغفاري «جندب بن جنادة» وغيرهم كثير من الشباب والفقراء والمستضعفين. وعندما بدأ الرسول ﷺ دعوته العلنية، كان يعلن دعوته الى عامة الناس، ويبلغ رسالته في مواسم الحج، روى ابن اسحاق: «كان رسول الله ﷺ على ذلك من امره، كلما اجتمع له الناس بالموسم اتاهم يدعو القبائل الى الله والى الاسلام».



⇒

واجهت قريش مشكلة كبيرة، فقد كانت دعوة الرسول ﷺ تؤثر في محيط مكة، وحاول زعماء قريش ان يمنعوا الرسول من نشر دعوته، ففاوضوه على ان يترك امر دعوته، مقابل ان يعطوه ما يريد، لكنه رفض عروضهم بكل حسم، حتى قال قولته الشهيرة: «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على ان اترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه» وحاولوا ان يضغطوا على عمه ابي طالب من اجل ان يمنعه عن دعوته، لكنهم لم يجدوا تجاوباً منه، فقد كان ابو طالب يدافع عن الرسول ﷺ ويعلن حمايته له، وفي ذلك يقول ابو طالب:

والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفيناً
ولقد علمتُ بأنَّ دينَ محمدٍ من خير اديان البرية دينا

وعندما وجدت قريش انها لا تستطيع ان تثني الرسول ﷺ عن مهمته الرسالية، لجأت الى اسلوب الضعفاء، وذلك بأن اخذت تعذب المسلمين بأقسى انواع العذاب الجسدي، لكن المسلمين ضربوا المثل الاعلى في الصمود، حتى استشهد منهم ياسر وسمية، والدا الصحابي الجليل عمار وقد كان يقول لهم كلما مرّ على ساحة تعذيبهم: «صبراً آل ياسر ان وعدكم الجنة».

كان القرآن مشكلة قريش الكبرى، فقد كان لسحر بيانه الاثر الواضح في النفوس، وقد ادرك سراة قريش ان العرب وهم اهل البيان، سوف يتأثرون بالرسول من خلال القرآن الكريم، لذلك حاولوا ان يمنعوا الناس من الاستماع الى قراءة القرآن. فكانوا ينهالون بالضرب على كل من يقرأ القرآن في المسجد الحرام، كما حدث مع الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود. ومن اجل ان تنجح قريش في خطتها كانت تمنع الناس القادمين الى مكة من اللقاء بالرسول والاستماع الى حديثه او قراءته للقرآن. يروي ابن هشام في سيرته، قصة اسلام الطفيل بن عمر الدوسي فيقول:

«كان الطفيل بن عمر الدوسي يحدث: أنه قدم الى مكة ورسول الله بها، فمشى اليه رجالٌ من قريش، وكان الطفيل رجلاً، شريفاً، شاعراً، لبيباً، فقالوا له: يا طفيل انك قدمت بلادنا وهذا الرجل - يقصدون الرسول ﷺ - الذي بين اظهورنا قد اعضل بنا، وقد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالساحر يفرق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، فلا تسمعنّ منه شيئاً، قال: فوالله مازالوا بي حتى

⇐



⇒
 اجمعت إن لا أسمع منه شيئاً، ولا أكلمه، حتى حشوت أذني حين غذوتُ إلى المسجد كرسفاً، فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا أريد أن اسمعه. قال: فغدوتُ إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائمٌ يصلي عند الكعبة، فقمْتُ منه قريباً فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، فسمعتُ كلاماً حسناً، فقلتُ في نفسي: والله اني رجلٌ لبيب، شاعر، ما يخفى عليّ الحسن من القبيح، فما يمنعني أن اسمع من هذا الرجل ما يقول، فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته. فمكثتُ حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فاتبعته حتى إذا دخل بيته دخلتُ عليه فقلتُ: يا محمد قالوا لي كذا وكذا للذي قالوا، فوالله ما برحوا يخفونني أمرك حتى سددتُ أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، فأبى الله إلا أن يسمعني قولك، فسمعتُه قولاً حسناً، فاعرض عليّ أمرك. قال: فعرض عليّ رسول الله ﷺ الإسلام وتلا عليّ القرآن، فلا والله ما سمعتُ قولاً أحسن منه ولا أمراً أعدل منه. فأسلمتُ وشهدتُ شهادة الحق». سيرة بن هشام ٤٠٧/١.

كانت مثل هذه الحوادث تثير قلق قريش وخوفها، فلقد كانت تواجه خطر القرآن الذي يأخذ بالعقول إلى عالم الحقيقة المطلق، دون أن تقف أمامه سياط قريش وعناد جبايرتها. وعندما أخذ عدد المسلمين يتزايد، وعجزت أساليب قريش عن تحجيم الدعوة الإسلامية قررت أن تقدم على خطوة كبيرة تمنع فيها التطورات الحاصلة في مكة وغيرها. فاجتمع زعماء قريش في دار الندوة، ووقعوا ميثاقاً فيما بينهم ينص على مقاطعة النبي ﷺ وانصاره، مقاطعة تامة، فلا يزوجهم ولا يتزوجون منهم، ولا يبيعوهم ولا يشترون منهم شيئاً، وإن لا يكلموهم ولا يؤاكلوهم. وعلقوا هذا الميثاق «الصحيفة» في جوف الكعبة.

على أثر هذا الميثاق الظالم، قرر عم الرسول أبو طالب أن يجمع بني هاشم وبني عبد المطلب، في «شعب أبي طالب» بين جبال مكة، وذلك تحفظاً على الرسول ﷺ وحذراً من حدوث أي طارئ قد تقدم عليه قريش، وقد بلغت قريش في حصارها، حيث كانت تبث عيونها لرصد الشعب، فتمنع وصول أي طعام إليه. وكانت تحذر العرب القادمين إلى مكة من بيع الطعام إلى بني هاشم، فمن خالفهم انتهبوا ماله.

استمرت المحاصرة ثلاث سنوات، انتهت عندما أخبر الله نبيه ﷺ بأن صحيفة المقاطعة قد اكلتها حشرة «الأرضة» لكن آثار المقاطعة كانت قاسية على النبي وعلى المسلمين، وكان من أبرز آثارها وفاة عمه وحاميه أبي طالب ووفاة زوجته وناصرته خديجة «رض».



الهجرة الى الحبشة

حتى اذا ضاقت بلادُ (الحرم) هاجر بعضُ الصحبِ (لنجاحشي) يقوُدُهم (جعفرُ الطيارُ) اذ لاحقتهم زمرةُ المعاصي يريدُ ان يخادع النصارى لكن موقفاً (لجعفرِ) الأبي ورابطت بقيةُ مجاهديه تحتضنُ الرسولَ في اخلاصٍ فحدثت حادثة (الاسراءِ) من مكة أسرى لبيت (المقدسِ) (بُراقه) تحملهُ الى العلى فكذبوه حسداً وجهلاً وهكذا ظل يؤدّي دوره فهاجر النبيُّ نحو (الطائفِ) لكن اهلها أبوا ان يسمعوا وامتدت الدعوةُ نحو (يثربِ) وبايعته ثلثة مقرَّبيه فأرسل النبيُّ فيهم (مصعباً)

بكلِّ مؤمنٍ وكلِّ مسلمٍ ميمِّين وجهةً (الاحباشِ) البطلُ المجاهدُ المغوارُ يقدمهم من مكة (ابنُ العاصِ) من اجل ان يرجع بالأسارى قد انقذ الثلثة من صحب النبيِّ ظلَّت على كفر قريش شاهده تطمَعُ بالنجاةِ والخلاصِ اذ عرجَ الرسولُ للسماءِ اسرى بغير ناقةٍ او فرسٍ معجزةً منه ليؤمنَ الملا وقد سما قولاً به وفعلاً حتى أراد الله منه الهجره يتبعه (زيدٌ) بقلب خائفٍ قولاً وان يعترفوا أو يخشعوا فصافحت اكفها كف النبيِّ في موسم الحجيج عند (العقبه) معلماً وواعظاً.. مؤدباً



وهو فتىٌ من اسرةٍ منعمه
فوطئوا للدعوة الجيده
فأصبحت مهاجر النبي
من بعد ان ضاق عليه الموطن
معروفة في مكة المكرمه
في بقعة صالحة جديده
ومهبطاً للكلم العلي
وحاصرته (مكة) والمحن^(١)

(١) بعد ان رأى الرسول ﷺ ان قريش تزيد اضطهادها للمسلمين، امرهم بالهجرة الى الحبشة، وذلك في السنة الخامسة من البعثة. وقد كانت هناك هجرتان الاولى بقيادة عثمان بن مظعون، وضمت عشرة رجال واربع نسوة، ثم كانت بعدها الهجرة الكبيرة، بقيادة جعفر بن ابي طالب «رض».

وتذكر كتب التاريخ والسيرة ان قريش سارعت الى ارسال عمرو بن العاص الى النجاشي ملك الحبشة، في محاولة لتسليمهم الى قريش ومنع اقامتهم عنده، لكن جعفر بن ابي طالب، وقف موقفاً بطولياً عرض فيه مفاهيم الاسلام وتعاليمه على النجاشي، وعرفه بالاسلام خصوصاً فيما يتعلق بنظرية القرآن حول قصة ولادة سيدنا عيسى المسيح واصطفاء أمه مريم العذراء وكونهما آيتين من آيات الله، فقبل النجاشي اقامتهم، ورفض طلب قريش.

وقد روى ابن هشام في سيرته تفصيل المناظرة التي جرت بين النجاشي واساقفته، وبين جعفر بن ابي طالب، وكيف ان جعفر «رض» تحدث له بثقة وقوة عن الاسلام، وقرأ عليه من القرآن ما جعله يبكي هو واساقفته تأثراً وقناعة بما ورد في القرآن الكريم.

سيرة ابن هشام ٣٥٩/١.

ويذكر اليعقوبي في تاريخه: ان جعفر بن ابي طالب عاد من الحبشة الى المدينة في السنة السابعة من الهجرة في فترة غزوة خيبر حتى قال رسول ﷺ قولته المشهورة: «لا ادري بأبيها انا اسرُ بفتح خيبر ام بقدم جعفر». تاريخ اليعقوبي: ٥٦/٢.

بعد وفاة ابي طالب، فقد الرسول ﷺ المحامي الكبير الذي كان يدفع عنه كيد قريش، وقد روى ابن الاثير: ان الرسول ﷺ قال: «ما نالت قريش مني شيئاً اكرهه حتى مات ابو طالب». الكامل في التاريخ ٩١/٢.

نتيجة هذا الواقع الجديد وجد النبي ان مكة لم تعد مكاناً آمناً لرسالته، فأراد ان يبحث عن

←



⇒

بلد جديد، ينشر فيه الرسالة، فهاجر الى الطائف وعرض الاسلام على قبائلها، لكنهم واجهوه بالرفض، واساءوا الى شخصه المقدس ﷺ حيث رموه بالحجارة، واستخفوا بدعوته، فاضطر الى العودة الى مكة.

هناك اختلاف في قصة الاسراء، متى حدثت وهل كانت في اليقظة ام في المنام، والصحيح ان الله سبحانه اسرى بالرسول بروحه وجسده الى المسجد الاقصى ومنه عرج به الى السماء العلى، ليرى آيات ربه الكبرى، وقد حدث ذلك قبل هجرته الى المدينة. وقد حاول كفار قريش ان ينالوا من هذه الحادثة ويطعنوا بصدق الرسول ﷺ فطلبوا منه ان يأتيهم بالادلة، فاخبرهم ﷺ بأنه رأى قافلة متجهة الى مكة يتقدمها جمل اوراق وحدد لهم وقت وصولها. فوصلت في الوقت المحدد. ثم طلبوا منه ان يصف بيت المقدس، ولم يكن قد زاره من قبل، فوصفه لهم وصفاً دقيقاً.

واصل النبي ﷺ دعوته للناس، في موسم الحج، وفي موضع يدعى العقبة، التقى بسبعة رجال من الخزرج قادمين الى مكة للحج، فعرض عليهم الاسلام. وكان اهل يثرب يسمعون من اليهود بقرب ظهور نبي من العرب. فأمن هؤلاء بالرسول ﷺ وعادوا الى يثرب يبلغون رسالة الاسلام.

وفي العام التالي التقت جماعة مسلمة من اهل يثرب بالرسول وبايعته في العقبة، وسميت هذه البيعة بيعة العقبة، فأرسل معهم الرسول ﷺ الصحابي الجليل مصعب بن عمير، ليعلمهم القرآن ومبادئ الاسلام. واخذت رسالة الاسلام تنتشر بقوة في يثرب حتى قال مصعب للرسول ﷺ حينما لقيه: «ما تركت بيتاً الا وللإسلام فيه اسم».



الهجرة الى يثرب

فأزمع الهجرة والرحيلا
وبات في فراشه (اخوه)
وذاك قمة الوفا والتضحيه
غادر في المساء (ثاني اثنين)
وبعد لأي وصل (المدينه)
يتبعه الامام بالفواطم
حيث بنى النبي صرح الحق
فاتخذ المسجد للقياده
مستعدباً وعورة الطريق
ورفع الأذان للصلاة
أول من صاح به (بلال)
بلغية جميلة الاحسان
وشرعت هنالك العباده
فاعلن الاخفاء للابرار
كي يشهد الايمان والأخوه
فأصبح الغني والفقير
جميعهم في اسرة الايمان

ليثرب يبني هناك جيلا
خشية ان يأتوا ويقتلوه
ان يغدو الموت الرهيب أمنيه
من غير ان تراه أي عين
فاستقبلته الصفوة الامينه
وهن طاهرات (آل هاشم)
بكل ايمان وكل صدق
والحكم والتوجيه والعباده
وساعياً للهدف الحقيقي
أنشودة في شفة الدعاة
ومن به قد ضجت الاغلال
(فسينه) (كالشين) في المعاني
وفتحت ابوابها الشهاده
بين المهاجرين والانصار
قلوبهم بالحب والفتوه
في الدين والكبير والصغير
في نسب من الاخفاء ثابان



وأذن الله لمن قد ظلموا ان يرفعوا سيوفهم ويقدموا^(١)

(١) وجدت قريش ان امر الاسلام اخذ يتعاضم، وان الخطر اصبح يتزايد حول وثنياتها، لا سيما بعد ان وجد الاسلام، والارض الصالحة والامنة في يثرب. فاجتمع سراة قريش ورجالها في دار الندوة، وقرروا قتل الرسول ﷺ، وكانت خطتهم باقتراح من ابي جهل تقضي بأن تنتخب كل قبيلة من قبائل قريش، رجلاً منها يشترك في اغتيال الرسول ﷺ حتى يتوزع دمه بين القبائل فلا يستطيع بنو هاشم المطالبة بدمه.

قرر الرسول ﷺ في ضوء ذلك الهجرة الى يثرب، فلم تعد مكة مكاناً آمناً لرسالته، فدعا وصيه وابن عمه علي بن ابي طالب عليه السلام وطلب منه ان ينام في فراشه ليوهم قريشاً بأنه لا يزال في بيته فلا تسارع في تعقبه، واستجاب الامام علي بسرعة بقوله: «أوتسلم انت قال: بلى قال: اذن لا ابالي اوقعت على الموت او وقع الموت علي» وكان هذا اعظم مظاهر التضحية والايثار وبات ليلته في فراش الرسول مطمئناً واثقاً، فأنزل الله تعالى في حقه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ البقرة/٢٠٧

خرج الرسول ﷺ بصحبة ابي بكر، سراً باتجاه يثرب، وعند الصباح، نهض الامام علي من فراش النبي، وادرك رجال قريش بأنهم غلبوا، فسارعوا الى تعقب الرسول، وخصصوا جائزة سخية لمن ينجح في اعادة الرسول وصاحبه الى مكة.

مكث الرسول ﷺ مع ابي بكر في غار جبل ثور على مقربة من مكة، لمدة ثلاثة ايام وكانت اسماء بنت ابي بكر، تحمل لهما الطعام، وبعد انقضاء الايام الثلاثة سار الرسول الى يثرب، سالكاً طريقاً غير مألوف على ساحل البحر، وكانت قريش تبحث عنه في الجبال والشعاب في محاولة للقبض عليه، لكن الله سبحانه شاء ان تخيب مساعي قريش وان يصل الرسول ﷺ بعد عناء الهجرة الى يثرب، حيث كان المسلمون هناك بانتظار قدومه المشرق الذي اشرقت به يثرب، فسميت فيما بعد بالمدينة المنورة، واستقبلته المدينة بالنشيد الخالد لبني النجار:

طلوع البدر علينا	من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا	مادعاً لله داع
أيها المبعوث فينا	جئت بالامر المطاع
جئت شرفت المدينة	مرحباً يا خير داع



⇒ وهكذا تشكل الهجرة في تاريخ الدعوة نقطة التحول الكبرى في مسيرة الاسلام... حتى اصبح تاريخنا الاسلامي يبدأ منها. سيرة ابن هشام ١٢٦/٢. تاريخ يعقوبي ٣٩/٢. اوصى الرسول ﷺ الامام علي عليه السلام ان يوصل الامانات التي كانت بعهدته الى اهلها، وان يلتحق به في الهجرة الى المدينة، ويجلب معه ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام وفاطمة بنت اسد وفاطمة بنت الزبير.

حاولت قريش منع الامام علي من الهجرة، وطلبت منه اعادة النسوة الى مكة، لكن الامام رفض ذلك، وحاول احد رجال قريش منعه بالقوة، فضربه الامام ضربة قوية اهوت به الى الارض. وتحدى قريش ان تمنعه. فواصل طريقه الى يثرب حتى وصلها بسلام، حيث كان الرسول ينتظره بفارغ الصبر عند قبا وعندما رآه الرسول ﷺ بكى على ما اصابه من نصب في طريق هجرته وهكذا بدأت مرحلة جديدة لبناء المجتمع الاسلامي الفريد. اقدم الرسول ﷺ على بناء المسجد المركزي في المدينة المنورة، وكانت هذه الخطوة بمثابة الخطوة الاولى لارساء دعائم الدولة الاسلامية، فقد صار المسجد مقر العبادة، والقيادة، والقضاء، وادارة الاعمال الاجتماعية، الى جانب مهمته التعليمية والتوجيهية. حيث كان الرسول يعلم المسلمين فيه القرآن الكريم واحكام الاسلام وشؤون الجهاد والسياسة. كان الصحابي الجليل بلال الحبشي لا ينطق العربية بشكل صحيح، فكان يلفظ الشين سيناً، حيث يقول: «اسهد» بدل اشهد، ويروي ان الرسول ﷺ قال بشأنه: «ان سين بلال شين عند الله».

من الخطوات الاجتماعية الهامة التي اقدم عليها الرسول ﷺ في بداية عهده بالمدينة، مؤاخاته بين المهاجرين والانصار، من اجل ان يصنع المجتمع الاسلامي المترابط المتين في علاقته الاجتماعية. وقد آخى النبي ﷺ في هذا العمل بينه وبين الامام علي بن ابي طالب عليه السلام وقال له في هذه المناسبة كما قال في مناسبات اخرى: «انت مني بمنزلة هارون من موسى، الا انه لا نبي بعدي، وانت اخي ووارثي». ينابيع المودة ٥٦ وسيرة ابن هشام ٥٠٧/١.



معركة بدر

فبئراً (بدر) كانت البدايه
اذ اقبلت (قريش) في طغيان
فكانت المعركة العظيمه
(حيدرة) كان فتاها البطلا
تعينه ملائك السماء
فنزلت محكمه (الانفال)
(فبدر) كانت منهج المسير
فمئيت (قريش) بالهزيمة
منطلقاً للفتح والهدايه^(١)
تريد ان تثار للاوثان
والعود بالنصرة والغنيمه
كم فارس حول (القيب) جدلاً^(٢)
في ساعة العسرة والبلاء
ترسم درب النور للاجيال
لامية تصبو الى التغيير
حاملة أحقادها القديمه

(١) حدثت معركة بدر في السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة، قرب بئر بدر، بين مكة والمدينة حينما نزل قوله تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير...﴾ الحج / ٣٩.

وقد كان للامداد الالهي لجيش المسلمين، اثره الكبير في النصر على قريش التي فقدت هيبتها وجبروتها، وخسرت بعضاً من رجالها وقادتها المعاندين وعلى رأسهم شيبة وعتبة والوليد، وابو جهل، وامية بن خلف وغيرهم.

وقد اطلق القرآن الكريم على هذا اليوم يوم الفرقان، لانه قد حدث الحسم العسكري الكبير لصالح الرسالة، الاسلامية وقد نزلت سورة الانفال في اثناء المعركة وبعدها.

(٢) كان للامام علي عليه السلام الحضور الفاعل والمؤثر في معركة بدر، حيث قتل نصف عدد قتلى قريش، وضرب المثل الاعلى في الشجاعة، والاقدام، والتضحية من اجل الرسالة والرسول.



تاركه وراءها الاشلاء
وخاطب الرسول تلك القتلى
اني وجدت الوعد حقاً حقاً
وقال للاسرى تعالوا علموا
واندحرت (قريش) وهي باكيه
تملأ من دماء الصحراء
هل كان وعد الله فيكم عدلاً؟
اذ قال لي ربي قولاً صدقاً
عشراً من الرجال حتى تسلموا^(١)
حيث غدت في كل بيت ناعيه

* * *

(١) كان من مظاهر اهتمام الرسول ﷺ بالعلم والمعرفة ان اعلن ان كل اسير من اسرى قريش يطلق من اسره اذا قام بتعليم عشرة من ابناء المسلمين القراءة والكتابة. وهكذا شكلت معركة بدر الكبرى حداً فاصلاً بين مرحلتين أساسيتين في تاريخ الرسالة، فقد كانت نقطة تحول شاخصه نقلت الأمة من حالة الضعف الى القوة، ومن حالة الدعوة الى الدولة، فاصبح المسلمون بعد هذه المعركة الفاصلة أمة تحمل كل خصائص ومميزات الأمة ذات المبدأ الفكري والمسار السياسي.



معركة أُحد

ثم تجمّعت بعيْدَ عامٍ فحشّدت جموعها الغفيره
فكان ذِيَاكَ اللقا في (أُحدِ) اذ أمر الرسولُ بعضَ الصّحبِ
لثأرٍ من رسالةِ الاسلامِ في جبلٍ يكمنُ حوله العدى
تحسبُ هذي الجولةَ الاخيره ان لا يغادروا مكانَ الحربِ
ما بين جمعِ جاحدٍ ومهتدٍ^(١) خوفاً على أُمته من الردى

(١) تعد معركة احد، تجربة هامة وقاسية في مسيرة الرسالة، فقد تعرض المسلمون لخسارة كبيرة، وخسروا عدداً من الصحابة الاجلاء امثال حمزة عم الرسول، ومصعب بن عمير، وفرّ جماعة من الصحابة من المعركة، وتركوا الرسول في خطر، وقد أظهر الامام علي عليه السلام شجاعة نادرة وإخلاصاً منقطع النظير للرسول والرسالة، حيث حال دون وصول المشركين الى الرسول ﷺ ومعه ثلة قليلة امثال ابي دجانة الانصاري، وكان سبب هذا التدهور العسكري عدم التزام جماعة من جيش المسلمين بقرارات الرسول، واستعجلوا الامور واغرثهم الغنائم، وكان خالد بن الوليد، ينتظر مثل هذه اللحظة، فقام بحركة التفاف على جيش المسلمين من المؤخرة، وتغيرت كفة الحرب لصالح قريش حتى انه جرح رسول الله ﷺ وشاع في المعركة ان الرسول قد قُتل فنزل قوله تعالى: ﴿وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفأن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين...﴾ آل عمران: ١٤٤

وكانت معركة احد درساً قاسياً للمسلمين واختباراً لايمانهم وطاعتهم للرسول والرسالة. بعد معركة احد توجه الرسول ﷺ الى بناء الامة وتعليمها الاحكام والقوانين الاسلامية فشرعت احكام الخمس وغيره من الاحكام الشرعية الفرعية.



لكنهم قد خالفوا (النبيّيا)
من بعد ان لاح بريقُ النصرِ
اذ صال (خالدٌ) على جيشِ الهدى
فصيحَ فيهم قُتلَ الرسولُ
لكنه وهو (ابنُ عبدِ المطلبِ)
و حين فرَّ الصُحبُ بانْهزامِ
سوى جماعة من الابطالِ
اولهم (عليّ) الشجاعُ
وثلثة من افضلِ الاخيارِ
وجُرح النبيُّ في جبهتهِ
واستشهد (الحمزة) في سبعينا
فاستعبر النبيُّ حزناً وبكى
حيث دعا الى البكا عليه
وكان ذاك اليوم درسا قاسيا
ورجع الرسولُ للمدينه
فشُرع الحلالُ والحرامُ
حيث تقوّت شوكةُ الاسلامِ
وامتد نورُ الله بالهداياه
وانطلقَ الدعاةُ للآفاقِ

وآثروا الاموالَ والحليّا
واوشكت هزيمةٌ للكفرِ
وصبَّ من احقاده السودِ الردى
خديعه صدقها المخذولُ
صاح بهم (انا النبيُّ لا كذبُ)
و تُرك الرسولُ دون حمامِ
قد ثبتوا في موقف الرجالِ
ومن به يحتدم الصراعُ
مثلُ (ابي دُجانه) الانصاريّ
وسالت الدما على لحيته
من خيرة الرجالِ والبنينا
وهزّ دمه السخينُ الفلكا
فهو عظيمٌ قدره لديه
اذ عرفوا مطيعهم والعاصيا
يبني أصولَ الدولة الرصينه
والخمسُ والزكاةُ والصيامُ
واندحرت جحافلُ الظلامِ
بسورةٍ محكمةٍ وآياه
بالرغم من أئمةِ النفاقِ

* * *



معركة الخندق

اذ ذاك جاء الخبرُ الاكيدُ
خلفهما الاعرابُ والاحلافُ
ييغونَ هدمَ معقلِ الرساله
فكان حفرُ (خندق) الامانِ
عرفه نبيُّنا للامه
فوقعت معركة (الاحزاب)
الا علياً ابن (شيبِ الحمد)
عاجله الضربَ بذِي (الفقار)
فضربةً عند أبي (الحسين)
ف قيل لا سيفَ سوى السيفِ الجليِّ
وكانت اليهودُ في الحصونِ
بنو (قريظة) وآلُ (المصطلق)
ثم استقرت دولةُ الاسلامِ
رغم جموع الغيِّ والنفاقِ
فأصبح الرسولُ في دولتهِ
يعلمُ الناسَ هدى القرآنِ
و حين صار المسلمون قوه
يحمل بعضهم هموم بعضِ

تجمعت قريشُ واليهودُ
والهمجُ الرعاع والاحلافُ
بقتلهم (محمدًا) وآله
بفكرة عصماء من (سلمان)
(سلمانُ منا أهل بيتِ الرحمه)
مخيفةً لاشجع الاصحابِ
مشى (لعمري بن عبدِ ود)
وهو لعمري عيبةُ الاسرارِ
قد عدلت عبادة الثقلينِ
في كفه (ولا فتى الا علي)
تؤججُ الاحقاد بالضعفونِ
الفُ يهوديُّ على الحقد انغلق
وثبتت قواعدُ النظامِ
وزمرة اليهود والشقاقِ
مطبقةً ما جاء في دعوتهِ
حيث استقامت روعةُ البيانِ
مسلحين بالهدى والدعوه
جناحهم من رحمةٍ في خفضِ



ورغم ما تحملوا من جوعهم تلمع الخشبة في دموعهم
هم اروغ الامثال في الصفات وهم حماة الدين والآيات
وهاج فيهم حُبهم للكعبه فراح بعضهم يناجي ربه
يقول يا ربّ اين الفتح وعدتنا متى يجيء الصبح^(١)

(١) بعد ان اخذت انتصارات المسلمين تتوالى، شعر اعداء الرسالة بالخطر، وخططوا للقيام بحرب كبيرة ضد المسلمين، حيث تحالفت قريش مع بعض القبائل العربية، ومع اليهود، وتحركوا نحو المدينة المنورة، وقد بلغ عدد جيوشهم عشرة آلاف مقاتل. وقد اقترح الصحابي الجليل سلمان المحمدي «الفارسي» على الرسول ﷺ ان يحفر خندقاً حول المدينة لتحصينها من قوات المشركين واليهود. باشر المسلمون بحفر الخندق، واستطاعوا ان يحموا المدينة من خطر الاعداء. وكان للامام علي عليه السلام دوره في هذه الحرب، حيث بارز بطل المشركين عمرو بن عبدود العامري وصرعه، بعدما نكص وتراجع المسلمون عن مبارزته، وقد صور القرآن الكريم مشهد المسلمين وهم في حالة من الاضطراب والقلق والخوف بقوله: ﴿إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا * هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً﴾ الاحزاب/١٠-١١.

كما وصف الرسول ﷺ موقف الامام علي عليه السلام البطولي بقوله: «لمبارزة علي بن ابي طالب لعمر بن عبدود يوم الخندق افضل من اعمال امتي الى يوم القيامة» مستدرک الصحيحين ٣٢/٣ بعد معركة الخندق تحركت بنو قريضة وبنو المصطلق لمحاربة الاسلام لكن الرسول ﷺ احبط خططهم بحكمته ومبادراته الرسالية الفذة حتى اصبح الاسلام قوة دولية يتمتع بكيان سياسي وعسكري في المدينة المنورة.

عندما رأى اليهود محاصرة المشركين يوم الخندق لرسول الله في المدينة، وظنوا انه مغلوب لا محالة، تكشف احقادهم وضغائنهم التي انطوت عليها نفوسهم الخبيثة، ولولا ان الله أخزى الاحزاب لتمكن يهود بني قريضة من الفتك بالمسلمين من خلف ظهورهم، فكان لا بدّ للنبي أن يحسم موقفهم الخياني بقوة وصلابة ولهذا أمر رسول الله ﷺ لمحاصرة اليهود في حصونهم من دون ان يعطي فرصة للراحة أو الاسترخاء، فأذن المؤذن في الناس أنه: «(من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر الا في بني قريضة)». الطبري ١٧٩/٣.



⇒ وأعطى النبي ﷺ رايته لعلي عليه السلام وتبعه المسلمون مع ما بهم من ألم الجراح والجوع، والسهر، من أثر محاصرة الاحزاب .. واستولى الهلع والخوف على اليهود حين رأوا الرسول والمسلمين معه يحيطون بهم وأيقنوا أن النبي غير تاركهم حتى يناجزهم بشدة وحسم عن موقفهم الخياني الجبان.

وطلب اليهود أبا لبابة وهو عبدالله بن عبد المنذر يستشيرونه في امرهم، ولكنه كشف لهم عما كان يعلمه من مصيرهم حين قاموا اليه صغاراً وكباراً ليكون. السيرة النبوية: ٢٣٧/٢.

ولم يقبل النبي ﷺ عرض بني قريضة وهو الجلاء والارتحال عن المدينة من دون عقوبة تناسب موقفهم الخياني السابق وهو نقض العهد ومحاولة الانقضاض على المسلمين. وأبا إلا النزول على حكم الله ورسوله، وحاول الأوس التوسط - بطلب من اليهود - لدى النبي ﷺ لحلّ ازمتهم. فقال النبي ﷺ للأوس: «ألا ترضون أن أجعل بيني وبين حلفائكم اليهود رجلاً منكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال ﷺ فقولوا لهم أن يختاروا من الأوس من شأؤوا. فاختر اليهود سعد بن معاذ. حكماً وكان سعد جريحاً، فحملوه إلى رسول الله ﷺ فأستقبله وقال لمن حوله: قوموا إلى سيدكم فقاموا اليه. ثم حكم سعد بقتل الرجال «المقاتلة» وسبي النساء والذراري وتقسيم الاموال على المسلمين. فقال له النبي ﷺ لقد

حكمت فيهم - يا سعد - بحكم الله فوق سبع أرقعة» اي سبع سموات. السيرة النبوية ٢٣٩/٢ وعلى إثر الانتصارات التي حققها المسلمون في المعارك الحاسمة تحولوا الى قوة كبيرة في الجزيرة، وهنا بدأ يشدهم الشوق والحنين الى مكة الوطن والبيت الحرام، وترتسم أمام عيونهم خيوط الأمل بالعودة اليها بعد الهجرة الطويلة. فهم يتطلعون الى اليوم الذي تتحقق فيه احلامهم بفتحها، باعتبارها القلعة التي بقيت مستعصية على الفتح في طريق مسيرة الدعوة الاسلامية، وهكذا سارت عجلة الاحداث وبدأت تباشير الفجر تلوح لهم في الأفق القريب، فها هم يتجمعون ويشدون الحزم، وينتظرون الإذن في المسير إلى مكة.



صلح الحديبية

فقرر النبيُّ أن يحجَّجا
وقلبه يهفو لبيت الله
فساق (هديه) أمام جحفله
والصحبُ تحذو فيهم الآمالُ
قد فارقوها (ستة) أعواما
فوصلوا لواحة (الحديبية)
لكنهم قد منعوا المسيرا
هناك بايعت جموع البرره
أن يفتدوه بالنفوس والولدُ
فنزلت آي من الرحمن
وارتبكت قريش من هذا الخبرُ
يقدمهم (سهيل بن عمرو)
فكان الاتفاق أن يعودوا
وعشرة من السنين هدنه
أنكر بعضُ الصحب منهم (عمر)
فغضب النبيُّ ثم وضَّحا

في موسمِ رَجِّ (الحجاز) رجَّجا
لأنه أنشودةُ الشفاهِ
مكبرا مسبحاً في أوله
لكعبةٍ يحضنها الجلالُ
تنظُرُ الأزواج واليتامى
وكلهم يرى الوصولَ أمنيهِ
وعاد كل واحدٍ كسيرا
نبِيهم تحت ظلالِ الشجره
فهو القريبُ والحبيبُ والبلدُ
وسُميت (بيعة الرضوان)
فأرسلت وفداً ليردع الخطر
وهو حكيمٌ عارفٌ بالامر
وبعد عامٍ تُرفعُ القيودُ
تعلّم الأصحابُ فيها السنّه
بأنهم بالوعدِ لم يتصروا
بأنه ما جاء حتى يفتحا



لكنه طال بهم بالطاعة أن يذعنوا لموقف الجماعة
ورجعت صحابة الرسول يواجهون (ابن أبي سلول)
بالوعي والأناة والصلابة قد نهجت طريقها الصحابة^(١)

(١) في السنة السادسة من الهجرة وفي شهر ذي القعدة، توجه الرسول ﷺ في جمع كبير من المهاجرين والانصار وبعض القبائل العربية، نحو مكة لاداء فريضة الحج. وكانت الخطوة على قدر كبير من الأهمية والخطورة، فلقد اثار تحرك الرسول ﷺ خوف المشركين في مكة، فتحركوا لمواجهة عسكرياً، بعد ان ظنوا انه يريد مواجهةهم عسكرياً. لكن الرسول ﷺ سلك طريقاً آخر، واستقر في وادي الحديبية، وأعلن انه لا يريد قتال قريش، إنما جاء لزيارة البيت الحرام فبعثت قريش وفداً منها للتفاوض معه، وبعد المفاوضات تم توقيع معاهدة صلح عرفت بـ«صلح الحديبية» كان من أهم بنودها، أن تتخلى قريش عن إيذاء المسلمين في مكة، ولا تتعرض لهم بأذى وتكون الهدنة لعشر سنوات. تاريخ الطبري ٢/٢١٨، وتاريخ يعقوبي ٢/٥٤.

وقبل عقد معاهدة الصلح بايع المسلمون الرسول ﷺ على نصرته والقتال تحت رايته وقد سميت هذه البيعة بيعة الرضوان وفيها أنزل الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ...﴾ الفتح/١٨.

وسهيل بن عمرو، هو مبعوث قريش في التفاوض مع الرسول ﷺ وقد وقع المعاهدة ممثلاً عن قريش.

وكانت بنود المعاهدة تنص على ان يعود المسلمون إلى المدينة فلا يحجوا في هذا العام، إنما يأتوا العام التالي للحج، وقد إعترض بعض الصحابة على الرسول ﷺ في هذا الاتفاق، منهم عمر بن الخطاب، لكن الأيام أثبتت أن هذه الوثيقة حققت مكاسب كبيرة للرسالة، فلقد دخل الاسلام على إثرها عدد من الناس يفوق ما حدث في السنوات التي سبقت توقيع المعاهدة. وقد وصف الصحابي البراء بن عازب، ان فتح مكة كان يوم بيعة الرضوان. الطبرسي - مجمع البيان: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾.

وعبد الله بن أبي سلول، رأس المنافقين في المدينة، كان له دور خبيث في محاربة الرسالة، وتشبيط عزائم المسلمين، والغريب أن بعض المسلمين يعتبر هذا المنافق صحابياً، على أساس أن الصحابي كل من رأى الرسول. وهم بذلك يلتمسون له العذر ولا يطعنون بإسلامه الكاذب وسلوكه المعادي للرسول والرسالة.



معركة خيبر

لكنما (اليهود) ظلت حاقدته
 حاصرها النبي عند (خيبر)
 قال: غداً اني سأعطي (الرايه)
 يكرُّ دائماً ولا يفرُّ
 وهو يحبُّ الله والرسولاً
 فسلم (اللواء) للامام
 مقتلعاً بوابة الحقد الغبي
 وقد تهاوت بعده القلاعُ
 مغرورةً بجهلها معانده
 في يوم عودة الحبيب (جعفر)
 الى فتى يُعرف بالهداياه
 في سيفه دوماً يلوح النصرُ
 بحيث اضحى لهما خليلاً
 مقتحمًا معاقل الظلام
 ومردياً بسيفه (لمرحب)
 وانهزمت اذ ذاك (قينقاع) (١)

* * *

(١) كانت خيبر منطقة منيعة تقع على قمة جبل، وفيها عدد كبير من المقاتلين اليهود، وكان يهود خيبر يتجحون بحصونهم وقوتهم، قرر الرسول ﷺ غزو هذا الموقع المعادي للرسالة والذي يثير الشغب ضد المسلمين.

بعث الرسول ﷺ ابا بكر لفتح ثغرة في حصون خيبر، فلم يتمكن من ذلك وعاد الى الرسول معتذراً عن القيام بالمهمة، ثم ارسل الرسول، عمر بن الخطاب للمهمة نفسها، فعاد كما عاد ابو بكر معتذراً عن النجاح في مهمته فقرر الرسول ﷺ اعطاء الراية الى الامام علي عليه السلام حينما قال قوله الشهيرة «لاعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كراً غير فرار» ففتح الله على يديه حصون خيبر بعدما قتل قائدهم «مرحباً» وحقق النصر المؤزر للمسلمين. وفي ذلك يقول ابن ابي الحديد المعتزلي:

يا قالع الباب التي عن هزه عجزت اكف اربعون واربع

سيرة ابن هشام ومغازي الواقدي ٢/٦٣٧.



معركة مؤتة

وبعدها أرسل جيشاً آخرًا (وابن رواحية) لغزو الروم فنزل الجيش على (معان) فأمر الرسول بالقتال حيث هوى (زيد) الشجاع القسور (وابن رواحية) شهيداً قد مضى وفي المدينة النبي ينظر وانحاز بالراية بعد (خالد) وبعدها عادوا مع الجراح

قدم (زيداً) عنده (وجعفر) وهم ألدُّ زمرة الخِصوم مفكراً بكثرة (الرومان) فثبتت الرجال كالجبال وبعده استشهد فيهم (جعفر) وفي جيوش الروم قد حل القضا لما جرى عليهم ويُخبر والكلُّ في صبر غدا يجالدُ ينتظرون وثبةً (البطاح) ^(١)

* * *

(١) في شهر جمادي الثانية من السنة الثامنة للهجرة تحشدت الروم وحلفاؤها من اليهود وقلول المشركين. فقرر الرسول ﷺ غزو الروم، وهم الدولة الكبرى في تلك الفترة، وقد عين الرسول على رأس الجيش زيد بن حارثة، ثم من بعده جعفر بن ابي طالب، ثم من بعده عبد الله بن ابي رواحية. وقيل كانت الراية بيد جعفر.

دارت معركة ضارية بين الرومان الذين بلغ عدد قواتهم مائتي الف مقاتل، في حين كان جيش المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل. وفي منطقة «معان» تدارس المسلمون الموقف العسكري، وقرروا مواصلة القتال رغم الفارق العددي الكبير، فلقد كان الغرض هو تحدي الدولة الكبيرة، كمقدمة لتثبيت موقع الدولة الاسلامية، وحدثت المعركة واستشهد القادة الثلاثة. بعد ان وقفوا في ارض المعركة وقفة البطولة الرسالية الخالدة، ثم تراجع خالد بن الوليد ببقية الجيش، ومن الجدير بالذكر ان الرسول ﷺ كان يخطب في المدينة ويحدث الناس عن المعركة وتفصيلها. الواقدي، وابن الاثير، والطبري، احداث غزوة مؤتة.



رسائل النبي الى الملوك

وارسل الرسول بالمرسوم ومرسل ايضاً الى النجاشي ثم كتابه الى (المقوقس) ثم كتاب (المنذر بن ساوا) وارسل الدعوة لليمامة بأن دين الله سوف يظهر وخاطب النبي كل واحد ان اسلموا لدعوتي سريعاً وذاك دأب الدعوة المكرمه والكل قد اصغى ولكن (كسرى)

لعرش فارس وعرش الروم رسالة تحمل للاجاشي و(حارث) كان بيت المقدس بـ(جيفر) كتابه تساوي لهوذة يعطونه علامه وفي البقاع كلها ينتشر منهم بلهجة الرسول القائد او ترفضوا فتأثموا جميعاً ان تنشر الاسلام عبر الكلمه قد مزق الكتاب منه كفراً^(١)

* * *

(١) في السنة السادسة من الهجرة، ارسل الرسول ﷺ كتبه الى ملوك ورؤساء الدول الكبيرة آنذاك، وهي دولة فارس والروم والاسكندرية والحبيشة وغيرها وكان موقف كسرى هو الموقف المعاند من بين بقية الملوك. حيث مزق كتاب رسول الله ﷺ جهلاً منه وكفراً. اليعقوبي ٧٧/٢ ، وتاريخ الطبري ٢٩ / ٢.



فتح مكة

وامتدت الدعوةُ في الجزيره
والتزم الرسول بالمعاهده
فنقضت عهودها عند الخفا
فهاجمت خزاعة الأبيه
وحين جاء (عمرو الخزاعي)
يقول في آياته الاليمه
(لاهم اني ناشد محمدا
ان قريشاً اخلفوك الموعدا
هم بيتونا بالوتير هجدا
فأقسم النبي ان يردها
فحشد الرجال نحو الفتح
قد دُعر الشركُ غداة شاهدا
وانهار صرخُ البغي والطغيان
يظهر ايماناً ويخفي الكفرا
ويا له من مشهدٍ اذ دخلوا
ثم هوت من بعده الاصنامُ
ودخل النبي في تواضع
مسبحاً بحمد رب البيتِ
اليوم عز لقريش يبنى
مبيناً في ذاك شأن (المسجد)

وهي نواة الامة الكبيره
لكنما قريشُ ظلت حاقده
وباغتت في الليل بعض الحلفا
أهل الوفا والجود والحميه
الى النبي بدمٍ ملتاع
يخاطب النبوة الكريمه
حلف أينا وايبك الاتلدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وقتلونا ركعاً وسجدا)
لانها خانت جهاراً عهدا
عشرة آلاف قبيل الصبح
جحافلاً تمشي وراء (احمدا)
يوم اتى يجبو (ابو سفيان)
لم يشرح الله لديه صدرا
(لمكة) فانهار فيها (هبل)
وعمت الفرحة والسلامُ
مطأطأ الرأس بقلب خاشع
وخاطب القوم بأعلى صوت
فالبيت صار للجميع أمنا
والجمعُ صاح باللسان واليد



لبيك يا خير الورى جميعا غرست في قلوبنا الربيعا
 فقال بعد ذاك: يا قوم اسمعوا اذ عدت ما ترونني سأصنع
 قالوا: أخ نعرفه كريما مصدقاً برأ بنا رحيماً
 قال: اذهبوا فأنتم طلقا فقد عفوت عنكم ما سبقا
 ودخلوا في دينه أفواجا ومالأوا الاقطار والفجاجا
 وبعدها توجهه (النبي) ليثرب وامره قوي^(١)

(١) حدث في السنة الثامنة من الهجرة ان نقضت قريش بنود صلح الحديبية، فقرر الرسول ﷺ ان يغزو قريشاً لمخالفتها المعاهدة، وسار في عشرة آلاف مقاتل نحو مكة، وعسكر الجيش حول مكة، فانهارت قريش وتداعت قواها، خصوصاً بعد استسلام ابي سفيان وخضوعه بين يدي الرسول، فقال رسول الله ﷺ قوله التاريخية: «من دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل بيت ابي سفيان فهو آمن».

ودخل المسلمون مكة فاتحين، من دون قتال. وقد امر الرسول ﷺ الامام علي بن أبي طالب فأزال الاصنام من الكعبة. وبذلك تحقق النصر الالهي الكبير للرسالة الاسلامية حين دخل الناس في دين الله افواجا وخطب رسول الله ﷺ خطابه التاريخي في المسجد حيث قام على باب الكعبة فقال: لا اله الا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الاحزاب وحده، ألا كل مأثرة او دم او مال يُدعى فهو تحت قدمي هاتين الا سداية البيت وسقاية الحاج، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا، ففيه الدية مغلظة، مائة من الابل، اربعون منها في بطونها اولادها. يا معشر قريش، ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب، ثم تلا هذه الآية: ﴿يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم﴾. ثم قال: يا معشر قريش، ما ترون اني فاعل فيكم؟ قالوا: خيراً، اخ كريم، وابن اخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد، فقام اليه علي ابن ابي طالب ومفتاح الكعبة في يده، فقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك؛ فقال رسول الله ﷺ: «أين عثمان ابن طلحة؟ فدُعي له، فقال: هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء»

سيرة ابن هشام ٤٦/٤ وتاريخ الطبري ٣٣١/٢ وتاريخ ابن الاثير ٢٤٥/٢.



معركة حنين

فاجتمعت (هوازن) الكفار
ومعها قد أطبق الاعرابُ
يقودهم (مالك بن عوف)
ففاجأوا الرسول في (حنين)
والمسلمون كثرة في العددِ
فأعجبتهم يوم ذاك الكثره
فدارت الحربُ قبيلَ الفجرِ
فانهزم الجمع من الاصحابِ
الا النبي وحده قد ثبنا
وثلة من الصحاب الأوفيا
اولهم (علي) الكرارُ
وآخرون منهم (عبّاس)
عودوا الى النصره يا رجالُ
وحيث شاهد الصحابُ (احمدا)
وهو يكرُّ في صفوف الكفره
فرجعوا وباشروا القتالا

لكي تكيد أمة (المختار)
ومشركون حلمهم سرابُ
ومعه الاهلون دون خوفِ
بوثبة طبقت الافقينِ
وليس فيهم حاجة للمددِ
وقد نسوا الرحمن عند الكره
والجيشُ في غفلته لا يدري
وظل ذاك الجيشُ في اضطرابِ
وكان سيفه بعزمٍ مصلتا
من خلصت نفوسهم من الريا
مضحياً وسيفه بتارُ
يصيح يا لله أين الناس؟
فأنكم فوارس ابطالُ
وصرخة منه تطبق المدى
ثم ينادي أين أهل (الشجره)؟
وقد غدوا في ضربهم ابطالا



ولاح في الآفاق طيرُ النصرِ
 ونزلت آياتُ ربِّ النورِ
 ووزعت من بعدها الغنائمُ
 فاعترض (الانصارُ) في القضية
 لكنما الرسولُ قد ارضاهمُ
 وذاك نهجُ الخلقِ الكريمِ
 ورجع الجيشُ الى (المدينه)
 وانهزمت خوفاً جيوش الكفرِ
 تعاتبُ الصحبَ على الغرورِ
 أسرى وخيلٌ حرة كرائمُ
 رغم النفوس الحرة الايَّه
 بخطبة عصماء قد ابكاهمُ
 ولفتةً من قائدٍ عظيمِ
 ليحرسوا أسوارها الحصينه^(١)

(١) بعد ان منَّ الله على المسلمين بفتح مكة، تاهب اهل هوازن لقتال المسلمين بقيادة مالك بن عوف، وقد انضم اليهم بعض الاعراب، وقد تحصنوا في الجبال المطلة على وادي حنين، وعندما اقترب منهم المسلمون فاجأوهم بالنبال، فذعر المسلمون وتشنت صفوفهم، ولم يبق مع الرسول ﷺ الا الامام علي عليه السلام والعباس بن عبد المطلب وثلة قليلة من المسلمين فأمر الرسول ان ينادي العباس بالمسلمين ليعيدهم اليه، فناداهم بصوته الجهوري، فعاد المسلمون، وتغير الموقف العسكري لصالح المسلمين. ومنَّ الله عليهم بالنصر بعد ان اعجبتهم كثرتهم كما عبر عنهم القرآن بقوله تعالى: ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضائق عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين...﴾ التوبة/ ٢٥. سيرة الرسول: للسيد محسن الامين/ ١٣٢.

وكان نداء العباس للمسلمين: «يا معشر المهاجرين والانصار، يا اصحاب رسول الله، يا اصحاب سورة البقرة، يا اهل بيعة الشجرة، الى اين تفرون؟ هذا رسول الله».

قال ابو سعيد الخدري: لما اعطى رسول الله ﷺ ما اعطى من تلك العطايا، في قريش وفي قبائل العرب، ولم يكن في الانصار منها شيء، وجد هذا الحيُّ من الانصار في انفسهم، حتى كثرت منهم القالة حتى قال قائلهم: لقي الله رسول الله ﷺ قومه فسي اصحابه، فدخل عليه سعد ابن عبادة، فقال: يا رسول الله، ان هذا الحي من الانصار قد وجدوا عليك في انفسهم، لما صنعت في هذا الفيء الذي اصبت، قسمت في قومك، واعطيت



⇒ عطايا عظاماً في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحي من الانصار منها شيء. قال: فأين انت من ذلك يا سعد؟ قال: يا رسول الله، ما انا الا من قومي. قال: فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة. قال: فخرج سعد، فجمع الانصار في تلك الحظيرة. قال: فجاء رجال من المهاجرين فتركهم، فدخلوا وجاء آخرون فردّهم، فلما اجتمعوا له اتاه سعد فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الانصار، فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله، ثم قال: يا معشر الانصار: ما قالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها عليّ في انفسكم؟ ألم آتكم ضللاً فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، واعداء فألف الله بين قلوبكم! قالوا: بلى، الله ورسوله أمنُّ وفضل ثم قال: ألا تجيبونني يا معشر الانصار؟ قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله ولرسوله المنُّ والفضل قال: ﷺ أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم: أتيتنا مكذباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فأوينناك، وعائلاً فأسينناك اوجدتم يا معشر الانصار في انفسكم في لعاعة من الدنيا تألفتُ بها قوماً يُسلموا ووكلتكم الى اسلامكم ألا ترضون يا معشر الانصار ان يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله الى رحالكم؟ والذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنتُ امراً من الانصار، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الانصار شعباً لسلكت شعب الانصار. اللهم ارحم الانصار، وابناء الانصار، وابناء ابناء الانصار.

قال: فبكى القوم حتى اخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا. سيرة ابن هشام ١٤١/٤.

إن هذه الحادثة في أجواء معركة حنين تثير في نفوسنا الكثير من الدروس والعبر في مقدمتها شجاعة القائد وقدرته على إمتصاص الأزمات، ومواجهة الأحداث والمشكلات بروح موضوعية وصراحة تامة مع أمته وجيشه، فهذا هو الرسول يستمع من الناس بكل تواضع وأنفتاح وتقدير لمواقف الأنصار الإيجابية المشرقة في حركة الرسول والرسالة.



غزوة تبوك

ويستعدوا للقاءٍ ثانيه
حيث تجمعت فلولٌ جمه
من كلِّ كافرٍ ومن (نصرانيّ)
فعاجلَ الرسولُ ذاك الجمعاً
فأخبر الأمةَ بالمسيرِ
ان يتهيئوا الى (الاحلافِ)
فنفر الصحبُ بكلِّ عزمٍ
لكن بعض الضعفا تخلفوا
قالوا: بأنَّ في البيوت (عوره)
معدرون يصنعون الحججا
لم يسمع الجمعُ لهم كلاماً
فسار جيش الحق لا يبالي
وخلّف النبيُّ في المدينة
فقال: يا عليُّ انت مني
وسمع الناسُ (حديث المنزله)
وانطلق الجيشُ برغم العسره
عند (تبوك) للحشودِ الجانيه
شيطانها ينفثُ فيها سُمَّه
ومن منافقٍ ومن شيطانٍ
بخطبةٍ يريدُ منها الردعاً
بقوليةٍ صريحةٍ التعبيرِ
فجيشهم ناف على الآلافِ
وهمّةٍ صادقةٍ وحزمٍ
بحججٍ من بعدها تأسفوا
لذاك نحن لا نطبقُ النصره
اضحوا يعوقون من قد خرجا
ولم يعودوا بعدها كراماً
بمن تخلفوا مع (العيالِ)
(حيدرّة) ونفسه حزينه
كمثل (هارون) تؤدّي عني
وادركوا المعنى بغير مسأله
والكلُّ منهم ما لديه (تمره)



يخترق الصحراء في عناءٍ دون مؤونة ودون ماءٍ
لكنهم قد واصلوا الطريقاً متخذين صبرهم رفيقاً
حتى اذا ما وصلوا (تبوكا) والكلّ منهم قد غدا منهوكا
ارتعب العدو حين شاهدا جيشاً أتاه مؤمناً مسددا
فاستسلموا طوعاً وأدوا (الجزية) وظل (يوحنا) يجرّ خزيه
وقفلوا عوداً الى ديارهم يواصلون الليل في نهارهم
في رحلة طويلة وشقّه بعيدة كثيرة المشقّه^(١)

* * *

(١) تواردت الانباء الى المدينة المنورة، ان الروم يستعدون لغزو المسلمين وقد تحشدوا في تبوك فقرر الرسول ﷺ ان يتصدى لردّهم، فأصدر اوامره بالتهيؤ لقتال الروم، لكن المنافقين في المدينة نشطوا في التحرك المضاد، فكانوا يقومون بتثبيط العزائم لصرف المسلمين عن الانضمام لجيش الرسول فتخلفَ بعض المؤمنين الضعاف عن غزوة تبوك وقد ذكرتهم سورة براءة.

واجه الرسول ﷺ التحرك بقوة، واعد جيشه للمسير، وقد سمي هذا الجيش بجيش العسرة لصعوبة تجهيزه لضخامته ولشدة الحرّ.

واستخلف الرسول ﷺ على المدينة الامام علي بن أبي طالب وكان الامام يريد الخروج مع الرسول، فقال له الرسول قوله الشهيرة التي تتضمن الكثير من المضامين العقائدية والسياسية في حاضر الامة ومستقبلها: «أما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى، الا انه لا نبيّ بعدي» ويعرف هذا الحديث الصحيح في كتب السيرة والاحبار بحديث المنزلة الذي رواه الفريقان في مدوناتهم. خصائص النسائي/ ١٤، وطبقات ابن سعد ٤/١٣.



مسجد ضرار

فوجدوا بين الطريق مشهدا منافقين قد اقاموا مسجدا^(١)
اساسه النفاقُ والمراءُ والكذبُ والتزويرُ والرياءُ
فرفضَ الرسولُ ان يُصلياً في بقعةٍ تلوثتُ من الريا
فأمرَ الاصحابَ ان يدمروا (قاعدةً) بناؤها مزورُ
فلتحرقوه (مسجدَ الضرارِ) فقد بنته عصابةُ الاشرارِ

* * *

(١) اقام المنافقون مسجداً في اطراف المدينة سمي بمسجد ضرار، عندما عاد الرسول ﷺ من المعركة، ووجد المسجد، امر باحرقه، وتحويله الى محلٍ للقمامة حتى لا يتحول الى قاعدة للنشاط التخريبي المضاد.

قال تعالى: ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبلُ وليحلفن إن اردنا إلا الحسنی والله يشهدوا أنهم لكاذبون* لا تقم فيه أبداً لمسجد اسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾ التوبة/ ١٠٧-١٠٨



الثلاثة الذين خُلفوا

ودخلوا (المدينة المنورة) ففاجأتهم ثلثة معتذره
منهم ثلاثة من الرجال لكن عفا الله عن (الثلاثة)
وانهالت الوفود للمبايعه وأسلم الجميع في الحجاز
واسلمت كل جزيرة العرب خلال ذلك النبي عاهدا
بعض الملا وكان ذاك سائدا^(١)

(١) لقد تخلف عن رسول الله ﷺ قوم من المنافقين وقوم من المؤمنين مستبصرين لم يعثر عليهم في نفاق: منهم كعب بن مالك الشاعر، ومرارة بن الربيع، وهلال بن امية الرافعي، فلما تاب الله عليهم قال كعب: ما كنت قط اقوى مني في ذلك الوقت الذي خرج رسول الله ﷺ الى تبوك، وما اجتمعت لي راحلتان قط الا في ذلك اليوم، وكنت اقول: اخرج غداً بعد غد فاني مقوى، وتوانيت وثقلت بعد خروج النبي ﷺ اياماً ادخل السوق ولا اقضي حاجة فلقيت هلال بن امية ومرارة بن الربيع، وقد كانا تخلفا ايضاً فتوافقنا ان ن بكر الى السوق؛ فلم نقض حاجة فما زلنا نقول: نخرج غداً وبعد غد حتى بلغنا اقبال رسول الله ﷺ فندمنا.

فلما وافى رسول الله ﷺ استقبلناه نهته السلامة فسلمنا عليه فلم يرد علينا السلام، واعرض عنا، وسلمنا على اخواننا فلم يردوا علينا السلام فبلغ ذلك اهلونا فقطعوا كلامنا؛ وكنا نحضر المسجد فلا يسلم علينا احد ولا يكلمنا فجاءت نساؤنا الى رسول الله ﷺ فقلن: قد بلغنا على ازواجنا افعتزلهم؟ فقال رسول ﷺ: لا تعتزلنهم ولكن لا يقربوكن.



⇒ فلما رأى كعب بن مالك وصاحبه ما قد حل بهم قالوا: ما يقعدنا بالمدينة ولا يكلمنا رسول الله ﷺ ولا اخواننا ولا اهلونا؟ فهلما نخرج الى هذا الجبل فلا نزال فيه حتى يتوب الله علينا او نموت. فخرجوا الى ذباب - جبل بالمدينة - فكانوا يصومون وكان اهلهم يأتونهم بالطعام فيضعونه ناحية ثم يولون عنهم ولا يكلمونهم.

فبقوا على هذا اياماً كثيرة يبكون بالليل والنهار ويدعون الله ان يغفر لهم فلما طال عليهم الامر قال لهم كعب: يا قوم قد سخط الله علينا ورسوله، وقد سخط علينا اهلونا، واخواننا قد سخطوا علينا فلا يكلمنا احد، فلم لا يسخط بعضنا على بعض؟ فتفرقوا في الجبل وحلفوا ان لا يكلم احد منهم صاحبه حتى يموت او يتوب الله عليه فبقوا على ذلك ثلاثة ايام، وكل واحد منهم في ناحية من الجبل لا يرى احد منهم صاحبه ولا يكلمه، فلما كان في الليلة الثالثة، ورسول الله ﷺ في بيت ام سلمة نزلت توبتهم على رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة﴾

قال الامام الصادق عليه السلام هكذا نزلت وهو ابو ذر وابو خيثمة وعمير بن وهب الذين تخلفوا ثم لحقوا برسول الله ﷺ.

ثم قال في هؤلاء الثلاثة: «وعلى الثلاثة الذين خلفوا» فقال العالم - يعني الامام موسى بن جعفر عليه السلام - انما انزل: على الثلاثة الذين خالفوا ولو خلفوا لم يكن عليهم عيب «حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت» حيث لا يكلمهم رسول الله ﷺ ولا اخوانهم ولا اهلهم فضاقت عليهم المدينة حتى خرجوا منها وضاقت عليهم انفسهم حيث حلفوا، لا يكلم بعضهم بعضاً فتفرقوا وتاب الله عليهم لما عرف من صدق نياتهم.

الميزان في تفسير القرآن ٣٠٢/٩. سيرة ابن هشام ١٧٥/٤.



البراءة من المشركين

اذ نزلت (براءة) التوحيد
من كلّ مشركٍ وكلّ آثمٍ
فحمل الآيات في ذاك (عليّ)
معناه لا يُبلّغ الآيات
وامثل الامر الرسول الوائق
وانطلق الامام حيث (الحرم)
وقلبه الفتي كالحديد
قد قرأ (التوبة) في وادي (منى)
ان لا يحجّوا بعد هذا العام
وفرّح الرسول بالذي جرى
في الحج بعد تلکم العهد^(١)
وكل عهد جائر وظالم
دون (ابي بكر) بنص منزل
الاك او مثلك في الصفات
وهو أمين في البلاغ صادق
يبلغ الامر وفيه يعلم
لم يخش من لوم ومن وعيد
مهتداً للمشركين معلنا
لكعبة الايمان والاسلام
وراح يمدح الوصي (حيدر)

* * *

(١) انتشر الاسلام في جزيرة العرب، واخذت معاقل الكفر تتهاوى الواحدة تلو الاخرى،
فأنزل الله تعالى سورة براءة في السنة التاسعة من الهجرة، حيث وضعت حداً نهائياً
لممارسات المشركين في الكعبة.

امر الرسول ﷺ ابا بكر ان يذهب الى مكة لتبليغ سورة براءة للمشركين الذين يتواجدون
في مكة، وفي الطريق بعث الرسول ﷺ يأمر ابا بكر بالعودة واناطة المهمة بالامام علي ﷺ
بعد نزول الوحي عليه في ذلك. وعندما استفسر ابو بكر عن السبب في هذا القرار وهل
نزل فيه شيء اجابه الرسول: «لا، الا اني امرت ان ابغاه انا او رجل من اهل بيتي».

صحيح الترمذي ١٨٣/٢ ومسند احمد ٢٨٣/٣ ومستدرك الصحيحين ٥١/٣. وغيرها من المصادر.



حجة الوداع وبيعة الغدير

وبعد عامٍ حج للوداع
فوقفوا عند (غدير خم)
اذ نزلت محكمة القرآن
(يا أيها الرسول بلغ ما نزل
فامثل النبي امر الباري
حيث ارتقاها قائلاً: من اولى
فضج كل الجمع: الله بنا
فقال: من كنت انا مولاه
سوف يُعادي الله من عاداه

لكن احس ان نعاها ناع
يستمعون للنبي الاممي^(١)
تأمر بالتبليغ والبيان
ولا تخف يعصمك الله الاجل
ثم دعا علي بالاكوار
مني بكم مقولةً وفعلاً
أولى وبعده الرسول عندنا
فذا علي في الورى مولاه
وينصر الله الذي والاه

(١) في السنة العاشرة من الهجرة، حج النبي ﷺ الى مكة، وهي حجته الاخيرة، فسميت بحجة الوداع، وحجة البلاغ، وحجة التمام، وعند منصرفهم من مكة، نزلت على الرسول آية التبليغ وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ...﴾ المائدة/٦٧.

فجمع الرسول الناس عند الجحفة في مفترق الطرق للحجاز، والشام، واليمن، في مكان يدعى غدير خم، ووقف يخطب في الناس، فأخذ بيد الامام علي عليه السلام ونادى قائلاً: «أيها الناس ان الله مولاي وانا مولى المؤمنين، وانا اولى بهم من انفسهم، فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه...» وبعد ان اكمل خطبته اخذ البيعة للامام علي عليه السلام من المسلمين فبايعوه جميعاً.

ورد هذا الحديث في مصادر كثيرة متواترة أوردها العلامة الاميني في موسوعته الكبيرة ((الغدير)).



فهو وصيّ يحفظُ الامانه
اليوم اكملتُ لكم دينكمُ
فصاح كلُّ الصّحب قد رضينا
وبايعوا في (الجحفة) الوصيّاً
وبعضُهم (بخبخ) ثم اخفى
ما عرفوا حقيقة الولاية
مبدؤها الطاعة للقياده
وهي امتدادُ الخطى النبوه
وافترق الحجيج للاوطان
ورجع الرسول يبني الأمه
لكي يسير جيشه امامه
وهو فتى لم يبلغ العشرين
قد لعن الرسول من تخلفا
ورغم ذلك البعض ظلّ محجماً

اذ جمع الله به قرآنه
وتّمت النعمة لي عليكم
إمامة تحرسُ فينا الدينا
(أبا الحسين المرتضى علياً)
أمراً وفي بيعته ما وفي^(١)
وهي التي في الدين اسمى غايه
لتحفظ الوحدة والسياده
وعزيمة ونصرة وقوه
وابتعدت قوافل الركبان
بعد اداء تلكم المهمه
بحملة يقودها (أسامه)^(٢)
لكنه كان امراً أميناً
عنه ومن انكره او ارجفا
معتذراً مشككاً متهماً

(١) المشهور ان عمر بن الخطاب عندما بايع الامام علي، قال له: «بخ بخ لك يا ابن ابي طالب، لقد اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة» لكن الزمن يدور واذا بعمر ينسى بيعته وقوله، ويعمل على منع الامام علي من حقه في الخلافة.

(٢) عند وصول الرسول ﷺ الى المدينة بدأ يجهز حملة لغزو الروم، فدعا الى تجهيز جيش بقيادة اسامة بن زيد، وهو شاب لم يبلغ العشرين من عمره، فأظهر بعض الصحابة اعتراضهم على تأمير زيد، لكن الرسول خطب في المسجد مؤكداً لياقته لهذه المهمة. وكان اصرار النبي قوياً على سير هذا الجيش بأسرع وقت، وكان يقول ﷺ لعن الله من تخلف عن جيش أسامة ومع ذلك كان بعض الصحابة يحاولون التخلف عن هذا الجيش بمختلف الاعذار.



مرضُ النبي ووفاته

خلال ذلك النبيُّ اعتلا
قد اثقلت عينيه منه (الحمى)
فصار يدعو (بدواةٍ وكتف)
وقال: إنما النبيُّ يهجرُ
ويا لها من قولةٍ خطيره
وبعدها قال النبيُّ: قوموا
والله لو اخذتم الكتابا
ولا انقلبتم على الاعقابِ
وظل في علتِه يُعاني

لكن سيف عزمه ما كلاً
واصفرَ لوئته اذى وهمّما
لكن بعضَ صحبه كان أنف^(١)
فحسبنا قرآننا والسورُ
قد مزقت أمتنا الكبيره
عني فقد أبطل ما أرومُ
لما غدوتم بعده أحزابا
بل كنتم من خيرة الاصحاب^(٢)
ويرمقُ الناسَ بقلب حانِ

(١) عندما اشتد برسول الله ﷺ المرض، وكان عنده جماعة من الصحابة، دعا بكتف ودواة وقال لهم: «هلمّ أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده». فقال عمر بن الخطاب: «ان النبي غلبه الوجع وعندكم كتاب الله، فحسبنا كتاب الله». صحيح البخاري، كتاب العلم: ٢٢/١.

(٢) كان واضحاً بما لا يقبل الشك ان الرسول ﷺ اراد ان يكتب كتاباً يؤكد فيه تعيين الامام علي بن أبي طالب خليفة له من بعده، وقد ادرك عمر هذا الامر فقال ما قال بحق الرسول، ليمنع كتابة هذا العهد. ولم يعد بعد قول عمر، من الممكن ان يكتب الرسول كتابه، لان ذلك ستترتب عليه آثار خطيرة تمس شخصية الرسول ﷺ وسنته وعصمته لان الله تعالى يقول: ﴿وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى﴾ ويقول كذلك: ﴿وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ وقال رسول الله ﷺ في حديث متواتر: «اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي، ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابدا -وفي رواية زيد بن ارقم- ولقد نبأني اللطيف الخبير انهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» وهو الحديث المتواتر المعروف بحديث الثقلين.



ورأسه في حجرِ صنوه (عليّ)
وعنده سبطاه والزهراءُ
وأمهاتُ المؤمنين حولهُ
وخلفَ بابهُ تجمّع الملا
وصيخَ فيهم قبضَ الرسولُ
وارتجت الدنيا غداة ارتحلا
وقام في تجهيزه (الامامُ)
صلى عليه الله والملائكُ
ثمّ (عليّ) هو والعبّاسُ
ودُفن الرسولُ في حجرتهِ
وذاك في الثامن والعشرين
قد وقع القضاء فيه والقدر
وانقطع الوحي عن النزولِ
فالخزن في كل القلوب خيما
لكنّما الرسالةُ الغراءُ

تحيطهُ ملائكُ الربِّ العليّ
وعمّهُ العباسُ والابناءُ
يبكين منه مجده وفضلهُ
واصبح الكلُّ هناك معولا
وأثكلت فاطمةُ الرسولُ
(محمدٌ) لله جلّ وعلا
وأهل بيته له قيامٌ^(١)
فهو النبيُّ الطاهر المباركُ
ثمّ توالى للصلاة الناسُ
ونزل (الامامُ) في حفرتهِ
في صفرِ المظفرِ الميمونِ
من هجرة النبيِّ في احدى عشر
بعد غيابِ طلعةِ الرسولِ
والصبيحة امتدّت لأعنان السما
باقيةُ خالدةٌ... معطاءُ

* * *

(١) توفي الرسول ﷺ ورأسه في حجر عليّ عليه السلام وقام الامام وعمه العباس بتغسيله وتجهيزه، فيما كان القوم يتنازعون في «سقيفة بني ساعدة» حول امر الخلافة والسلطة. ففي يوم وفاة الرسول ﷺ وهو الحدث الجلل في حياة الامة، حيث انقطع الوحي من السماء، دب الخلاف بين المسلمين، وما زالت آثاره باقية الى اليوم في موضوع الامامة والخلافة. فسلام عليك سيدي يا رسول الله يوم ولدت ويوم جاهدت في تبليغ رسالة ربك، وسلام عليك يوم رحلت إلى الملاء الأعلى، وسلام عليك في الأولين والآخرين ورحمة الله وبركاته.





الجزء الثاني

الامام أمير المؤمنين
علي عليه السلام





الأهـداء

الى يعسوب الدين

الى علي أمير المؤمنين.

اقدم هذا الجزء من (قوافل النور)

راجياً ان يكون علامة مضيئة في طريق الحب ، والولاء ، والوفاء

وقبساً هادياً ينير الدرب .. ويهزم الديجور.





إضاءة

مثلت حياة أهل البيت الاطهار عليهم السلام الخط اللاحب، الذي سارت عليه أجيال الأمة في مراحلها التاريخية المتعاقبة. فالإمام علي عليه السلام الذي جسّد في حياته ومواقفه مبادئ الرسالة الخاتمة، كان المثل الأعلى والنموذج الفذ في تحمل أعباء الرسالة السماوية الخالدة. وكانت الزهراء وبنوها عليهم السلام يمثلون العمق والإمتداد لذلك الخط الرباني المبارك، بما جسّدوه في سيرتهم العطرة ومواقفهم الرسالية الخالدة.

وأجيالنا الاسلامية المؤمنة بالخط الإسلامي الأصيل، وهي تواجه تحديات الحياة، خصوصاً تلك التي مازالت تعيش تحديات الهجرة، وصراع الهوية في الغرب البعيد عن القيم والتقاليد السماوية، هي بأمرس الحاجة إلى استحضار سيرة أهل البيت العطرة، وأخذ الدروس والعبر من ذلك التاريخ المشرق، لتزود منه العزم والإصرار على السير في ذات الخط اللاحب الموصول، ومواجهة التحديات الصعبة التي تفرضها ظروف الهجرة وإفرازاتها، كما انها بأمرس الحاجة الى أن تتسلح من معطيات سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله والحياة الثرة لأهل بيته عليهم السلام بما يمدّها بالزاد والقوة في معركتها الحضارية التي تخوضها في مختلف مواقع الصراع والمواجهة.

و«مؤسسة دار الاسلام» إذ تقدم هذا الجزء من الملحمة الادبية «قوافل النور» والمخصص لتأريخ وحركة الإمام علي عليه السلام.

انما تهدف الى ربط الجيل المسلم بعناصر الهوية والأصالة، ممثلة بسيرة النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وترجو أن تكون هذه الملحمة الشعرية، بما تنطوي عليه من روح أدبية، ووقائع تاريخية وأصالة فكرية، ودروس تربوية، زاداً ثقافياً، ومعنوياً لهذه الأجيال التي تعقد عليها الآمال في معركة البناء والتغيير في الحاضر، وآفاق الحضارة، والتكامل الانساني في المستقبل.

والله من وراء القصد.





أهل البيت عليه السلام في القرآن والسنة

فضلٌ لأهل البيت ليس يُنكرُ
فهم بنصِّ «الذكر» طاهرونا
مُبرِّون من ذنوب البشر
قد ذكرتهم آية «المودة»
حبُّهم أفضل ما يُقربُ
الأوليا بآية «الولايه»
بهم تُشيدُ آية «المباهله»
وسورة «الدهر» لهم تُشيرُ
وأطعموا الطعام دون منه
بفضلهم غدا الكتاب يُتلى
الثقلان هم مع القرآن
وهم سفينة النجاة الراسية
من كان فيها راكباً فقد نجا
عدتُّهم قال النبيُّ إثناعشر
الحقُّ في مدارهم يَدورُ
أولهم عليُّ «الوصيُّ»

حدَّثَ فيه المصطفى والسورُ
من كلِّ رجس يُورثُ الجونا
مطهَّراً يولدُ عن مطهَّـرٍ
فهم لدى الجزاء أوفى عُدّه
وودُّهم يطمعُ فيه المذنبُ
والأصفياء في منهج الهدايه
دون تعسّف ولا مجادلـه
إذ أكرم اليتيم والأسيرُ
لكنما حبّاً له والجنّة
إذ أصبحوا له بحقِّ عدلا
ليس لهم من العبادِ ثانٍ
رغم البلياء والرياح العاتيه
من بعدِ عسره ونال الفرجا
أئمةً وقادةً الى البشر
والعلمُ في صدورهم والنورُ
والآخِرُ المغيَّبُ «المهديُّ»



إن علياً معدنُ البطولة في ساحة الوثبة والرجولة^(١)

(١) وردت العديد من الآيات الكريمة في فضل أهل البيت عليهم السلام كما وردت عن الرسول صلى الله عليه وآله الكثير من الأحاديث التي تؤكد رفيع منزلتهم وعظم شأنهم وعصمتهم من الذنوب. ومن الآيات الكريمة التي تبين عصمة أهل البيت عليهم السلام قوله تعالى: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ الاحزاب / ٣٣.

روى الكثير من أهل التفسير والسير والحديث، أن هذه الآية نزلت في الرسول صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، فقد أدخلهم الرسول تحت كساء خيبري وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

وقد كان الرسول صلى الله عليه وآله يوضح معنى هذه الآية للمسلمين ويقول: نزلت هذه الآية في خمسة، في، وفي عليّ وفاطمة والحسن والحسين. صحيح مسلم: كتاب الفضائل، ومستدرک الصحيحين ١٥٠/٢، وصحيح الترمذي ٣١/٥ وغيرها من المصادر.

وآية المودة هي قوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾ الشورى / ٢٣ وقد روي أنها لما نزلت قيل للرسول صلى الله عليه وآله من هم قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وأبناهما. محب الدين الطبري: ذخائر العقبى / ٢٥.

وذكر الفخر الرازي في تفسيره الكبير: قد ثبت أن علياً وفاطمة والحسن والحسين، هم أقارب النبي صلى الله عليه وآله وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد من التعظيم.

ولا شك أن النبي صلى الله عليه وآله كان يحب فاطمة عليها السلام قال صلى الله عليه وآله: فاطمة بضعة مني يؤذيها ما يؤذيها. كما ثبت بالنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وآله أنه كان يحب علياً والحسن والحسين، وإذا ثبت هذا وجب على كل الأمة مثله. حسين الشامي: تهذيب التفسير الكبير، تفسير الآية ٢٣ من سورة الشورى.

وآية الولاية هي قوله تعالى: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ المائدة / ٥٥.

وقد ذكر أهل التفسير والتأريخ أن هذه الآية نزلت في الإمام علي عليه السلام، عندما تصدق بخاتمه لسائل، وهو راعع في صلاته. أسباب النزول للواحدي، سورة المائدة.

وآية المباهلة هي قوله تعالى: ﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ آل عمران / ٦١.



⇒

وقعت قصة المباهلة كما رواها المفسرون والمؤرخون مع نصارى نجران، حيث جاءوا الى النبي ﷺ ليحاوروه ويباهلوه، فأمره الله تعالى أن يخرج بالإمام علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ، الى الوادي، وأن يباهل بهم أهل نجران، فيدعو الله أن ينزل العذاب على الكاذبين، وعندما رأى النصارى الرسول ﷺ وأهل بيته، قال لهم أسقفهم: يا معشر النصارى إنني لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني الى يوم القيامة. فتراجعوا عن المباهلة، وقد قال الرسول ﷺ: والذي نفسي بيده، أن الهلاك تدلّى على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قرده وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً.

وروى المفسرون والمؤرخون، أن الحسن والحسين ﷺ مرضا ذات يوم، فنذر الإمام علي وفاطمة ﷺ أن يصوما ثلاثة أيام إن شفيا من مرضهما، فمن الله عليهما بالشفاء، فاستقرض الإمام علي مالا، ليكون لهم طعاماً في صيامهم.

في اليوم الأول جلسوا على مائدة الإفطار، فإذا بمسكين يسألهم الطعام، فأعطوه الطعام، ولم يذوقوا إلا الماء، وأصبحوا في اليوم التالي صياماً، وعندما جلسوا للإفطار، وقف على الباب يتيمّ، ففعلوا مثلما فعلوا في اليوم السابق.

وتكرر الأمر مرة ثالثة مع أسير، ونتيجة هذا الموقف الرسالي الكبير، وروح الايثار العالية، أنزل الله تعالى فيهم سورة الدهر وفيها: ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمّاً وأسيراً إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً﴾.

ورد عن الرسول ﷺ قوله: إنني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً.

وقد ورد ذكر هذا بالفاظ مختلفة في نفس المضمون، ومعنى الحديث أن أهل البيت ﷺ، هم الأدلاء على القرآن والسنة، وهم حفظة الاسلام، وهم الذين يسلكون بالناس الى الطريق المستقيم. ومسند أحمد ٣٦٦/٦٤، سنن البيهقي ١٤٨/٢، سنن الدارمي ٤٣١/٢ والكثير من المصادر الحديثية.

قال الرسول ﷺ: أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها زج في النار. وفي رواية أخرى: مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق. المستدرک على الصحيحين ٣٤٣/٢، كنز العمال ٢١٦/٦، ذخائر العقبى / ٢٠، البغدادي في تاريخه ١٩/١٢ ويعرف هذا الحديث الشريف بحديث السفينة.



⇒ أكد رسول الله ﷺ في أحاديثه على إمامة الإمام الأول علي بن أبي طالب، كما أكد على المهدي الموعود وأنه من ولد علي وفاطمة عليهما السلام، وبذلك حدد عليهما السلام من هم الأئمة بما لا يقبل الشك، وقد وردت عنه أحاديث كثيرة في تعيين الإمامة عليهما السلام وأن عددهم اثنا عشر إماماً أولهم الإمام علي وآخريهم المهدي المنتظر، ومن هذه الأحاديث قوله عليه السلام:

- لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً.
- لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش.

صحيح مسلم، كتاب الامارة، وصحيح البخاري ٤/١٦٥، وسنن أبي داود ٤/١٠٦، وروايات أخرى في هذا المضمون أوردها أهل الحديث في مدوناتهم.



المولد الشريف

ميلاده في الكعبة الشريفه
عن وجهه المنير بالآيات
تحملة «فاطمة بنت أسد»
فبوركت والدة تقيه
أكرمها النبي يوم دفنها
سمت وليدها العظيم «حيدر»
جاءت به كالقمر المنير
فابتسم النبي حين شاهدها
وراح يرعاه بكل حُب

إذ كشفت أستارها المنيفه
وأجمل الصفات والسما
ماضمت الكعبة قلبه ولد
طاهرة عفيفة نقيه^(١)
ألبسها قميصه لأمنها
تيمناً بالأكرمين البرره
«لشبية الحمد وللشبير»^(٢)
في وجهه وصية المجاهدا
فيه يرى آماله عن قرب

(١) ولد الإمام علي عليه السلام، في الثالث عشر من شهر رجب قبل البعثة باثني عشر سنة، وقد ورد في كتب التاريخ، أن ولادته كانت في جوف الكعبة، حيث جاءت أمه فاطمة بنت أسد الى الكعبة فانشق جدارها ودخلت فولدته في تلك البقعة المشرفة، وتلك منزلة لم ينلها سواه، وكرامة لم يحرزها غيره. الفصول المهمة/٢٠، مناقب علي بن أبي طالب/٧ كشف الغمة/١/٦٠ عندما توفيت فاطمة بنت أسد، حزن عليها الرسول ﷺ حزناً شديداً، ونزل في قبرها وألبسها قميصه. أماناً لها من ضغطة القبر.

(٢) شبية الحمد لقب لعم الرسول أبي طالب رضوان الله عليه، وقد قدم أبو طالب للرسول والرسالة خدمات كبيرة، حيث دفع كيد قريش عن النبي، ووفر له الحماية الكافية، كما مرّ بنا في القسم الأول من هذه الملحمة.



يُمَضِّغُهُ الطَّعَامَ وَالْحَنَانَا وَيَفْتَحُ الْقَلْبَ لَهُ أَمَانَا
فِي حَجْرِهِ يَرْفُلُ بِالْكَمَالِ يَتَّبِعُهُ فِي الْحَلِّ وَالْتِرْحَالِ^(١)

* * *

(١) كان الرسول ﷺ يرعى الإمام علي رعاية خاصة، فقد كان يعده لمستقبل الرسالة من بعده، بأمر من الله تعالى، وقد وصف الإمام علي هذه الرعاية في خطبته القاصعة بقوله: وقد علمتم موضعي من رسول الله ﷺ، بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا ولد، يضمني الى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خبطة في فعل.



أولُ القومِ إسلاماً

و حين جاء الوحيُّ بالرسالة
كان «عليٌّ» أولَ الرجالِ
ويوم أنذر الألى في «الدارِ»
وقال: صدقتك يا محمدُ
فقال: أنت يا عليٌّ بعدى
فسخر القومُ وقالوا في غضب
لكنما الفتى عليٌّ صمداً
وفي الخفاءِ كان من يدعّمهُ
يفديه بالأموالِ والبنينا
فانطلق الرسولُ بالأصحابِ
حيث عليٌّ صنوه في السيرِ
محتماً أذى قريش المّرا
فالشعبُ شاهداً على الوفاءِ

والخيرِ والإيمانِ والعدالة
صدقَ بالدينِ ولم يُبالِ^(١)
قام عليٌّ مؤمناً بالباري
أنت النبيُّ المصطفى المسدّدُ
خليفتي ووارثي في عهدي
تباً وكان القولُ من «أبي لهب»
بوجههم مؤزراً محمّداً
ذاك «أبو طالب» وهو عمُّهُ
حيث غدا ناصرهُ الأمينا
يشقُّ درباً حُفّاً بالصعابِ
ومعه ينشرُ كلَّ خيرِ
مدّرعاً إيمانهُ والصبراً
وحرقةُ الرمالِ والصحراءِ^(٢)

(١) كان أول من دخل في الإسلام من الرجال الإمام عليّ عليه السلام وقد قال الإمام في حديثه عن الرسول ﷺ في خطبته القاصعة ما يبين هذه الحقيقة: ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام، غير رسول الله ﷺ وخديجة وأنا ثالثها، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة.

(٢) عين النبي ﷺ خليفته ووصيه من بعده، يوم الدار في مكة، حين دعا عشيرته الى الإسلام، ولم يبادر في مؤازرة الرسول إلا الإمام عليّ عليه السلام فقال ﷺ: ان هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا. راجع القسم الاول من هذه الملحمة.



مبيته في فراش النبي

ويوم هاجر النبيُّ ناما في بيتهِ يحتضنُ الحُساما
مضحياً بالروحِ دونَ أحمدا في موقفٍ تحالفت فيه العدى^(١)
حيث تحدى صولة الطغيانِ مهاجراً رغم «أبي سفيان»
ليشرب حيثُ غدا فتاهها وقطبها دارت به رَحاها

* * *

(١) مبيت الإمام علي في فراش الرسول ﷺ يعدّ موقفاً رسالياً خالداً في تاريخ الإسلام، ولعظمة هذا الموقف، فقد أنزل الله تعالى فيه قرآناً، وهو قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد﴾ البقرة/ ٢٠٧.
وكان موقفه في غاية الإيثار والبطولة. فعندما اكتشف رجال قريش، ان خطتهم باءت بالفشل، وقف أمامهم بصلافة وقوة، وواجههم بكل شجاعة عندما سألوه عن الرسول، حيث قال لهم: «أجعلتموني عليه رقيبا؟».



فضائله ومواقفه عليه السلام

وحين آخى بينه «المختار»
مدخراً صمصامه للوثبه
في يوم «بدر» يحمل اللواء
ويوم «أحد» يدفع الجموعا
فأحمد يدعو له بالنصر
في غزوة «الأحزاب» حيث جدلاً
أودى «بذي الفقار» فيها «مرحبا»
ويوم «فتح مكة» قد عرفنا
وفي «حنين» موقف كبير
سوى علي ورجال برره
وفي «تبوك» لم يكن قد حضرا
وبعدا مبلّغاً «براءه»
وبينه توجّه الفخار
وواهباً للمسلمين قلبه
والنصر في عيونته تراءاً^(١)
بسيفه ويهتك الدروعا
بكل موطن بوجه الكفر
بسيفه «عمرو بن ود» البطلا
في «خيبر» اليهود لما غضبا
محطماً أصنامها والخزفا
إذ هزم الأصحاب والعشير
قد بايعت من قبل تحت الشجره
اذ أنه في يثرب قد أمرا
وراغماً في ذلكم أعداءه^(٢)

* * *

(١) في معركة بدر تلك الواقعة الحاسمة، كان الإمام علي عليه السلام، بطل الإسلام الأوحده، فقد كان لبطلته الدور الكبير في نصر المسلمين، وقد أشرنا الى ذلك في الجزء الأول من هذه الملحمه كما أشرنا الى دوره في بقية المعارك التي خاضها المسلمون ضد المشركين واليهود.
(٢) ذكرنا في الجزء الأول من هذه الملحمه، كيف أن الرسول ﷺ بعث أبا بكر ليبلغ سورة براءة للمشركين، ثم أبدله بالإمام علي.
لقد فعل الرسول ذلك بناءً على أمر من الله تعالى، لرسوله حيث أمره إما أن يبلغ هو أو رجل من أهل بيته.



إمامته ﷺ

ويوم «خُم» أُعطيَ الوساما
لكنهم عندَ وفاةِ «المصطفى»
وهو الذي قام به الإسلامُ
يا أمةً قد ضيَّعت رائدها
ولم تكن بذلك بالوفيه
الصبرُ كان مسلكَ الوصيِّ
فسالم القومَ لحفظ الأُمه
حتى مضى «الأول» ثمَّ «الثاني»
فيالها من محنةٍ عصبية
حتى مضى «الثالث» مقتولا
وعمت الفتنةُ كلَّ الناسِ
حين رأت خلافةَ الإسلامِ

حين غدا خليفةً إماما
قد أغفلوا بيعته دون وفا
مشمراً وغيره نيامُ
واتخذت مقودها قائدها
إذ تركت أنوارها القدسيه
بعد ضياع حقه الجليِّ
ممتحناً حتى انكشف الغمه
وجاءت «الشورى» بما يُعاني
وقصة غريبة عجيبة
مخلفاً عبثاً غداً ثقيلًا
وأستسلمت آمالها للياس
خاويةً بغيرِ ما إمام^(١)

(١) في حجة الوداع أخذ الرسول ﷺ من المسلمين البيعة للإمام علي في مكان يسمى بغدير خم، وقد سميت هذه البيعة بيعة الغدير، كما مرَّ بنا في الجزء الأول، لكن الذي حدث يوم وفاة الرسول ﷺ أن ترك المسلمون جثمان رسول الله ﷺ مسجى، وراحوا يتنافسون على الامارة، والإمام علي عليه السلام مشغول بتجهيز رسول الله ﷺ وقد تمت البيعة لأبي بكر بسرعة وفي ظروف قلقة، حتى وصفها عمر بن الخطاب بأنها كانت فلتة، وعارض جماعة من كبار الصحابة هذه البيعة، لكن جماعة الخلافة فرضوا عليهم البيعة.



⇒ بقي الأمام علي عليه السلام ما يقرب من ستة أشهر لا يبايع، ثم وجد أن الظروف الاسلامية تستدعي منه أن يبايع أبا بكر حفظاً لوحدة الصف الإسلامي فبايع على مضض. بعد وفاة أبي بكر عهد بالخلافة إلى عمر بن الخطاب، فصار خليفة بموجب عهد أبي بكر، وهو الذي عارض بشدة أن يكتب رسول الله صلى الله عليه وآله كتاباً يؤكد فيه خلافة الإمام علي عليه السلام ومنع الرسول من هذه الخطوة بعد اتهامه بأنه يهجر، في حين أن الرسول لا ينطق عن الهوى بنص القرآن الكريم.

وعندما حضرت عمر الوفاة عهد بالخلافة إلى ستة أشخاص ليختاروا من بينهم الخليفة، وقد كان الإختيار يشير منذ البداية الى أن الأمر قد زوي عن الإمام علي، كما صرح بذلك لعمه العباس، لقد تحدث الإمام علي عن تلك التجربة في خطبته الرائعة الشقشقية حيث قال عليه السلام: أما والله لقد تَقَمَّصَهَا فلان وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحا. ينحدر عني السيل، ولا يرقى اليّ الطير، فسدلت دونها ثوبا، وطويت عنها كشحا.. فباعجبا! بينا هو يستقبلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشدة ما تشطرا ضرعيها، فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها ويخشن مسها ويكثر العثار فيها، والإعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة، إن أشنق لها خرم وإن أسلس لها تقحم، فمني الناس لعمر الله بنحيط وشماس، وتلون واعتراض، فصبرت على طول المدة وشدة المحنة، حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنني أحدهم فيالله وللشورى متى اعترض الريب فيّ مع الاول منهم حتى صرت أقرن الى هذه النظائر... نهج البلاغة/ ٤٩.



خلافته عليه السلام

الى عليّ مالت الحشودُ
حتى غدت مثلَ «ريضة الغنم»
فمدَّ كفه لكي تُبايعا
بائعٍ من بايع إلا عُدّه
منهم اسامة بن زيدٍ وسعد
وفارسُ الحلبه في الاشعارِ
لكنما أولئك الفتيانُ
فقام بالامر بكلّ عزمٍ
ووجه القضاة للأمصارِ
وذكرَ الناسَ بسيرة النبيِّ
وأقبلت للبيعة الوفودُ
وهو يقول: لا، وقد قالت: نعم
وكان قلبه العظيمُ خاشعاً
قد رفضوا بيعته بشدّه
وكعبُ بن مالكٍ ومن قعد
حسان بن ثابت الانصاري
وآ أسفي ماتوا وهم عميانُ
وأعلن العدل بكلّ حزمٍ
وأرسل الولاة للأقطارِ
وعدله وعطفه المحبِّب^(١)

* * *

(١) كانت بيعة الإمام عليّ عليه السلام، هي البيعة الوحيدة في تاريخ الإسلام التي تميزت بالجماهيرية والإقبال الملّح، فلقد انهال عليه الناس يريدون بيعته وهو يقول لهم: دعوني والتمسوا غيري.

وهم يزدادون عليه إقبالا، فلقد اثبتت لهم تجارب الايام أنه الشخص الذي يستطيع أن يسير بهم على خطا رسول الله صلى الله عليه وآله بكل دقة وحزم.



معركة الجمل

فخرج البغاة نحو «البصرة» وهُرعت «عائشة» للنصرة^(١)
واجتمعوا لأمرهم في الحرم وسعيهم كان إراقة الدم
وقد أجابهم جفأة العرب من جحدوا «خماً» وخالفوا النبي
شعارهم كان لأخذ الثار بقتل عثمان بيوم «الدار»
وهو شعار كاذب خداع وخلفه يحتدم الصراع
«فطلحة» يطمع بالإماره وهو يخبي في الحنايا ناره

(١) كانت أم المؤمنين عائشة من خصوم عثمان، وكانت تعلن عن معارضتها علناً، وأنه خالف القرآن والسنة، وقد اطلقت عليه قولها المشهور: «اقتلوا نعثلاً فقد كفر» تقصد بذلك عثمان، لكنها عندما سمعت بأن الإمام علي صار هو الخليفة، غيرت موقفها تماماً، فإذا بها تعلن ظلامه عثمان، وتقف موقف المعارض من الإمام علي.

وجدت عائشة في طلحة والزبير ما يحقق أهدافها، فقد حرهما الإمام علي من الامتيازات الخاصة التي كانا يتمتعان بها على عهد عثمان، إذ كانت سياسة الإمام المالية تقوم على أساس الموازين الشرعية بعيداً عن المحاباة والعصبيات، وهذا ما جعل طبقة المنتفعين على عهد عثمان، تعارض حكم الإمام علي، وإلى جانب ذلك كان في الشام معاوية بن أبي سفيان، الذي كان يمتلك طموحات عريضة ويخطط لجعل الخلافة ملكاً أموياً خاصاً، فقد أخذ معاوية يغذي هذا الاتجاه المعارض ويتأهب لكسب الجولة.

نشط معارضو الإمام علي بشكل مكثف، وتحركوا باتجاه البصرة، وكانت عائشة على ظهر جمل يدعى «عسكر» وكان شعارهم الأخذ بدم عثمان، والغريب أن الذين رفعوا هذا الشعار ضد الخليفة المقتول هم الذين اشتركوا في قتله، في حين كان الإمام علي يحاول منعهم من قتل الخليفة.



ويا لها من فتنة ومحنة^(١)
وصمّت الآذان بعدَ سَمْعِ
تاركةً بذاك أفضلَ العملِ
تمزقت أمتنا من شؤمه^(٢)
حتى أتى بها لماء «الحوأب»
وناح خلف رحلها الغرابُ
إيّاك «يا حمراء» أن تأتيها
نادمةٌ فالشرُّ جاء منّي
واقسموا زوراً لكي تعودا
مختلفين عندها في الإمره
فذبجوا صبراً بلا قتالٍ
وصارت البصرةُ فيءَ القتله
وأرعبوا النساء والأطفالا
اذ بقي الحقُّ بلا نصيرٍ
خيّل وآلاف من الجنودِ
وعجزوا أن يُفصحوا الجوابا
بموقف خوفه وأنذره
مستبعداً عن حربهِ معتزلاً
يطحنُ فيها هزلها بجدها
وبترَ العضدُ بها والساقُ

وخلفه «الزبير» يتبعُ ابنه
فرقتِ الأمةَ بعدَ جمعِ
تقودهم «عائشة» على الجملِ
فيا «لعسكر» وياليومهِ
سار بها مزجراً في غضبِ
فنبحتها عنده الكلابُ
تذكرت قول «النبي» فيها
فصرخت ردّوا الرحال إنني
لكنّهم قد أحضروا الشهودا
فواصلوا المسير حتى «البصره»
وقتلوا حُرّاس بيت المالِ
واشتبك البغاة «بابنِ جبله»
فنهبوا الديار والأموالا
وذاك يومُ «الجمل الصغير»
واقبل الإمامُ بالحشودِ
خاطبهم وأكثرَ الخطابا
وعاتب الزبيرَ ثم ذكّره
فغادر الزبير منه خجلاً
وقامت الحربُ على أشدها
فطاحت الاكفُ والاعناقُ

(١) طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام.

(٢) عسكر: اسم الجمل الذي كانت أم المؤمنين عائشة تركبه أثناء القتال في البصرة.

والجمل المشؤوم ظل واقفا
وصاح حيدر: ألا اعقروه
فانهزم الجيش وطاح «الجمل»
وأنزلوا «الهودج» باحترام
فأرجعت لبيتها مكرمه
وأتجه «الأمم» نحو القتلى
بالله هل وجدتم ما وعدنا
ودفن القتلى وعاد صابرا
وجيشه المهزوم بات خائفا
وحطموا الشيطان وانحروه
وحوله جمع كثير قتلوا
واستسلمت «عائش» للإمام
نادمة على انتهاك الحرمه
مخاطباً يلقي عليهم سؤالا
حقاً فأنى قد وجدت الرشدا؟
في مسجد البصرة صلى حاسراً^(١)

(١) ورد ذكر كلاب الحوآب في عدة أحاديث لرسول الله ﷺ منها ما رواه ابن عباس حيث قال: قال رسول الله: ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدب، تسير تنبجها كلاب الحوآب، يقتل عن يسارها وعن يمينها خلق كثير. تأريخ ابن كثير ٢١٢/٦.

وعندما سارت عائشة لقتال الإمام مرت بماء الحوآب، فنبحتها الكلاب فقالت: «ردوني ردوني هذا الماء الذي قال لي رسول الله: لا تكوني التي تنبحك كلاب الحوآب، فأتاها القوم بأربعين رجلاً فأقسموا بالله أنه ليس بماء الحوآب» فافتنعت عائشة وسارت معهم.

تأريخ اليعقوبي ١٥٧/٢.

قام ناكثو البيعة والخارجون على الإمام علي، بأعمال النهب والإعتداء في البصرة، وارتكبوا جرائم قتل بحق أهلها، ومنهم والي الإمام علي في البصرة، وقد سميت تلك الحوادث بالجمل الصغير.

وبذل الإمام علي ﷺ كل محاولاته من أجل منع وقوع المعركة، وأراد أن يعيد الخارجين إلى جادة الصواب، لكنهم كانوا مصرين على العناد. وكان مما قام به أن طلب التحاور مع الزبير بن العوام، فالتقى به وسط الجيشين، وذكره بحديث رسول الله ﷺ حيث أخبر النبي ﷺ الزبير بأنه سيخرج على الإمام علي ذات يوم وهو ظالم له.

تذكر الزبير تلك الحادثة وندم على موقفه، فاعتذر من الامام علي ﷺ، فانسحب من المعركة، وقبل انسحابه أراد ابنه عبد الله أن يثنيه عن موقفه، ويزج به في المعركة، لكنه قرر الإنسحاب، وليته فعل ذلك قبل حشد الحشود وجمع الجيوش لقتال علي ﷺ.



وأمر ابن عمه العباس حتى يصلي بعده بالناس^(١)

* * *

⇒ دارت المعركة ضارية شرسة بين المعسكرين، وقد تفانى أصحاب الجمل في الدفاع عن جملهم، حتى قتل عدد كبير منهم، فصاح الإمام علي عليه السلام يأمر أصحابه بقتل الجمل، لانتهاء المزيد من الدماء، وعندما قتل الجمل انتهت المعركة بانتصار جيش الإمام، وقد أمر عليه السلام بمعاملة عائشة باحترام رغم كل ما بدر منها في هذه الفتنة المدمرة.

حدد الإمام علي عليه السلام الموقف الشرعي في التعامل مع قتال المسلمين «البغاة» حيث أعلن العفو العام بقوله: ألا لا يجهز على جريح، ولا يتبع مولياً، ولا يطعن في وجه مدبر، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ولا يستحلن فرج ولا مال، وانظروا ما حضر به الحرب من آنية فاقبضوه، وما كان سوى ذلك فهو لورثته، ولا يطلبن عبد خارج من المعسكر، وما كان من دابة أو سلاح فهو لكم، وليس لكم أم ولد، والمواريث على فريضة الله، وأي امرأة قتل زوجها فتلعتد أربعة أشهر وعشراً.

فقال بعض أصحابه: يا أمير المؤمنين تحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا نساؤهم؟. فقال عليه السلام: كذلك السيرة في أهل القبلة. تاريخ يعقوبي: حرب البصرة.

(١) عين الإمام علي عليه السلام عبد الله بن عباس والياً على البصرة بعد انتهاء حرب الجمل.



الكوفة العاصمة الجديدة

وودّع البصرة نحو «الكوفة»
فأصبحت عاصمة الإسلام
العدل في أجواءها يرفُّ
إمامها شعاره التواضع
يجول في أسواقها مذكراً
يشهد محراباً له ومنبر
أمامه الغني والفقير
يقضي بما جاء به القرآن
يعطف بالحب على اليتامى
وكم عزيز ذل للعدالة
أتباعه المستضعفون طراً
ومعه المهاجرون الأول
فهو لهم كهفاً غداً وقده
والشام في اللعنة أضحت ثاويه
يكذب القرآن والسما

بخطبة بليغة معروفه
مزهرة بطلعة الإمام^(١)
والخير في أعطافها يحفُّ
قد شرفت من خطوه الشوارع
يأمر بالحق ويردي المنكرا
بانه هو الإمام الأكبر
تساويا والعبد والأمير
وعدله في حكمه ميزان
فكم وضع عنده تسامى
من بعد أن حكم «الإمام» طاله
عبدهم ساوى لديه الحراً
لم ينقضوا بيعته أو يعدلوا
ومثلاً بعد الرسول أسوه
يحكم فيها بطراً «معاويه»
يعبث بالأمة كيف شاء

(١) الإمام علي عليه السلام: هو أول من نقل عاصمة الدولة الإسلامية في تاريخ الإسلام، وهي خطوة على قدر كبير من الأهمية في مقياس التخطيط الحضاري، فقد كانت الدولة في توسع وتطور، وهذا ما كان يستدعي نقل العاصمة الى موقع يمكنها من مواكبة هذا التوسع الثقافي والسياسي والاداري الهائل.



محرّفاً في سُنّةِ النبيِّ وخارجاً عن طاعةِ «الوصيِّ»^(١)
ورافعاً «قميصَ عثمان» رحي تطحنُ بالفتنةِ ماقد وضحا
وحولهُ جموعُهُ المغفلهُ تلك التي مَوّه عنها حيله
يُعينهُ «مروانُ» «وابن العاصِ» وزمرةٌ باعت له النواصي
ما دخل الإسلامُ في قلوبهم ولا يزالُ الكفرُ من عيوبهم^(٢)

* * *

(١) كانت سياسة معاوية تقوم على أساس المكر والخداع والتحريف، وقد مارس أخطر عملية في تاريخ الاسلام، وهي تحريف حديث الرسول ﷺ وحقائق التاريخ، فقد اشترى جماعة من طلاب الدنيا وأغدق لهم العطاء، فسارعوا إلى رواية الحديث عن رسول الله، بما يناسب سياسة معاوية. واتسعت هذه العملية حتى اختلط الحديث الصحيح بالموضوع، مما دفع العلماء الى وضع مقاييس دقيقة لمعرفة الحديث الصحيح من الموضوع.

على أن هناك الكثير من الأحاديث والوقائع التاريخية لا تزال في قسم من كتب السيرة والتاريخ، تعتمد الروايات المكذوبة، تحت تأثير سياسة الأمويين في التحريف والتزوير.

(٢) مروان بن الحكم، وعمرو بن العاص، كانا ضمن الزمرة التي أحاطت بمعاوية، وقد كانت هذه الزمرة، من أكبر ما أبتلي بها الإسلام والمسلمون، حيث كادت لأهل الحق، ومزقت الأمة، وظهرت آثارها التخريبية فيما بعد على واقع الحياة الاسلامية.



معركة صفين

فقد تجمعوا لحرب الدين
ينون قتل معدن الإمامه
وكتابوا الإمام بالتحدي
فجمع الإمام من كان معه
أولئك الأعلام في المسار
توثبوا لوقعة رهيبه
حتى اذا ما وصلوا «صفينا»
ففوجئوا بشاطئ الفرات
ومنعوهم يومذاك الماء
فكر جيش الله لا يُبالي

وأزمعوا السير الى «صفين»
والطهر والنقاء والكرامه
وابتدأوا بالغى والتعدي
وهم لعمرى أمة مجتمعه
من «أشتر» الحرب ومن «عمار»^(١)
كتيبة تحذو بها كتيبه
وعسكروا هناك غاضبين
اضحى لدى الطغمة والعتاة^(٢)
كيما يموتوا عنده ظمءا
بكثرة السيوف والابطال

(١) اشتر: مالك بن الحارث الاشتر النخعي، وكان قائد جيش الإمام علي في صفين.

عمار: عمار بن ياسر الصحابي الجليل، وأمه سمية أول شهيدة في الإسلام.

(٢) عند نهر الفرات التقى الجيشان، وقد سيطر جيش القاسطين بأمر معاوية على الضفة النهر لمنع جيش الإمام علي من التزود بالماء. حاول الإمام أن يصل الى الماء بالطرق السلمية، لكن معاوية أصر على منعهم من الماء بهدف إنهاكهم عطشاً، مما اضطر جيش الإمام الى استعمال القوة، فانهزم جيش معاوية، وسيطرت قوات المسلمين على الضفة النهر. وهنا كان للإمام عليه السلام موقفه العظيم الذي يجسد حلم الإسلام ورفعة اخلاقه، إذ فسح المجال لجيش معاوية بالتزود بالماء بكل حرية. ابن أبي الحديد: شرح النهج: ٢٣/١.



يقدمهم «أشعثها» والأشترُ
فانكشفت زمرةُ أهلِ الشامِ
واحتدمت معركةٌ طويلة
وكثرت بناورها الضحايا
وحيدرٌ يقودها غضباناً
وحوله من هاشمٍ رجالُ
«الحسنان» الطهرُ «وابنُ جعفر»
قد أوقدوا الحرب بوقفةِ الفدا
معركةٌ طالت شهوراً عده

«وسعدُ بين قيس» ذاك القصور^(١)
وابتسم «الفرات» للإمامِ
صدت بها القبيلةُ القبيله
وتعبت في قبضها المنايا
يجالدُ الأبطالَ والفرسانا
أعزةٌ وقادةٌ أبطالُ
وبعدهم «محمدُ بن حيدر»^(٢)
وقد تحدوا ما يخبيئُ الردى
وكلَّ يوم تستزيد شدّه^(٣)

* * *

(١) الأشعث بن قيس الكندي رئيس قبيلة كنده، وسعد بن قيس بن عباده الانصاري.
(٢) المقصود به محمد بن الحنفية، ابن الامام علي وأحد أبطال الإسلام، كان معروفاً
بفروسيته، وقوته البدنية، لكن المرض أفعده في فترة ثورة الإمام الحسين عليه السلام، فلم يتمكن
لشدة مرضه من المشاركة فيها.
(٣) كانت المعركة طويلة متواصلة بلا هوادة، لكن مقدماتها وتحركاتها دامت عدة
أشهر.



مصرع عمار بن ياسر

«عمّان» فيها صارخٌ يُنادي
«اليوم نضربهم على تأويله»
«اليوم ألقى الصحبَ والاحبّه
ثم هوى وصدّق الرسولوا
تقتله بعضُ الفئاتِ الباغية
لكنه احتال لهم بقوله
والحرب مازالت تشبُّ نارها
«فمالك» يخرقُ الصفوفا
و ليلة «الهرير» ليس تُنسى

أين أهيلُ بيعةِ الرشادِ
كما ضربناهم على تنزيله»
المصطفى محمداً وحزبه»
بقولة لا تقبلُ التّأويلا
فانشطراً الجيشُ على «معاويه»^(١)
قاتله مخرجُهُ من أهله
من بعدما غادرها «عمارها»
وسيفه يملؤها حتوفا
يقاتلُ الرجالُ فيها همسا

(١) كان رسول الله ﷺ قد أخبر بأن عمار بن ياسر تقتله الفئة الباغية، في حديث معروف ورد عنه: يا عمار تقتلك الفئة الباغية وسيكون آخر شرابك ضياحاً من لبن. وعندما سقط عمار شهيداً في أرض المعركة، وشاع خبر قتله، حدث اضطراب في جيش معاوية، لأنهم وجدوا مصداق حديث الرسول قد تحقق، لكن عمرو بن العاص خدعهم بقوله بأن الفئة الباغية التي قتلتها هي التي خرج معها، واستطاع بذلك أن يخدع أهل الشام ويعيد التماسك إلى صفوفهم فلطالما خدع معاوية وابن العاص أهل الشام، حتى أنهم لم يكونوا يعرفون أن للرسول ﷺ قرابة. فلقد مارس معاوية سياسة التجهيل بكل الوسائل والسبل.



ويا لها من ليلة حمراء
حتى إذا «الاشتر» عادَ ثانيه
أراد أن يلوذَ بالفرارِ
تلفعت بالخوفِ والدماءِ
وقاربت ضربته «معاويه»
وان يظلَّ سبباً للعارِ^(١)

* * *

(١) ليلة الهريز، إحدى وقعات المعركة كانت حامية شديدة البأس وللوقوف على تفصيلات معركة صفين، راجع (وقعة صفين) لنصر بن مزاحم وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.



خدعة رفع المصاحف

تداركوا الأمر برفع المصحف
وقيل: هذا حكم ما بيننا
فانخدع الضعاف من جيش «علي»
وهو ينادي: حيلة معروفه
اني انا المصحف والتأويل
فشهرت بوجهه السيف
وقيل: لا حكم لغير الله
فأرسل الإمام خلف «مالك»
وأضمرُوا أمراً مبيتاً خفي^(١)
نرضى بما يرضى الأله ربنا
غير قليل ثبتوا مع «الولي»
قد انطلت على رجال الكوفه
والعهد والكتاب والتزويل
عشرة آلاف بها الختوف
وتلك من عظام الدواهي
أن عد فقد أخطت بالمهالك

(١) لاحت بوادر النصر لجيش الإمام علي، وشارف مالك الأشتر على إنهاء جيش الخارجين على حكم الإمام، وإذا بما عاوية وابن العاص يلجأون إلى خدعة رفع المصاحف على الرماح والسيوف. وقد أحدث ذلك لغطاً في جيش الامام، فحاول الامام ايضاح المسألة وأنها خدعة من خدع معاوية، لكن ضعاف النفوس لم يفهموا حقيقة الأمر، ومارسوا ضغطهم على الإمام لإيقاف الحرب، بل أنهم هددوا الإمام بالقتل إن لم يصدر أوامر لمالك الأشتر بالتوقف عن الزحف.. وهكذا أضاع هؤلاء على أنفسهم وأجيالهم النصر المؤزر وجنوا فيما بعد نتاج تصرفهم الخاطيء هذا.



فقال: أمهلني فواق ناقه
لكنه عاد مطيعاً غاضباً
يصبحُ قد خُذعتُم بالحيله
فالنصرُ في رايتنا الخفاقه^(١)
منكسراً وكان فيها الغالبا
فلم يجد في جمعهم مثيله

* * *

(١) عندما بلغ الخبر مالك الاشر بالتوقف عن الزحف، طلب مالك مهلة وجيزة جداً، بقدر «فواق ناقه» أي وقت حلبها وهو تعبير عن قصر الفترة الزمنية التي يحتاجها لتحقيق النصر، لكنه بعد أن علم أن حياة الإمام علي عليه السلام في خطر توقف عن الزحف وعاد يخترن في قلبه حزناً كبيراً وحسرة أكبر وجرحاً لا يندمل، لأنه الرسالي الذي يعرف حقيقة الأمور كما تعلمها في مدرسة الإمام علي عليه السلام.



فتنة التحكيم

لكنما «الخوارج» الجهَّالُ
وصرخوا نحن نريد الحكماء
«الأشعري» شيخنا الكبيراً
فرفض الإمام رأي الناس
لكن أبى الخوارج العتاة
وسُلتِ السيوف قائليناً:
فسكت الإمام خوفَ الفتنة
وجاء أهل الشام بابن العاصِ
تمردوا ونهجهم ضلال^(١)
من العراق حيث تحقنُ الدماء
والقاضي المجرَّبَ الأميراً
ورشَّح ابنَ عمه العباسِ
وارتفعت بالهرج الأصواتُ
لابد ان ترضى بما رضينا
ولم يجب رغم عظيمِ المنه
يرون فيه منفذ الخِلاصِ

(١) كانت حلقات المأساة تتلاحق واحدة تلو أخرى، فبعد خدعة رفع المصاحف، تمَّ الإتفاق على التحكيم، بأن يرشح كل جيش مندوباً عنه للتفاوض، فرشح معاوية رجله وعقله المراوغ عمرو بن العاص، ورشح الامام علي عليه السلام ابن عباس، لكن جيشه رفض هذا الترشيح وأصر على ترشيح أبي موسى الأشعري، وهو رجل ضعيف الرأي، وقد هددوا الإمام بالقتل إن لم يستجب لرأيهم فاضطر الى القبول على مضض، وهو يعلم تمام العلم خطأ هذه الخطوة وخطورتها، لكنه كان يريد حفظ الصف ما استطاع الى ذلك سبيلاً. ووقف الحكمان أمام الناس لإعلان ما اتفقا عليه في منطقة تسمى «وادي الجندل» فإذا هي خدعة ثانية، فقد خدع ابن العاص، الأشعري وجعله يعلن خلع الإمام علي، بينما أثبت هو معاوية، فنزل الأشعري نادماً، لكنه ندم لا يصحح خطأ ولا يجدي نفعاً، فلقد وقع المحذور وازدادت الفتنة تأججاً.



فاجتمع الأثنان حيث الاجلُ
 وخذع «ابن العاص» أشعريها
 فخلع الامامُ فوق المنبرِ
 وأثبت ابنُ العاص ما أراد
 حكمَ أمية وقتلَ الدينِ
 فرجع الجيشان: هذا مختلف
 أمّا عليٌّ ففؤادُ دامِ
 عاد الى «الكوفة» كي يراها
 يضمهم وادٍ يُسمى «الجدل»
 ينفثُ فيه سُمَّها وغَيَّها
 وسط وجوم الأمةِ المعبرِ
 وشاد في خدعتِه ماشادا
 بسيف جاهلية ملعون
 وذاك عاد لابن هندٍ مؤتلف^(١)
 لضعيةِ الأمّة والاسلامِ
 بئسةً تغرق في أساها

* * *

(١) بعد إنتهاء مهزلة التحكيم، ترك الجيشان أرض المعركة الحزينة، فلقد حقق معاوية ما أراد، وتخلص من أكبر كابوس في حياته، إذ استطاع أن يدفع عن نفسه الهزيمة المحققة، وفي الوقت نفسه يحدث الإضطراب في جيش الإمام علي.
 انشق عن جيش الإمام قسم كبير من الناس، رفعوا شعار «لا حكم إلا لله» وقد عُرف هؤلاء بالخوارج لخروجهم على حكم الامام، وكانت لهم فتنتهم وأفعالهم المخالفة للإسلام.



معركة النهروان

لكنّ بعضَ جيشه تخلفاً عنه وعن نهج الصواب انحرفا
فطالبوا بعودة القتال ورفضوا حكومة الرجال
وأكثرُوا الإلحاحَ والجدالاً ونمقوا الخطبة والمقالاً^(١)

(١) كان مبرر الخوارج في التكتل والخروج على حكم الإمام علي عليه السلام أنهم طلبوا من الإمام أن يعود الى قتال معاوية، وهم الذين فرضوا عليه بالأمس إيقاف القتال والقبول بالتحكيم جاء هؤلاء وقالوا له: لا حكم إلا لله، لا نرضى بأن تحكم الرجال في دين الله، قد أمضى الله حكمه في معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو يدخلوا في حكمنا عليهم، وقد كانت منا خطيئة وزلة حين رضينا بالحكمين، وقد تبنا الى ربنا ورجعنا عن ذلك فأرجع. لم يرغب الامام علي عليه السلام في مواجهة الخوارج، وكان يرغب بعودتهم الى جادة الصواب، لكنهم كانوا يسرون باتجاه مخالف للإسلام، حيث بدأوا يرتكبون جرائم القتل وتهديد الأمنين. وكان ممن قتلوهم الصحابي الجليل «خباب بن الأرت»، وبقروا بطن زوجته وهي حامل، فقال علي عليه السلام في حقه: «يرحم الله الخباب ابن الأرت، فلقد أسلم راغباً، وهاجر طائعاً، وقنع بالكفاف، ورضي عنه، وعاش مجاهداً.

بعث إليهم الإمام «قيس بن سعد بن عبادة الانصاري» موفداً من قبله ليعرض عليهم العودة إلى طريق الحق والابتعاد عن منهجهم المنحرف الذي كانوا يكفرون وفقه كل المسلمين، لكنهم أصرّوا على مواقفهم.

كان الامام عليه السلام يريد أن يقتص من قتلة المؤمنين، لذلك أرسل أبا أيوب الانصاري إليهم، ليعرض عليهم أن الامام لا يتعرض لغير القتلة، وان من لم يشترك في قتل المؤمنين فهو آمن، إذا ترك معسكر الخوارج. وقد لاقت هذه الخطوة تجاوباً ملحوظاً، حيث انخفض



قد طالبوا إمامهم بالتوبه
فبعث ابن عمه يحاور
لكنهم أبوا وصموا السمع
فعمسكروا في «النهران» جهلا
ويومها قد قدر الإمام
فعاندا فحوصروا عشيه
وقتلوا إلا القليل منهم
عاد الإمام بعدها للكوفه
يدعو إلى حرب طليق الشام
يحرّض الناس على الجهاد
فلم يجبه غير بعض البرره
وعندها قال ملائم قلبي
وهو الذي مامس رجس ثوبه
ثم مضى بنفسه يُناظر
عن وعظه ولم يطيعوا الشرعا
وأمعنوا في الصابرين قتلا
ان يرجعوا أو يُنتضى الحسام
وأطبقت عليهم المنيه
لم يجرعوا سيف الهدى فانهموا
محشداً من جيشه صفوفه
وحارساً لبيضة الإسلام
وينفخ النيران في الرماد
من أمة مهزومة منكسره
قيحاً فما أبطأكم من صحب^(١)

⇒ عدد الخوارج الى الثلث. كما بعث الإمام ابن عمه ابن عباس، لينظرهم من أجل منع وقوع الحرب وإعادتهم إلى صف المسلمين، لكنهم كانوا قد أصروا على المواجهة والهجوم فحدثت المعركة في منطقة النهروان، وقد تعرضوا لهزيمة منكرة، فلم يبق منهم سوى القلة هربت من المعركة وظلت تمارس دورها التخريبي ضد حكومة الإمام علي وكيان دولته الاسلاميه. الفصول المهمة ١٠٨، أعيان الشيعة ١٠٩/٣، سيرة الأئمة الاثنى عشر ٤٤١.

(١) كانت المشكلة الكبيرة التي يواجهها الامام علي هي المحاولات العدوانية لمعاوية بن أبي سفيان الذي وصف الرسول ﷺ عائلته بالطلاق، وكان معاوية قد بدأ سلسلة غارات على أطراف الدولة الاسلاميه، حيث نشرت جيوشه الرعب والخوف بين المسلمين، وكان يهدف من وراء ذلك إلى زعزعة الأمن، وترويع الأهالي، وهي سياسة كان يتبعها معاوية بدقة، فهو الذي طرح مبدأ الترهيب والترغيب، فكان يستخدم القوة بأقصى صنوفها ضد مجي أهل البيت، ويبدل بسخاء على أصحاب الدنيا.



أصبحتم تُغزونَ في الديارِ وصرتم نهبَ يدِ الأشرارِ^(١)
أطرافكم ضحيةً للغارهِ وسَلَبٌ للطغمة الغدارهِ
فمكّة يعيش فيها «بسر» وفي يد ابن العاص ذُلّت «مصر»
وخيلُ أهلِ الشامِ في «الأنبار» تجرّدُ النساءُ من الخمارِ^(٢)
فما لكم أدعوا ولم تجيبوا كأنما الصخرُ لكم قلوبُ
أفسدتم عليّ رأيي جُبنا أنا الذي أرى المخوف أمنّا
الحرب قد مارسثها صغيرا وهما أنا خبرتها كبيرا
أيّ امامٍ تتبعون بعدي وأيّ عهدٍ بعد نكث عهدي

* * *

⇒ حاول الامام علي عليه السلام أن يضع حداً لفتنة معاوية وقتله بلا رحمة الرجال والنساء والاطفال، فكان يدعو الى التعبئة لمواجهة الانحراف الأموي في الشام، لكنه لم يجد النصر، فلقد كان الناس يميلون الى الراحة في زمن كانت فيه ظروف الإسلام تستدعي السير على الأشواك.

(١) للامام علي عليه السلام عدة خطب يتحدث فيها عن الوضع المؤلم الذي وصل اليه مجتمعه منها قوله: ألا وإني قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسراً وإعلاناً، وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا. فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات. وملكت عليكم الأوطان. نهج البلاغة/ ٦٩.

(٢) وجّه معاوية عدة غارات على دولة الامام علي، كان الغرض منها نشر الرعب والخوف، فقد وجه بسر بن أرطاة وأمره أن يسلك طريق الحجاز والمدينة ومكة حتى ينتهي الى اليمن، وقال له: لا تنزل على بلد، أهله على طاعة علي، إلا بسطت لهم لسانك - أي هددهم وخوفهم - حتى يروا أنه لا نجاة لهم منك وأنتك محيط بهم، ثم أكف عنهم وادعهم الى البيعة لي، فمن أبي فاقتله، وأقتل شيعة علي حيث كانوا، وقد قام بسر بجرائم وحشية حيث أحرق الدور ونهب الأموال وقتل الأبرياء، وكان عدد من قتلهم في غارته، حوالي ثلاثين ألف من المسلمين الشيعة، وقد أحرق قوماً بالنار. الغارات للنفسي/ ٥٩٨.



عهدُ مالك الأشر

وأرسلَ الامامُ رَغمَ العسرِ مالكِ الأشرِ عهدَ «مصرِ»
وفيه دستورٌ لكلِّ والٍ مزينٌ بالحِكمِ اللألي
يوصيه بالعدلِ إلى الرعيه وأن تكونَ عنده سويهِ
فيه يقولُ لا تكنَ عليهمُ كالسبعِ الضاريِ يجولُ فيهِمُ^(١)

(١) عهد الإمام علي عليه السلام إلى مالك بن الحارث الأشر النخعي يُعدّ وثيقة سياسية ودستورية ذات أهمية خاصة، وهو أول عهد سياسي في الإسلام بهذه السعة والشمولية، حيث يتضمن رؤية الإسلام في إدارة شؤون المسلمين وتحديد صلاحيات وواجبات الحاكم الإسلامي، تناول العديد من الكتاب والعلماء دراسة وتحليل هذه الوثيقة السياسية الرائعة، وهي بحاجة إلى المزيد من الدراسة والتحقيق لما فيها من دروس وحكم عالية المضامين. وكنموذج نذكر مما جاء فيه: «وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سُبعا ضاريا، تغتئم أكلهم فإنهم صنفان: إمّا أخ لك في الدين، أو نظيرٌ لك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، وولي الأمر عليك فوقك، والله فوق من وراكا وقد استكفأك أمرهم، وأبتلاك بهم، ولا تنصبن نفسك لحرب الله، فإنه لا يد لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته»

وجاء فيه أيضاً: «ولا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل، ويعدك الفقر، ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله».



فالناسُ صنفانِ بقولِ صدق إما أخٌ في الدينِ أو في الخلقِ
لا تستشر يا مالكَ البخيلاً ولا الجبانَ الخائفَ الهزليلاً
والصق بذي المروءةِ الكريمِ والسَمحِ المحسنِ والحليمِ
وهو لعمرى خيرُ عهدٍ كُتبا مازال لئلا يُثيرُ العجبا
لكنَّ مالكاُ قبيلاً مصرِ قضى ضحيةً لمكرِ عمرو^(١)

⇒ وفيه أيضاً: «ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيداً لأهل الأحسان في الأحسان وتدريباً لأهل الأساءة على الأساءة! وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه... ثم ألصق بذوي المروآت والاحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة، ثم أهل النجدة والشجاعة، والسخاء والسماحة فإنهم جماع من الكرم وشعب من العرف ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما».

(١) كان مالك الأشتر عوناً للإمام علي عليه السلام وركناً متيناً في حكومته الإسلامية وقد اكتشف معاوية أهمية الأشتر ودوره المؤثر، فهو من أخلص أصحاب الإمام، ومن ذوي الرأي السديد والحكمة العالية، لذلك كان معاوية يجد فيه تهديداً له، فكان يسعى إلى التخلص منه، من أجل إضعاف قوى الإمام علي. وعندما قرر الإمام عليه السلام أن يبعثه والياً على مصر، شعر معاوية بالخطر الجدّي من وراء هذه الخطوة، فهذا يعني تحول مصر إلى قلعة قوية في دولة الإمام علي، مما سيضعف بطبيعة الحال سلطة معاوية في الشام.

ومن هنا قرر معاوية أن يقدم على جريمة قتل مالك الأشتر، لإنهاء دوره من الحياة الإسلامية، وقد دبر مؤامرة الإغتيال مع شريكه عمرو بن العاص. حيث تم اغتياله «رضوان الله عليه» وهو في طريقه إلى مصر، ف قضى شهيداً بعد أن أدى دوره الرسالي الكبير، مخلفاً فراغاً واسعاً في الساحة الإسلامية. ولقد سرّ معاوية بمقتل مالك الأشتر وأظهر ذلك حينما خطب الناس في الشام بعد وصول خبر قتله بقوله: أما بعد، فإنه كان لعلي بن أبي طالب يمينان قطعت أحدهما في صفين «يقصد عمار بن ياسر» وقطعت الأخرى اليوم «يقصد مالك الأشتر» أما الإمام علي المفجوع بصديقه المخلص الوفي وصاحبه الشجاع الناصح. فقد رثاه بعدة كلمات كالجمر الملتهب، فلما نعي إليه الأشتر

←



فحزن الإمام ثم حوقلا وقال: كان مالك لي جبلاً
ولم تنزل «كوفان» تغلي بالفتن حتى غدا ضحية «ابو الحسن»

* * *

⇒ تأوه حزناً وقال: رحم الله مالكا، ومالك عز عليّ به هالك لو كا صخرأ لكان صلدا، ولو كان جبلا لكان فندا، وكأنه قدّ مني قدا، فلقد كان لي كما كنت لرسول الله ﷺ. رحم الله مالكا فقد وفي بعهدده، وقضى نجه، ولقي ربه، مع إنا قد وطننا أنفسنا أن نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله ﷺ فانها من أعظم المصائب. على مثل مالك فلتبكي البواكي، وهل موجود كمالك، وإنا لله وإنا إليه راجعون اللهم اني احتسبه عندك فان موته من مصائب الدهر. السيد محسن الامين: أعيان الشيعة ٤١/٩، المامقاني: تنقيح المقال.



مؤامرة الخوارج

غداة فيها اجتمع الخوارجُ والكلُّ منهم أحمقٌ وساذجُ
تدفعهم «قطامٌ» للجريمة في ليلةٍ عظيمةٍ كريمه^(١)
اذ وصل الامامُ فيها سحرا مؤذناً مهلاً مكبّراً
مرتلاً بعضاً من الآياتِ منادياً حيّ على الصلاةِ

* * *

(١) قرر الخوارج الإقدام على أكبر جريمة في تاريخ الاسلام، وهي إغتيال الإمام علي عليه السلام وقد تصدّى لتنفيذ هذه الجريمة النكراء، عبد الرحمن بن ملجم المرادي، وقد شجعتَه قطام إحدى النسوة الشقيات من الخوارج على ارتكاب هذه الجريمة، حين جعلت قتل الامام علي شرطاً للزواج بها.

وفي فجر التاسع عشر من رمضان، وفيما كان الإمام عليه السلام في مسجد الكوفة قائماً في المحراب يصلي، هوى الشقي ابن ملجم بالسيف على رأسه الشريف، فجرح الامام جرحاً عميقاً، فظلّ ثلاثة أيام جريحاً واستشهد عليه في اليوم الثالث.



جُرْحُ الإِمَامِ عَلِيِّهِ السَّلَامُ

فكمن ابن ملجم في المسجد
 قام وما أن دخل الامام
 فقال: قد فزت ورب الكعبة
 فضجت الكوفة بالعويل
 وصاح صائح من السماء
 تهدمت والله أركان الهدى
 وحمل الإمام نحو بيته
 فاستقبلته «زينب» بدمعة
 وازدحم الصحب وراء الباب
 حيث غدا بنفسه يجود
 حتى إذا قد رشح الجبين
 أوصى وباللّه من وصيه

ومعه عِلجٌ أثيمٌ معتدي
 حتى علا مفرقه الحسام
 مناجياً رغم الجراح ربّه
 تبكي على إمامها القليل
 بالحزن واللوعة والبكاء
 بقتل من اضحى امام الشهداء
 والكلُّ باك صارخ لموته
 نادبةً بحرقية ولوعه^(١)
 تلمّهم فداحة المصاب
 ونمّ في أطرافه البرود
 واقتربت من ساحه المنون
 قلادةً في عنق الرعيّه^(٢)

(١) زينب الكبرى ابنة أمير المؤمنين عقيلة الطالبين وهي التي شاركت الإمام الحسين ثورته في كربلاء.

(٢) قبيل استشهاده، ترك الإمام علي عليه السلام وصية خالدة، طرحها على أولاده شفها، لكنها ظلت مدونة في عمق الذاكرة الإسلامية، متوارثة عبر الأجيال، جاء فيها:
 الله الله في الأيتام، فلا تغبوا أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتكم



أوصى بدين الله والقران
ثم اليتامى حيث أوصى فيهم
والعهد أعطاه لنجله «الحسن»
والصوم والصلاة والجيران
أن لا يضيعوا ولا يهتضموا
خليفة من بعده ومؤتمن^(١)

* * *

⇒ الله الله في جيرانكم، فإنهم وصية نبيكم مازال يوصي بهم، حتى ظننا أنه سيورثهم
الله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم
الله الله في بيت ربكم لا تخلوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم تناظروا
الله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله. نهج البلاغة/ ٤٢١.
(١) ليس المقصود هنا بالعهد أن الإمام علي هو الذي عين الحسن إماماً من بعده، إنما
الإمامة نص الهى، بلغها الإمام علي إلى ابنه الحسن. وكان الرسول ﷺ من قبل قد عين
الأئمة بوحي الهى، حيث ورد عنه ﷺ وسلم قوله: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا».
وغير ذلك من الأحاديث التي عين فيها الرسول ﷺ الأئمة عليهم السلام، وحدد عددهم بأثني عشر
إماماً، أولهم علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه
الشريف.



شهادته عليه السلام

ثمّ وفاضت روحه الزكيّه لجنّة خالدٍ عليّه
ملتحقاً بجنّة الابرار في مقعد الصدق مع المختار
صلى عليه الله يوم ولدا ويوم ضحى وغداة استشهادا
فقد غدا إمام كلّ حرّ ومنهجاً ومعلماً في الفكر

* * *



الجزء الثالث

فاطمة الزهراء
سيدة النساء عليها السلام





الأهـداء

الـيك يا سـيدة النساء

يا فاطمة بنت محمد عليها السلام

الـيك يا أم الحسن والحسين

أقدم هذه الباقية من اشعار (قوافل النور)

التي لامست حروف اسمك الطاهر، وذكرك العاطر

وغضبتك بوجه الباطل.





اضاءة

تمثل فاطمة الزهراء عليها السلام النموذج الاسمي لشخصية المرأة في الحياة الاسلامية، فقد قال عنها رسول الله صلى الله عليه وآله: فاطمة بضعة مني، من آذاها فقد آذاني، ومن أغضبها فقد أغضبني.

وقال كذلك عليه السلام: فاطمة سيدة نساء العالمين، من احبها فقد احبني. بهذه الكلمات المفعمة بالحب والتجليل، نفهم موقع فاطمة في حياة الرسول وحركة الرسالة.

وعندما سُئل امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام عن فاطمة عليها السلام قال:
نعم المعين على طاعة الله.

أجل هذه هي فاطمة، العنصر القوي الذي يقف بكل بطولة وراء بطل الاسلام العظيم، في مجالات الطاعة، والعبادة، والعمل، والجهاد الدائب في سبيل الله، وهكذا درجت فاطمة في بيت النبوة، وهكذا انطلقت، وأعطت وأثمرت أطيّب الثمار في حركة الامامة.

وملحمة قوافل النور إذ تتشرف بأن تقترب من حياة فاطمة، إنما تشعر بأنها تفجر ينابيع الطهر، والوعي، والنور في حياة كل مسلمة، ومسلم، يبحث عن سراج قدسي يحمله في متيه الحياة، وظلمات الطريق الصعب الطويل.



فالى فاطمة بكل ما تعنيه هذه الكلمة المباركة من طهر، وحب، وجمال. من اجل ان نتعلم من مدرستها معاني الصبر، والحلم، والعفة، والحنو على كل المعذبين، والفقراء، والمساكين.

وهذا هو الجزء الثالث من ملحمة قوافل النور الذي يستعرض فضائلها بأستحياء، ويرسم خطواتها، ويتمثل حياتها الخالدة، وعطاءها الفذ، وغضبتها من اجل الحق، ومواجهة الباطل.

فسلام على سيدتنا الزهراء فاطمة، يوم ولدت ويوم درجت في مدارج الوحي والنبوة.

وسلام عليها يوم وقفت الى جانب الحق والصراط القويم ضدّ الباطل والانحراف.

وسلام عليها وهي تودع الدنيا بدمعتين سخيّتين، لا أظن أنهما تجفان ابداً.
وسلام عليها في أعلى عليين.



أصحابُ الكساء

أكرمُ أهلِ الارضِ أصحابُ العبا محمدٌ وابنته والنُّقبَا^(١)
المرتضى حيدرَةُ والحسنُ ثمُ الحسينُ السيدُ الممتحنُ
أمهما فاطمةُ الزكيَّة البضعةُ الراضيةُ المرضيَّة^(٢)
والكوثرُ الذي جباهُ اللّهُ لأحمدَ المختارِ واجتباهُ

* * *

(١) أصحابُ العبا، أصحابُ الكساء، وهم أهل البيت الذين نزلت فيهم آية التطهير، وهم الرسول ﷺ، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين ﷺ. وحديث الكساء من أشهر الأحاديث في مدونات السنة المطهرة.

(٢) من الأسماء التي اشتهرت بها فاطمة الزهراء عليها اسلام، بضعة الرسول، لقوله ﷺ: «فاطمة بضعة مني يؤذيها ما يؤذيها».

وقوله: «فاطمة بضعة مني من أغضبها أغضبني». مسند أحمد ٤/٣٣٢. البخاري ١٨٥/٢.



الولادة المباركة

سَيِّدَةُ النِّسَاءِ وَخَيْرُ مَنْ وَلَدَتْ
 قَدْ وَلَدَتْ مَعْصُومَةً وَطَاهِرَةً
 وَدَرَجَتٌ فِي سَاحَةِ الرِّسَالَةِ
 قَدْ صَبِرَتْ لِكَثْرَةِ الْأَحْزَانِ
 حَتَّى غَدَتْ أُمًّا فَقَالَ فِيهَا:
 وَبِضْعَةٍ مَنِّي فَمَنْ آذَاهَا
 وَإِنَّ مَنْ أَغْضَبَهَا يُغْضِبُنِي
 حَتَّى إِذَا جَاءَتْ إِرَادَةُ السَّمَاءِ
 إِذْ رَفِضَ النَّبِيُّ كُلَّ خَاطِبٍ
 وَقَالَ قَدْ زَوْجَهَا الْإِلَهُ
 فَاقْتَرَنَ النُّورُ بِأَجْلَى نَوْرِ
 وَزَفَّهَا النَّبِيُّ وَالْأَصْحَابُ
 قُدَّامَهَا تَرَجُّزُ أُمِّ سَلَمَةَ
 بِتَوْلَةٍ لَمْ يَرِ ظَلُّهَا أَحَدٌ
 عَفِيفَةً مَظْلُومَةً وَصَابِرَةً
 وَنَهَلَتْ مِنْ مَعْدِنِ الْأَصَالَةِ
 وَضُمَّتِ النَّبِيَّ فِي حَنَانِ
 «أُمُّ أَبِيهَا فَاطِمَةٌ» أَفْئِدَتِهَا^(١)
 كَانَ كَمَنْ آذَى النَّبِيَّ طَهَهُ
 وَكُلَّ مَا قَدْ سَرَّهَا يُسْرِنِي
 بِأَنْ تَكُونَ زَوْجَةً لِمَنْ سَمَا^(٢)
 لَهَا وَلَمْ يَرْضَ بِكُلِّ صَاحِبٍ
 إِلَى فِتْنَى لَيْسَ لَهَا سِوَاهُ
 وَقَدْ أُحِيطَتْ فَاطِمَةٌ بِالْحُورِ
 لِبَيْتِهَا وَنَسِوَةٌ أَطْيَابُ
 الْمَرْأَةِ الطَّاهِرَةِ الْمُكْرَمَةِ

(١) سميت الزهراء بالبتول لكثرة تبتلها إلى الله سبحانه، وكانت فاطمة الزهراء عليها السلام فياضة الحنان والعاطفة على أبيها عليه السلام حتى أنها كانت تكنى: أم أبيها. ابن الأثير: أسد الغابة ٥/٥٢٠.
 (٢) كان زواج الامام علي من فاطمة الزهراء سلام عليها بوحى من الله سبحانه، ولذلك أدلته المستقاة من أحاديث الرسول عليه السلام، كقوله لكل الذين تقدموا لخدمة فاطمة قبل الإمام علي عليه السلام: «لم ينزل القضاء بعد» وقوله: «إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه، وجعل ذريتي في صلب هذا وأشار إلى الإمام علي عليه السلام». ذخائر العقبى: الطبري/ ٦٧.



وحفصةٌ من بعدها وعائشه
 تقول يا خير نساءِ البشرِ
 ودخلت في بيتها الصغيرِ
 فراشها حشو إهابٍ ليفي
 وجرةٌ خضراء مع كوزانِ
 ومخضبٌ من النحاسِ الأصفرِ
 وعلقت في الحجرة البهيه
 بساطةً جللها الفخارُ
 ودوحةً قدسيةً العطاءِ
 «الحسنان» أردفا «بزيب»
 يا أسرةً أعطت إلى الإيمانِ
 قتلاً وتشريداً وتضحياتِ
 أبناءِ فاطمٍ حماة الدينِ
 منها تعلموا دروسَ الصبرِ
 فصبرها ليس له مثيلُ
 أول حزن فقدتها لأهلها
 والخطبُ كلُّ الخطب في فقدانها
 فقد غدت من بعده مكلومه
 إذ غصبت نخلتها وهي «فدك»
 تعيذها من كل عينٍ طائشه
 ومن لها وجهٌ كوجه القمرِ
 قرينةً للبطلِ الأميرِ
 ومطهرٌ من خزف نظيف^(١)
 وشملة بيضاء من قطوانِ
 وسُرُ صوفٍ وحصيرٍ «هجري»
 قطيفةٌ سوداء خيرييه
 وأسرةً باركها المختارُ
 ثمارها من أعظم الأبناءِ
 وأمُّ كلثوم سائلة النبيِّ
 أرواحها على مدى الزمانِ
 من الألى والسادة الأباةِ
 وكهفٌ كلُّ صادق أمين^(٢)
 من يوم يولدون حتى القبرِ
 بكى على محنتها «جبريلُ»
 في الشعب وافتقادها لعمها
 وجه أبيها وعُرى بنيانها
 مبعدةً عن حقها مهضومه
 ومادري الغاصبُ أنه هلك

(١) إشارة إلى مهر فاطمة الذي أصبح سنة للمؤمنين وهو ما يعادل اربعمائة وثمانين درهماً من الفضة.

(٢) أبناء فاطمة عليها السلام هم أئمة المسلمين وقادة الدين حماة الشرع والأدلاء على النهج القويم.

حتى ادّعوا أنّ النبيّ ذهباً
وهو حديثٌ واضحُ البطلان
فانتفضت غاضبةً تعاتبُ
ولم يورث فضةً أو ذهباً
فآية الميراث في القرآن
صحبَ أبيها كي يُردَّ الغاصبُ^(١)

(١) تعرضت فاطمة الزهراء عليها السلام الى محن كبيرة كان آخرها غصب حقها في فدك وفي ميراث والدها الرسول صلى الله عليه وآله وعندما طالبت أبا بكر بحقها قال أنه سمع الرسول يقول: «لا نورث، ما تركناه صدقه» وهو حديث لم يروه غير أبي بكر، وهو يتعارض مع نص القرآن الكريم حيث قال تعالى: «وورث سليمان داود» النمل/١٦.
وقال كذلك: «يرثني ويرث من آل يعقوب» مريم/٦.

وقد غضبت الزهراء على أبي بكر وعمر، وأعلنت غضبها صراحة وعلناً، وقد حاولوا أن يسترضيها، غير أنها عليها السلام أكدت أنهما أغضبها، وأنها غير راضية عنهما، وظلت على هذا الموقف حتى وفاتها حزناً وكمداً سلام الله عليها، وقد وصف صاحب الملحمة محنة الزهراء وحزنها وغضبيتها في إحدى قصائد مناجاته بقوله:

قلبي يذوب أسىً على الزهراءِ	ومدامعي تجري دماً بسخاءِ
حزناً على الطهر البتولةِ أنها	رحلت بقلبٍ غصَّ بالبلواءِ
رحلت بحسرتها وظلٌّ ورائها	سرُّ الجوى والجمر في الاحشاءِ
ومضت الى الرحمن تشكو أمةً	نقضت عهدَ الشرعة الغراءِ
تدعو أباهما وهي تعلم أنه	أدرى بما فعلت يدُ الطلقاءِ
أبتي أتسلبُ (نخلتي) مني وفي	بيتي تشبُّ مواقدُ البغضاءِ؟
أبتي الا تدري بما فعل العدي	فيما وقد جاروا على أبنائي
من بعد أن حملوا (الامام) مبايعاً	وهو الوصيُّ وأولُ الخلفاءِ
ونسوا وصاياك التي وصيتهم	فيها (بخم) في غدِير الماءِ
أولم تقل هذا عليّ فيكم	خلفي ومن عاداه من أعدائي
أبتي أضاعوا العهد ثم تكشفت	أحقادهم بالشرِّ والضراءِ
صعدوا على باب النبي كأنهم	يحييون ثاراتِ لدى الآباءِ
قد قيل فيه فاطمٌ قالوا: وإن	فاليوم نحرُقها على الزهراءِ
أبتاه غاضبةً أظلُّ عليهم	ويظلُّ حتى الحشر صوتُ بكائي

خطبتها واحتجاجها

فخطبت خطبتها المتهيبه على الصحاب ثمّ عادت غضبه^(١)

(١) لما بلغ فاطمة اجماع أبي بكر على منعها فذك، لاثت خمارها على رأسها، واشتملت جلبابها، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيوها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله ﷺ حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة ثم أنت أنة أجهش لها القوم بالبكاء وارتج المجلس، ثم أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم، افتتحت كلامها بالحمد لله عز وجل والثناء عليه، والصلاة على رسول الله، ثم قالت: اعلموا أي أنا فاطمة ابنة محمد، أقول عوداً على بدء، لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم، فإن تعزوه تجدوه أبي دون آبائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم... ثم استرسلت في خطبتها إلى قولها:

ثم أنتم الان، تزعمون أن لا إرث لنا ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾ يا ابن أبي قحافة! أترث أباك ولا أرث أبي، لقد جئت شيئاً فرياً، فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم محمد ﷺ والموعود القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون. ثم انكفأت إلى قبر أبيها ﷺ تقول:

قد كان بعدك أنباءً وهنبشة	لو كنت شاهداً لم تكثر الخطبُ
إننا فقدناك فقد الأرض وابلها	وغاب مذ غبت عنا الوحي والكتبُ
أبدى رجالاً لنا نجوى صدورهم	لما مضيت وحالت دونك التربُ
تجهمتنا أناسٌ واستخف بنا	لما فقدت وكل الأثر مغتصبُ
وكنت بدرًا ونوراً يستضاء به	عليك تنزل من ذي العزة الكتبُ
وكان جبريل بالآيات يؤنسنا	فقد فقدت وكل الخير محتجبُ
فليت قبلك كان الموت صادفنا	لما مضيت وحالت دونك الكتبُ



وذكرتهم كيف كانوا زمرا مضيعين بدوها والحضرا
 الجاهلية انطوت في الروح والوأذ فخر للدم المسفوح
 يُغير بعضهم على بعض فما يرده إلا الرماح والدم
 العدل فيهم مبعث والحق والخير فيهم ضائع والصدق

⇒

إننا رزئنا بما لم يُرزَ ذو شجن من البرية لا عجم ولا عرب
 قال الراوي: ولم ير الناس أكثر باك ولا باكية منهم يومئذ، ثم عدلت إلى مجلس الأنصار، فقالت: يا معشر البقية وأعضاء الملة وحضنة الإسلام! ما هذه الفترة عن نصرتي، والوئية عن معونتي، والغمزة في حقي، والسنة عن ظلامتي؟! أما كان رسول الله ﷺ يقول: «المرء يحفظ في ولده»؟ سرعان ما أحدثتم وعجلان ما أتيتم، الآن مات رسول الله ﷺ أمتهم دينه؟! ها!!، إن موته لعمرى خطب جليل، استوسع وهنه، واستبهم فتقه، وفقد راتقه، وأظلمت الأرض له، وخشعت الجبال، وأكدت الآمال، أضيع بعده الحريم، وهتكت الحرمه، وأزيلت المصونة، وتلك نازلة أعلن بها كتاب الله قبل موته، وأنباكم بها قبل وفاته، فقال: «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين». إليها بني قبيلة أأهتضم تراث أبي وأنتم بمراى ومسمع تبلغكم الدعوة، ويشملكم الصوت، وفيكم العدة والعدد، ولكم الدار والجنن، وأنتم نخبة الله التي انتخب، وخيرته التي اختار، باديتم العرب، وبادهتم الامور، وكافحتم البهم، حتى دارت بكم رحى الاسلام، ودر حله وخبت نيران الحراب، وسكنت فورة الشرك، وهدأت دعوة الهرج واستوثق نظام الدين، أفتأخرتم بعد الاقدام؟! ونكصتم بعد الشدة وجبنتم بعد الشجاعة عن قوم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم «فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان». ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وركنتم إلى الدعة، فجحدتم الذي وعيتم ودسعتم الذي سوغتم، وإن تكفروا أنتم ومن في الارض جميعاً فإن الله لغني حميد، ألا وقد قلت لكم ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم، وخرو القناة وضعف اليقين، فدونكموها فاختورها مدبرة الظهر، ناقبة الخف، باقية العار، موسومة الشعار موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة، فبعين الله ما تعلمون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة / ٤ / ٧٨.



أذلةً كانوا كما الأماءِ
مستضعفون فيهم الشرُّ نطق
حتى أتاكم أبي بالنور
بعد اللتيا والتي وما جرى
فشرعت بينكم الصلاةُ
وارتفع الإيمانُ فيكم رايه
والصومُ من علائم الاخلاصِ
والحجُّ تشييدٌ ليوم النصره
حيثُ بها يكتمل الإيمانُ
فاعتذر الصحبُ لدى المعاتبه
ورجعت كسيرةً مريضه
راحت تعاني ألم الحصارِ
جريحة القلب ودمعُ العينِ
يقول: يا أماء يا زهراءُ
من يُطعمُ اليتيمَ والأسيرا
وبعدها أوصت الى الامامِ
تقول ان اتى القضا غسلي
لا تُعلمنَّ احداً بذاكا

لا سترَ الا وحشةَ الصحراءِ
اكلهم القديدُ والشربُ طرق
يزيلُ عنكم ظلمةَ الديجورِ
أصبحتمُ خيرةَ أمةِ الورى
ورتلت عليكم الآياتُ
وانظمت معالم الغوايه
وجنةٌ للفوزِ والخالصِ
والامر بالحقِ وحبِ العتره
وعندها ينتصر الانسانُ
لكنها ظلت عليهم غاضبه
تأسى لهذي الأمةِ البغيضه
وفي الضلوع طعنةُ المسمارِ^(١)
مختلطٌ بدمعةِ الحسينِ
صلى عليك اللهُ والسماءُ
ويسترُ العريانَ والفقيرا
وصيةً من أبلغ الكلامِ
وفي حلول الليلِ قم وادفني
ولا يرى جنازتي سواكا

(١) من المظالم التي تعرضت لها فاطمة الزهراء، أنها تعرضت في بيتها لهجوم عمر بن الخطاب، يوم بيعة أبي بكر، فقد جاء عمر الى بيتها يريد أن يجبر الإمام على بيعة أبي بكر، وهدد بإحراق بيتها، فقالوا: ان فيه فاطمة قال: وإن. وروي أنه أراد أن يقتحم المنزل وكانت خلف الباب فدفع الباب بقوة مما تسبب في كسر ضلعها وسقوط جبينها.

وفاتها عليها السلام

ثم قضت طاهرةً مطهره لكن أضيع قبرها في المقبره
الحزن ظل خلفها طويلا وحسرة تُدافع العويلا
قد وقف الإمام عند قبرها مودعاً وباكياً لصبرها
يقول: ردت هذه الوديعه إليك يا مؤتمن الشريعة
يكفكف الدمع بحزن وأسى وقلبه يبكي بكاءً أخرسا
أخفى الإمام قبرها عشية لرغبة الزهراء في الوصية^(١)

(١) طلبت الزهراء من الإمام علي أن يخفي قبرها وأن يدفنها سراً، وكان هذا الموقف منها عليها السلام احتجاجاً تاريخياً على ما لاقته من ظلم بعد وفاة أبيها.

وكان يوم وفاتها كيوم وفاة الرسول ﷺ من حيث الحزن والأسى الذي خيم على المسلمين، ولقد ودعها الإمام علي عليه السلام بأخر كلمات له معها على فراش الموت بقوله: والله لقد جددت علي مصيبة رسول الله ﷺ وقد عظمت وفاتك وفقدك، فإننا لله وإنا إليه راجعون، من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأحزنها، هذه والله مصيبة لا عزاء عنها، ورزية لا خلف لها.

ثم توجه الى قبر رسول الله ﷺ وقلبه يعتصره الألم يقول: السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك والسريعة للحاق بك! قل، يا رسول الله عن صفيتك صبري، ورق عنها تجلدي، إلا أن في التأسى لي بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعز فلقد وسدتك في ملحودة قبرك وفاضت بين نحري وصدري نفسك ﴿فإننا لله وإنا إليه راجعون﴾. فلقد استرجعت الوديعه وأخذت الرهينة! أما حزني فسرمد وأما ليلي فمسهد إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم وستنبئك ابنتك بتظافر أمتك على هضمها



فهي الوديعه التي قد ضيعت
ظلامه تظل طول الدهر
فدمعها دمع النبي طه
تأتي يوم الحشر للرحمن
حيث تغض عندها الابصار
مسكنها الجنان والريحان
ألف سلام وصلاة تُتلى
ومنعت عن حقها ودفعت
في عين نبكي لها وسر
واهاً على تلك الدموع واهها
شاكية من عنت الانسان
بمثل هذا حدث المختار
وجارها النبي والرحمن
على البتول ما هلال هلال^(١)

* * *

⇒
فاحفها السؤال واستخبرها الحال، هذا ولم يطل العهد ولم يخل منك الذكر والسلام
عليكما سلام مودع لا قال ولا سئم فإن أنصرف فلا عن ملالة وإن أقم فلا عن سوء ظن
بما وعد الله الصابرين. نهج البلاغة/ ٣١٩ - ٣٢٠.

(١) عن ابي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد
واحد فينادي مناد: غضوا أبصاركم ونكسوا رؤوسكم حتى تجوز فاطمة بنت محمد عليها السلام
الصرط. قال: فتغض الخلائق أبصارهم فتأتي فاطمة عليها السلام على نجيب من نجب الجنة يشيعها
سبعون ألف ملك، فتقف موقفاً شريفاً من مواقف القيامة، ثم تنزل على نجيبها فتأخذ
قميص الحسين بن علي عليه السلام بيدها مضمخاً بدمه وتقول يا رب هذا قميص ولدي وقد
علمت ما صنع به، فيأتيها النداء من قبل الله عز وجل: يا فاطمة لك عندي الرضا فتقول:
يا رب انتصر لي من قاتله فيأمر الله تعالى عنقاً من النار فتخرج من جهنم فتلتقط قتلة
الحسين بن علي عليه السلام كما يلتقط الطير الحب، ثم يعود العنق بهم الى النار فيعذبون فيها
بأنواع العذاب ثم تركب فاطمة عليها السلام نجيبها حتى تدخل الجنة ومعها الملائكة المشيعون لها
وذريتها بين يديها وأولياؤهم من الناس عن يمينها وشمالها.





الجزء الرابع

الامام الحسن بن علي
المجتبى عليه السلام





الأهداء

إلى أبي محمد الإمام الحسن بن علي عليه السلام

ريحانة النبي وسبط رسول الله صلوات الله عليه وآله

وسيد شباب أهل الجنة

أقدم هذا الجزء من ملحمة

قوافل النور..





اضاءة

وصفه جدّه الرسول بأنّه ریحانته، فعجز بعده الواصفون عن وصفه. ثمّ قال فيه بأنّه سيّد شباب أهل الجنّة فلم يعد بإمكان أحد أن يضيف شيئاً إلى شخصيّة الحسن عليه السلام ومكانته.

وبعد هذا هو ابن فاطمة بضعة محمّد عليه السلام وأمّ أبيها.

وبعد ذاك هو ابن علي وليد الكعبة ووصي رسول الله صلى الله عليه وآله ووارثه ونفسه، الذي لم تنشق الأرض عن نبتة أطهر منه ولن تنشق عن مثله أبداً.

أحبّ الإمام الحسن كلّ من أحبّ الرسول صلى الله عليه وآله وعاداه كلّ من عاداه. فهو لذلك عاش محنة الحق وهو يصارع الباطل منذ ولادته وحتى مأساته وشهادته.

حيث كانت حياته حافلة بالحركة والمواقف لمواجهة تيار الفتن التي عصفت بالأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فثبت أناس وسقط آخرون.

وليس هناك موقف وسط بين الثبات والسقوط... بين الحق والباطل.

كتب عن الإمام الحسن منذ القدم جمعٌ غفير من الكتاب والمؤرّخين، فأنصفه من يعرف قدره وحقّه، وتجنّى عليه من أعماه الجهل والتعصّب، وكأنّ الظلاميّة ملازمة له حتى بعد شهادته.



ثمّ أنشده الشعراء أنشودة في دواوينهم فكان أجمل قصيدة عصماء في ملف الشعر والأدب.

لعلّي لم أوفق في هذه الملحمة لتفصيل في نظم حياة الإمام الحسن عليه السلام لأنّ طبيعة دوره التاريخي تحتاج إلى تحليل أكثر منه إلى السيرة والسرد الشعري المجرد، إضافة إلى أنّ حياته كانت متداخلة مع حياة أبيه أمير المؤمنين، ومع حياة وثورة أخيه الإمام الحسين عليه السلام الشهيد. ولا يتأتى للشعر مهما أوتي من إبداع وألوان أن يخوض ميدان التحليل السياسي ومعتك التحقيق التاريخي.

فعوّضت ذلك في الهوامش حيث أوضحت الجوانب التاريخية والسياسية والإجتماعية في حياته عليه السلام ممّا لم يتيسّر عرضه في الشعر.

فجاءت هذه الحلقة من ملحمة قوافل النور كما هي بين يدي القارئ الكريم.

ومنه تعالى أستمدّ العون والتوفيق وهو حسبي.



المولد المبارك

يَبْتَ يَضُمُّ فَاطِمًا وَحَيْدَرًا صَارَ بِحُبِّ أَحْمَدٍ مُسَوَّرًا^(١)
يَنْتَظِرُ الْجَمِيعُ فِيهِ شَيْبَلًا قَدْ طَابَ فَرَعًا طَاهِرًا وَأَصْلًا
ذَاكَ هُوَ السَّبْطُ الزَّكِيُّ الْحَسَنُ رِيحَانَةُ النَّبِيِّ وَالْمَوْثَمُنُ

(١) كان بيت علي وفاطمة عليهما السلام النموذج الأمثل للأسرة المسلمة، حيث ضمَّ بطل الإسلام الخالد، وابن عمّ الرسول ﷺ وربيبه، ووصيه، ووارثه الذي قال فيه: «أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي» كما ضمَّ بضعته الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام أحبَّ الناس إليه والتي قال فيها الكثير من الأحاديث، ومنها: «فاطمة بضعة منِّي، من آذاها فقد آذاني، ومن أحبها فقد أحبني» وهي سيِّدة نساء العالمين.

وقد بُني هذا البيت المبارك بنفحة سماوية، وإشارة من الوحي، وذلك عندما كان رسول الله ﷺ يرفضُ خطبة كبار الصحابة للزهراء عليها السلام بقوله ﷺ: «لم ينزل القضاء بعد» ويعني ذلك أن زواج فاطمة له خصوصيته فهو لا يتم إلا بإرادة ربّانية.

وحينما تقدّم لخطبتها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام استبشر ﷺ بذلك وسرعان ما تمّ الزواج المبارك بمهر متواضع أصبح سنةً للزواج في حياة المسلمين وليجتمع هذا البيت على الحب، والمودة، والطهر، والصفاء، والرعاية الحانية من قبل رسول الله ﷺ.

ومن أجل أن تتشكّل الأسرة المسلمة كان لا بدّ لهذه الشجرة الطيبة أن تفتح أغراسها وتعطي ثمارها وبذلك تجتمع عناصر البيت الإسلامي الأمثل، فكان ﷺ ينتظر الولادة المرتقبة التي ستكون بإذن الله بداية انطلاق ذريته الطاهرة، وكذلك الجميع ينتظرون.

فقد جاء في الحديث الشريف: أن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه، وجعل ذريتي في صلب هذا وأشار إلى الإمام علي عليه السلام. راجع ذخائر العقبى للطبري/ ٦٧.

ويشير هذا الحديث إلى أن ذرية النبي ﷺ تنحصر في أولاد علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام فالأئمة من ذريتهما هم بالنص من أبنائهما، وهم الذين يمثلون الإمتداد الطبيعي للنبوّة ويرسمون خطّ الإمامة في حياة الأجيال.



في النصف من شهر الصَّيَامِ وُلِدَا
 في ثالثِ السَّنِينَ بعدَ الهِجْرَةِ
 جاءتْ بهِ «أَسْمَاءُ» للرَّسُولِ
 قالَ النَّبِيُّ : إِنَّ هَذَا وَلَدِي
 قَبْلَهُ فِي الثَّغْرِ وَالْعِيُونِ
 مُؤَدِّنَا فِي سَمْعِهِ مُقِيمَا
 وَمُطْعِمِ الْأَهْلِينَ مِنْ عَقِيقَتِهِ
 أَلْبَسَهُ الْأَخْضَرَ مِنْ ثِيَابِهِ
 أَحَبَّهُ النَّبِيُّ حُبًّا جَمًّا
 وقالَ مَنْ أَبْغَضَهُ أَبْغَضَنِي
 فَمَلَأَ الْأَعْلَى يُهْنِي «أَحْمَدًا» (١)
 إِذْ غَمَرَتْ بَيْتَ الْهُدَى الْمَسْرَةَ
 تَحْمِلُهُ مِنْ فَاطِمِ الْبَتُولِ
 وَرَثَتُهُ مِنْ هَيْبَتِي وَسُؤْدَدِي
 وَضَمَّهُ لَصَدْرِهِ الْخَنُونَ
 وَحَالِقًا لَشَعْرِهِ تَعْظِيمَا
 وَلِيْمَةً أُثْبِتَهَا فِي سُنَّتِهِ
 مُكْرَمًا مَنْ سَأَلُوا بِبَابِهِ
 فَأَنَّهُ الْخَيْرُ أَبَا وَأُمَّا
 وَمَنْ أَحَبَّهُ فَقَدْ أَحْبَبَنِي

(١) ولد الإمام الحسن المجتبي عليه السلام في الخامس عشر من شهر رمضان المبارك في السنة الثالثة للهجرة، وزفَّ الخبرُ إلى الرسول ﷺ فابتهج بالسرور وملأت قلبه الفرحة والمسرة، فسارع إلى بيت الزهراء عليها السلام ليرى الوليد الأول، والغرس الطاهر لشجرة النبوة، وفي الرواية أنَّ «أسماء بنت عميس» جاءت تحمل الحسن إلى النبي ﷺ فقبله وضمه إلى صدره وأذن في أذنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى، ثم قال لعلي عليه السلام: أي شيء أسميت ابني؟ قال: ما كنت لأسبقك بذلك. فقال ﷺ: ولا أنا سابق ربِّي.

وفيما هما في هذا الحوار الروحي العابق بشذى الطهر، نزل الوحيُّ على رسول الله ﷺ يبلغه بأنَّ الله سبحانه وتعالى قد سمَّاه حسناً. راجع ذخائر العقبى للطبري / ١٢٠.

وفي اليوم السابع لميلاد الإمام الحسن عليه السلام أجرى الرسول ﷺ أوَّلَ مراسيم المولود في الإسلام فقد أذن في أذنه اليمنى وقرأ الإقامة في أذنه اليسرى كما ذكرنا سابقاً ليكون الأذان بما ينطوي عليه من مضامين عقائدية، وروحية أوَّل ما يطرق سمعه، ويمس شغاف قلبه، وفي الخبر: أنَّ ذلك عصمة للمولود من الشيطان الرجيم.

وقد حلق شعر رأسه وتصدَّق بزنته من الفضَّة على الفقراء وذبح شاة في هذه المناسبة وهو ما يسمَّى بالعقيقة في الشريعة الإسلامية، وأصبحت هذه المراسيم سنة مستحبة مؤكدة في حياة المسلمين إلى اليوم.



وقد روى عن النبي «أسلم» قال: رأيت الحسنين مرة وفوق عاتق الرسول ركبا فابتسم الرسول ثم همهما وفي الصحيحين من الانبياء ان النبي كان يوماً يخطب الحسان نحوه ويعثرا واحتضن الطفلين في حنان وقال صدقاً جاءت الآيات بما إنما أموالكم والولد منزلة للسبط ما أعظمها وقال: هذا ولدي ریحانة ترقصه الزهراء وهو طفل تقول والقلب ينادي فرحاً «أشبه أباك يا صغيري يا حسن واعبد إلها الكريم ذا المنن وجاء عن أبي سعيد الخدري مقالة الرسول في سبطيه يقول والقول صريح السنه وفي حديث بيت «أم سلمه» في أنه خامس أصحاب العبا وفي حديث «زيد بن أرقم» وهو فتى يصدق فيما يحكم قد ملأ من ضحك المسرة فقلت نعم الفرس المحببا الفارسان الهاشميان هما في الترمذي الثبت والنسائي في صحبه اذا بدا يقرب فترك النبي ذاك المنبرا منذ أتيا اليه يعثران وسور منهن محكمات فنتكم يا قوم فاستعدوا وقولة في الحق ما أكرمها يشبهني في الصدق والأمانه قد انطوى في جانبيه شبل بطفلها كوردة تفتحها واخلع عن الحق مغاليق الرسن ولا توالي كل رجس إذا إحن» حديث حق ما به من نكر وكان يطري فضل وارثيه هاذان سيذا شباب الجنه جاءت بفضل السبط أي مكرمه وكان عن رجس الهوى مجنبا قول الرسول الطاهر المكرم



بأنني ورثتكم في غيبتني كتاب ربي صادقاً وعترتي
فهاهما والله لن يفترقا حتى يجيئنا حوضي المصدقا
وشباً في حُضنِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى يَسْمَعُ جَبْرِيلَ وَأَسْرَارَ الْخَفَا^(١)
يَسْتَلْهُمُ الْآيَاتِ وَالنُّبُوَّةُ وَالصَّبْرَ وَالْحِكْمَةَ وَالْفُتُوَّةُ
حَتَّى غَدَا فِي مَضْرَبِ الْأَمْثَالِ وَقُدُوءَ التَّارِيخِ وَالْأَجْيَالِ^(٢)

* * *

(١) وردت عن رسول الله ﷺ الكثير من الأحاديث التي يذكر فيها فضل الإمام الحسن وأخيه الحسين عليهما ومكانتهما في الإسلام منها: «هاذان ريحانتي من الدنيا من أحبني فليحبهما»، وروى أنس بن مالك قال: «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ أَهْلِ بَيْتِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ». وقال في حديث آخر: «الحسن ريحانتي من الدنيا». وقال أيضاً: «مَنْ آذَى هَذَا فَقَدْ آذَى وَمَنْ آذَى آذَى اللَّهِ». وأشار إلى الحسن عليهما.

(٢) درج الحسن عليهما في بيت الوحي والنبوة فشبه في أجواء الرسالة، ينهل من معينها الصافي، ويحظى برعاية جدّه المصطفى، فغدا زين الشباب، فتوة، وشجاعة، ومروءة، وجوداً، وكرماً، وزاد من هيئته أنه كان أشبه الناس برسول الله ﷺ خلقاً وخلقاً. فعُرف بالصبر والحلم وسماحة النفس وغير ذلك من مكارم الأخلاق التي تميز بها أهل البيت عما سواهم فكانوا المثل الأعلى لأخلاق القرآن، حتى وصفهم المؤرخون وعلماء الإسلام، أنهم قرآن يمشي على الأرض.



دوره التاريخي

ومرّت الأحداثُ بعدُ تُثري
وفاةُ جدّه وفقدُ أمّه
حتّى إذا بُويع بالخِلافه
وكان كالظلم لهُ متبعا

فأدرعَ الحزمَ بها والصبرا
لم تُثن من قوّته وعزمه
والدهُ شاركة أهدافه
«سبطان» يمشيان خلفه معا^(١)

(١) إنّ أوّل تجربة قاسية واجهها الإمام الحسن عليه السلام هي يوم وفاة جدّه عليه السلام فقد شاهد الصحابة يتركون جثمانه الطاهر مسجى وهم يتسابقون على السلطة في «سقيفة بني ساعدة» حيث قرروا بمنطق العصبية القبلية أن يغتصبوا حق أبيه في الخلافة، تاركين وراء ظهورهم أمر السماء والأحاديث الكثيرة التي تؤكد حقّه، ووصيّته، وخلافته للنبوّة في قيادة الأمة ورعايتها، وشاهد أمّه البتول، وهي تُمنع إرثها في الرسول ونحلتها «فدك» من قبل جماعة الخلافة ويتحسّس آلامها، وهي تشكو الغربة والظلام الذي لفّ الدُّنيا بعد محمد عليه السلام وهي تردد هذه الابيات من الشعر:

صُبت عليّ مصائب لو أنّها
فلاجعلن الحزن بعدك مؤنسي

صُبت على الأيام صرناً لياليا
ولاجعلن الدمع فيك وشاحيا

وتحرق قلبه الفتي آهاتها الحزينة على ضياع حق ابن عمّها أبي الحسن عليه السلام ويسمع خطبتها التاريخية في المسجد النبوي في حشد من المسلمين لتسجل احتجاجها الغاضب على سكوت معظم أهل المدينة على الحقّ المضيع، وقد وصف شاعر أهل البيت الكميّ بن زيد الأسدي يوم الغدير وهو اليوم التاريخي الذي ضاع فيه حق علي عليه السلام ومدرسة الإمامة حتّى يومنا هذا:

ويوم الدوح دوح غدیر خم
ولكنّ الرّجال تقاسموها

أبان له الولاية لو أطيعا
فلم أر مثلها خطراً منيعا

ولم أر مثل ذلك اليوم يوماً
ولم أر مثله حقّاً أضيّعا



في معركة الجمل

هناك لما نكث البغاة
سار الإمام قائداً للجحفل
المجتبى سار لأهل الكوفة
تدافعت وراءه الآلاف
وأدرك الإمام في «ذي قار»
حيث التقت جموعهم في «البصرة»
«أبو محمد» يخوض الحرباً
وخرج الجهال والعُتاة
والحَسَنان في الرَّعِيلِ الأوَّلِ
مرتجلاً لخطبة معروفه
وبقي الشُّكَّاءُ والضعافُ
بجحفل مُكبَّر للباري
بزُمرَةِ البَغِيِّ وأهلِ الغُدْرَةِ
ويُحسِنُ الطَّعْنَ بها والضَّرْباً^(١)

(١) عاش الإمام الحسن عليه السلام محنة أبيه في فترة خلافته، حيث خرج عليه الناكثون في البصرة والقاسطون في الشام والمارقون في النهروان، فدارت الحروب المتتالية في أكبر فتنة شهدها صدر الإسلام، وكان الإمام الحسن عليه السلام يمثل دور القائد الميداني لأبيه، وموفده للمفاوضات وتعبئة الجماهير، وكان المقاتل الشجاع إذا استعرت الحرب ودارت رحاها. حينما تمرد طلحة والزبير ونكثا ببيعة أمير المؤمنين عليه السلام عام ٣٦ هـ واتخذوا من أم المؤمنين عائشة واجهة لهذا التمرد فحشدا جموع الناس في البصرة لإعلان العصيان السياسي والعسكري، وتحركوا جميعاً ضد حكومة علي بن أبي طالب عليه السلام الشرعية. فما كان من الإمام إلا أن ينفذ حكم الله في البغاة الناكثين فتوجه إليهم بجيش كبير من المؤمنين يضم المهاجرين والأنصار وكان الحسنان في طليعة هذا الجيش ومعهم كبار الصحابة.



⇒ وخلال إعداد هذا الجيش وتحركه بعث الإمام علي عليه السلام ولده الإمام الحسن عليه السلام إلى الكوفة لتعبئة الناس والمشاركة في حرب الجمل فكان له الدور الأكبر في التعبئة الجماهيرية العامة رغم وجود بعض الشخصيات الضعيفة والمنافقة التي كانت تشكك بالموقف وتثبط الهمم وتمنع الناس من التوجه لأداء دورهم الرّسالي في طاعة الإمام المعصوم في جهاد عدوّه. وبعد أن نجح الإمام الحسن عليه السلام في مهمته وقاد القوّات المجاهدة إلتحق بالإمام علي عليه السلام والتقاءه في منطقة ذي قار ليتشكّل الجيش الإسلامي الذي خاض معركة الجمل وحسمها لصالح جبهة الحق، وكان الإمام الحسن عليه السلام «أبو محمّد» له دور بارز في ساحة المعركة ومعه بنو أبيه وشبان بني هاشم. ومن الجدير ذكره أنّ الإمام علياً عليه السلام بعد إنتصاره الساحق تعامل مع القتلى، والجرحى والأسرى وغنائم الحرب وفق تعاليم الشريعة الإسلامية ولم يدع للعصبية والإنفعالات الشخصية أن تتحكّم في قراراته ومواقفه.



في معركة صفين

وَحِينَ شَبَّتْ بَعْدَهَا «صَفِينُ» لَاهِبَةً وَحِقْدُهَا دَفِينُ
كَانَ بِهَا السَّبْطُ عَلَى الْمَقْدَمَةِ وَالخَيْلُ بِالخَيْلِ غَدَتْ مَلْتَحِمَةً^(١)

(١) بعد معركة الجمل أعلن معاوية بن أبي سفيان تمرده على الإمام علي عليه السلام محاولاً عزل بلاد الشام عن الحكومة المركزية للدولة الإسلامية، وقد حاول الإمام علي عليه السلام معالجة القضية وامتصاص الأزمة عن طريق الرسائل والمفاوضات بين الكوفة والشام. إلا أن معاوية كان مصراً على موقفه لأنه لا يريد أن يخضع للشرعية ولا يستجيب للحق، يشجعه في ذلك مستشاره السياسي المخادع «عمرو ابن العاص» الذي يكنّ حقداً دفيناً لعلي بن أبي طالب عليه السلام منذ بدء رسالة الإسلام وحركة الدعوة الإسلامية. وتمادى معاوية في غيّه، فكان يشنّ حرباً خاطفة على شكل غارات على أطراف العراق والجزيرة فيقتل الأبرياء، ويسلب أموال المسلمين ويروّع الآمنين، وينشر الذعر في أرجاء الدولة الإسلامية.

وفي حملة أحد قواد جيوشه «بسر بن أرطاة» ذلك الرجل الوحشي الذي قاد جيشاً لمعاوية فقتل كل من يعترض طريقه وأحرق القرى والبيوت حتى توغل في بلاد اليمن فاستباحها فانهزم أمامه عامل اليمن «عبيدالله بن العباس» فقتل ولديه الصغيرين من بعده فجنت أمهما وظلت تردّد هذه الأبيات التي حفظها التاريخ في صفحاته:

ها من أحس بابني اللذين هما كالدرّتين تشظي عنهما الصدف
ها من أحس بابني اللذين هما مخي وعقلي فعقلي اليوم مختطف
نُبئتُ بسراً وما صدقت ما زعموا من إفكهم ومن الذنب الذي اقترفوا
أحنى على ودج ابني مرهفة مشحوذة وكذاك الذنب يُقترفُ

إزاء هذه التطوّرات الخطيرة لم يكن أمام الإمام علي عليه السلام سوى خيار الحرب ليضع حداً



قال عليُّ : «أملكوه عني
فإنه الوارثُ بعدي فيكمو
وانتهتِ الحربُ إلى التحكيمِ
يوقّعُ العهدَ بقلبِ دامِ
فعادَ والجمعُ غداً مُنتهكا
حتى إذا ما وصلوا للنهرِ
كي لا يضيعَ نسلُ طه مِنِّي»
في فِتنةِ مروعةٍ تَأْتِيكمو
والمجتبى في موقِفِ أليمِ
وهو يرى إنكسارَ الإمامِ
وبعضهم عادَ به مُشككا
وزُمرَةٌ قد فُتنتُ بالشَّرِّ^(١)

⇒ لزمنة أهل الشام المتمرده، دارت الحرب بين الطرفين على الحدود العراقية السورية في سلسلة من المعارك الدامية وهي التي تسمى في التاريخ بحرب «صفين» وكان للإمام الحسن ومعه أخوه الحسين عليه السلام وقفاتهما البطولية في خوض الغمرات ومواجهة فرسان الأعداء.

(١) امتدّت الحرب لعدّة شهور سقط فيها الكثير من الطرفين، فتجلّت معادن الرجال وشجاعة الشجعان وكان للحسن والحسين عليهما السلام حضورهما القوي في مقدمة الصفوف، وكانا يلقيان بأنفسهما في لهواتها غير هيابين، ولا وجلين من الموت حتى طلب الإمام علي عليه السلام من أصحابه أن يمنعاهما من التوغل أكثر في صفوف الأعداء فقال قولته المشهورة: «أملكوا عني هذين الغلامين، لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه وآله». وقد وصف الشريف الرضي في نهج البلاغة كلمة الإمام هذه بأنها من أبلغ البيان وأجمله.

أوشك جيش الإمام علي عليه السلام أن يحسم المعركة لصالحه بقيادة البطل حامل اللواء «مالك الأشر» حيث وصل بجنده إلى مقر قيادة معاوية حتى أراد معاوية الهروب من وسط المعركة، إلا أنّ خدعة حاك خيوطها «عمرو بن العاص» المعروف بالحيلة والدهاء أشار عليه برفع المصاحف على الرماح كرمز لإعلان الهدنة، وقبول الصلح، وحقن الدماء، وكانت لعبة تاريخية وفتنة كبرى شقت جيش الإمام علي عليه السلام وأثارت البلبلة والجدل في صفوفه، حيث هدده المخدوعون وضعاف النفوس بالقتل ما لم يصدر أوامره بإرجاع كتيبة الأشر التي كادت أن تأتي برأس الفتنة معاوية، فاستجاب الإمام علي عليه السلام للسيوف التي شهرت بوجهه والضغط التي أدّت إلى إنقسام الجيش وإفتتان الناس، فتوقفت الحرب واتفق الطرفان على التحكيم فاختر معاوية عمرو بن العاص، واختار الإمام علي عليه السلام



لم يَصْحَبِ الإمامُ فيها «الحسَناء» لقَوْلِها كانَ بها قد أُعْلِنَ^(١)

* * *

⇒ عبد الله بن العباس ولكن الغوغاء فرضوا عليه أن يختار أبا موسى الأشعري المعروف بضعفه وتخاذله وكان ذلك مشهداً تاريخياً مؤلماً للإمام علي عليه السلام وخلص أصحابه الواعين لأنه يدرك أبعاد اللعبة وما ستواجهه الأمة من تمزق وفتن قادمة.

(١) لم يشارك الإمام الحسن والده الإمام في معركة الخوارج في النهروان، بل سبقه إلى الكوفة يدير شؤونها ويحاول أن يطوق الاتساعات والمؤامرات المتصاعدة فيها.



في الكوفة

وظلَّ في الكوفة بعدَ والدهِ مُنْفِذاً وصيةً منْ قائدهِ^(١)
لكنَّها تمَّوجُ بالتَّأمرِ منْ خارجيٍّ جاهلٍ وكافرٍ
إذْ دُبِّرَتْ مكيَّةً لثيمه في ليلةٍ كريمةٍ عظيمةٍ
ففقَدَ النَّاسُ إمامَ العدلِ مُصدِّقاً في قولهِ والفِعْلِ^(٢)

(١) بعد قرار التحكيم رجع الإمام علي عليه السلام بجيشه المثقل بالجراح والجدل والبلبله فيبرز دور المشككين الذين شككوا كتلة مثيرة داخل الصفوف والتي سُميت بالخوارج حيث انفصلوا عن جيش الإمام علي عليه السلام وجمعوا قواهم في تشكيل قتالي جديد، وحاول الإمام علي عليه السلام من خلال الحوار الهادئ أن يعيدهم إلى طريق الصواب خصوصاً وإنهم بدأوا يحملون أفكاراً منحرفة عن الإسلام مثل رفعهم شعار «إِنَّ الْحَكَمَ إِلَّا لِلَّهِ» والتي قال عنها الإمام علي عليه السلام: «كلمة حق يُراد بها باطل» وإباحتهم قتل كل مَنْ لا يوافقهم على أفكارهم في تكفير المسلمين.

واستعدوا لمنازلة الإمام علي في حرب حاسمة بعد أن استنفد الإمام علي عليه السلام كل وسائل الإقناع معهم ومنعهم من إحداث الفوضى وسفك دماء المسلمين، نازلهم القتال في معركة عنيفة سُميت بالنهروان، فقضى عليهم ما خلا عدداً قليلاً فرّوا من المعركة.

ويذكر المؤرخون أنّ الإمام الحسن عليه السلام لم يشارك أباه في هذه المعركة لوصية من الإمام بأن يسبقه إلى الكوفة خوفاً من بروز فتنة هناك حيث كانت عاصمة الدولة الإسلامية، مما استدعي أن تتواجد شخصية قيادية بمستوى الإمام الحسن عليه السلام تستطيع أن تواجه الفتن والمؤامرات التي يغذيها معاوية.

(٢) بعد القضاء على جيش الخوارج في النهروان عاد الإمام علي عليه السلام إلى الكوفة ليمارس



وقد رثاه نجله الامام في خطبة وصحبه قيام
 اطرى بها سابقة الجهاد لدى «علي» الفخر والرشاد
 مذكراً بفضله وفعله وسابقاته وحق أهله
 حتى بكى الناس وسالت أدمع وعرفوا من فقدوا وضيعوا^(١)

* * *

⇒ دوره في بناء الدولة والمجتمع الإسلامي، فأتخذ من المسجد الأعظم مقراً لحكمه الذي تميز بالعدل والمساواة بين الناس والإحسان إلى الفقراء والمساكين، وإعادة الأمة إلى نهجها الأصيل ومنابعها الرسالية الأولى وتذكيرها بسيرة رسول الله ﷺ.

لكن الخوارج ومن يشاركهم العداة للإمام ونهجه الحق، تأمروا على ارتكاب أبشع جريمة في تاريخ الإسلام، وهي إغتيال الإمام علي عليه السلام في ليلة القدر في محراب صلواته في مسجد الكوفة، حيث كانت الجريمة على يد الخارجي اللعين «عبدالرحمان بن ملجم» في رواية معروفة في كتب التاريخ، وعندما وقع السيف على رأسه الشريف قال قوله الخالدة التي لم يقلها أحد قبله ولا بعده: «فزت ورب الكعبة».

(١) بعد شهادة الإمام علي عليه السلام بايع المسلمون ولده الإمام الحسن عليه السلام في ظروف صعبة وحزن عميق لف الكوفة وخيم على نفوس أهلها بالأسى، وقد وقف الإمام الحسن عليه السلام خطيباً في الناس فألقى خطبته الشهيرة التي أبّن فيها والده الفقيه العظيم بقوله: «لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون، ولا يدركه الآخرون، لقد كان يجاهد مع رسول الله ﷺ، فيقيه بنفسه، ولقد كان يوجهه برأيه، فيكتنفه جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا يرجع حتى يفتح الله عليه، ولقد توفي في هذه الليلة التي قبض فيها موسى بن عمران ورفع بها عيسى بن مريم وأنزل القرآن، وما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطائه أراد أن يتناع بها خادماً لأهله». اليعقوبي ١٦٠/٢، ومقاتل الطالبين ١٦/٣.

وكان أول عمل قام به الإمام الحسن عليه السلام هو استكمال نهج أبيه في مقاومة الانحراف ومواجهة تحديات البغاة في الشام، فأراد أن يعيد بناء الجيش وتعبئة المقاتلين فزاد في عطائهم، لكن استجابتهم كانت ضعيفة في حين كان معاوية يجهز جيشاً قوياً استعداداً للزحف نحو العراق.



خلافة الإمام الحسن عليه السلام

وبعدّها قدّ بايعوا «للحسن»
فخطب الإمام في الصّباح
مُستنفرًا جيوشه للعُدّة
يُطالبُ الشّامَ بأنّ تُبايعا
وقدّ جرّت بينهما رسائلُ
سارَ «عبيدالله» بالجموع
حتى إذا ما وصل «النخيلة»
وذكّر الناسَ بأنّ يواصلوا
وقال: يا ابن عمّ سرّ اليهمو
وسطَ خِضَمٍ هادرٍ بالمِحَنِ
يَدْعُو إلى الجِهَادِ والكِفّاحِ
مُتَّجِهًا لِلشّامِ بعدَ مَدّةٍ
وأنّ تُواليه وأنّ تُتابعَا
والكُلُّ مِنْهُمُ قَصْدُهُ يُقَاتِلُ^(١)
بمَوَكِبِ الرَّهْبَةِ والخِشُوعِ
وعبّأ الإمامَ فيها خَيْلَهُ
وأنّ يُجاهِدوا وأنّ يُقاتِلوا
واستقبل الشّامَ وقِفَ حيثُ همو^(٢)

(١) في أجواء الإستعداد للحرب تبادل الطرفان المراسلات بينهما وقد تميّزت ردود الإمام الحسن عليه السلام في رسائله بالحجة البالغة والدليل القوي والأدب الرفيع مفنداً كل مزاعم معاوية في إدعاءاته. لمزيد من التفاصيل يراجع شرح نهج البلاغة.

(٢) في تلك الظروف الحساسة لجأ معاوية إلى سياسة التفتيت الداخلي لجهة الكوفة، ونشط رجاله وجواسيسه في رصد تحركات الإمام الحسن عليه السلام وبتّ الإشاعات والشكوك وسط المجتمع الكوفي، فسارع الإمام الحسن عليه السلام إلى دفع قوّاته بإتجاه الشام استعداداً لمواجهة الزحف الأموي وقد جعل ابن عمّه «عبيدالله بن عباس» قائداً لجيشه، الذي ذبح جيش معاوية ولديه الصغيرين في اليمن - كما مرّ سابقاً - وأمره بالتوجه إلى منطقة «النخيلة» ليأخذ منها معسكراً لتجميع المقاتلين.



أما أنا فسوف آتي عاجلاً
وحيث سار الجيش نحو الشام
وعاد للكوفة كي يجمعها
فانطلق الإمام بالنفير
مخاطباً إياهم بالطاعة
ولا يردوا قوله وأمره
لأجمع الفارس والمقاتلا
ودعهم بأجمل الكلام
بقية الجيش ويأتيها معا
وحت صحبه على المسير^(١)
ليلزموا الوحدة والجماعة
فإن في ذلك أجلي عبرة

* * *

(١) ظل الإمام الحسن يُعبي الناس للإلتحاق بمعسكره المتقدم في «النخيلة» وكان يؤكد في خطبه وأحاديثه على ضرورة حفظ الوحدة الداخلية، والتمتع بالوعي والحصانة الفكرية والسياسية، والإستجابة لنداء قيادته وطاعتها لأنه كان يدرك حرجة الموقف وخطورة حرب الشائعات التي يجيدها معاوية، وبعد أن جمع ما يمكن تجميعه من المقاتلين سار بهم إلى «النخيلة» ليقود الجيش المتجمع هناك.



محنة عليّ

فظنَّ قومٌ أَنَّهُ يريدُ أنْ
تمردوا وانتهبوا الإماما
وطعنوه طعنةً في رجله
فحمِلَ السَّبْطُ إلى «المدائن»
ونازلاً في بيتِ «سعدِ الثَّقفي»
خلالَ ذاكِ التَّحَمِّ الجيْشانِ
يُصاح الشَّامَ فخالفوا «الحسن»^(١)
وقد عصوا وارتكبوا الآثاما
ولم يُعيروا أذناً لقوله
ما بينَ عاصِ أمره وخائنِ
مُعالجاً لجرحه حتّى شفي^(٢)
في «مسكن» واعتَرَكَ الخصمانِ

* * *

(١) في لعبة ذكية من معاوية أرسل وفداً لمفاوضة الإمام الحسن عليه السلام وطرح مشروع الصلح والهدنة، وقد رفض الإمام عليه السلام مشروعهم في الهدنة وابقاء الأمر كما هو عليه فخرج الوفد من خيمته لينفذ مهمته الحقيقية في إثارة الفتنة والتشكيك، حيث أعلنوا كذباً إن الله قد حقن دماء المسلمين وكانوا يقصدون بذلك إيقاع الفتنة في جيش الإمام الحسن عليه السلام وإضعاف تماسكه العسكري وكان لهذه الإشاعة أثرها السيئ على نفوس المقاتلين.

(٢) من المعروف تاريخياً أن الإمام الحسن عليه السلام تعرض لإعتداء بعض الجهلة والمنافقين في جيشه حيث طعنه أحدهم بمغول «سيف صغير حاد» في فخذه كما نهبوا خيمته وأمتعته مما يشير إلى عمق المحنة التي عاشها الإمام الحسن عليه السلام في ذلك الظرف الحرج، وقد تقدم ذكر هذه الحادثة في أبيات الملحمة سابقاً. أما سعد الثقفى فهو عامل الإمام عليه السلام على المدائن ومن وجوه الشيعة.



خيانة قائد الجيش

وورد الكتابُ من معاوية
مُخادعاً إيَّاهُ بالعطاءِ
أنسَلَ لَيْلاً تاركاً مكانه
فأصبحَ النَّاسُ بأرضِ التيهِ
يَحْتُمُّهمُ على الثَّباتِ والهدى
واشتدَّ بينَ الفئتينِ الضَّربُ
إلى «ابنِ عَبَّاسٍ» بنفسِ خاويَةٍ
بألفِ ألفِ درهمٍ يَبْضَاءِ
وراضياً بالذُّلِّ والمَهَانَةِ^(١)
يؤمُّهمُ «قيسُ بنُ سعدٍ» فيه
مُحَدِّراً في ذاكَ مَنْ تَمَرِّداً
واستعرتْ بالنَّارِ تلكَ الحربُ

* * *

(١) كان معاوية يفاوض عبيدالله بن عباس سراً ويؤمّنه بالأموال والجاه في حالة تخليه عن الإمام الحسن عليه السلام والانضمام لجهة الشام حتى ضعف ابن عباس أمام هذه الوعود والأمانى الكاذبة فترك جهة الإمام عليه السلام ليلاً والتحق بمعاوية وكان لهذه الخيانة أثرها السلبي الكبير على معنويات جيش الكوفة.

كما حاول معاوية نفس الطريقة مع بعض القيادات في جيش الإمام الحسن عليه السلام فاستجاب له ذوو النفوس الضعيفة ولم يستجب له البعض الآخر أمثال قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الذي ضرب أروع الأمثلة في الوعي والثبات والصدق والأمانة، حينما أقسم أن لا يلتقي مع معاوية إلا وبينهما السيف وقد وفى بقسمه.



الهدنة وشروط الصلح

لكنّما الإمام كان يعرفُ
فخاف أن يضع دينُ الله
وهو بحفظ دينه مأمورُ
ففضّل «الصلح» على الهزيمة
مُشترطاً شروطه على مَضْرُ
ومن بُنود الصلح أن يكفّا
وأن تعود شيعة الإمام
وأن يكفّ عن سُبَابِ «حيدر»
وأن يكون العهدُ بعدُ «للحسن»
إضافةً إلى شروط أُخرى

بأن جيشَ الشام سوف يزحفُ
ما بين كافر ومسخ لاه
أوصاه فيه جدّه البشير^(١)
لما به من «حبوة» عظيمة
فجيشه انهار وقلبه انتفض
جيشاهما عن القتال صفا
في مآمن بنعمة الإسلام
وهو الذي في العرش أسمى جوهره
إذا طوى الموت «ابن حرب» ووضعن
قد قيل في التاريخ كنّ عَشْرًا

(١) وقعت صدامات محدودة بين الطرفين، لكن سير المعارك كان يشير إلى تفوق جيش الشام على جيش الكوفة خصوصاً بعد خيانة قائده عبيدالله بن عباس ومعه عدّة آلاف من الجند، وقد بدا واضحاً أنّ استمرار الحرب يعني انتصار الجيش الأموي على جيش العراق. وهذا لو تمّ فإنه يعني أنّ معاوية قد حقق مشروعه في إنتهاك حرمة الإسلام، واستباحة المحرمات من موقع المنتصر المغرور دون أن يردعه أحد أو يقف أمام مشروعه التحريفي الخطير أية قوّة، فلم يكن أمام الإمام الحسن عليه السلام من خيار إلا التفكير بحماية الرّسالة والأمة وحفظ البقية الباقية من المخلصين من شيعة أبيه عن طريق حل سلمي، وهكذا كان الصلح مفروضاً عليه.



وبعد أن أمضيت المصالحةً وابتسمتُ بعد البكاءِ النَّائِحَةِ^(١)

* * *

-
- (١) بعد أن فرض الصلح أو الهدنة كما يعبر عنها الشيخ المفيد «رضي الله عنه» حدد الإمام الحسن عليه السلام شروطه بحكمة ودقة فقد كان همه الأول حفظ القيم والمبادئ والأحكام الشرعية وضمان الأمن للمسلمين من بطش معاوية وغدره وحماية شيعة أبيه من القتل وهم الصفوة الذين واكبوا حركة الرسالة بوعي ودافعوا عن نهج الإمامة بإخلاص. ونورد هنا مختصر وثيقة الصلح كما جاءت في كتب التاريخ، وهي كالتالي:
- تسليم الأمر إلى معاوية على أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسيرة الخلفاء الصالحين.
 - أن يكون الأمر للحسن عليه السلام من بعده فان حدث به حدث فلاخيه الحسين وليس لمعاوية أن يعهد به إلى أحد.
 - أن يترك سب أمير المؤمنين عليه السلام والقنوت عليه بالصلاة وأن لا يذكر علياً إلا بخير.
 - إستثناء ما في بيت مال الكوفة وهو خمسة آلاف ألف فلا يشمل تسليم الأمر.
 - على أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله.. وعلى أمان أصحاب علي عليه السلام حيث كانوا وأن لا ينال أحداً من شيعة علي بمكروه.
- هذه بإختصار شروط الصلح التي فصلها بعض المؤرخين إلى عشرة بنود كما جاء في أصل أبيات الملحمة. راجع صلح الحسن للشيخ راضي آل ياسين.



تداعيات الصلح

عادَ الإمامُ مُتعباً للكوفةَ
 وحولَهُ شيعتهُ مُعدِّبَةً
 لأموهُ جهلاً منهمو بالأمرِ
 مُذكِّراً إياهمو بالعهدِ
 لكنَّهمُ قد سَمِعوا «معاوية»
 يقولُ : ما شرطتهُ مِن ذممِ
 وتلكَ كانتَ قولةَ التَّحدِّي
 وبأنتِ الكوفةُ بالمخاوفِ
 ومُغمِداً في حزنه سُيوفه
 مِن بعدِ أنْ كانتَ تظنُّ الغلبه
 وهو يُداوي لومهم بالصبرِ
 وإنَّه فيهم إمامُ الرُّشدِ^(١)
 مُفتخِراً فيهم بكلِّ طاغِيه
 أنكرهُ والصلحُ تحتَ قدمي
 علَّمها «ابنُ العاصِ» «لابنِ هندِ»
 مِن ظالمٍ بكلِّ عهدٍ لا يفي^(٢)

(١) بعد توقيع الهدنة عاد الإمام الحسن عليه السلام إلى الكوفة موضحاً لأصحابه المخلصين ظروف وملابسات الصلح، فقد كان فيهم من عاتب الإمام على توقيع الهدنة لشدة إخلاصه وهول الحادثة، فشرح الإمام لهم كامل الظروف والتعقيدات التي أحاطت به، وإن كان البعض لشدة الصدمة خرج عن حدود اللياقة والأدب في مخاطبة الأمام أمثال حجر بن عدي الكندي، وهو من رجالات الشيعة المجاهدين في الكوفة، وقد استشهد فيما بعد على يد معاوية في موقف بطولي صامد وقبره الآن في مرج عذراء على أبواب دمشق.

(٢) ترك الإمام الحسن عليه السلام الكوفة متجهاً إلى المدينة المنورة وقلبه يعتصره الحزن والناس يأكلهم الندم لأنهم خذلوا الإمام فواجهوا الحقيقة القاسية خصوصاً بعد أن دخل الكوفة معاوية مغروراً وخطب فيهم خطبة المتغطرس والتي قال فيها: يا أهل الكوفة ! أتروني



⇒ قاتلتكم على الصلاة، والزكاة، والحج، وقد علمت أنكم تصلون وتزكون وتحجون؟ ولكنني قاتلتكم لأتأمر عليكم وألي رقابكم، وقد آتاني الله ذلك وأنتم كارهون، ألا إن كل دم أصيب في هذه الفتنة مطلول، وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين، ولا يصلح الناس إلا ثلاث: إخراج العطاء عند محله، وإقبال الجنود لوقتها، وغزو العدو في داره، فإن لم تغزوهم غزوكم.

وروى أبو الفرج الإصفهاني أنه ذكر في هذه الخطبة علياً فقال منه ثم نال من الحسن.
قال أبو إسحاق: «وكان والله غداراً» راجع شرح نهج البلاغة ٤/ ١٦.



العودة إلى المدينة

وأزَمَعَ الإمامُ أنْ يَعُودَا لِيُثْرِبَ مُعَدِّباً مَكْمُودَا
وَهُوَ يُدَارِي أُمَّةَ الْمُخْتَارِ وَشَيْعَةَ لِحَيْدِرِ الْكَرَّارِ
بِالْخُلُقِ الْمَحْمُودِ وَالْعَطَاءِ وَسِيرَةٍ مِنْ هِبَةِ السَّمَاءِ
وَهُوَ الَّذِي قَدْ عَرَفُوهُ بِالكَرَمِ مُبْتَسِماً رَغَمَ مَرَارَةِ الْأَلَمِ
تَنَاقَلَتْ خِصَالُهُ الرَّكْبَانَ وَامْتَلَأَتْ بِذِكْرِهِ الْأَوْطَانَ^(١)
فَضَاقَ دُرْعاً «ابنُ حَرْبٍ» فِيهِ وَدَبَّرَ الْأَمْرَ لَكَيْ يُرْدِيهِ

* * *

(١) عاد الإمام الحسن عليه السلام إلى المدينة المنورة لبيداً مرحلة جديدة من العطاء الرسالي، حيث باشر مهماته الفكرية والاجتماعية في توجيه الأمة ورعايتها، وتعريفها بسنة جده رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن اختلطت عليها المفاهيم والاتجاهات نتيجة الجهود الأموية في تحريف الفكر والعقيدة وتزييف الوعي والاصالة ومسح الشخصية الإسلامية.

فاتخذ من المسجد النبوي منطلقاً لنشر مبادئ الدين وتعليم الأحكام الشرعية وترسيخ القيم الأخلاقية في المجتمع الإسلامي. حتى أصبح قطباً فكرياً وروحياً تدور حوله الأمة، وتتناقل فضائل أخلاقه من الكرم، والجود، والسماحة، والعلم، والحلم، والحكمة، مجسداً في ذلك أخلاق جده وشمائل أبيه ومقدماً للمسلمين المثل الأعلى للشخصية الإسلامية كما رسمها القرآن الكريم.



إِغْتِيَالُهُ بِالسَّمِّ

مُخَادِعاً «جُعْدَةً» فِي الْقَضِيَّةِ بَأَنَّ تَكُونَ لِأَيْنِهِ مَحْظِيَّةً
فَدَسَّتِ السَّمَّ لَهُ عَنْ عَمَدِ وَهُوَ الْإِمَامُ الْمُهْتَدِي وَالْمُهْتَدِي
فَظَلَّ فِي آلامِهِ يُعَانِي وَهُوَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مِنْ ثَانٍ^(١)

* * *

(١) رغم إبتعاد الإمام الحسن عليه السلام عن دائرة المعترك السياسي إلا أنّ معاوية لم تفتّر أحقاداه ولم يهدأ باله، طالما بقي الإمام يمارس دوره التاريخي في توعية الأمة ورعايتها، فدبر مكيدة لإغتياله عليه السلام وهي طريقة عرف بها معاوية في تصفية خصومه السياسيين فأغرى إحدى زوجات الإمام وهي «جعدة بنت الأشعث» بأن يزوّجها من ولده يزيد مع عطاء جزيل، فيما لو دسّت السمّ للحسن بن علي عليه السلام فوقعَت هذه المرأة تحت تأثير الإغراء والجهل فارتكبت الجريمة البشعة بحق ریحانة رسول الله وسيد شباب أهل الجنة. وهكذا فُجعت الأمة الإسلامية بفقد إمامها الحسن الذي عانى المحنة وعایش فصولها الرهيبة حتى آخر لحظة من حياته الشريفة.



شهادته عليه السلام

حَتَّى قَضَى مُحْتَسِباً وَصَابِراً
 فَقَالَ : «آلُ هَاشِمٍ» فِي فَقْدِهِ
 لَكِنَّمَا «عَائِشُ» صَاحَتْ رَافِضَةً
 وَرَدَّتِ الْقَوْلَ إِلَى «مَرْوَانَ»
 وَكَادَتْ الْحَرْبُ بِأَنَّ تَقُومَا
 وَقَدْ رَمَوْهُ بِالسَّهَامِ الْغَادِرَةَ
 وَغَضِبَ الْحَسِينُ وَالْعَبَّاسُ
 لَكِنَّمَا الْوَضِيئَةُ الْمَسْلَمَةُ
 فَحُمِلَ النَّعْشُ إِلَى الْبَقِيعِ
 وَظَلَّ بَعْدَهُ بَنُو أَبِيهِ
 وَيَنْدُبُونَ شَخْصَهُ الْأَيَّامَا
 حَيْثُ بَكَى الْحَسِينُ عِنْدَ قَبْرِهِ
 بُعْدًا لِهَذَا الزَّمَنِ الْغَدَّارِ
 إِلَيْكَ مِنَّا يُرْفَعُ السَّلَامُ

وَقَصَدُوا بِنَعَشِهِ الْمَقَابِرَا
 لَا بُدَّ أَنْ يُدْفَنَ عِنْدَ جَدِّهِ
 الْبَيْتُ بَيْتِي وَأَنَا مُعَارِضَةٌ
 «وَأَلْ حَرْبُ وَبَنِي سُفْيَانِ»
 لَمَّا أَصَابُوا نَعَشَهُ الْمَظْلُومَا
 فَانْتَفَضَتْ بَنُو أَبِيهِ ثَائِرَةً
 وَاخْتَلَفَتْ فِيمَا تَرَاهُ النَّاسُ
 «أَنْ لَا يُرَاقَ الدَّمُ قَدْرَ مَحْجَمِهِ»
 مُجَلَّلًا بِالْحَزَنِ وَالِدَمُوعِ
 يَكُونُ «بِضْعَةِ النَّبِيِّ» فِيهِ
 وَيَذْكُرُونَ جَدَّهُ النَّبِيَّامَا
 مُذَكَّرًا بِقُدْسِيهِ وَطُهُرِهِ
 مُعَانِدًا لَصَفْوَةِ الْمُخْتَارِ
 فَأَنْتَ فِينَا الْقُدْوَةُ الْإِمَامُ^(١)

(١) قضى الإمام نحبه بالسّم صابراً محتسباً في جو من الحزن والألم، وحوله بنو أبيه وفتيان بني هاشم يخيم عليهم الأسى وتعتصر قلوبهم المرارة لأنهم يدركون أكثر من غيرهم موقع الحسن عليه السلام ومنزلته في الإسلام ويتحسون حجم الخسارة التي منيت بها أمة محمد.



⇒ وكان ﷺ قد أوصى بأن يدفن عند جدّه المصطفى ﷺ بشرط أن لا يؤدي هذا الأمر إلى نشوب فتنة تراق فيها ولو قطرة دم. فإن حدثت فتنة فإنه يدفن في مقبرة البقيع مع عموم المسلمين.

وقد حدث بالفعل الذي توقعه الإمام فقد رفضت أمّ المؤمنين عائشة أن يدفن الحسن ریحانة الرسول ﷺ إلى جانب جدّه. والتفّ حولها آل مروان وآل أبي سفيان وكادت أن تقع الفتنة عندما غضب بنو هاشم لهذا الموقف الحاقداً. وأخيراً توجهوا بالجثمان الطاهر إلى البقيع ليوسدوا هناك سليل الرسول ﷺ وشبل علي وابن فاطمة. فسلام عليك سيدي يا أبا محمد الحسن الزكيّ يوم ولدت في أحضان النبوة ودرجت في مدارج الوحي والتنزيل ويوم تبعث حياً، والسلام عليك في الأولين والآخرين.



الجزء الخامس

الامام الحسين بن علي
سيد الشهداء عليه السلام





الأهْدَاءُ

إلى الحسين ..

صرخةً ..

ورايةً ..

وجرحاً ..





اضاءة

روي عن رسول الله ﷺ انه قال:

حسين منِّي وأنا من حسين

كثير من الناس يفهم قول الرسول ﷺ هذا على أنه كناية عن عظيم حبه للحسين ﷺ فحسب، لكن الحقيقة أعمق من ذلك بكثير، فهذه المقولة النبوية الشريفة تحتزن في داخلها معنى عقيدياً ورسالياً كبيراً يمتد بامتداد خط الإمامة ودور الأئمة ﷺ في الحياة الإسلامية، وهو إشارة الضوء الكبيرة التي تنير طريق الإنسان لتصنع له فجر الوعي والثورة ضد الانحراف والظلم عبر التاريخ، ففي الفترات التي يخيم فيها الظلام ويمسك الشر بأسباب القوة والتفرعن، ويوشك الانسان ان يضيع في متاهات الجهل والغفلة والضياع، ويسحق تحت وطأة الطغاة، يبرق سيف الحق والتحدي، ويضيء قوس الفكر معالم الطريق مستمداً ارادته وقوة انطلاقة من منبع «حسين منِّي وأنا من حسين».

فهذا القول اذن لم يكن كلمة عاطفية عابرة من كلمات الآباء للأبناء، وليس مدحاً من رسول الله ﷺ لسبطه الشهيد فحسب، انما هو وسام مبدأ، وعلامة إمامة، ورسالة قيادة، ووثيقة مقدسة للناس وللتاريخ، فالنبي الأكرم ﷺ بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وثبت قواعد الدين، وأرسى دعائم التوحيد، فقام الإسلام رسالة شائخة راسخة وسط الصخور والأحجار، ثم جاء الحسين ريجانته، وبعد نصف قرن من الزمن الرديء ليوقف طغيان الزمن، ويفجر في أمة جده وعي الثورة ويبعث روح النهضة والإصلاح، ويشير للأجيال بسيفه الذي لم يسقط أبداً أن يعيدوا بناء الإسلام الذي بدأه النبي الأعظم ﷺ ويصونوا القرآن



الكريم، ويحفظوا السنة المطهرة من عبث العابثين، وتحريف الطغاة والمستبدين، بعد أن يتحرروا من الخوف والتردد ويضعوا عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم .

إن قطرة دم واحدة من دم الحسين الطاهر كانت تكفي لإيقاظ الأمة واستعادة شخصيتها إلاّ إنه ﷺ فجر كل الشرايين بشجاعة، وقدم كل القرايين بسخاء، ليضمن اليقظة الكاملة في حاضر الأمة ومستقبلها ، فمثل الحسين ﷺ لا يبخل بالدم، لأنه نأر الله من الظالمين على مختلف خطوط الصراع والمواجهة معهم.

من هنا يظل الحسين ترنيمة خالدة على شفاه الأحرار تملأ سمع الزمن، كلما وصلنا إلى نهايتها نعود خاشعين إلى مطلعها الرائع ، فهو قصيدة الحزن التي لا تملّ ، وأنشودة الخلود التي لا تموت ، وهل تمل قصيدة في الحسين ؟ وكيف تموت تراويل في كربلاء ؟!

مع الحسين يكون للحزن طعم الحب والجمال، ومع ذكرى استشهاده يولد الرّفص والتحدّي ، وفي يوم عاشوراء تكون الدموع تواشيح ولاء وأهازيج انتصار.

فسلام على الحسين ، مادامت السموات والارض، وسلام عليه ما بقي الليل والنهار.

ورحمة الله وبركاته



أدب المقاتل

تعدّ كتب المقاتل نمطاً خاصاً من أنماط التصنيف التاريخي والأدبي، فهي عرض وثائقي لأحداث تاريخية تغطي وقائع مقتل شخصية تاريخية لامعة ذات اثر في الحياة الاجتماعية تكون بمثابة البطل الذي تدور حوله أحداث القصة ، وقد كانت كتب المقاتل قبل استشهاد الإمام الحسين عليه السلام عام ٦١ هـ مختصرة ومحدودة في عدد من الشخصيات ورجال التاريخ الاسلامي، لكنها كثرت بعد واقعة كربلاء، حيث أصبحت تشكل اتجاهاً جديداً في أدب الكتابة والتأليف حتى أننا أصبحنا نحتاج إلى دراسات نقدية لأدب جديد هو أدب المقاتل في التراث العربي والإسلامي، وقد بلغت مقاتل الحسين عليه السلام كما يذكر المؤرخون ومنهم صاحب الذريعة العشرات لعل أولها كان مقتل لوط ابن يحيى الأزدي الكوفي «أبي مخنف» المتوفى عام ١٥٧ هـ والذي أفاد منه الطبري والشيخ المفيد وغيرهما من المؤرخين .

والملاحظ أن كتب المقاتل غير مقتل الحسين عليه السلام أمثال مقتل عمر بن الخطاب ومقتل عثمان ومقتل محمد بن أبي بكر ومقتل حجر ابن عدي وآخرين انتهت في حدود فتراتهما الزمنية ولم تعد إلا جزءاً من التراث، أما مقتل الحسين عليه السلام فإن الكتابة فيه ظلت متجددة لم تتوقف في أية مرحلة زمنية وفي لغات مختلفة، حيث نلاحظ فنون الأدب والإبداع والإضافات والتحقيق المستمر للروايات وتجدد طريقة العرض والتصوير الفني لواقعة الطف الخالدة، كما برزت فيه المواهب المتنوعة في اختيار الشواهد الشعرية، والنصوص الأدبية ذات العلاقة بأحداث الطف وقصة كربلاء، فبقيت تلك المأساة حية مع تطور الحياة وتجدد الزمن .



ويرجع سبب ذلك إلى أن ثورة الامام الحسين صرخة الحق الدائمة ضد الباطل فهي أكبر من حدث تاريخي وأوسع من مقتل شخصيات، إنها حركة خارجة عن مدار التاريخ ومغايرة لطبيعة الأشياء، ولم تستوعبها كتب التراث، وفرق كبير بين أحداث التراث والتاريخ وأحداث الحياة، فأحداث التراث تستغرق في الماضي وتتوقف عنده بلا حراك، أما أحداث الحياة فهي نبض الماضي وتحرك الحاضر باتجاه المستقبل بل هي حركة الانسان المتجددة نحو التحرر والانعقاد.

إن ثورة الحسين عليه السلام صنعت التاريخ وغيرت تشكيل الأشياء ورسمت ملامح الزمن القادم، وكانت لها دلالات عميقة مؤثرة في مسار الأمة الإسلامية منذ وقوعها وحتى اليوم وستستمر إلى ما شاء الله .

ومن خلال مواصليتي في إعداد مشروع «قوافل النور» حرصتُ في هذا الجزء الذي هو الخامس من هذه الملحمة على استيعاب حياة الامام الحسين عليه السلام ودوره التاريخي بدءاً من ميلاده الشريف وانتهاءً بمقتله مع أهل بيته عليهم السلام وأصحابه الكرام، معتمداً على أشهر الروايات في واقعة كربلاء، وتركت ما لم تثبت عندي وثاقته من أحداث ووقائع حرصاً على أن تأتي هذه الملحمة المباركة مطابقة للصحيح المشهور في مقتل الامام أبي عبدالله الحسين عليه السلام وقد ضمنتها الكثير من الرجز المعروف الذي قيل على لسان سيد الشهداء وأهل بيته وأصحابه الأبطال، وهم يتسمون للشهادة، وينشدون أنشودة الخلود وسط أتون المعركة.

وكان هدفي من ذلك تسهيل مهمة خطباء المنبر الحسيني الشريف في تقديم مادة أدبية وتاريخية عند تناولهم مأساة كربلاء للجمهور الإسلامي الذي يتطلع للاقتداء بأولئك الأبطال النادرين.

ولا اعتقادي أن ثورة الحسين هي مادة ثقافية تربوية ضرورية لتشكيل عقلية الجيل الإسلامي الجديد، الذي لم يتوفر على طريقة استيعاب الرواية التاريخية من



مصادرهما فيما تبقى روحه وشخصيته تواقفة إلى سماع الشعر ومناغمة الأناشيد، الأمر الذي يجعل واقعة كربلاء قريبة متفاعلة مع وجدانه وأحاسيسه.

كما حرصت أن تأتي هذه الملحمة شاملة وتفصيلية لكل وقائع الثورة وظروفها بما في ذلك أسماء الرجال والأمكنة، استناداً إلى أشهر المصادر التاريخية القديمة مثل تاريخ الطبري، واليعقوبي، وغيرهما، والحديثة مثل أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين، ونهضة الحسين لأسد حيدر، وحياة الإمام الحسين للشيخ باقر شريف القرشي، ومقتل الحسين للسيد عبدالرزاق المقرم، وأنصار الحسين للشيخ محمد مهدي شمس الدين، وغيرها من الكتب والمصادر المتوفرة في مكتبة مؤسسة دار الإسلام في لندن.

والله يعلم كم كنت أعاني من صعوبة المحافظة على نصوص المقتل وانسجامها مع الوزن والقافية وهو أمر يعرفه من مارس مثل هذه التجربة . ولا أدعي أنني أحطتُ بكامل أحداث الثورة ووقائعها ، لكنني آمل من الأدباء والخطباء الأعزاء ومن جميع المهتمين بالبحث التاريخي بشكل عام وبثورة الحسين عليه السلام على وجه الخصوص أن يوافقوني مشكورين بملاحظاتهم وآرائهم الصائبة ليتسنى لي تداركها في طبعات قادمة إن شاء الله.

هو الحسين قافية الشعر الغضّ الطري، فلا ينقضي عجي من شاعر لا يعرف لحنها ولا يجيد إيقاعها ، وأحسب أن جميع دواوين الشعر تظلُّ بتراء ما لم تضمِّ حرف الحسين ، أما أنا فحسبي من هذه الملحمة أن تكون فصلاً ممزوجاً بالدموع وجزءاً موصولاً بذلك الحرف المقدّس.

والكمال لله وحده وهو حسبي عليه توكلت وإليه أنيب.





المولد المبارك

مِنْ بَعْدِ أَنْ أَضَاءَ بَيْتُ الْمُصْطَفَى
يَنْتَظِرُ النَّبِيَّ شِبْلَ ابْنَتِهِ
مُسْتَبَشِراً بِمَوْلِدِ الْحُسَيْنِ
مُبْتَسِماً بِفَرَحَةِ الْوَلِيدِ
وَحِينَ جَاءَتْ فَاطِمٌ بِطِفْلِهَا
قَبْلَهُ النَّبِيُّ فِي عَيْنِيهِ
وَقَالَ: هَذَا وَلَدِي مِنْ فَاطِمَةَ
وَرَأَى يَرَعَاهُ بِكُلِّ حَبِّهِ
بِالْحَسَنِ الزَّكِيِّ حِينَ أَشْرَفَا
فِي عَامِهِ الرَّابِعِ مِنْ هِجْرَتِهِ (١)
مُبْتَسِماً وَدَامِعَ الْعَيْنَيْنِ
وَبَاكِئاً لُغْرِبَةَ الشَّهِيدِ (٢)
إِلَى أَبِيهَا وَالْوَصِيَّ بَعْلِهَا
وَرَتَّلَ الْأَذَانَ فِي أُذُنَيْهِ (٣)
تَقْتُلُهُ الْأُمَّةُ بَعْدِي ظَالِمَةٌ (٤)
كَأَنَّمَا يَسْكُنُ وَسْطَ قَلْبِهِ

(١) بعد أقل من عام من ولادة الإمام الحسن الزكي وفي اليوم الثالث من شهر شعبان على أشهر الروايات من السنة الرابعة للهجرة النبوية ولد الإمام الحسين عليه السلام في بيت علي وفاطمة في المدينة المنورة.

(٢) غمرت الفرحة بيت النبوة بمولد الحسين عليه السلام واستبشر رسول الله بخبر ولادته، ولكن الغريب في الأمر أن الفرحة توشحت بالحزن فاعتصر قلب الرسول ﷺ بالألم وامتزجت البسمات بالدموع.

(٣) أخذ رسول الله ﷺ ولده الحسين عليه السلام فضمه إلى صدره وقبله بين عينيه وأذن في أذنه اليمنى وأقام في الأذن اليسرى. على نحو ما فعل مع أخيه الحسن عليه السلام يوم ولادته.

(٤) في اليوم السابع من ولادته وبعد إجراء مراسيم المولود من الحلق، والعقيقة، والصدقة، طلبه رسول الله ﷺ فأقبلت به أسماء بنت عميس فأخذه الرسول ﷺ وبكى، فسألته أسماء عن سبب بكائه فقال ﷺ: أبكي على ابني هذا تقتله فئة باغية من بني أمية لعنهم الله لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة.. يقتله رجل يثلم الدين ويكفر بالله العظيم.



يُرْضَعُهُ إِبْهَامَهُ الشَّرِيفَا يُلْبَسُهُ فَخَارَهُ الْمُنِيفَا
رَأَى بِهِ مَسِيرَةَ الْإِمَامَةِ قَبْلَهُ فِي عُنُقِهِ عَلَامَةٌ^(١)

* * *

(١) إِنَّ الْأئِمَّةَ إِثْنَا عَشَرَ إِمَاماً كَعَدَدِ نَقَبَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ مَتَوَاتِرَةٍ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَوْلَاهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ؑ ثُمَّ الْحَسَنُ ؑ ثُمَّ الْحُسَيْنُ ؑ ثُمَّ تِسْعَةٌ مِنْ ذُرِّيَةِ الْحُسَيْنِ ؑ، فَقَدْ انْحَصَرَتِ الْإِمَامَةُ فِي وَلَدِهِ ؑ.



شمائلُ الحسين عليه السلام

مَلامحُ النبيِّ فيهِ باديتهِ
قالَ أبوهُ : مَنْ أرادَ أنْ يرى
فلينظرِ الحسينَ في صفاتهِ
طلعتُهُ كالبدرِ حينَ يُشرقُ
هيئتهُ تُعنو لها الجباهُ
لقبتهُ الرسولُ بالشهيدِ
والسبطِ والصبورِ عندَ المحنةِ
يخطُّ فوقَ مهدهِ جبريلُ
يحملةُ دوماً على منكبيهِ
حُسينُ مني قاهها المختارُ
ودرجَ الحسينُ نحوَ السؤددِ
يسمعُ همسَ الذِّكرِ والتنزيلِ

شفاههُ والمقتانِ الحانيه
وجهَ النبيِّ الطاهرِ المطهِّرا
وهديهِ وعلمهِ وذاتهِ
ووجنتاهُ مثلُ أفقِ يبرقُ
ولم تكنْ عندَ فتىٍ سِواهُ
والطيبِ المباركِ الرشيدِ
وسيدِ الشبابِ عندَ الجنةِ^(١)
يكي على بُكائه الرسولُ
يقولُ: أنَّ حبهُ من حبهِ
وإنني منهُ وذا فخرارُ^(٢)
من فاطمِ يَعدو إلى محمَّدِ
والآيِ من ربِّ السما الجليلِ

(١) كان الإمام الحسين أشبه الناس بجده رسول الله خلقاً، وخلقاً، وهيبة، وقد لقبه النبي - كما جاء في كتب التاريخ - بعدة ألقاب منها: الشهيد، والطيب، والمبارك، والرشيد، والسبط، والصابر، وسيد شباب أهل الجنة.

(٢) لقد تواترت الأحاديث الكثيرة عن رسول الله ﷺ بأن الحسين كان يحظى برعاية خاصة منه، وكان يُذكر بمنزلته وفضله وحبه له في كل مناسبة، يُعرف المسلمون بقيمته وموقعه في حركة الرسالة، لأنه يريد أن يمهد أذهان الأمة إلى دور الحسين القادم في إحياء الدين ومواجهة الظلم والانحراف.

فكان يحملة مع أخيه الحسن على منكبيه ويقول: «اللهم إني أحبهما فأحب من يحبهما» ويقول كذلك: «حسين مني وأنا من حسين». وهذه إشارة بالغة بوحدة الدور والاتجاه في تبليغ الرسالة وحماية نهجها.



يَجْسُدُ الْقُرْآنَ فِي خِصَالِهِ
حَتَّى إِذَا مَا رَحَلَ النَّبِيُّ
صَبَّتْ عَلَيْهِ جَامَهَا الْمَصَائِبُ
لَكِنَّهُ وَاجَهَهَا بِالصَّبْرِ
وَتَحْتَ رَايَةِ الْوَصِيِّ سَارَا
يَقْتَحِمُ الصَّفَّ غَدَاةَ «الْجَمَلِ»
عُدْ كِي يَظِلَّ النَّسَبُ الْمُطَهَّرُ
وَعَايِشَ الْمَخْنَةَ وَالْمَصَاعِبَا
مُتَّبِعاً وَصِيَّةَ الْإِمَامِ
وَحِينَ تَمَّ الصَّلْحُ كَانَ صَابِرَا
حَتَّى قَضَى السَّبْطُ الزَّكِيُّ سُمَا
فَهُوَ شَبِيهُ أَحْمَدٍ مِنْ آلِهِ
وَفَاطِمٌ وَاهْتَضَمَ الْوَصِيُّ
وَاسْتَفْرَدَتْ بِرُوحِهِ النَّوَائِبُ
وَجِرَاءَةُ الْفَتَى الشَّجَاعِ الْحَرِّ^(١)
لِلْحَرْبِ يُطْفِئُ بِاللَّهَبِ نَارَا
وَيَوْمَ «صَفَيْنَ» يُنَادِيهِ «عَلِي»
كَالنُّورِ يَهْتَدِي إِلَيْهِ الْبَشَرُ^(٢)
حَتَّى هَوَى الْوَصِيُّ جُرْحاً غَاضِبَا
مُبَايِعاً لِلْحَسَنِ الْهُمَامِ
وَوَضَعَ لِلزَّكِيِّ صَوْتاً نَاصِراً^(٣)
بَاتَ الْحَسِينُ مَكْمِداً مَهْتَمَا

(١) عاش الإمام الحسين عليه السلام غرباً وحزناً بعد وفاة جده المصطفى عليه السلام الذي كان يرباه ويحتضنه بالحب، والحنان، وهمسات الوحي وآيات الذكر والتنزيل، ثم شهد هول الصدمة بانقلاب الناس وتراجعهم عن تطبيق وصية الرسول عليه السلام واغتصاب حق أبيه وهضم ميراث أمه الزهراء عليها السلام ولكنه كان رغم صغر سنه يواجه قساوة المخنة بوعي كبير، وإرادة صلبة، فقد أخذ من جدّه حلمه، وحكمته، ومن أبيه صبره وشجاعته.

(٢) واكب الإمام الحسين عليه السلام سير الأحداث التي جرت على المسلمين بعد وفاة الرسول عليه السلام وعایش فصول هذه المخنة الطويلة، وشارك أباه في حرب الجمل، وصفين، والنهروان، وكان في مقدمة الصفوف، حتى قال الإمام علي عليه السلام لأصحابه وقد اشتدت معركة صفين، وكان الحسنان في الطليعة يخوضان غمارها: «أملكوا عني هاذين الغلامين لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله».

(٣) بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام بايع الإمام الحسين أخاه الحسن بالخلافة، وكان معه في فصول محنته، يشاهد خذلان الناس له فيقف معه ناصراً، وبعد توقيع معاهدة الهدنة بين الإمام الحسن ومعاوية، ظل الحسين لأخيه عضداً يؤازره ويواسيه.



الحسين عليه السلام ومشروع الثورة

وأقبلت شيعته اليه مُلقيةً آمالها لديه
تدعو الى الثورة والجهاد فالشام فيها الغاصب المعادي
لكنه بات حليس الدار يأمرهم فيها بالانتظار
حتى هلاك ابن أبي سفيان وعندها تعلو ظبي الايمان
وراح يرعى الناس في المدينة بالحب والعطاء والسكينة^(١)

* * *

(١) بعد شهادة الإمام الحسن عليه السلام بدسياسة من معاوية، تطلع شيعة العراق إلى الإمام الحسين عليه السلام كي يقودهم في عمل ثوري ضد معاوية، لكنه عليه السلام كان يرى أن الظروف وطبيعة الاتفاق وبنود الصلح الموقع مع معاوية لا تسمح بتحرك من هذا القبيل، فكان يوجههم نحو الصبر والانتظار حتى يهلك معاوية، وخلال فترة الانتظار كان يُمارس دوره الفكري والاجتماعي في الأمة.



ضحايا العقيدة من أصحاب الإمام علي عليه السلام

والشامُ في أحقادها تفورُ تسبُّ حيدرًا بما تجورُ
تطارِدُ الاحرارَ في العراقِ وقد تمادتُ بالدمِ المراقِ
فقتلتُ «حجرَ» الكرامِ ابنَ عدي وهو حبيبُ المرتضى وأحمدِ
وقلتُ ظلمًا «رُشيدَ الهجري» «وعَمرو بنَ الحمق» المفتخرِ
وقلتُ «أوفَ بنَ حُصن» بعده «والحَضرمي» أوردتُهُ لحدّه
وقطعتُ صبراً يدي «جُويريّه» «وابنِ فسيل» حيثُ نالَ الأمنيّه
وميثمُ قصتهُ معروفه في عشرةٍ قد صُلبوا في الكوفه
ورُوِّعَ «المِرقالُ» «وابنُ الطائي» وقُيِّدَت «سودّه» «بالزرقاء»
ومنعَ الطاغِي عطاءَ الشيعة وهيَ لعمري فعلهُ شنيعة
وهُدِّمَت دُورُ مُحَبِّبِي فاطمه فقطعتُ تلكَ الأكفُ الهادمه
ورُفِضَت شهادَةُ الابرارِ وقُيِّلَت شهادَةُ الفُجَّارِ
وأبعدَ الاخيارُ من صحبِ «علي» الى بلادِ فارسِ والجبَلِ^(١)

(١) في تلك الفترة من حكمه صعد معاوية حملته الشرسة ضد أهل العراق وشيعة علي خاصة، فتتبع كل محب لأهل البيت عليه السلام وأصدر أوامره «أن برئت الذمة ممن وإلى أبا تراب فاهدموا عليه داره، وامسحوا اسمه من الديوان»، وهذه أبشع حرب إرهابية؛ لأنها تعني موت الأبرياء، وتجويع الأطفال، فقتل نتيجة هذه الحرب العدوانية جمع مبارك من الصحابة والتابعين وحفظة القرآن أمثال:





- حجر بن عدي الكندي وجماعته.

- عمرو بن الحمق الخزاعي.

- أوفى بن حصين.

- شريك بن شدّاد الحضرمي.

- جويرية بن مسهر العبدي.

- ميثم بن يحيى التمار. وغيرهم كثير.

كما أنه تم وحسب هذه السياسة الحاقدة تهجير آلاف الأسر، وهدم بيوت الأمنين، وصدرت التعليمات بعدم قبول شهادة أي شيعة في القضاء، في حين كانت تقبل شهادة أناس معروفين بالفسق والفجور وارتكاب الفواحش، وبذلك قلب معاوية موازين العدل ومسح أحكام الشريعة.



هلاك معاوية و خلافة يزيد

و ذات يوم أقبل البريدُ
مُخبِراً عن موتِ أعتى طاغيةِ
مُنصباً من بعده يزيداً
وأصبحتْ خلافةُ الرعيَّةِ
فكيف يرضى السبطُ هذا يا ثرى
ويومَ أرسلَ الوليدُ خلفه
فهل يُبايعُ «ابنَ هند» قهراً
والبيتُ شاهدٌ له والحرمُ
بأنه سيّدُ أهلِ عصره
من جهةِ الشامِ بما يُريدُ
فقد قضى في قصره «معاوية»
العابثُ الزنديقَ والرَّعديداً^(١)
ملكاً عَضُوضاً لبني أميَّةِ
وهو الذي من السماءِ أمراً
يسألهُ بيعتهُ أو حتفه
وأمه بنتُ النبيِّ الزهراءِ
والطائفونَ والصِّفا وزمزمُ
وأنه خيرُ رجالِ دهره

(١) وعندما هلك معاوية تولى ابنه يزيد الخلافة من بعده، بعد أن فرضه على المسلمين وفقاً لسياسة الترغيب والترهيب التي عرف بها في حكمه، وبذلك أصبحت الخلافة ملكاً وراثياً في بني أمية ومن جاء بعدهم.

وأما يزيد فهو شاب متهور، نزق، مهزوز الشخصية اشتهر بالفسق والمجون، ولم تكن له سابقة دين، أو جهاد، أو أخلاق، فقد كان يتجاهر بشرب الخمر وارتكاب المحرمات وكان مولعاً بالطيور والقروود والعبث.



«ثلاثة» مِنْ أْبْرَزِ الرِّجَالِ
مَعَ ثَلَاثَةٍ مِنْ هَاشِمِ شَاكِينَا
وَاسْتَمِعُوا لِلرَّدِّ وَالْجَوَابِ
اقتَحِمُوا البَابَ بِكُلِّ غَضَبَةٍ
فَاسْتَرْجَعِ الحَسِينُ لَا يَهَابُ
وَلَمْ يَشَأْ بِأَنْ تَكُونَ خُدَعَةٌ
بِيعَةٌ مِثْلِي لَا تَكُونَ سِرًّا
خُذِ الحَسِينِ الآنَ بِالْحَدِيدِ
أَنْتَ تَقُولُ ذَاكَ يَا ابْنَ الزَّرْقَا
بِالْقَتْلِ مِنِّي وَأَنَا ابْنُ «المَوْلَى»

وَعِنْدَمَا دَعَا «الْوَلِيدُ» الوَالِي
كَانَ الحَسِينُ أَوْلَ الآتِينَا
قَالَ لَهُم: كُونُوا عَلَى الأبْوَابِ
فَإِنْ عَلَا صَوْتِي مَعَ ابْنِ عَتَبَةَ
وَحِينَ وَافَى قُرَيْئَ الكِتَابِ
لَكِنَّهُ لَمْ يُعْطِ كَفَّ البِيعَةَ
فَقَالَ: فِي غَدٍ وَأَخْفَى أَمْرًا
فَرَدَّ «مِرْوَانَ» عَلَى «الْوَلِيدِ»
فَوَثَبَ الحَسِينُ يعلو نُطْقًا
كَذَبْتَ وَاللَّهِ فَأَنْتَ أَوْلَى

* * *



الحسين عليه السلام يُقرّر مشروع الثورة

وصرخ الوليدُ كيفَ أُقتلُ؟ هذا وجدُّه النبيُّ المرسلُ
فرجعَ الحسينُ وهو ثائرُ يُضمِرُ أمراً وله يُغادرُ^(١)
فزارَ قبرَ جدِّه مُودِّعاً يلثمُ رملَهُ ويُرخي المَدْمَعَا

(١) كان حكم يزيد يحتاج إلى اخذ البيعة من المسلمين خصوصاً الشخصيات البارزة في المجتمع الإسلامي لكي يستقر حكمه، ويستتب له الأمر، فأرسل كتاباً إلى والي المدينة الوليد بن عتبة يأمره بأخذ البيعة من عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، ومن الحسين بن علي خاصة.

وكيف يمكن للحسين عليه السلام أن يبائع حاكماً فاجراً مثل يزيد؟! والحسين بضعة النبي وسيد شباب أهل الجنة، هذا بغض النظر عن بنود معاهدة الصلح التي وقعها معاوية، والتي نصت على أن يكون الأمر للحسين في حالة وفاة أخيه الحسن، وموت معاوية.

وعندما أرسل الوليد في طلب الحسين عليه السلام اخذ الإمام حذره، فاصطحب معه ثلة من فتيان بني هاشم المسلحين، وقال لهم كونوا على باب بيت الوالي، فإن رأيتم صوتي قد علا فاقحموا الدار، وحينما دخل الحسين عليه السلام قرأ الوالي كتاب موت معاوية وخلافة يزيد، وطلب منه أن يبائع اللحظة، وكان في المجلس مروان بن الحكم، ولكن الحسين عليه السلام استرجع - أي قال: «إنا لله وإنا إليه راجعون» - ورفض البيعة، فأشار مروان على الوليد أن يأخذ البيعة بالقوة، أو يقتله، وأن لا يدع الفرصة تفلت من يده، فوثب الحسين عليه السلام مخاطباً مروان بنبرة قوية واثقة: يا ابن الزرقاء أنت تقتلني أم هو؟! كذبت وأثمت، ثم قال للوليد: مثلي لا يبائع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أينما أحق بالخلافة، فسمع فتيان بني هاشم ارتفاع الأصوات فاقحموا الدار وأخرجوا الإمام، فعاد الحسين عليه السلام وهو يفكر في أمر الأمة ومصيرها في ظل حكم يزيد بن معاوية.



يقول: يا جداهُ ذا الفراقُ
فجمعَ الركبَ لكى يسيرا
بأنه مسافرٌ لنيوى
فاعترضتُ كبارُ آلِ هاشمِ
لكن أجابَ : خالقُ البرايا
وأن يراني قبلها مُرملاً
فارتفعَ البكاءُ والعويلُ
فسارَ والركبُ له رنينُ
حتى أراحَ ركبهُ في الحرمِ
يطوفُ في البيتِ ويدعو ربّه
يلتفُّ حوله الأباهُ البررة
يكتبُ للأممِ أن تهَيَّأوا

رحالنا محطها «العراق»
وأخبرَ الكبيرَ والصغيرا
فهو الى الثورة قد شدَّ اللوا
إن شئتَ سافرُ دونما الفواطمِ
قد شاءَ أنها تُرى سبایا
وأن يكونَ مقتلي بكرِ بلا
مُدَّ أيقنوا بأنّه قَتيلُ
وفي القلوبِ خلفه حنينٌ^(١)
لم يُعطِ بيعةً ولم يستسلمِ
مُصلياً مُعتمراً في الكعبة
من هاشمِ وجعفرِ وحيدرة
لثورة عارمة لا تهدأ

* * *

(١) قرر الإمام الحسين عليه السلام أن يغادر المدينة إلى مكة فغادرها أواخر شهر رجب عام ٦٠ للهجرة حيث أخذت الأمور تسير باتجاه الثورة، فودع قبر جده المصطفى بالدموع والشكوى وجهاز نفسه وأهل بيته للسفرة الأخيرة، وشاع خبر رحيل الحسين، فبادر جماعة من أهل بيته إلى نصحه بترك السفر وبادر بعض أبناء الصحابة أيضاً إلى ذلك، ولكنه كان يرى ما لا يرون، فمضى يطوي المسافات في طريقه إلى مكة.



رسول الحسين عليه السلام إلى أهل البصرة

مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ كَتَبَا
«لِمَالِكِ الْبَكْرِيِّ» وَابْنِ الْهَيْثَمِ
وَآخَرِينَ مِنْ وَجْهِ الشَّيْعَةِ
بِأَنِّي أَحَقُّ مِنْ يَزِيدٍ
وَحِينَ وَافَى الْبَصْرَةَ الرَّسُولُ
فَسَلَّمُوهُ غِيْلَةً عَشِيَّةً
وَقَدَّمَ الرَّسُولُ نَحْوَ الصَّلْبِ
لشِيعَةِ الْبَصْرَةِ أَصْحَابِ الْإِبْرَاهِيمِ
«وَالْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ» الْمَقْدَمِ
وِثَلَاثَةَ سَامِعَةٍ مُطِيعَةٍ
بِالنَّصْرِ وَالْبَيْعَةِ وَالتَّأْيِيدِ
خَائِتُ بِهِ الْأَبْطَالُ وَالْفُحُولُ
لِابْنِ زِيَادٍ وَبَنِي أُمَيَّةٍ
مِنْ غَيْرِ مَا جَرِيرَةٌ أَوْ ذَنْبٌ^(١)

* * *

(١) دخل الحسين عليه السلام مكة في شعبان عام ٦٠ للهجرة، فكتب إلى رؤساء الشيعة في البصرة وهم مالك البكري، والأخنف بن قيس، والمنذر بن الجارود، ومسعود بن عمرو، وقيس بن الهيثم، وعمرو بن عبيد بن معمر وغيرهم. ورغم اعتقال السلطات الأموية في البصرة لرسول الحسين إلا أن شيعة البصرة استجابوا بقوة لنداء الحسين عليه السلام ولكن تسارع الأحداث لم يمكنهم من الوصول إلى كربلاء في الوقت المناسب للمشاركة في أحداث عاشوراء الدامية.



رسائل أهل الكوفة الى الحسين عليه السلام

وكتبت رجالُ أهلِ الكوفة
عدةَ آلافٍ منَ الرسائلِ
مثلِ ابنِ «ربيعي» و«حجّار» ومن
قالوا: بأنّ قد أئِنع الجنابُ
أقدمَ على جُنْدٍ لكم مجنّدهُ
وهي لعمري ساحةٌ مخوفه
من سادةِ الأقوامِ والقبائلِ
دانت له الأعرابُ من أهلِ اليمنِ
وأورقتُ غراسُها اليبابُ
وزُمرةٌ منصورةٌ مؤيَّده

* * *



سفيرُ الحسين عليه السلام

فكَّتَبَ الحُسَيْنُ يَا أَصْحَابِي بَكَفِ قَيْسٍ جَاءَ كُمْ كِتَابِي
إِنِّي بَعَثْتُ بَابْنَ عَمِّي «مُسْلِمًا» وَثَقَّتِي فِي كُلِّ أَمْرٍ مُحَكَّمٍ
فَبَايَعُوهُ دُونَ مَا تَأْخِرُ كَبِيعَةَ الْأَصْحَابِ فِي «الْغَدِيرِ»
وَإِنِّي إِنْ شَاءَ رَبِّي فِي الْأَثَرِ لِأَرْهَبُ الْمَوْتَ وَلَا أَخْشَى الْخَطَرَ^(١)

* * *

(١) خلال فترة اقامة الامام الحسين عليه السلام في مكة وردته آلاف الرسائل والكتب من أهل الكوفة ورجالاتها يعبرون فيها عن طاعتهم له ورغبتهم الشديدة في التخلص من حكم يزيد بن معاوية، ويطلبون منه القدوم ليقودهم في الثورة، ومبايعته على السمع والطاعة، باعتباره الامام الذي يعرفون حقه، وفضله، ومنزله في الإسلام، ومن الذين بعثوا برسائلهم إلى الحسين عليه السلام:

- شيبث بن ربعي.
- حجار بن أبحر.
- يزيد بن الحارث.
- وعزرة بن قيس.

وغيرهم من رؤساء القبائل ووجهاء الكوفة، فبعث الحسين عليه السلام رسائل جوابية إليهم مع عدد من الرسل وأوفد إليهم ابن عمه وثقته مسلم بن عقيل، ومعه قيس بن مسهر الصيداوي، وعمارة بن عبد الله السلولي، وعبد الرحمن بن عبد الله الأزدي، يأمرهم بلزوم طاعة مسلم ريثما يصل إليهم، فإنه قادم إلى العراق قريباً إن شاء الله.



سفر مسلم بن عقيل

وسار مسلم إلى العراق
مات دليلاً لديه عطشاً
حيث نجى في الرَّمق الأخير
وحط رحله «ببطن خبت»
وكاتب الحسين بالذي جرى
ودخل الكوفة في ليل خفي
وجاءت الشيعة نحو الدار
واظهرت فرحتها بالثائر
فصفقت أكفها الآلاف
فكاتب الحسين أن أقبل علي

لم يكثر قط بما يلاقي
لكنه لم يتلکأ فمشى
مكملاً لدوره الخطير
وهو مضيق مفعم بالموت
فجاءه جوابه أن يصبراً
وحل دار «ابن عبيد الثقفي»
بدعوة من شيخها المختار
يخطب فيها «ابن شبيب الشاكري»
وخضعت بالبيعة الأحلاف
فالكوفة الحمراء ما بين يدي^(١)

(١) في النصف من شهر رمضان عام ٦٠ للهجرة تحرك «مسلم بن عقيل» من مكة باتجاه الكوفة ومعه دليان، لكنهما أضلا الطريق واشتد بهم العطش فمات الدليان، ولكن مسلماً واصل وحده يغدو السير، ويحث الخطى نحو العراق، فوصل إلى منطقة يقال لها «بطن خبت» ومنها كتب إلى الحسين عليه السلام بالذي جرى على أصحابه، ولكن الحسين عليه السلام أمره أن يواصل سيره إلى الكوفة دون تأخير أو تردد.

وفي الخامس من شهر شوال دخل مسلم الكوفة، فنزل دار المختار بن أبي عبيدة الثقفي، وكان من وجوه الكوفة، فسارع الناس إلى زيارة مسلم والترحيب بمقدمه والإعراب عن



⇒
حبهم لأهل البيت عليهم السلام ولزومهم للسمع والطاعة لهم، وكان من جملة رجالات الشيعة الذين عبروا عن ولائهم للحسين بإخلاص وصدق «عابس بن شبيب الشاكري» حيث قال لمسلم: إني لا أخبرك عن الناس ولا أعلم ما في نفوسهم ولا أغرك بهم، والله إني أحدثك عما أنا موطن عليه نفسي، والله لأجيبنكم إذا دعوتم ولأقاتلن معكم عدوكم ولأضربن بسيفي دونكم حتى ألقى الله لا أريد بذلك إلا ما عند الله.
وقد تواصلت وفود الكوفة على مسلم، فبلغ عدد المبايعين ثمانية عشر ألفاً، وقيل أربعين ألفاً، كما في رواية الشعبي، فكتب إلى الحسين عليه السلام عجل القدوم يا ابن رسول الله، فإن لك بالكوفة مائة ألف سيف فلا تتأخر.



وصول ابن زياد إلى الكوفة

لكن أتاها ابن زياد مسرعاً
مُلْتَمِئاً بَعْمَاءِ سَوْدَاءِ
ودخل الكوفة من وادي النجف
ووصل القصر وصلّى فيه
ووعده القادة بالعطاء
يُشِيْعُ أَنَّ جَيْشَ أَهْلِ الشَّامِ
وعندها غادر مسلم إلى
لكن تناهى خبر للجاني
فاعتقلته شرطة غداره
يَطْوِي مَسِيرَ الصَّبْحِ وَاللَّيْلِ مَعَا
يَقْلُدُ الْحُسَيْنَ بِالسِّيْمَاءِ
يريد تحقيق الأمان والهدف
وحذر الناس ومن يعصيه
وخوف الباقيين في دهاء
لم يبق أن يأتي سوى أيام
دار ابن عروة يُحَشِّدُ الْمَلَأَ
بأن «مسلماً» بيت «هاني»
ومنعته عن أهله أخباره^(١)

(١) أرادت السلطة الأموية أن تتدارك الموقف فقررت عزل والي الكوفة «النعمان بن بشير» واستبداله برجل طاغية ظالم هو «عبيد الله بن زياد بن أبيه» الذي كان والياً على البصرة، فتحرك فور وصول الأمر إليه نحو الكوفة، يوصل الليل بالنهار كسباً للوقت، وليحقق طموحاته في الحكم ونزعته الدموية المعادية لأهل البيت عليهم السلام، فدخل الكوفة متنكراً بزِي أَهْلِ الْحِجَازِ لَيْلًا، ليوهم الناس انه هو الحسين بن علي، وعندما كان يحويه الناس بقولهم مرحباً بك يا ابن رسول الله، كان يكتفي في رد السلام بالإشارة خوفاً من افتضاح أمره.



⇒ ودخل القصر ليلاً، فعرف الناس انه ابن زياد وليس الحسين، حينذاك أُصيبوا بالدهشة وتفرقوا إلى منازلهم، وفي صباح اليوم التالي جمع ابن زياد الناس في المسجد الأعظم، فخطب بهم وحذرهم من إيواء أنصار الحسين ومبعوثيه، وهدد بقتل كل من يخالف تعاليم السلطة، كما وعدهم بالعطايا والأموال، وكان رجال السلطة وعيونها يشيعون بين الناس ان جيش الشام قادم عما قريب إلى الكوفة ليقضي على كل تحرك ضد حكومة يزيد.

في هذه الاجواء قرر مسلم بن عقيل تغيير محل اقامته من دار المختار الى دار هاني بن عروة المدحجي وكان من أشرف الكوفة وقرائها، والزعيم المبرز فيها، ولكن عيون ابن زياد استطاعت ان تعرف محل اقامة مسلم السري، فأرسل عبيد الله بن زياد يستدعي هاني الى قصره، حيث تم اعتقاله وتعذيبه في القصر من أجل الاخبار عن مكان اختفاء مسلم بن عقيل.



إشتعال الثورة قبل موعدها

فسار «مسلم» بأهل الكوفة
نداؤهم «أمت أمت منصور»
وأقبلوا للقصر في عزيمة
وابن زياد أغلق الأبوابا
وهتفت «مراد» أين هاني
ف قيل : ذا عنه الأمير راضي
فاشتعلت بين الجموع الفتنة
تفرقت من حوله الرجال
في ليلة مظلمة مخوفة
حتى خلت من الرجال الدور
وأوشكت أن تقع الهزيمة
وحشد الحراس والحجابا
سيدنا وقائد الشجعان
والقول كان من «شريح القاضي»
ومسلم يعيش أي محنة
ونكثت بيعته الأبدال^(١)

(١) كان مسلم قد حدد موعداً مع أصحابه لإعلان الثورة في الكوفة، لكن اعتقال هاني وتسارع الأحداث جعله يستعجل موعد الثورة، فدعا رجاله وسار بهم باتجاه قصر الإمارة، وكان شعارهم شعار رسول الله يوم بدر «يا منصور امت» وكان عددهم أربعة آلاف رجل، إلا أن ابن زياد دخل قصره وأغلق الباب، واعتمد حرب الشائعات لتفريق انصار مسلم، فأشاع بينهم بأن جيشاً كبيراً من دمشق يزحف باتجاه الكوفة وكان يخوفهم بانتقام هذا الجيش، فتفرق الناس عن مسلم ولم يبق سوى عدد قليل، وكان مطلب الثوار إطلاق سراح هاني بن عروة فقط فخدعهم ابن زياد عن طريق «شريح القاضي» الذي



حَتَّى غَدَا فِي هَمِّهِ غَرِيقَا لَمْ يَرِ مَنْ يَدُلُّهُ الطَّرِيقَا
إِذِ انْتَهَى لَيْلًا لَحِيَّ كِنْدَةً وَعِنْدَهُ مِنَ الْأَسَى مَا عِنْدَهُ
يَطْرُقُ بَابَ «طَوْعَةٍ» الْوَفِيَّةِ الْبَرَّةِ الْمُؤْمِنَةِ الزَكِيَّةِ
يَطْلُبُ مَاءً كِي يَرُدَّ الْعَطْشَا فَالنَّارُ مِنْهُ فِي الْعَيُونِ وَالْحَشَا
سَقَّتْهُ ثُمَّ أَدْخَلَتْهُ الدَّارَا لَمَّا رَأَتْ فِيهِ الْفَتَى الْكَرَّارَا
فَبَاتَ كُلَّ اللَّيْلِ فِي عِبَادَةٍ مُنْتَظِرًا لِسَاعَةِ الشَّهَادَةِ

* * *

⇒
خرج الى الناس وأخبرهم بان هاني في خير وانه يجالس الامير في القصر فعودوا الى
منازلكم.
وبذلك كان قاضي بني امية قد استغل موقعه في القضاء ليكون شاهد زور في أخرج
ظرف مرت به الكوفة.



مسلم يُقاتل وحده

وفي الصباح حاطت الخيولُ
أخرجُ إلينا فلك الأمانُ
فكرّ فيهم مفرداً يُنادي
«أقسمت لا أقتل إلا حُرّاً
كلُّ امرئ يوماً مُلاقٍ شراً
رُدَّ شعاع النفس فاستقرا
حتى هوى مُخَضَّباً صريعاً
جيء به للقصر وهو يزأرُ
ثم قضى صبراً ولم يستسلم
وأمر الطاغى بقتل «هاني»
وسُحباً في السوق بالحبال

بالدارِ وابنُ «أشعث» يقولُ
وإن أبيت تُوقدُ النيرانُ
يا مَنْ نكثتم بيعة الرشادِ
وإن رأيت الموت شيئاً نُكراً
ويخلطُ الباردَ سخناً مُراً
أخافُ أن أكذبَ أو أُغرّاً»
فأسرّوه بطلاً مُريعاً
يقولُ: هل إلى الحسينِ مُخبرٌ؟
فألفُ آه للشهيدِ مسلمِ
وكانَ في أغلاله يُعاني
وصُلباً مِنْ فوقِ جذعِ بال^(١)

(١) بعد تفرق الناس عنه بقي مسلم وحيداً لا يدري أين يتجه وهو غارق في محنته، فوقف على باب امرأة من كندة يقال لها «طوعة» فسقته الماء وآوته في تلك الليلة التي قضاها بالعبادة حتى الصباح، لكن ابنها وشى بأمر مسلم إلى ابن زياد فأرسل مجموعة بقيادة الأشعث بن قيس للقبض عليه فواجههم مواجهة الأبطال ولم يتمكنوا من أسره إلا



وظلَّت الكوفةُ تغلي خائفَةً ومكةٌ تزهو بأندى طائفَه
حيثُ الحسينُ لم يزل مُقيماً يُقبَلُ الأركانَ والحطيمَا
ينهى عن الفحشاءِ والمعاصي حتَّى أتاهُ خبرُ ابنِ العاصي
بأنه جاءَ لكي يغتالَه فأخبرَ الحسينُ سرّاً آلَه
في ليلةِ الثامنِ من ذي الحجَّةِ فتركَ الجميعُ فيها حجَّه
وفي الصباحِ لم يعدْ مُقيماً حتَّى أتى عشاءً «التَّنعيمَا»
مُودَّعاً بالدمعِ والبكاءِ من أهلِه وفتيةِ البطحاءِ

* * *

⇒
بعد منازلة شديدة أُصيب فيها مسلم بجراح كثيرة، سقط على أثرها على الأرض فأسروه، واقتيد إلى قصر الإمارة وجراحه تنزف دماً، وفيما كان مسلم يعيش آخر لحظات حياته بين يدي جلاده، كان همه أن يرسل إلى الحسين رسالة أخيرة يخبره فيها بما آل إليه أمر الكوفة وانقلاب الموقف فيها، وكيف يوصل هذه الرسالة وهو مكبل يعرض على السيف، ثم قضى شهيداً صابراً وهو يسبح الله ويكبره، ثم أُلقي من سور القصر وقتل في نفس اليوم هاني بن عروة، وسُحبا بالحبال في أزقة الكوفة وساحاتها لتخويف الناس وإشاعة الرعب في قلوبهم.



البيان الأول لثورة الحسين عليه السلام

وقامَ فيهمَ خاطباً يقولُ : بالنصِّ قدْ أوصى لنا الرسولُ
فما خرجتُ أشيراً أو بطراً أو ظالماً أو مُفسِداً بلْ مُنكراً^(١)
وسارَ حتى وصلَ «الصفّاحا» بعزمه يواصلُ الكفاحا
حيثُ التقاهُ الشاعرُ «الفرزدقُ» مُخبراً إياهُ وهو يصدقُ
انَّ قلوبَ الناسِ لم تزلْ معكُ وتطمحُ السيوفُ أنْ تقطعَكَ
فاسترجعَ الحسينُ ثمَّ حوقلاً بأنهُ يرضى القضاءَ والبلا

(١) بينما كانت الكوفة تعيش حالة القلق والترقب والخوف إثر مقتل مسلم وهاني، فإن مكة كانت هائلة بوجود الحسين عليه السلام الذي كان يمارس دوره في التوجيه والارشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى جاء خبر وصول مجموعة من رجال السلطة الاموية لاغتياله ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة، فكره الحسين عليه السلام أن يُراق الدم في هذا المكان المقدس، فقرر مغادرة مكة بسرعة نحو العراق عاصمة اهل البيت وساحة الثورة المتجددة. وفي الثامن من ذي الحجة، وهو يوم التروية والخروج الى منى قطع الحسين مناسك الحج، وحوّل حجه الى عمرة مفردة متجها الى العراق عبر ميقات التنعيم، - ولعله كان يهدف من هذا التوقيت تنبيه الامة إلى خطورة الموقف ومسئوليتها التاريخية - وقد ودعته مكة، وهو ابنها، بالدموع والحسرات، وودعها هو بخطبة تاريخية مثلت البيان الاول للثورة الحسينية الخالدة، حيث حدد فيها عزمه وارادته على المضي نحو تحقيق الاصلاح الاجتماعي والسياسي، وإن أدى ذلك الى شهادته، جاء فيها: ما خرجت اشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً، انما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن رد علي ذلك أصبر حتى يحكم الله والله خير الحاكمين.



ثم مضى قُدماً «لذاتِ عِرقٍ» مُصمِّماً على الوفا والصدق
وفي «زرودٍ» جاءتِ الأنبياءُ بمسلمٍ قد فتك الأعداءُ
فضجَّ أهلُ البيتِ بالعويلِ وأكثر البكا بُنو عقيلِ
وأقسموا أن يُدرِكوا الثأرَ فما يُطفأُ ثأرُ الحرِّ إلا بالدمِّ
وراحَ ركبُ الحقِّ يطوي في الفلا تلكَ البقاعَ منزلاً فَمَنزِلاً^(١)
حتى أتوا عيناً على «شرافٍ» ليستقوا الماءَ من الضفافِ

* * *

(١) بعد اعلانه الثورة سار الحسين باتجاه الكوفة فوصل منطقة تدعى «الصفاح» حيث التقى الشاعر المعروف «الفرزدق» فسأله الحسين عن أخبار الكوفة فقال له الفرزدق: قلوبهم معك والسيوف مع بني امية، والقضاء ينزل من السماء. فقال أبو عبد الله: صدقت، لله الأمر والله يفعل ما يشاء وكل يوم ربنا في شأن. كان وصف الفرزدق في منتهى الدقة، فالناس تحب التغيير والحق والعدل وتطمح اليه، إلا أنها لا تمتلك الإرادة الحقيقية على التغيير، لأنَّ الإرادة تستلزم التضحية والمعاناة، وهي ما لم تستعد لهما.

ثم وصل عليه السلام الى منطقة «ذات عرق» ومنها الى منطقة «زرود» وفيها تناهت اليه أخبار مقتل مسلم بن عقيل، وهاني بن عروة، فبكى الحسين وبكى معه الهاشميون خصوصاً بني عقيل، وأقسموا أن يثأروا لشهيدهم العظيم سفير الثورة الحسينية مسلم بن عقيل.



الحسين عليه السلام يلتقي جيش الحرّ في الصحراء

لاحت لهم أشباحُ نخلٍ في المدى وما دروا بأنها جيشُ العدى
كتيبةٌ شاكيةُ السلاح يقودها في سيرها «الرياحي»
عطشى فأعطاها الحسينُ الماءَ ورشفوا خيولها الظمَاءَ
وحينَ صارَ موعدُ الغداةِ أمَّ الحسينُ الجمعَ في الصلاةِ
ورغبَ الحسينُ أنْ يسيرا فجعجَعَ الحرُّ بهِ تَأخيراً
لكي يحطَّ رحلُهُ في كربلاء وهي لعمرى ذاتُ كربٍ وبلاء^(١)

* * *

(١) وصل ركب الحسين الى منطقة «شراف» وهي عين ماء للسقي على طريق الكوفة، فلاحت لهم طلائع الجيش الاموي بقيادة الحر بن يزيد الرياحي، وكانت أسنة الرماح كأنها سعف النخل لكثرتها في الصحراء، فوصلوا الى ركب الحسين وكانوا يشكون العطش الشديد فسقاهم الحسين عليه السلام الماء، وهذا من كرم اخلاق اهل البيت عليهم السلام ان يشفقوا حتى على اعدائهم، وحين حل موعد الصلاة صلى بهم الحسين عليه السلام ثم قال الحر: «لأني أمرت أن لا أفارقك اذا لقيتك حتى أقدمك الكوفة على ابن زياد» ثم حدثت مشادة كلامية بينهما ذكرتها كتب المقاتل والتاريخ، ثم سار الحسين عليه السلام وكان الحر يضايق مسيره كي لا يدخل الكوفة، وكان كربلاء على موعد مع الحسين والثلة الطاهرة من اهل بيته وأصحابه، فحط رحله في الطفوف تلك الصحراء المنسية التي تعبت بها الريح، فحوّلتها الحسين عليه السلام الى قلعة احتجاج دائمة ضد الظالمين، والى مشعل وهاج ينير الدرب للشائرين على طول التاريخ.



الحسين عليه السلام يصل إلى كربلاء

في يومه الثاني من المحرم
فأخبر الأهلين والأصحابا
مذكراً إياهم بالصبر
وظل أياماً يُحذر العدى
وبعث «الحُرُّ» الى أميره
فما الذي تريد أن يكونا
قال: خذ الحسين فليبايعا
فإن أبى فالجيش فوق العدِّ
سبعة آلاف وقيل عشرة
وافى «ابن سعد» في الصباح الطفا
وفاوض الحسين كي يستسلما
فرفض السبط بأن يُعطي اليدا
مُصمماً يُواصل الكفاحا
وأن يخطَّ منهج الشهادة

مُحاصراً فيها بجيش مُجرم
وقرأ الآيات والكتابا
مُرغِباً إياهم بالأجر
ويستعدُّ للقتال والفِدا
جَعَجعتُ بالحسين في مسيره
فإننا للأمر سامعوننا
على الولاء سامعاً وطائعاً
جاء يقوده لك «ابن سعد»
تطبَّقُ الآفاق منها غُبْرَة
ورثبَ الفرسان صفّاً صفّاً
ولا تراق قطرة من الدما
الى الذين خالفوا محمّدا
أو أن يرى في الأمة الإصلاحا
وأن تُخضّبَ الدما جهادة^(١)

(١) في الثاني من المحرم عام ٦١ للهجرة حط الامام الحسين عليه السلام رحاله في كربلاء، وخطب في أهله وأصحابه كي يعرفهم بالموقف الصعب الذي سيلاقيه على هذه الارض



⇒ كما اخبر بذلك النبي الاكرم ﷺ وهي ان الحسين سيقتل ظماناً في ارض يقال لها «كربلاء» وكان مما قال لهم ﷺ: ألا ترون الى الحق لا يُعمل به، والى الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله، فلإني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً.

وسط هذا الجو المتوتر بعث الحر الى ابن زياد يخبره بأنه حاصر الحسين في كربلاء، وانه ينتظر الأمر منه، فجاء في امر ابن زياد، بأن يأخذ البيعة من الحسين ﷺ ليزيد بالسمع والطاعة، فإن رفض فانه سيواجه الموت وسأبعث لك ابن سعد يقود الجيش للمعركة الفاصلة، لكن الحسين ﷺ واجه تلك التهديدات بقوة وحزم وقال: لا أفلح قوم اشتروا مرضاة المخلوق بسخط الخالق.

وهكذا صمّم أبو عبدالله ﷺ على المضي في طريق الشهادة، من أجل أن يبقى رمزاً للفداء والتضحية، في طريق المبادئ الحقة والقيم الخيرة التي جاء بها جده النبي محمد ﷺ.



موقف الأنصار عشية المعركة

ما بين دارع وبين حاسر
من قائم وراكع وساجد
فها هو الليل خذوه جملاً
كيف وانت اليوم دون ناصر
منا وتفننى هذه الأبناء
فصارت الأرواح مطمئنة
قد أرخصت بينهم الرقاب
معتاباً فالمرء ليس يخلد
كم لك في الإصباح والأصيل
والدهر لا يقنع بالبديل
وإثما الأمر إلى الجليل
فصرخت أختي فيم تعتب
على قناة مُصبحاً ومُمسي
والقوم يقرعون بالطبول
ونسوتي تُدافع الجبانا
وخيمتي تنهبها الرجال
من أمة ظالمة لئيمة

وبات في الطُفوف ليل العاشر
وحولهُ سبعون فذ رائد
قال لهم : من يتغي أن يرحلا
لكنهم ردوا بصوت ثائر
هيهات حتى تنضح الدماء
وعندها بشرهم بالجنة
وقال : ليس مثلكم أصحاب
وبات يجلو سيفه وينشد
«يا دهر أف لك من خليل
من قاتل وطالب قتيل
وكل حي سالك سبيلي
وحين ذاك سمعته زينب
فقال : في غد ترين رأسي
وجسدي يُرض بالخيل
والنار في الخيام والدخانا
وتهرب النساء والأطفال
وفرسي يصيح بالظليمة



وَإِخْوَتِي مُصْرَعِينَ حَوْلِي وَكَرْبَلَاءُ فِي أَسَى وَهَوْلٍ
فَصْرَخْتُ زَيْنَبُ يَا جَدَّاهُ يَا مَنْ جَاءَهُ بِالْكِتَابِ اللَّهُ
هَذَا حَسِينٌ قَدْ نَعَى لِي نَفْسَهُ وَهُوَ بَقِيَّةُ الْبُدُورِ الْخُمْسَةِ
وَأَصْبَحُوا فِي يَوْمِ عَاشُورَاءِ يَنْتَظِرُونَ سَاعَةَ اللَّقَاءِ^(١)

* * *

(١) قرّر قائد الجيش الأموي عمر بن سعد ان يحسم المعركة يوم التاسع بقتل الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، لكن الإمام أرسل إليهم أخاه العباس ليمهلوه سواد تلك الليلة، من أجل أن يتفرغ هو وأصحابه للعبادة والاستغفار، وقال: «ان الله يعلم أنني أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار». فباتوا ليلة العاشر بين قائم، وقاعد، وراكع، وساجد.

وفي تلك الليلة التي أصبح واضحاً انها الليلة الأخيرة، وانّ صباحها سيسفر عن مأساة كبرى، حيث الأجساد تُقطع على صعيد الطّف، والرؤوس على الرماح، والنساء سبايا، والأطفال تطاردهم خيول الظالمين. عرض على أصحابه أن يتركوه، فانّ القوم لا يطلبون غيره، فقال لهم: «هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً». ولكن أصحاب الضمائر الحرة وذوي النفوس الأبية أبوا إلا أن يواسوه ويشاركوه المصير المحتوم بعد أن استيقنوا بالشهادة، والتي هي أسمى الأمانى، وأرفع الدرجات عند الله وأحبّائه. وعند ذلك أثنى الحسين عليه السلام عليهم ودعا لهم بالخير وعرفهم منازلهم في الجنة، فأيقنوا ما جباهم الله به من نعيم الجنان في مقعد صدق عند مليك مقتدر.



يوم عاشوراء

صفَّ الحسينُ للقتالِ صحبَةً
سبعين كانوا ثمَّ زادوا اثنينا
«زهير بن القين» عند الميمنة
«وابن مظاهر» يقودُ الميسرة
وحين هزَّ الراية «العباسُ»
لأنه الثابتُ في الطَّعان
وزحف الآلافُ نحو العترة
قد حاولوا اطفاءَ نورِ الله
راحوا يجولون على الخيام
وحتَّهم للصبرِ عند الوثبة
والكلُّ منهم بايعَ الحسينا
وهو الذي كان الوفاءَ ديدنه
«والقلبُ» ضمَّ العترةَ المطهرة
احتبَّست في الأضلعِ الأنفاسُ
وقابضُ الارواحِ في الميدان
سيوفُهم مشهورةٌ بالغيرة
بنفخة ضاعت على الشفاه^(١)
ويوقدون النارَ بالضرام

* * *

(١) نظم الامام الحسين عليه السلام اصحابه على قلتهم فقسمهم الى ميمنة، وميسرة، وقلب، وتلك هي طريقة تنظيم الجيوش وخوض المعارك في ذلك الزمان.



دعاء الحسين عليه السلام

فرفع الحسينُ بالدعاءِ يديه نحو خالقِ السماءِ
وقالَ : أنتَ ثقتي في الكربِ وبعيتي في محنتي يا ربَّ
فربُّ أمرٍ يُضعفُ الفؤادا فرجَّتْ منه الكُربُ الشُّدادا
فأنتَ لي وليُّ كلِّ نعمةٍ وبابُ كلِّ رغبةٍ وهمةٍ^(١)

* * *

(١) عندما رأى الحسين عليه السلام كثرة عدد الجيش الأموي، وطيشه في ارتكاب الجريمة بحقه وحق ثقل الرسالة والرسول، رفع يديه بالدعاء: اللهم أنت ثقتي في كل كرب ورجائي في كل شدة وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من هم يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدو انزلته بك رغبة مني اليك عمّن سواك فرجته وكشفته فأنت ولي كل نعمة ومنتهى كل رغبة.



خطبة الحسين عليه السلام قبل المعركة

ثُمَّ امْتَطَى نَاقَتَهُ وَنَادَى
فَلْتَسْمَعُوا نَصِيحَتِي وَقَوْلِي
قَالَ: دَعَوْنِي لِبِلَادٍ أَرْحَلُ
وَإِنْ أَيْبَيْتُمْ فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ
وَسَمِعَتْ نَسَاؤُهُ الْمَقَالَا
لَكِنَّهُ ظَلَّ بَلِيغاً يَخْطُبُ
يَقُولُ: لَا تَغْرِكُمْ دُنْيَاكُمْ
وَقَدْ جَمَعْتُمْ جَمْعَكُمْ لِأَمْرِ
بِئْسَ الْعَبِيدُ أَنْتُمْ مِنْ قَوْمٍ
بُعْدًا لِقَوْمٍ خَالَفُوا الْكُتَابَا
قَالَ: انْسُبُونِي مَنْ أَنَا ثُمَّ ارْجِعُوا
أَلَسْتُ سَبَطَ أَحْمَدِ الْمَخْتَارِ
وَحَمِزَةَ الشَّهِيدِ عَمِّ لِأَبِي
أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَةَ الرَّسُولِ
فِيَّ وَفِي أَخِي الْعَظِيمِ الْمَنَّةِ

يَا قَوْمَنَا لَا تَرْكَبُوا الْعِنَادَا
كَيْفَ يَحُلُّ عَطَشِي وَقَتْلِي
فَلَسْتُ مِمَّنْ بَالِهَوَانٍ يَقْبَلُ
وَأَقْبَلُوا فَإِنِّي مُصَمَّمٌ
فَأَعْوَلْتُ مِنْ خَلْفِهِ إِعْوَالَا
مَحْتَرًا فِيهِمْ لِمَا يُرْتَكَبُ
فَقَدْ نَسَيْتُمْ فِي الْهَوَى أَخْرَاكُمْ
أَسْخَطْتُمْ اللَّهَ بِهَذَا الْكُفْرِ
إِبْلِيسُ غَرَّكُمْ بِهَذَا الْيَوْمِ
وَحَارَبُوا الْعِتْرَةَ وَالْأَصْحَابَا
وَعَاتَبُوا أَنْفُسَكُمْ وَقَرَّعُوا
وَابْنَ وَصِيَّهِ الْفَتَى الْكَرَّارِ
وَجَعْفَرُ الطَّيَّارِ مَجْلِي الْكُرْبِ
الْمُصْطَفَى الطَّهْرِ أَبِي الْبَتُولِ
هُم سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ



والله ما كذبتُ فيكم مرةً
قال: سلوا من «جابر الأنصاري»
ومن «أبي سعيد الخدري»
إنهم قد سمعوا ما قالوا
فقال «شمر»: أعبدُ الله على
فرده «حبيب» أنت صادق
فإن شككتم بالذي أقول
أتنكرون أني ابنُ فاطمة
أطلبوني بقتيل قتيلا
فأخذوا لا ينطقون شيئا
فقال: هل نسيتم الرسائل
فأنكر القوم الحديث الواقعا
فقال: لا والله لا أعطيتكم
ولا أفرُّ كالعبيد خوفا
وأقبل القوم إليه «كالدُّب»

منذُ عرفتُ ضرّةً وشرّةً
وأنسَ الخادمَ للمختارِ
وزيد بن أرقمِ المكيِّ
من النبيِّ ذلك المقالا
حرف اذا عرفتُ ما قد نقلنا
فيما تقولُ انك المنافقُ
وبالذي قد قاله الرسولُ
بضعةِ أحمدِ الطهورِ العالمِ
أم تطلبوني بثراتِ أكلا
كأنما لم يدعُ فيهم حيا
وقولكم أقبل إلينا عاجلا
ورددوا لا بدَّ أن تُبايعا
يدي كما الذليلُ أو أستملمُ
هيهاتَ والله وهزَّ السيفا
غطّوا الفلاةَ مشرقاً ومغرباً^(١)

(١) اقترب الجيش الاموي من خيام الحسين عليه السلام يتعجل الزمن لارتكاب أبشع جريمة، وكان كالموج يغطي الصحراء، فأشار الامام بيده ليوقف الزمن المنحرف ويلقي عليهم كلمة النصيحة والرشاد في خطبة عظيمة سجلها التاريخ لم تبق لهم عذراً حيث قال: أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما هو حق لكم عليّ وحتى اعتذر اليكم من مقدمي عليكم، فان قبلتم عذري وصدقتم قولي وأعطيتموني النصف من أنفسكم كنتم بذلك أسعد ولم يكن لكم علي سبيل، وإن لم تقبلوا منّي العذر ولم تعطوا النصف من أنفسكم، فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون، انّ وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولّى الصالحين.



⇒ فلما سمعن النساء هذا منه صحن وبكين وارتفعت أصواتهن فأرسل اليهن أخاه العباس وابنه علي الأكبر وقال لهما: سكتاهن فلعمري ليكثر بكاؤهن. ولما سكتن حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد وعلى الملائكة والانبياء وقال في ذلك ما لا يحصى ذكره ولم يسمع متكلم قبله ولا بعده أبلغ منه في منطقته.

ثم قال: الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال متصرفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرته والشقي من فتنته فلا تغرنكم هذه الدنيا فانها تقطع رجاء من ركن إليها وتخيب طمع من طمع فيها وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد اسخطتم الله فيه عليكم وأعرض بوجهه الكريم عنكم وأحل بكم نعمته وجنبكم رحمته فنعم الرب ربنا وبئس العبيد أنتم أقررتم بالطاعة وآمنتكم بالرسول محمد ﷺ ثم انكم زحفتن الى ذريته وعترته تريدون قتلهم لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم فتباً لكم ولما تريدون إنا لله وإنا إليه راجعون هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظالمين.

أيها الناس انسبونني من أنا ثم ارجعوا الى أنفسكم وعاتبوها وانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي ألسنت ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء من عند ربه، أو ليس حمزة سيد الشهداء عم أبي، أو ليس جعفر الطيار عمي، أو لم يبلغكم قول رسول الله لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة، فان صدقتموني بما أقول وهو الحق والله ما تعمّدت الكذب منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله ويضرب به من اختلقه، وإن كذبتموني فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري وأبا سعيد الخدري وسهل بن سعد الساعدي وزيد بن أرقم وأنس بن مالك، يخبرونكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولأخي، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي.

فقال الشمر: هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما تقول. فقال له حبيب بن مظاهر: والله إني أراك تعبد الله على سبعين حرفاً وأنا أشهد أنك صادق ما تدري ما يقول قد طبع الله على قلبك.

ثم قال الحسين ﷺ فان كنتم في شك من هذا القول أفتشكون إني ابن بنت نبيكم فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم، ويحكم أطلبوني بقتيل منكم قتلته أو مال لكم استهلكته أو بقصاص جراحة، فأخذوا لا يكلمونه.



فأوقدَ الحسينُ حولَ الخيمِ ناراً لكي يحمي بناتِ الكرمِ
فصاحَ بعضهم تعجَّلتَ القضا ردَّ الحسينُ أنتَ أولى باللظى
فرفعَ الحسينُ كفّاً للسَّما فلقتِ النيرانُ ذاكَ المجرماً

* * *

⇒
فنادى: يا شيبث بن ربعي ويا حجار بن ابجر ويا قيس بن الاشعث ويا زيد بن الحارث ألم
تكتبوا لي أن أقدم قد اينعت الثمار واخضر الجناب وإنما تقدم على جند لك مجندة؟
فقالوا: لم نفعل. قال: سبحان الله بلى والله لقد فعلتم.
ثم قال: أيها الناس اذا كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم الى مأمني من الارض، فقال له
قيس ابن الاشعث: أولا تنزل على حكم بني عمك؟ فانهم لن يروك الا ما تحب ولن يصل
اليك منهم مكروه.
فقال الحسين عليه السلام: أنت أخو أخيك أتريد أن يطلبك بنو هاشم أكثر من دم مسلم بن
عقيل؟ لا والله لا أعطيهم بيدي اعطاء الذليل ولا أقرّ قرار العبيد عباد الله إني عدت بربي
وربكم أن ترجمون أعود بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب.



زهير بن القين يخطب بين الصفين

وخرج «ابن القين» فيهم يخطبُ
قال: كلانا إخوة في الدين
مالم تقع ما بيننا السيوفُ
وقد بلينا ببني محمدٍ
لينظر الله الذي يكونُ
سوف ترون الذلَّ بعد اليومِ
فقابلوا قولته بالشتمِ
فقال: يرضى منكم يزيدُ
لكنهم لم يسمعوا كلامه
فبدر السبِّ له ونادى
وهو الفتى المقاتلُ المحرَّبُ
تجمعنا رسالة الأُميينِ
وتلتقي الصفوفُ والصفوفُ
من خاذل لهم ومن مؤيدٍ
ويُعرفَ الوفيُّ والخؤونُ
من آلِ سُفيانٍ شِرارِ القومِ
وطالبوه ببيعةً للسلامِ
دون دمِ السبِّ لما يُريدُ
ولم يخافوا وقفةَ القيامةِ
كفَّ فهمٌ قد جانبوا الرِّشادا

* * *



بُرَيْرُ بْنُ خُضَيْرٍ يُخَاطِبُ النَّاسَ

ثم ابتدا من بعده «بُرَيْرُ»
المُقَرَّبُ الْقُرْآنُ مِنْ «هَمْدَانِ»
هَذَا الْفِرَاتُ عَذْبُهُ يَسِيلُ
هَلْ ذَا جِزَاءِ أَحْمَدِ الْمُخْتَارِ
فَرَشَقُوهُ بِالسَّهَامِ الْحَاقِدَةِ
وَالصَّدَقُ فِي حَدِيثِهِ وَالْخَيْرُ
وَالصَّلْبُ فِي مَوَاقِعِ الطَّعَانِ
وَالسَّيْبُ أُورَى قَلْبَهُ الْغَلِيلُ
فِي أَهْلِهِ وَالْفَتِيَّةِ الْأَبْرَارِ
وَبِالْقُلُوبِ الْفَظَّةِ الْمَعَانِدَةِ^(١)

* * *

(١) من أجل حماية النساء والأطفال، كان الحسين قد حفر خندقاً خلف الخيام، وأشعل فيه النار حتى تكون المعركة من وجه واحد، وخرج زهير بن القين وبرير ابن خضير وبعض أصحاب الحسين إلى الجيش الأموي، يخاطبون فيهم ويعظونهم الموعظة الأخيرة، ويذكرونهم بفضل الإمام الحسين ومنزلة أهل البيت عليهم السلام، ودور آل أبي سفيان في هدم الإسلام واستعباد أمة محمد. لكن القوم أصروا على عنادهم وركبوا أهواءهم واستكبروا استكباراً، فلم ينفعهم نداء الحق، ولم تهزهم موعظة الأبرار، فجعلوا يرشقونهم بسهام الغدر والخيانة.



الحسين عليه السلام إمتداد لرسول الله ﷺ

فنشر الحسينُ مُصْحَفًا عَلَى
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ الرَّبِّ
أَشْهَدُهُمْ عَنْ نَفْسِهِ وَأَكْثَرًا
فَسَيْفُهُ سَيْفُ النَّبِيِّ الْهَادِي
وَعَمَّةُ النَّبِيِّ فَوْقَ رَأْسِهِ
مُحَدَّرًا أَيَّامُهُمْ مِنْ قَتْلِهِ
وَقَالَ : لِي عَهْدٌ لَجَدِّي عَنْ أَبِي
ثُمَّ تُذَلُّونَ بِقَتْلِي أَبَدًا
وَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ قَدْرَهُ
ثُمَّ دَنَا مِنْ «عُمَرَ» وَسَأَلَهُ
تَزَعَمُ إِنَّ قَتَلْتَنِي سَتَحْيَا
وَاللَّهِ لَا تَفْرَحُ بَعْدِي فِيهَا

هامته مخاطباً كلَّ الملائكة
وسنة الرسول وهي حسبي
وما عليه من ثياب «أحمدا»
ودرعه المعروف في الجهاد
وقدسُه ميراثُه من قدسِه
فهو فتى محمد وأهلِه
أنك مقتولٌ لشرِّ العصبِ
يا مَنْ قَتَلْتُمْ فَاطِمًا وَأَحْمَدًا
يسقيكم كؤوسَه المصبره
وقد أحاطت بالحسين القتلَه
بعدي طويلاً قد ملكت «الرياء»
وسوف تبقى حائراً سفيهاً^(١)

(١) بعد أن عطل الجيش الأموي دور العقل والقلب، وأوصدوا باب الحوار، توجه اليهم الإمام الحسين عليه السلام في خطبة بليغة تحكي مفرداتها القوة، والوضوح، والحجة، فأثار فيهم كل شواهد التاريخ وكشف لهم عن بؤس الحاضر وشقاء المستقبل، فخرج إليهم ناشراً المصحف الشريف على رأسه، وقال: تبا لكم أيها الجماعة وترحوا، حين استصرختمونا والهين، فأصخرناكم موجفين، سلتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم، وحششتم علينا ناراً



⇒ اقتدحناها على عدونا وعدوكم، فأصبحتم ألباً لأعدائكم على أوليائكم، بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم. فهلاً لكم الويلات، ولكن أسرعتم اليها كطيرة الدبّاء، وتداعيتم عليها كتهافت الفراش، ثم نقضتموها، فسحقاً لكم يا عبيد الأمة وشذاذ الأحزاب ونبذة الكتاب ومُحرّفي الكلم وعصبة الإثم ونفثة الشيطان ومطفئي السنن. ويحكم أهؤلاء تعضدون وعنا تتخاذلون. أجل والله غدرٌ فيكم قديم وشجت عليه أصولكم، وتأزرت فروعكم، فكنتم أخبث ثمر شجى لناظر وأكلة للغاصب.

ألا وإنّ الدّعي بن الدّعي قد ركز بين اثنتين بين السّلة والدّلة، وهيهات منا الدّلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أيّبة، من أن نُؤثر طاعة اللّئام على مصارع الكرام. ألا وإنّي زاحفٌ بهذه الأسرة على قلة العدد وخذلان الناصر، ثم أنشد أبيات فروة بن مسك المرادي:

فإن نهزم فهزامون قُدماً	وإن نُهزم فغير مُهزّميناً
وما أن طَبْنَا جِبْنَ وَلَكِن	مناياناً ودولة آخريناً
فقل للشّامتين بنا أفيقوا	سَيلقى الشّامتون كما لقينا
إذا ما الموت رُفِعَ من أناس	بكلّكله أنّاخ بآخريناً

أما والله لا تلبثون بعدها إلّا كريثما يركب الفرس حتى تدور بكم دور الرّحى وتقلق بكم قلق المحور، عهد عهده إليّ أبي عن جدي رسول الله ((فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم افضوا الي ولا تنظرون إني توكلت على الله ربّي وربّكم ما من دابة إلّا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم)).

ثم رفع يديه نحو السماء وقال: اللهم احبس عنهم قطر السماء وابعث عليهم سنين كسني يوسف، وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبّرة، فإنهم كذبونا وخذلونا، وأنت ربّنا عليك توكلنا وإليك المصير.

والله لا يدع أحداً منهم إلّا انتقم لي منه قتلة بقتلة وضربة بضربة، وانه لينتصر لي ولأهل بيتي وأشياعي.



موقف الحرّ

«والحرّ» كان حاضراً في الموقف فقال هل تقاتلوه «يا عمّر» فردّ إي والله بل قتال فغادر «الحرّ» إلى الحسين وكان من أشجع أهل الكوفة يقول قد خيّرت نفسي الآن لا لست أختار على الجنان وخاطب الحسين هل من توبه أنا الذي جعجت بالنساء قال الحسين توب يثب رب السما فاتجه «الحرّ» إلى القتال «إني أنا الحرّ وماوى الضيف عن خير من حل بأرض الخيف إني أنا الحرّ ونجل الحرّ

يسمع من سبط النبي الأشرف وهو بقية الكرام من «مضّر»؟ أيسره أن تسقط الأوصال مطأطئاً وخاشع العينين له بها مواقف موصوفة أن أدخل النار أو الجنان دنياً تردت في يد الشيطان لمذنب مكبل بالحوبه؟ وسقت ركبكم لكربلاء عليك فاستبشر بموت الكرما مخاطباً يدعو إلى النزال أضرب في أعناقكم بالسيف أضربكم ولا أرى من خيف»^(١) أشجع من ذي لبد هزبر

(١) أثرت خطبة الامام الحسين عليه السلام ببعض افراد الجيش الاموي، ومن أبرزهم الحر بن يزيد الرياحي، والابيات واضحة في اشارتها الى قصة توبته، والتحاقه بجهة الحسين عليه السلام قبل ان تشتبك السيوف وتلتحم الأسنة.



ولستُ بالجبانِ عندِ الكرِّ لكنني الثابتُ عندَ الفرِّ
فصاحَ «عُمَرُ» بالرجالِ ويلكُمُ أتعلمونَ منَ يردُّ سيلكُمُ
أولاءِ أهلِ المصرِ والبصائرِ والمستميتونَ ذوو المفاجرِ
فلا تُبارزوهُم وخُدانَا بل املاؤا عليهمُ الميَدانَا
فحملَ الطغاةُ نحوَ الميمنةِ رماحُهمُ بخزيهمُ مسنَّنةِ
فردَّهمُ أهلُ الثباتِ البررةِ وصرعوا منهمُ رجالاً فجرةِ
فرجعوا بالعارِ والشثاتِ وحملوا مِن جانبِ الفراتِ^(١)

* * *

(١) بدأت المعركة بين جيش الضلال، واصحاب الحسين عليه السلام بحملات غير متكافئة بين الطرفين فاستبسل اصحاب الحسين في رد الهجوم الاموي وشتتوا الصفوف المعادية، فأراد عمر بن سعد تجميع قواته ويحثهم على الثبات في المعركة.



الأنصار يستبشرون بالشهادة

فواجهوا «مسلماً بن عوسجة»
 قاتلهم «مسلم الضبابي»
 وكثرت فيهم جموع القتلى
 واستبسل الأبطال في الدفاع
 فمسلم كان يقول صادقاً
 ان تسألوا عني فأني ذو لبد
 فمن بغانا حائد عن الرشد
 فاستشهد المجاهد «ابن عوسجة»
 فجاءه الحسين مع «حبيب»
 وقرأ الحسين «منهم من قضى»
 ثم دنا «مسلم» «حبيب»
 وقال: أوص يا أخي وصيتك
 أشار «مسلم» له بهذا

وثلة من قومه مدججته
 «والبجلي» جاحد الكتاب
 والكل في جهاده قد أبلى
 عن آل بيت المصطفى المطاع
 مجاهراً في حقه وناطقاً
 من فرع قوم من ذري بني أسد
 وكافر بدين جبار صمد
 ومد للردى يداً مختلجة
 وياله من مشهد رهيب
 وعينه تفيض دمعاً ورضاً
 لعله يسأل أو يجيب
 فقد وصلت بالهدى منيتك
 وصيتي فكن له ملاذاً^(١)

(١) بعد الحملة الأولى التي شنها جيش عمر بن سعد على معسكر الحسين استشهد «مسلم بن عوسجة الاسدي» وهو أول شهيد من اصحاب الحسين عليه السلام وقد ذكرت المصادر التاريخية بأنه كان صحابياً جليلاً، روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يأخذ البيعة للحسين في الكوفة، وكان شيخاً كبير السن، ومن الشخصيات البارزة في المجتمع الكوفي



ثُمَّ مَضَى لِرَبِّهِ سَاعِيدَا مُضْمَخًا مُرْمَلًا شَهِيدَا
 وَهَجَمَ «الشَّمْرُ» يَرِيدُ الْمَيْسِرَةَ لَكِنْ غَدَتُ جَمُوعُهُمْ مَدْمَرَةَ
 وَفِي الصَّحَابِ «ابْنُ عَمِيرِ الْكَلْبِيِّ» مَجْرَبٌ بَطَعْنَاهُ وَالضَّرْبِ
 شَدَّ عَلَيْهِ «ابْنُ ثَبِيْتِ الْحَضْرَمِيِّ» مَعَ «بَكْرِ بْنِ حَيِّ الْمَذْمِيِّ»
 فَقَطَعَا يَدًا لَهُ وَسَاقَا وَأَسْرُوهُ مُحْكَمًا وَثَاقَا

* * *

⇒
 ومن الذين شاركوا في فتوحات بلاد فارس، وقد ابدى عدوه شيبث بن ربعي الأسف على قتله، وحين سقط على الأرض وبه رمق، مشى إليه الامام الحسين عليه السلام وحبیب بن مظاهر الاسدي فقرأ الحسين عليه السلام الآية الكريمة: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾ ثم اشار مسلم لحييب وقال: اوصيك بهذا - و اشار الى الحسين - أن تموت دونه وهو مشهد يطفح بالحب والولاء والوفاء.



أول امرأة تُقتل مع الحسين عليه السلام

ثمّ اذا ما قتلوه صبراً
تقولُ : أبشِرْ يا فتى بالجنة
فسمعَ الشمْرُ لها مَقالاً
احمِلْ عليها فأصابَ المقتلاً
ثم رموا برأسه لأُمَّه
وبرزتْ تريدُ أنْ تقاتِلْ
ثمّ دعا لها بحسنِ الدعوة
وحملَ «الشمْرُ» على الاطنابِ
يريدُ أنْ يُحرِّقَ الخياما
فبادرَ الحسينُ بالدعاءِ
أحرقك اللهُ بنارِ الآخِرَةِ

زوجته أتت إليه عبّرى
فمقتلُ الاحرارِ صارَ سُنَّةً
دعا به غلامه وقالوا
ما غيرها شهيدةٌ بكرِ بلا
فمسحتُ جبينه من دمه
فردّها الحسينُ للمحامِلِ
كذلك يفعلُ الإبا بالنسوة^(١)
وصاحَ بالنيرانِ والأخطابِ
ويُرعبُ النساءَ واليتامى
عليه والعيونُ في السماءِ
وأمةٌ خلفَ خطاك سائرة

(١) ثم حمل شمر بن ذي الجوشن على ميسرة الحسين، فاستشهد «عبد الله بن عمر الكلبى» بعد ان وقع اسيراً وقتلوه صبراً.

فمشت إليه زوجته ام وهب، فقالت له: هنيئاً لك الجنة، فضربها رجل بعمود على رأسها، فماتت مكانها، وكانت اول شهيدة من النساء في معسكر الحسين عليه السلام ثم رموا برأس زوجها عبد الله الى الحسين، فأخذته أمه وهي تمسح الدم عنه، وأخذت عمود خيمة، وبرزت الى الاعداء، فردها الحسين وقال ارجعي رحمك الله فقد وضع عنك الجهاد.



وحمل «ابنُ القين» في الكرام
وحينَ شاهدَ «ابنُ قيسِ عزرة»
أرسلَ يطلبُ الرجالَ من «عمر»
فأرسلَ «الحُصينُ» بالرماةِ
فَعُقِرَتْ في الشاطئِ الخيولُ
وأمرَ «ابنُ سعد» الفرسانا
فصاحتِ النساءُ والاطفالُ
فكشَفَ «الشمر» عن الخيامِ
الوهنَ في أصحابِهِ والفترَةَ^(١)
لما أصابَ جيشَهُ مِنَ الخورِ
قالَ لهم: خُذُوا على الفراتِ
وكُتِرَ القاتِلُ والمقتُولُ
أنْ يُشعِلُوا في الخيمِ النيرانا
وذَهَشَتْ زينبُ والعِيالُ

* * *

(١) كان قائد الخيالة في جيش عمر بن سعد «عزرة بن قيس» الذي أخذ يمدد الجيش بالرجال وسيطر على نهر الفرات، واما عمر بن سعد فاقدام على عمل شنيع وهو اشعال النار في مخيم الحسين ليرعب النساء والاطفال.



أبو الشعثاء

وكان في معسكر الأعداء لما رأى ما فعل الأوغاد
ثم جثا بين يدي الحسين والسبط يدعو كأن بالتسديد
ثم هوى إلى الثرى صريعاً
«يزيد» الفحل «أبو الشعثاء»
مال إلى الحسين لأبداً
يرمي سهاماً نُقعت بالبين
فما توانى القوس من «يزيد»
وعينه رِقراقَة دُموعاً^(١)

* * *

(١) هو يزيد بن زياد ابو الشعثاء الكندي كان رامياً ماهراً بالسهام، جثا على ركبتيه وراح يرمي خيل الاعداء المهاجمين بالسهام، وكان يقول له الحسين عليه السلام: «اللهم سدد رميته واجعل ثوابه الجنة» ولما نفذت سهامه حمل على القوم، فقتل منهم جماعة ثم استشهد رحمه الله.



الحسين عليه السلام يُصلي وسط المعركة

ومالت الشمسُ الى الزوالِ
وشاهدَ الشمسَ «أبو ثمامة»
فقالَ للحسين : يا ابنَ طه
فرفعَ الحسينُ طرفاً للسَّما
جعلَكَ اللهُ لَهُ مُصَلِّياً
سلوا العتاةَ كي يكفُوا عنا
فنعقَ «الحُصينُ» بلْ لا تُقبَلُ
تزعُمُ لا تُقبَلُ مِنْ آلِ النبي
فحملَ «الحُصينُ» في جماعتهِ
واشتبكَ الرجالُ بالرجالِ
ولم تزلْ ملحمةُ الرجالِ
فعرفَ الظهرَ مِنْ العلامَةِ
أقبلتِ الصلاةُ فلنلقاها
قالَ: صدقتَ القولَ يا ابنَ الكرما
فقدْ ذكرتَ أمرنا المنجِّيا
حتى نصلي ونُقيمَ الرُّكنا^(١)
فردّه «حبيبٌ» أنتَ الأردلُ
وتقبلُ الصلاةُ مِنْكَ يا غبي
على «حبيبٍ» الخيرِ وقتَ الطاعةِ
وكانَ ذاكَ ساعةَ الزوالِ

* * *

(١) عند زوال الشمس حان وقت صلاة الظهر، فعرف ابو ثمامة الصائدي وقت الصلاة. وهو عمر بن عبد الله الذي كان يشتري السلاح لحركة مسلم بن عقيل في الكوفة، وكان من فرسان العرب ووجوه الشيعة، فاخبر الحسين بوقت الصلاة فقال الحسين عليه السلام: ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين نعم هذا أول وقتها، ولكن الحصين بن نمير أعلن ان الصلاة لا تقبل من الحسين عليه السلام فاجابه حبيب أتزعم انها لا تقبل من الحسين عليه السلام وتقبل منك يا حمار.. أقسم انك لا تحكم من كتاب الله ايتين، فغضب الحصين وشدَّ على حبيب في جماعة يناجزه وقت الصلاة.



شهادة حبيب من مظاهر الأسديّ

يحدوهم «حبيب» بالأشعار
من أسد بدينه يُفاخرُ
فانجلت الغبرة عن «حبيب»
فهدّ قتلُه الحسينَ فاشتكى
وقام للصلاة بالأبرارِ
صلى صلاة الخوف في الطّفوفِ
وقاه بالنفس «سعيدُ الحنفي»
يقول: هلّ وفيتُ يا إمامي
أنتَ الى الجنة تمضي قبلي
وهتفَ الحسينُ بالأصحابِ
فيها الرسولُ جدُّنا ينتظرُ
قالوا: نفوسنا لنفسك الفدا
والله لا لن يصلوا جِماكا
وسيفه يضربُ بالفجّارِ
«أنا حبيبٌ وأبي مظاهرُ»
وهو مضرّجٌ على الكثيبِ
لربّه مُحْتَسِباً ثمّ بكى^(١)
الخاشعينَ القلبَ للجبارِ
وحولُه غابٌ من السيوفِ
يستقبلُ النبلَ بقلبٍ مرهفِ
قال: بلى يا أيّها المحامي
مع النبيّ المصطفى وأهلي^(٢)
لجنة مفتوحة الأبوابِ
قدومكم بلهفةٍ فاستبشروا
فإننا بينَ يديك الشُّهدا
ما نبضتُ عروقنا جِراكا

(١) حبيب بن مظاهر الأسدي من اصحاب الامام علي عليه السلام وهو أحد وجوه الشيعة وزعماء الكوفة، حاول استقدام جماعة من بني اسد لنصرة الحسين عليه السلام لكن الجيش الاموي حال دون ذلك، وكان حبيب معظماً عند اهل البيت عليهم السلام وعند الحسين خاصة، اثرت شهادته على الامام الحسين عليه السلام وقال في نعيه: احتسب نفسي وحماة أصحابي.

له قبر شاخص اليوم في الحرم الحسيني المطهر.

(٢) صلى الامام الحسين عليه السلام بأصحابه صلاة الخوف وكانت السهام تنهال عليهم كالمطر فوقف المجاهد البطل، سعيد الحنفي يقي الحسين بنفسه، ويصدها بصدرة حتى اُتخن بالجراح وسقط شهيداً بعد الصلاة، رحمه الله.



شهادة زهير بن القين

وخرج « ابنُ القين » للبراز
« أقدم هُدَيْتَ هَادِيًا مَهْدِيًا
وَحَسَنًا وَالْمَرْتَضَى عَلَيَا
وَذَا الْجَنَاحَيْنِ الْفَتَى الْكَمِيَا
أَنَا زَهَيْرٌ وَأَنَا ابْنُ الْقَيْنِ
إِنَّ حَسِينًا أَحَدَ السَّبْطَيْنِ
ثُمَّ هَوَى بِسَيْفِهِ وَالْقَوْسِ
فَوَقَفَ الْحَسِينَ فَوْقَ مِصْرَعِهِ
ثُمَّ وَقَى « ابْنُ قَرْظَةَ الْأَنْصَارِيِّ »
حَتَّى إِذَا أُتُخِنَ بِالْجِرَاحِ
بِشَّرِّهِ سَيِّدُهُ بِالْجَنَّةِ

وَهُوَ يَقُولُ الشَّعْرَ بَارْتِجَازٍ
الْيَوْمَ أَلْقَى جَدَّكَ النَّبِيَا
ذَاكَ الَّذِي نَعَرَفُهُ الْوَصِيَا
وَأَسَدَ اللَّهِ الشَّهِيدَ الْحَيَا
أَذُودُكُمْ بِالسَّيْفِ عَنْ حَسِينِ
أَضْرِبُكُمْ وَلَا أَرَى مِنْ شَيْنِ
قَتَلَهُ « الْمَهَاجِرُ بْنُ أَوْسٍ »
يَنْدِبُهُ بِسَاخِنَاتٍ أَدْمَعُهُ^(١)
وَجَهَ ابْنِ فَاطِمٍ بِصَدْرِ عَارِ
إِسْتَأْذَنَ الْحَسِينَ بِالرَّوَّاحِ
فِي سَاعَةِ الْحَشْرِ بِغَيْرِ مَنَّةٍ^(٢)

(١) زهير بن القين البجلي، شخصية بارزة في الكوفة، وكان كبير السن، عثمانى الاتجاه، التحق بالامام الحسين عليه السلام خلال مسيره من مكة الى العراق، جعله الامام الحسين على ميمنة اصحابه، قاتل قتال الابطال، فقتل جماعة كبيرة من الجيش المعادي قبل ان يستشهد، نعاه الحسين بقوله: «لايبعدنك الله يا زهير ولعن قاتليك لعن الذين مسخوا قرده وخنازير».

(٢) ابن قرظة: هو عمرو بن قرظة الانصاري، وقف كذلك يقي الامام الحسين عليه السلام سهام الاعداء بصدرة حتى اتخن بالجراح، وهو يقول: أوفيت يا ابن رسول الله؟ قال: نعم انت أمامي في الجنة، فأقرئ رسول الله مني السلام، وأعلمه اني في الأثر، ثم سقط شهيداً رحمه الله.



ثم تهاوى « ابن هلال الجملي »
« أرمي بها معلمةً أفواقها
ليملأن أرضها رشاقها
فجرّد السيفَ وراح يضربُ
فرشقه بالسهم والحجرُ
فقال للشمر ألسنتُ مسلماً
فغضب الشيطانُ ثم قتلهُ
وبرز ابنا عروة الغفاري
يرتجزان والسيوفُ مشرعةً
« قد علمتُ حقاً بنو غفارِ
لنضربنَّ معشرَ الفجارِ
وشدّ بعدُ «أسلم» و«واضح»
فخضبتُ سيوفُهُم والأسلُ
فأقبلَ الحسينُ نحو عبده

الى الوغى بقولة مرتجل
مسمومة تجري بها أخفاقها
والنفسُ لا ينفعها إشفاقها
والكلُّ من يديه صار يهربُ
وأسرؤه وهو شلو محتضرُ
تواجهُ الله بهذه الدما
وراح للجنان يلقى أمله^(١)
والتحقا بموكب الأنصار
وفي الحديد أوجه مقنعة
وخندق بعد بني نزار
بكلّ غضب صارم بتار
والكلُّ منهم بطل مكافح
وقاتلوا كالصيّد حتى قتلوا
«أسلم» مسّ خده بخدّه^(٢)

* * *

(١) الجملي: هو نافع بن هلال الجملي المذحجي، كان يستخدم نبالاً مسمومة كتب اسمه عليها يرمي جيش عمر بن سعد، فقتل منهم جماعة حتى نفذت سهامه، فبرز إليهم شاهراً سيفه فقاتل حتى كسروا عضديه، وأخذوه اسيراً حيث قال لابن سعد: لو بقيت لي عضد ما اسرتموني، فجرد الشمر سيفه وقتله، فمضى الى ربه شهيداً في قافلة الحسين عليه السلام.

(٢) اسلم، وواضح، من الفتيان الترك الموالي، كانا في ركب الحسين، قاتلا قتالاً بطولياً، وقبل أن تفيض روحاهما، وضع الامام الحسين عليه السلام خده الشريف على خديهما، ثم قضيا نحيبهما مفتخرين بما صنعه الحسين عليه السلام تكريماً لهما.



شهادة بُرير بن خُضير

وبعدَها بارزهم «بُريرُ»
 مُرتجِزاً يصيحُ في شِجَاعِهِ
 كَرَّ عليهم بَطْلاً يُزْمِجِرُ
 واجههُ يزيدُ بنُ معقلِ
 ثمّ مضى «بريرُ» في التحديّ
 فاعتركا سُويعةً ثمّ هوى
 قامَ «بريرُ» مُتعباً جريحاً
 عاجلُهُ بضربةٍ «بالهندي»
 حيثُ هوى يُرْتَلُ القرآنا
 ثمّ بدأ «حنظلةُ الشبامي»
 فيه المعالي والندى والخيرُ
 بايعةً آلَ المصفي بالطاعة
 «أنا بُريرُ وأبي خُضيرُ»
 فنالَ منه ضربةً بمقتلِ
 مُواجهاً الى «رضي العبدي»
 «رضي» الى الارضِ صريعاً واكتوى
 وجرَّ سيفهُ لِيستريحاً
 «كعبُ بنُ جابرِ بنِ عمرو الأزدي»
 ويلعنُ الطاغوتَ والشيطاناً^(١)
 يؤكّدُ النصرةَ للإمامِ^(٢)

* * *

- (١) برير بن خضير: من أنصار أهل البيت عليهم السلام كان يقول بضلالة معاوية، وان امام الهدى هو علي بن أبي طالب عليه السلام ذكرته مصادر التاريخ والرجال بأنه سيد القراء، وأحد وجوه الكوفة، وقرائها، كان شيخاً تابعياً، ناسكاً، وله في الهمدانين شرف ومنزلة رفيعة.
- (٢) حنظلة الشبامي: هو حنظلة بن سعد الشبامي، وقف قبل أن يبارز جيش عمر ابن سعد، خطب فيهم محذراً إياهم من سوء عاقبة قتال الحسين عليه السلام ریحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، إلا أنهم واجهوه بالعناد والاصرار، فحمل عليهم، وقاتل حتى قُتل «رحمه الله».



شجاعة عابس

وقد تحدّى «ابن شبيب الشاكري»
فخطبَ الحسينَ في خشوع
ليسَ على الأرضِ أعزُّ منكَا
عليك يا ابن المصطفى السلامُ
واقترحَ الجحفلَ حرّاً صائراً
شدَّ عليه القومُ بالحجارة
وحينَ شاهدَ الجفأةَ الغدرةَ
يطردُ منهمُ المئاتِ حاسراً
أجابهمُ أجبتني الحسينُ
حتى قضى مُضرباً شهيداً
جيشَ ابنِ سعدِ بفؤادِ ثائرٍ
وجفئتهُ يخفقُ بالدموعِ
بمهجتي سوفَ أذبُ عنكَا
اليومَ فيك ديتنا يُقامُ
للهِ ما اكرمهُ مناصراً
لما رأوا في سيفه شرارةَ
ألقى اليهم درعهُ ومغفرةَ
فقبلَ جنَّ «عابس» مُغامراً
فحبُّه أمانةٌ ودينُ
مُبتسماً يُعانقُ الخلوداً^(١)

* * *

(١) عابس بن شبيب الشاكري: من رجال الشيعة، عُرف بالشجاعة، والقوة والجرأة، والخطابة، ارسله مسلم الى الحسين ليخبره ببيعة اهل الكوفة فلم يتمكن من ذلك، برز الى جيش ابن سعد يتحداهم بالقتال، فأحجموا عنه لما يعرفون عنه من شجاعة وبسالة نادرة، فأمرهم ابن سعد بأن يرموه بالحجارة، لكنه هجم عليهم حاسر الرأس ملقياً درعه، ومغفره، فأحاطوا به من كل جانب، حتى قتل فتنازعوا فيه، فحسم عمر بن سعد الامر بقوله: هذا لم يقتله واحد.



جون يُدافع عن الحسين عليه السلام

وكان «جون» يرقبُ المشاهدا
خاطبهُ الحسينُ قد صحبنا
وإنما صحبنا للعافية
فأنت في حلّ من القتال
أفي الرخاءِ ألحسُ القِصاعا
والله لا حتى يطيحَ مخدّمي
ثمّ مضى يطاردُ الكفّارا
«كيف ترى الكفّارُ ضربَ الأسودِ
أذبُ عنهمُ باللسانِ واليَدِ
وصارَ للسيوفِ والرماحِ
وجاءَ دورُ «ابنِ نبيه الكاهلي»
جرّدَ سيفهُ لكي يُجاهدا
لا كي تموتَ اليومَ في محنتنا
فسرّ الى تلك الوهادِ الخافية
فخاطبَ الحسينَ في سؤال
وفي الشدادِ أهربُ امتناعا؟
وقد تخالطتُ دماكم بدمي
وينشدُ الاحنانَ والأشعارا
بالسيفِ ذبّا عن بني محمّدِ
أرجو به الجنةَ يومَ الموردِ»
نهباً وللسهامِ والصفاحِ^(١)
وكان شيخاً ذا قوامٍ ناحلٍ

(١) جون: شيخ كبير السن هو مولى لأبي ذر الغفاري، أذن له الحسين عليه السلام بالانصراف فقال له: لا والله لا افارقكم حتى يختلط هذا الدم الاسود مع دماءكم اهل البيت، فأذن له الحسين عليه السلام بالقتال حتى قتل رحمه الله. فدعا له الامام الحسين «اللهم بيّض وجهه وطيب ريحه واحشره مع محمد عليه السلام».



قد كان صاحب النبي الهادي
 وبعده «عمرو» فتى «جنادة»
 لم يبلغ الحلم ولم يقاتل
 فردّه الحسين حباً فيه
 لكنّه مضى يشدّ العزم
 وحين صار رأسه لأمه
 وارتجرت وأخذت عموداً
 «إني عجوز في النساء ضعيفة
 أضربكم بضربة عنيفة
 فردّها الحسين للخيام
 وعندها قد غضب «ابن الجعفي»
 هيئته أبكت أبا السجاد^(١)
 يُنسبُ للأنصار في السيادة
 من قبل هذا اليوم في الأوائل
 كي لا يذوق القتل مع أبيه
 مرتجراً بطولاً وحزماً
 تمسحت بجرحه ودمه
 ثقاتل الجموع والحشود
 خاوية بالية نحيفة
 دون بني فاطمة الشريفة»
 وقال: دافعت عن الذمام^(٢)
 فشدّ في الرجال دون خوف

(١) أنس بن الحارث بن نبيه الكاهلي: شيخ كبير كان صحابياً رأى رسول الله ﷺ،
 وشهد معه بدرأ، وحنين، وكانت له منزلة في أهل الكوفة بحكم صحابته للرسول ﷺ، برز
 للقتال وهو يرفع حاجبيه بعصاة، فبكى الامام الحسين ﷺ حينما رآه بهذه الهيئة وقال له:
 شكراً لله لك يا شيخ، ثم قاتل حتى قتل.

(٢) هو عمرو بن جنادة بن الحارث الأنصاري، قُتل أبوه في المعركة، فدفعته أمه كي
 يقاتل دون الحسين ﷺ لكن الحسين ﷺ اشفق عليه وقال: هذا شاب قُتل أبوه، ولعلّ أمه
 تكره خروجه، فقال: إن أمي هي التي أمرتني، ثم برز وهو يرتجز ويقول:

أميري حسينٌ ونعم الأمير
 عليٌّ وفاطمةٌ والسداه
 سرور فؤادٍ البشير النذير
 فهل تعلمون له من نظير

ثم قاتل حتى قُتل، فرموا رأسه الى معسكر الحسين ﷺ فأخذته أمه، ومسحت عنه الدم
 والتراب، وأخذت عموداً وهجمت به على الأعداء، فردّها الحسين ﷺ الى الخيام...

مُرْتَجِزاً بِصَوْتِهِ دَوِيّاً
 ثُمَّ أَبَاكَ ذَا النَّدَى عَلِيّاً
 حَتَّى تَوَارَى صَوْتُهُ فِي الْمَعْرَكَةِ
 وَبَعْدَهُ رَاخٌ «سَوَارُ الْفَهْمِيِّ»
 فَكَثُرَتْ فِي جَسْمِهِ الْجِرَاحُ
 فَأَسْرُوهُ غِيلَةً وَغَدْرًا
 وَقَدْ تَشَفَّعَ رِجَالُ قَوْمِهِ
 فَعَاشَ بَعْدَهَا شَهْوراً سِتَّةً
 «الْيَوْمَ الْقَيِّ جَدَّكَ النَّبِيَّ
 ذَاكَ الَّذِي نَعَرُفُهُ الْوَصِيَّ»
 وَحَوْلَهُ سَيُوفُهُمْ مُشْتَبِكَةٌ^(١)
 مَقَاتِلًا بِقُوَّةٍ وَعِزْمٍ
 وَمَزَقَتْ أَعْضَاءَهُ الرَّمَاحُ
 فَسَبَّ فِيهِمْ «عُمَرَاً وَشِمْرًا»
 أَنْ يُطْلَقُوا سَرَاحَهُ مِنْ يَوْمِهِ
 وَمَاتَ فَخْرًا يَا لَهَا مِنْ مَوْتِهِ^(٢)

* * *

(١) ابن الجعفي: هو الحجاج بن مسروق الجعفي، احد المقاتلين الشجعان.
 (٢) سوار الفهمي: هو سوار بن ابي حمير من ولد فهم بن جابر الفهمي الهمداني، قاتل قتالاً شديداً حتى اتخن بالجراح، واخذ اسيراً الى عمر بن سعد، فأراد قتله، لكن قومه تشفعوا له، وأخذوه عندهم، فمات متأثراً بجراحه بعد ستة اشهر من واقعة الطف.



إستغاثة الحسين عليه السلام

وبعد أن توألت الاصحابُ
مُضرجينَ بدمِ الشهادةِ
صاحَ الحسينُ يا ليوثَ الثارِ
مالي اناديكم فلم تُجيبوا
لم يبقَ لي غيرُ حماةِ أهلي
فسمعتُ نداءهُ الإخوانُ
الى الردى والكلُّ لا يهابُ
فالقتلُ كانَ للرجالِ عادةً
يا خيرةَ الاصحابِ والأنصارِ
أنا الذي مِن بعدكم غريبُ
واخوتي ونسوتي وطفلي^(١)
آلُ أبي طالبِ الشجعانُ

* * *

(١) قضى اصحاب الحسين مضرجين كالأضاحي بعد ان ادوا دورهم البطولي، واستشهدوا بين يدي ابي عبد الله عليه السلام فنظر الحسين عليه السلام الى معسكره فلم يجد الا اهل بيته، وشباب بني هاشم، ونساءهم، واطفالهم وهم يتهامسون وسط المعركة، فاستغاث الحسين عليه السلام بأعلى صوته: هل من ناصر ينصرنا، هل من مغيث يخاف الله فينا. ثم خاطب اصحابه: يا حبيب، يا مسلم، يا برير، مالي اناديكم فلا تسمعون، وأدعوكم فلا تجيبون.



شهادة عليّ الأكبر

أولهم نجلُ الحسينِ الأكبرُ
أشبههُ آلِ بيتِهِ بالمصطفى
سبعٌ وعشرونَ لَهُ أعوامُ
يستأذنُ الحسينَ للقتالِ
فضمَّهُ الحسينُ شوقاً وبكى
وقالَ يا ربّاهِ ذا غلامِي
كنا إذا اشتقنا إلى النبيِّ
تقدّمَ الأكبرُ للميّدانِ
« أنا عليُّ بنُ الحسينِ بنِ عليِّ
تاللهِ لا يحكمُ فينا «ابنُ الدّعيِّ
ضربَ غلامَ هاشميٍّ علويٍّ»
وعادَ بعدَ جولةٍ عطشانا
يقولُ : هلْ منْ شربةٍ منْ ماءٍ
أجابَهُ الحسينُ ردّاً واضبرِ
وعادَ للميّدانِ مُستميّتا

عليّ الفتى المهابُ الأنورُ
ووارثُ المكرمينَ الشُّرفا
ووجهُهُ بدرٌ بدأ تمامُ
يذبُّ عن دينِ الهدى والآلِ
وهزّ دمعُ مُقلتيهِ الفلكا
ضحيةً لنصرةِ الاسلامِ
نراهُ خلفَ وجههِ البهيِّ
مرتجزاً للضربِ والطّعانِ
نحنُ وبيتِ اللهِ أولى بالنبيِّ
أضربكم بالسيفِ أحمي عن أبي
مذكراً إياهمُ ضربَ الوصيِّ
منْ شدةِ الحربِ وما قدْ عانى
أقوى بها اليومَ على الأعداءِ
فسوفَ تُروى بكَؤوسِ الكوثرِ
فالشبلُ لا يخشى بأنْ يموتا



وواصل القتال مثل جدّه
 فجاءه من خلفه « ابن العبدى »
 بطعنة جبانة قتّالته
 فأسرّع الحصان فيه للعدا
 فصاح يا أبى سلام منى
 هذا رسول الله قد سقانى
 فجاءه الحسين يبكى حزناً
 لهفى على النساء لما سمعت
 فصحن وا جداه و امّ محمدا
 فاحتسب الحسين في بكاء
 مهرولاً بسيفه لنده
 وسدّد الرمح له عن بُعد
 أفجع فيها المصطفى وآله
 فقطعوه بالسيف بددا
 عليك، هذه جناح عدن
 بشربة نلت بها الأمانى
 يقول: قد فزت بها وفزنا
 قلوبها من حزنها تقطعت
 هذا على نهب أسيف العدا
 أول مقتول من الأبناء^(١)

* * *

(١) علي الأكبر: هو علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام ولد في الحادي عشر من شهر شعبان عام ٣٣ هـ.

كان آية في الهبة والجمال، وكان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله يُكنى بأبي الحسن، وقيل أنه كان متزوجاً من أم ولد، وأمّه ليلى بنت أبي مرّة بن عروة بن مسعود الثقفي، وهو أول من قتل من بني هاشم، وله من العمر سبعة وعشرون سنة.



بطولة عبد الله بن مسلم

وكان عبد الله وابن مسلم
وحين ضاق صبره تهادى
سار الى الميدان في رجولة
مرتجزاً، مُجرّداً لسيفه
«اليوم ألقى مسلماً وهو أبي
ليسوا بقوم عُرفوا بالكذب
فقاتل الرجال مثل حيدرة
حتى انتحى له «يزيد الجهني»
فصاح يا لله من عصابة
فلتصلهم يا رب يوم الآخرة

يحرسُ ثقل الوحي عند الخيم
الى الحسين يطلب الجهادا
مذكراً بمسلم البطولة
يقول غير راهب من حنقه
وعصبة بادوا على دين النبي
لكن خيار وكرام النسب»
وكال فيهم ضربات منكّرة
بسهمه ورمحه المسنن
تقتل أهل البيت والقراية
بنارها فهم جموع خاسرة^(١)

* * *

(١) عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام وأمه رقية بنت علي بن أبي طالب عليه السلام.
قاتل يوم عاشوراء قتالاً بطولياً، حيث هجم على الأعداء في ثلاث حملات، قتل منهم
جماعة قبل أن يرميه «يزيد بن الرقاد الجهني» بسهم في جبهته فاستشهد «رحمه الله».



قتال آل أبي طالب

وبعد قتله مشى الرجال
إلى الوغى مُستسهلين الصَّعبا
صاحَّ الحسينُ يا بني عمومي
صبراً على الموتِ فلا ترتعدوا
فوقعوا على السيوفِ نهباً
فمنهم ابنُ جعفرِ الطيارِ
مرتجراً في ساحةِ القتالِ
«أشكو إلى الله من العدوانِ
قد بدلوا معالم القرآنِ
وأظهروا الكفرَ مع الطغيانِ
وبعدَهُ أخوه «عون» الثائرُ
» إن تُنكرونني فأنا ابنُ جعفرِ
يطيرُ فيها بجناح أخضرِ
و«ابن عقيـل» قاتلَ الرجالا
«أبي عقيـل» فاعرفوا مكاني
هذا حسينٌ شامخُ البنيانِ
ثمَّ أخوه «جعفر» المظفرُ

آل أبي طالبِ الأبطالِ
ومُشعلينَ بالسيوفِ الحربا
فلا رأيتمُ بعدها من ذلَّةٍ
فيكم «علي» ولكم «محمد»
من بعدِ أن شدُّوا عليهم ضرباً
محمدٌ وعونٌ حامي الجارِ
مشمراً يدعو على الرجالِ
مقالَ قوم في الردى عميانِ
ومحكم التنزيلِ والتبيانِ
واتبعوا نهجَ أبي سفيانِ
مرتجراً بشعره يُفأخرُ
شهيدُ صدق في الجنانِ أزهرِ
كفى بهذا شرفاً في المحشرِ
مرتجراً يكتسحُ الأبطالالا
من هاشم وهاشم أخواني
وسيدُ الشيبِ مع الشبانِ
ذاك الشجاعُ الهاشميُّ الأظهرُ



«أنا الغلامُ الأبطحيُّ الطالبِيُّ
ونحنُ حقاً سادةُ الذوائبِ
وبعدَه «محمدُ بنُ مسلمٍ»
وقد أُصيبَ «الحسنُ المثنى»
واستشهدَ ابنُ حيدرِ الكرارِ
قتلهُ «زحرُ بنُ بدرِ النخعي»
وبعدَه شدُّ بنو عقيـلِ
وكانَ «عبدُ الله» في المقدّمه
حتّى هوى بطعنةِ الأثيمِ
من معشرِ في هاشمٍ من غالبِ
هذا حسينُ أطيّبُ الأطيّابِ»
مُقتحمًا للخصمِ ليسَ يَحْتَمي
وقُطعتُ منه الذراعُ اليُمْنى
وهو «أبو بكر» فتى نزارِ
فصاحَ وا أخاهُ عندَ المصرعِ
في موقفٍ ملتهبٍ مهوولِ
يسطرُ العجائبَ عندَ الملحمه
«عثمانُ بنُ خالدِ التميمي»^(١)

* * *

(١) بعد استشهاد عبد الله بن مسلم، خرج فتيان آل أبي طالب في حملة واحدة قاتلوا فيها قتالاً شديداً، يحكي ملاحم بطولات أمير المؤمنين علي عليه السلام فاستشهد منهم: عون بن عبد الله بن جعفر الطيّار، وأخوه محمد، وعبد الرحمن بن عقيـل، وأخوه جعفر، ومحمد بن مسلم بن عقيـل، ومحمد «أبو بكر» بن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عقيـل، وقُطعت اليد اليمنى للحسن المثنى ابن الإمام الحسن ولم يستشهد.



شهادة القاسم

وضاق صدرُ « القاسمِ بنِ الحسنِ »
جاءَ ويمشي معه أخوه
فانتحب الحسينُ إذ رآهما
فارتجز القاسمُ ثم كراً
«إن تُنكروني فأنا نجلُ الحسنِ
هذا حسينٌ كالأسيرِ المرتهنِ
وشتتَ الجموعَ وهي تترى
أهوى يشدُّ نعلُهُ ما هابا
فناشهُ بضربة عن عمدِ
فصاحَ يا عماءُ ثم أهوى
عزَّ على عمِّك أن تدعوه
واحتملَ الحسينُ جسمَ الشبلِ
فاستقبلتهُ زينبُ العقيلةُ
هذا الحسينُ مفردٌ في كربلا

تجلِ الامامِ الصابرِ الممتحنِ
الى الحسينِ كي يودَّعوه
نحو الجهادِ جُرِّدا سيفاهما
يقولُ : والمهجةُ منه حرى
سبطُ النبيِّ المصطفى والمؤمنِ
بين أناسٍ لاسقوا صوبَ المزنِ»
فانقطعتُ له النعالُ اليسرى
لا كثرةَ الطعنِ ولا الضرابا
«عمرو بنُ سعدِ بنِ نفيلِ الأزدي»
فجاءهُ الحسينُ ليس يقوى
فلا يجيبُ عندما ترجوه
ورجلُهُ تخطُّ فوق الرَّمْلِ
تصيحُ يا ضياغمَ القبيلةُ
أحاطهُ جيشُ العدا متصلاً^(١)

* * *

(١) القاسم ابن الامام الحسن بن علي بن أبي طالب، اشترك في المعركة وهو غلام لم يبلغ الحلم ومعه أخوه عبد الله الأكبر ويكنى بأبي بكر. ويذكر ابو خنف في مقتله - كما نقل الطبري - ما مضمونه: ان القاسم وهو الشبل الشجاع انقطع شسع نعله في المعركة وانها اليسرى فابى ان يواصل القتال حافياً فنزل يشدها فتجمع حوله الاعداء فقطعوه إرباً إرباً فلحق بموكب الشهداء السعداء.



بطولة العباس

فسمع العباسُ صوتَ زينبٍ
قالَ لإخوانِ لهُ : تقدّموا
همُ جعفرُ الفدُّ وعبدُ اللهِ
إذَ واجهوا الموتَ رجالاً بررةً
فلم يكُ العباسُ بَعْدُ يصبرُ
يسمعُ صوتَ الصبيةِ العطاشي
يقولُ : يا أخاهُ ضاقَ صدري
فدمعتُ عينُ الحسينِ واكتوى
إن شئتَ فاطلبُ للنساءِ ماءً
فحملَ القربةَ نحوَ المشرعةِ
لم يرهبِ العباسُ ذاكَ الجمعا
مرتجزاً يهدرُ وهو يضربُ
«لا أرهبُ الموتَ إذا الموتُ زقا
إني أنا العباسُ أغدو بالسّقا
وراحَ في قتالِهِ يجالِدُ

وهو يرى في غربةٍ سبطَ النبي
فقاتلوا في عزةٍ لم يُحجموا
وثمَّ عثمانُ فتى الدواهي
مُشبهينَ بأبيهم حيدرَةَ
فجاءَ للحسينِ وهو يزأرُ
حاشاهُ أن يغضَّ طرفاً حاشا
أريدُ أن آخذَ منهمُ ثأري
وقالَ : أنتَ أنتَ صاحبُ اللّوا
وصبيةٍ باثوا لنا ظمءاً
وقد أُحيطتُ بالرماحِ المشرعةِ
إلا وقد أثارَ فيه النّقعا
يقولُ : هل من فارسٍ يا عربُ
حتى أوارى في المصاليتِ لقي^(١)
ولا أهابُ الموتَ يومَ الملتقى»
وعن بناتِ المصطفى يجاهدُ

(١) المصاليت: القبور. لقي: مطروح.



حتّى إذا ما اقتحمَ الفُراتا
مدَّ يداً للماءِ كيّ يَغْتَرِفا
تذكّرَ الحسينَ والنساء
فقالَ والدمعةُ في العيونِ
وبعدَهُ لا كُنْتِ أو تَكُونِي
وتشربينَ بآردِ المَعِينِ
فتركَ الماءَ وظلَّ عاطِشا
فاختَبَأوا له وراءَ نخله
وتصبوا بغيلة كميناً
فقالَ : «إنّ قطعتمُ يميني
وعنّ إمامَ صادقِ اليقينِ
ولم يزلْ يَضربهمُ ضلّالاً
وجاءتِ السّهامُ مثلَ المطرِ
وقدْ أصابتِ السقاءَ الأسهمُ
مُدَّ ضُربَ العباسُ بالعمودِ
فصاحَ يا حسينُ يا غريبُ
عليك منْ جراحِ السلامِ
جاءَ الحسينُ هاتفاً بصيحةٍ
وشمّئتُ بغُربتي الأعداءِ
وعادَ نحوَ خيمةِ الاطهارِ
فسمعتُ سُكينةَ وزينبُ
وصرختُ زينبُ وا ضيَعتنا

وأسكتَ الضجيجَ والأصواتا
ففي فؤادهِ لَهِيبٌ ما انطَفَى
وكيفَ ظلُّوا بعدَهُ ظمّاءا
«يا نفسُ مِنْ بعدِ الحسينِ هُونِي
هَذَا الحَسِينُ وارِدُ المَنُونِ
تاللهِ ما هذا فِعَالُ دِينِي»
وملأَ القِربةَ ماءً ومَشَى
يحاولونَ منَعَهُ أو قتلَهُ
حتّى بَرُوا من زندهِ اليمينِ
إني أحامي أبداً عَن دِينِي
نجلِ النبيِّ الطاهرِ الأمينِ»
فقطَعُوا ذراعَهُ الشّمّالاً
فصدّها بصدريهِ والمنحَرِ
أريقَ ماؤها وطاحَ العلمُ
وجسمُهُ مُزقَّ بالحديدِ
أخيّ يا مظلومُ يا حبيبُ
قدْ قالها وانقطعَ الكلامُ
انكسرَ الظهرُ وقلّتْ حيلتي
مدّ طاحَ منك السيفُ واللواءُ
يكفِكِفُ الدموعَ بانكسارِ
فكثُرَ المعولُ والمنشَجِبُ
بعدك يا عمادنا وبيتنا



ونسبت فاطمَ والنبيَا
 هذا الحسينُ مفردٌ في الطّفِّ
 ونجّلُهُ السجّادُ في خيمتهِ
 وعندها صاحَ الحسينُ مُعلِنَا
 هلْ مَنْ يَخَافُ النارَ أوِ يَؤُوبُ
 وعندها استعدَّ للمماتِ
 وجعفرَ الطيارَ والوصيَا
 وحوْلَهُ النسا غدتْ في خوفِ
 يعالجُ المنخَةَ في علّتهِ
 هلْ مِنْ مُغيثٍ صادقٍ يُغيثُنَا
 فسكتَ القومُ ولم يُجيبُوا
 وكانَ آيساً مِنَ الحياةِ^(١)

* * *

(١) العباس بن علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة بنت حزام الكلابية وتكنى بأُمّ البنين،
 وكنيته أبو الفضل. لقب بقمر بني هاشم.
 عُرف عنه الشجاعة، وشدة البأس، وقوة الجسم، وكان مخلصاً غاية الاخلاص لأخيه الإمام
 الحسين عليه السلام حمل لواءه يوم الطف، وأبلى بلاءً حسناً. هدّ مقتله الحسين فقال عليه السلام في نعيه:
 «الآن انكسر ظهري، وقلت حيلتي» وشخصية العباس حاضرة بقوة في الضمير الاسلامي
 الشيعي ولا تغيب عن الذاكرة فلا تسعها هذه السطور والاشعار، وهو آخر من استشهد
 من أصحاب الحسين وأهل بيته عليهم السلام.



وداع الحسين عليه السلام الأخير

فودّع النساء والعِيالاً وقبّل الصغار والأطفالاً
موصياً بالصبر والسكون إن صار نهباً لظبي المئون
فصرختُ سَكِينَةُ يا أباي من لي إذا النارُ أحاطتْ خيمتي
فردّنا الحرمِ النبيَّ وقبره المنورِ القدسيَّ
أجابها هيهاتَ لنُ أُمّا لو تركَ القطا غفاً وناماً
فارتفعَ الضجيجُ والبكاءُ وأعولتُ بحزنِها النساءُ
وصاحَ يا زينبُ يا أختي تصبري قد قرّبتُ منيَّ
ثمّ دعا يُريدُ ثوباً خَلِقا غيرَ جديرٍ لبسه ممزّقا
يضعه تحتَ الثيابِ كي لا يسلبه الأوباشُ منه لَيْلاً^(١)

* * *

(١) لحظات الوداع من اصعب اللحظات على ذوي النفوس الكبيرة والضمائر الحرة فيها هو الحسين بين أطفاله وعائلته يودعهم الوداع الاخير من اجل ان يرسم للاجيال طريق الحرب والكرامة والعزة والتحرر من ضعف الارادة من سطوة الطواغيت.



الطفل الرضيع

ثمّ دعا بطفله الرضيع
ما جاوزَ العامَ وهدّه الظما
مخاطباً تلكَ الجموعَ الجاهله
قدّمَ طفلهُ لكي يسقوه
أولهم «حرملةُ بن كاهل»
فذبحَ الرضيعَ دونَ ذنبِ
هونَ بي والله ما قد نزلوا
ثمّ ملا كفيه بالدماءِ
عادَ وغطّى طفله المصابا
استرجعي وادّرعِي بالصبرِ
مُودّع إِيّاه بالدموعِ
ما ذنبه يا قوم ماذا أجرما؟
يسألها بالله أن تباهله
لكنّهم بنبله رموه
ذاك الذي لم ير غير الباطلِ
فذا أبوه شاكياً يا ربّ
كلُّ بعينِ الله جلّ وعلا
وقد رمى بالدمِ للسماءِ
مخاطباً زوجته «الربابا»
فذا شفيعُ الناسِ يومَ الحشرِ

* * *



دُعَاءُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ مَقْتَلِهِ

ورفعَ اليدينِ بالدعاءِ الى إلهِ الكونِ والسَّماءِ
يا ربَّ لا يَكُنْ عَلَيْكَ أَهْوَانَا هذا الذي قد حَلَّ غَدْرَةً بنا
مِنْ نَاقَةٍ تُقْتَلُ فِي «ثَمُودٍ» وَمِنْ فَصِيلِهَا طَرِيَّ الْعُودِ
فإنْ تَكُنْ حَبَسْتَ عَنَّا النُّصْرَا فَهَبْ لَنَا ثَوَابَهُ فِي الأُخْرَى
وَأنتَ شَاهِدٌ عَلَيَّ مَا فَعَلُوا وَأرْعَبُوا وَأَحْرَقُوا وَقَتَلُوا^(١)

* * *

(١) بقي الحسين عليه السلام وحيداً بعد استشهاد أصحابه وفتية أهل بيته فأراد أن يودع طفله الرضيع واسمه عبد الله من زوجته الرّباب، وعندما حمله طالباً له الماء اختلف جيش عمر بن سعد في إعطائه الماء، فحسم نزاع القوم حرمة بن كاهل الأسدي بسهم ذبح الرضيع وهو بين يدي والده، فرمى الحسين الدم الى السماء ثم خضب وجهه بيده وقال: هكذا ألقى الله وأنا مخضب بدمي.

والحسين انما يفعل هذا ليس ضعفاً واستسلاماً للموقف الصعب، انما يريد ان يعمق الجانب العاطفي من مسيرة الثورة في ذاكرة الاجيال لكي تظل مشعلاً وهاجاً ونبراساً يضيء طريق الشعوب وهي تكافح من اجل العدالة والحرية.



الحسين عليه السلام يهزم الجموع

وأصَلتَ الحسِينُ سِيفَ الحَقِّ
وقد دَعَا النَّاسَ إِلَى القِتَالِ
مُرْتَجِزاً يَكْرُ نُحُوءَ المِيمَنَةِ
يَصِيحُ يَا عَصَابَةَ الأَشْرَارِ
وَالعَارُ أُولَى مِن دُخُولِ النَّارِ
وَشَدَّ بَعْدَ ذَاكَ نُحُوءَ المِيسِرَةِ
مُرَدِّدَا «أَنَا الحسِينُ بَنُ عَلِيٍّ»
وَهَا أَنَا «أَحْمِي عِيَالَتِ أَبِي
يَضْرِبُ فِي جَمُوعِهِمْ كحِيدِرَةٍ
تَخَافُ تَدْتُو نُحُوءَهُ وَتَقْرَبُ
فصَاحَ «عَمْرُ بَنُ سَعْدٍ» فِيهِمُو
فإنَّهُ ابْنُ الأَنْزَعِ البَطِينِ
أَعْرَفُهُ هَذَا ابْنُ قَتَالِ العَرَبِ
شُدُّوا عَلَيْهِ وَافْصَلُوا رِحَالَهُ
فَأَمْطَرَتْ سَهَامُهُمُ آفَا

يَلْمَعُ فِي يُمْنَاهُ مِثْلَ البَرَقِ
فَارْتَعَبَتْ أَشْأَوْسُ الأَبْطَالِ
مُقْتَحِمَاتٍ رِمَاحَهَا المِسْنَنَةُ
«الموتُ أُولَى مِن رُكُوبِ العَارِ
وَاللَّهُ مَا هَذَا وَهَذَا جَارِ»
فَأَحْجَمَتْ جَمُوعُهَا المِنْكَسِرَةَ
وَأَنبِي «آلِيَّتُ أَلَّا أَنُثِّنِي»
بِعِزْمَةٍ «أَمْضِي عَلَى دِينِ النَّبِيِّ»
حَتَّى غَدَّتْ فِرْسَانُهُمْ مَنْتَشِرَةً
فَهُوَ الشَّجَاعُ البَطْلُ المُجْرَبُ
أَتَعْرِفُونَ قَدْرَهُ وَيَلْكَمُو
وَقَاتِلِ الأَبْطَالِ فِي «صَفِينٍ»^(١)
لَا يَعْرِفُ المَوْتَ وَلَا يَرْجُو الهَرَبَ
عَنْهُ وَرَوَّعُوا بِهَا عِيَالَهُ
لَكِنُّ أَبِي الضَّمِيمِ لَنْ يَخَافَا

(١) الأنزع البطين: المقصود به الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حيث كان حاسر الرأس، مهيب الطلعة، ضخم الجسم، قوي البنية، مفتول العضلات.



فصاح يا جمع أبي سفيان
إن لم يكن خلق لكم ودين
هل عرب أنتم وهل أحرار
فصاح «شمر» ما الذي تقول
قال أنا الذي لكم يقاتل
ليس عليهن بها جناح
فرد شمر لك ما تريد
واشتد بالحسين حر العطش
واقترح الفرات ثم اغترفا
ف قيل: هل تلد شرب الماء
فانتفض السبط وعاف الماء
وقد رماه «ابن نمير الأزدي»
فتمتم الحسين بالعداء

ويا مسوخ البغي والطغيان
فراجعوا الاحساب من تكونوا
أم أنكم عصابة أشرار
إنك بعد ساعة مقتول
لا يقرب النساء منكم جاهل
فلتقصدوني فدمي مباح
فأنت كفو سيد عميد
فكر في جموعهم لا يخشي
بكفه ماء ليطفي اللهب
وقد احاط القوم بالنساء
وقصد الخيام والنساء
بنبله في حلقه والزناد
وطرفه يشير للسماء^(١)

* * *

(١) تعجز الكلمات عن وصف المشهد الذي تتشابك فيه الصور والاحداث، حيث يقف الحسين وحده امام جيش الاعداء بكل شجاعة ورباطة جأش فيقف التاريخ معه حابساً أنفاسه ليبدأ منعظاً جديداً في مسيرة الشعوب، ومن هنا أترك أي تعليق بعد ان ذرفت الدموع.



الوداع الثاني

ربّ انتقم من هؤلاء الظلمة
غدا فودّع العيال ثانيا
يقول : صبراً واستعدوا للبلاء
فرّبكم ينجيكم بالرحمة
ويغدق النعمة بالعطاء
فلا تقولوا ما يحط قدركم
فأنتم ودائع النبي
وعندها قال «ابن سعد» ويحكّم
ما دام مشغولاً بأمر الحرم
والله إن يكن لكم قد فرغا
واختلطت ميمنة بميسرة
فحملوا عليه بالسهام
وأرعب النسوة والأطفال
فحمل الحسين لئثاً غضبا
يضرب فيهم والفؤاد ظام
فقال للقوم: ألا من ماء
فقال شمر لا تذوق الباردة

وأمة بغت علينا مجرمة
موصيا نساءه مواسيا
إذا القضاء فيكم قد نزلا
من بعد أن يكشف هذي الغمة
كرامة من خالق السماء
ولا تبيحوا للطغاة سرّكم
وانتم أمانة الوصي
شدوا عليه قبل أن يفجاكم
وقلبه معلق بالخيم
لعاد جيشكم دماً مصطبغا
فهو ابن قاتل الرجال حيدرة
حتى تخالفت على الخيام
وصرخت من خوفها العيال
وسيفه صاعقة تلها
وعن بنات المصطفى يحامي
أطفي هيب الجمرة الحمراء
حتى ترى النار إليها واردا



وقال بعضُ صُددًا للفراتِ
لا تشربنَّ منه أو تقضي ظمًا
فأغمضَ الحسينُ طرفاً ومشى
ثم رمى سهماً «أبو الحتوف»
فوقع السهمُ على جبهته
فهتفَ الحسينُ ربَّ قَدْ تَرى
ربَّ احصهم بينَ يديك عددا
ورفعَ الصوتَ لهم يُنادي
فبئسما خلفتُم محمّدا
لا تقتلونَ بعدَ قتلِي رجُلا
لكن يهونُ كلُّ قتلٍ بعدي
فإني أطمعُ بالشهادة
وأسألُ الباري بأنَّ ينتقما
قال «الحصين» : وبماذا ينتقمُ
فقال : يُلقى بأسكُم بينكُم
وضَعفَ الحسينُ عن قتالهم
ورشَقوه ثم بالحجارة
فحجرُ أصابهُ في جبهته
فأخذَ الثوبَ ليمسحَ الدما

كأنه يموجُ كالحياتِ
أو تقبل الأمرَ وأن تستسلما
وقال يا ربَّ أمثهُ عطشا
نحو الحسينِ في ثرى الطفوفِ
وسالتِ الدما على لحيته
ما أنا فيه والذي ما قد جرى
ولا تدرُ في الأرضِ منهم أحدا
يا أمةَ خانتَ وصايا الهادي
في أهله وما حفظتُم ولدا
فيه تخافونَ الإلهَ والملا
فأبشروا بذلّة وبعُد
وهي لدينا غايةُ السعادة
منكُم لما سفكتموه مِن دما
منا لكم والسورُ منكم ينهدمُ ؟
وعندها ويلكُم ويلكُم
فأفرغوا عليه مِن نبالهم
فهُم لعمري أمةٌ غدارة
أسالَ منه دمه في وجنته
رماهُ آخرُ بسهم سُمما^(١)

(١) ودع الحسين عليه السلام عياله الوداع الاخير وأوصى أهله بالصبر والحلم حيث قال: استعدوا للبلاء واعلموا ان الله حاميك وحافظكم وسنجيكم من شر الاعداء ويجعل عاقبة امركم



⇒ الى خير ويعوضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة فلا تشكو ولا تقولوا بالسنتكم ما ينقص من قدركم.

وهنا صاح عمر بن سعد بالجيش: ويحكم اهجموا عليه ما دام مشغولاً بنفسه وحرمة والله ان فرغ لكم لامتاز ميمنتكم عن ميسرتكم، فحملوا عليه يرمونه بالسهم حتى تخالفت السهام بين اطناب المخيم، فحمل عليهم كاليث الغضبان فلا يلحق أحداً الا بعجه بسيفه فقتله والسهام تأخذه من كل ناحية وهو يتقيها بصدره ونحره.

ورجع الى مركزه وهو يثر من قول: لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

وطلب في هذا الحال ماء فقال الشمر: لا تذوقه حتى ترد الماء وناداه رجل: يا حسين الا ترى الفرات؟ فلا تشرب منه حتى تموت عطشاً فقال الحسين عليه السلام: اللهم آمته عطشاً، فكان ذلك الرجل يطلب الماء فيؤتى به فيشرب حتى يخرج من فيه وما زال كذلك الى أن مات عطشاً.

وهنا رماه ابو الحتوف الجعفي بسهم في جبهته فنزعه وسالت الدماء على وجهه فقال: اللهم انك ترى ما انا فيه من عبادك العصاة، اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا ولا تذر على وجه الارض منهم احدا ولا تغفر لهم ابدا.

وصاح بصوت عال: يا أمة السوء بئسما خلفتم محمدا في عترته اما انكم لا تقتلون رجلاً بعدي فتهابون قتله، بل يهون عليكم ذلك عند قتلكم إياي، وأيم الله اني لا رجو ان يكرمني الله بالشهادة ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون.

فقال حصين: ورما ينتقم لك منا يا ابن فاطمة؟ قال يلقي بأسكم بينكم ويسفك دماءكم ثم يصب عليكم العذاب صبا.



السَّهَامُ تَصِيبُ قَلْبِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

مثلثٍ أصابهُ في القلبِ
وقالَ : باسمِ اللهِ والدماءِ
ها تقتلونَ رجلاً ليسَ علي
أخرجَ ذاكَ السَّهمَ مِن قفاهُ
فملاً الكفَّينِ مِنْهُ ورمى
هونَ يا ربَّاهُ ما قد فِعِلا
ثمَّ غداً مُخَضَّباً لِحيتَهُ
يقولُ : هكذا ألقى جَدِّي
ثمَّ هوى للأرضِ عَن جوادهِ
حيثُ أحاطَ بالحسينِ الفجرةُ
والحقُّ في قلوبهم يشتعلُ
مُنتقمينَ مِن سليلِ أحمدِ

فاهتزَّ بالبكاءِ عرشُ الربِّ
راعفةً وتنزفُ الأحشاءُ
وجهِ البسيطِ مثلهُ بينَ المَلا
فانبعثتُ فواراً دِماءُ
نحوَ السماءِ داعياً مُتمتما
بعينِكَ الخطبُ وما قد نَزَلا
وصابغاً من دمه شيبتهُ
مُخَضَّبَ الشيبِ تريبَ الخدِّ
فالتفَّ هذا الكونُ في سوادهِ
والبعضُ منهم شاتمٌ لحيدرةُ
بجاهليةٍ ناهيا الخبيلُ
تجمَعُوا لِيُطْفِئُوا نُورَ الهدي^(١)

(١) ولما ضعف عليه السلام عن القتال وقف يسترح رماه رجل بجحر على جبهته فسال الدم على وجهه فاخذ الثوب ليمسح الدم عن عينيه رماه آخر بسهم محدد له ثلاث شعب وقع على قلبه الشريف فقال: بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، ورفع رأسه الى السماء وقال: الهي انك تعلم انهم يقتلون رجلاً ليس علي وجه الارض ابن نبي غيره. ثم اخرج السهم من قفاه وانبعث الدم كالميزاب فوضع يده تحت الجرح فلما امتلأت رمى به نحو السماء وقال: هون علي ما نزل بي انه بعين الله ثم وضعها ثانية فلما امتلأت لطخ به رأسه ووجهه ولحيته وقال: هكذا اكون حتى القى الله وجددي رسول الله وانا مخضب بدمي.



صريعاً يُجَبِّنُ شجاعاً

تخاذلوا لجبنهم عن قتله
وهو وحيدٌ بينهم مكثورٌ
ترتهبُ الابطالُ أنْ تدنوا له
إذ ذاك قد دنأ له غلامٌ
حاولَ أنْ يحمي الحسينَ فغدا
وبعدَهُ جاءَ إليه ابنُ الحسنِ
يقولُ : ويحكُمُ أتقتلونهُ
فقطعتُ يمينهُ بضربةٍ
وبقيَ الحسينُ في الميدانِ
يُئوئُ بالطعنِ وبالجراحِ
فبدرَ الشمرُ إلى مقتلِهِ
ما انجلتِ الحربُ علأ عن مثله
لكنهُ ذو هيبه وقورٌ^(١)
والشمسُ في سمائها تعنو له
في الحسنِ بدرٌ مُشرقٌ تمامٌ
مهوى السيوفِ فمضى في الشهدا^(٢)
وذاك عبدُ الله شبلٌ مؤتمنٌ
وهو ابنُ فاطمِ وتعرفونهُ
فجاءَ سهمٌ قد أصابَ قلبه^(٣)
تُحيطُ فيه زُمرةُ الدؤبانِ
وقلبه ينبضُ بالكفاحِ
وشاهراً في وجهه لنصله

* * *

-
- (١) المكثور: هو الذي تكاثر عليه الاعداء ولم يكن معه ناصر أو معين.
(٢) ذلك الغلام هو محمد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام.
(٢) ذلك الفتى هو عبد الله بن الحسن الزكي بن علي بن أبي طالب عليه السلام.



رأس الحسين عليه السلام

وكانَ ما كانَ منَ القضاءِ وتلكُمُ مشيئةُ السماءِ^(١)
فأعولَ الهدى له والدينُ وضُيِّعَ اليتيمُ والمسكينُ
وأنتحبَّ الصيامُ والصلاةُ والحجُّ والجهادُ والزكاةُ
وزلزلَ الصفا بهِ والحرمُ والمشعرُ الحرامُ ثمَّ زمزمُ
وارتجفتُ ستائرُ الأركانِ باكيةً منَ عشرةِ الزمانِ
وناحَ أحمدُ له في قبره وارتجَّ دينُ المصطفى بأسره
وصاحَ جبريلُ حزيناً في السما يا أمةً قد سفكتُ خيرَ الدِّما
عليكِ يا مفضوحةً بالعارِ اللعنةُ الكبرى منَ الجبارِ

* * *

(١) بعد أن أعيت الجراح الامام الحسين عليه السلام وأضعفه نرف الدم والجيش متردد جنباً من الإجهاز عليه بادر الشقي اللعين شمر بن ذي الجوشن، حيث ارتداه الشيطان، فشهري سيفه واحتز رأسه المقدس.

لم أستطع أن أصف تلك اللحظة التي توقف فيها التاريخ، وتنكر فيها الزمن، حيث قوى الشر تجهز على الخير المتمثل بالامام الحسين عليه السلام فكيف يمكن وصف تلك اللحظة وكيف يمكن تصويرها، فهي أبشع جريمة يرتكبها شيطان، وأكبر مأساة يعيشها مبدأ، في تلك اللحظة، كانت المقل مفتوحة لكنها لا ترى سوى الظلام، فقد انطفأ النور وهجرت الشمس السماء وذبح القرآن، فالملأ الأعلى يبكي والكائنات تنوح ذلك حزن الوجود.



فرس الحسين عليه السلام

وبعد مقتل الحسين انهزما جواده مُجرحاً مُحمماً
ويصرخُ الظليمةَ الظليمةَ مِنْ أمة قاتلةٍ أئيمة^(١)
قد قتلْتُ سبطَ النبيِّ الهادي وبايَعْتُ «أكلةَ الأكبادِ»^(٢)
وحينَ شاهدتُ نساءَ الفرَسا مُقطَّعَ السرجِ ويمضي شرسا
أعولنَ بالبكا وبالثبورِ ورحنَ يخرجنَ من الخدورِ
فتلكَ تدعو ذا حسينٍ عار نادبَةً لجدِّها المختار
وتلكَ أهوتُ نحوه تُقبَلُ وبالرداءِ فوقه تظللُ^(٣)

* * *

(١) وبعد مقتل الامام الحسين عليه السلام أخذ فرسه، وهو من جياد خيل رسول الله صلى الله عليه وآله، يدور حوله ويلطخ ناصيته بدمه وهو يحمم ويصهل صهيلاً عالياً ويرفس القتلة برجله غضباً وحزناً، حتى روي أنه قتل جماعة منهم.

وقد قال الإمام محمد الباقر عليه السلام حول حممة الفرس وصهيله، أنه كان يقول: «الظليمة الظليمة من أمة قتلت ابن بنت نبيها».

(٢) آكلة الأكباد: هي هند بنت عتبة زوج أبي سفيان، حيث لاكت من حقدتها كبد سيد الشهداء حمزة عم النبي صلى الله عليه وآله في معركة أحد، بعد أن بقرت بطنه.

(٣) وما أروع أبيات الحاج مثم الكعبي في تصوير هذا المشهد:

فواحدة تحنو عليه تظمه واخرى عليه بالرداء تظللُ
واخرى بفيض النحر تطبغ نحرها واخرى تفديه واخرى تقبلُ
واخرى على خوف تلوذ بجنبه واخرى لما قد نالها ليس تعقلُ



اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا هَذَا الْقُرْبَانَ

وزينبٌ تحملُهُ جُثماننا يا رَبَّنَا تَقَبَّلِ الْقُرْبَانَا
وامتلاءَ الفِضَاءِ بِالْغِبَارِ والتَفَّتِ الرِّمَالُ بِالْأَشْجَارِ
وانكشافَ النِّهَارِ فِي ظِلَامِ ففوقَ رَمَحِ هَامَةَ الْإِمَامِ^(١)

* * *

(١) خيم الحزن والاسى على الدنيا لحظة استشهاد الامام الحسين عليه السلام وكانت تلك ذروة اكبر مأساة في التاريخ الاسلامي والانساني. وهنا يتجلى الموقف البطولي لعقيلة بني هاشم زينب ابنة علي عليه السلام حيث وضعت يديها تحت الجسد الصريع وهي تقول: ربنا تقبل منا هذا القربان لدينك. اجل ان الحسين عليه السلام اعز قربان واشرف فداء لدين جده محمد بعد ان اصبح لعبة في يدي بني امية.



حرق الخيام ومحنة السجادة عليها السلام

وسُلبَ الحسينُ بعدَ القتلِ وهوَ لعمرى مِن شَنِيعِ الفعلِ
وأُحرقتْ خيامُهُ في كربلا وصيحَ فيها إستعدّوا للبلأ
وبأنتِ النساءُ يومَ العاشرِ والخوفُ يكوي كلَّ قلبِ حائرِ
ومحنةُ السجادةِ في العيالِ قدَّ عظُمتُ حتى على الجبالِ^(١)

* * *

(١) وبلغت الوحشية بجيش يزيد ان سلبوا الحسين عليه السلام بعد قتله، ورضوا صدره وظهره بسنابك الخيل، ورفعوا رأسه الشريف في رمح طويل افتخاراً بقتل سيد شباب أهل الجنة، واستعداداً بالأسرى والسبايا من آل الرسول للرحيل بهم الى الكوفة ومنها الى الشام. وهنا يبدأ مشوار جديد وشوط آخر من مسيرة الثورة الحسينية الخالدة حيث يمثل الامام السجادة عليه السلام وعمته زينب الحلقة الموصلة بين الثورة والاجيال، ولاولا هذه الحلقة المباركة لماتت الثورة في مهدها وغطتها رمال الصحراء في كربلاء.





الجزء السادس

الامام علي بن الحسين
السجاد عليه السلام





الأهّاء

الى سيدي الامام السجاد
علي بن الحسين.. زين العابدين
أقدم هذا الجزء من (قوافل النور)
راجياً له ان يقبل مواضع القيود في يديه ..
ونعمات الدعاء في شفّتيه.





إضاءة

وُلد الإمام السجاد عليه السلام عام ٣٨ هـ، وهي الفترة التي كانت مشتعلة بالفتن، حيث نشط الناكثون، والمارقون، والقاسطون على جدّه أمير المؤمنين الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام وجمعوا أمرهم على مخالفة الحق الذي كان يدور معه حيثما دار، فعاش الإمام زين العابدين تلك المحنة بفصولها الصعبة، التي انتهت بشهادة سيّد الأوصياء وإمام المتقين علي بن ابي طالب في محراب صلّاته في مسجد الكوفة عام ٤٠ هـ.

ثمّ عاش السجاد محنة عمه الإمام الحسن عليه السلام حين خذله الناس ما عدا الثلّة المخلصة من أصحابه، وحين أخذ تيار الانحراف الأموي يفرض سيطرته على الساحة الإسلامية، من خلال الخدعة والإرهاب والإغراء، والسياسات المادية التي برع معاوية في ابتداعها بشتّى الوسائل الباطلة، فشاهد عمّه المظلوم يتعرّض للخيانة تلو الأخرى من قبل جيشه المهزوم، حتى اضطرّ إلى الهدنة مع جيش الشام، وقلبه يعتصر المأماً لما يراه من تعاظم جبهة الباطل وجمود المجتمع الإسلامي وعجزه عن إدراك خطورة الأحداث التي تمر عليه، وعمّة المستقبل التي ستواجهه، وفق تخطيط دقيق من قبل بني أمية أعداء الرسول والرسالة، الذين دخلوا الاسلام خوفاً وطمعاً فظلموا له كارهين معادين يكيدون له ولأهله، ويفتتون وحدة الأمة وتماسكها عبر سياسة التجهيل الفكري والترغيب المادي والإرهاب الأمني، فتبدلت ملامح أمة محمد عليه السلام وصارت على شفا حفرة من الضياع والتردي في كافة أبعادها الثقافية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية.

وبعدها عايش الإمام السجاد عليه السلام محنة الأحرار من شيعة علي عليه السلام أمثال ميثم التمار، ورشيد الهجري، وحجر بن عدي الكندي، وأصحابه البررة، وتعرّضهم للقتل والسجن والتشريد على يد معاوية، وتحسس بألم وحرقة غلبة التيار النفعي على واقع الأمة، وعلى مبادئ الإسلام الأصيل، وهذه لوحدها تكفي لأن تمزق



القلوب المؤمنة التي امتلأت بحب الله وعاشت هموم الرسالة بكل وعيها وعمقها.

ومرت فصول كربلاء على الإمام السجاد عليه السلام كاملة واضحة، يعيش دقائقها ويرى تفاصيلها ويرصد حركاتها، بكل ما تمثل من ظلامه ومأساة وانتهاك وردة. فكان عليه السلام الشاهد الأكبر على تلك الجريمة النكراء. كان شاهداً على الإيمان والكفر، على الوفاء والخيانة، كما كان شاهداً على الأقوياء المؤمنين المخلصين الذين واجهوا الجيوش المعادية بالثقة، وعلى الضعفاء المهزومين الذين سقطوا أمام أول إشارة من الطغاة. ومن أصدق شهادة منه وهو ابن النبوة والإمامة، فرع الشجرة الطيبة ذات الأصل الثابت والفرع المتنامي في السماء.

وإذا كان أحرار كربلاء، قد أدوا دورهم وانتهت معاناتهم في أرض الطف، فإنّ السجاد الصابر، كان عليه أن يواصل مسيرته ويبدأ مرحلة جديدة من المأساة والمعاناة والدور الرسالي، مع موكب السبايا من أهل بيته من النساء والأطفال، كان يرى الشياطين الحاقدة تلهب الأجساد النحيله وهو مقيد في ركبه، ويرى الرماح المجنونة وهي ترفع الرؤوس الشريفة وكأن جيش الظلم لم تروه دماء الحسين وأصحابه، ولم يكتف بالجريمة البشعة، فأراد أن يمعن في الانحراف والسقوط الى أدنى مسوياته، فعمد إلى الانتقام الجسدي والنفسي من ذريته ونسائه وأهل بيته عليهم السلام.

إنّه موت القيم، وتشويه التاريخ، وطغيان المسوخ على الانسانية الحققة.. فهل يبلغ التماذي والجهل والظلم والوحشية والحقد، حداً يخرج فيه الانسان عن إنسانيته كلّها، فلا يبقى منها سوى الجلد يغطي البطش والطغيان ويغلف الحقد الأعمى والظلم المسعور؟.

إنّه الانسان، يملك بيده خيار الواقع الذي يسلكه والمصير الذي يؤول إليه، فيختار بين أن يسلك سبل الهدى والرشاد فيفوز الفوز العظيم، أو يختار الانحراف والضلال، فيمضي في مسالك التيه المعتمة، ويخسر الخسران المبين:



﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾.

إنه الانسان، بيده أن يغرس ليورق أشجاراً من العطاء ولينشر إخضرار الحق والإحسان فيما حوله.. وبيده أن يقتلع الأزهار، ليزرع الشوك، وبيده يضرع النار فيما حوله، فينتهي إلى ظلمات فوقها ظلمات ومصيره إلى النار.

وهو الانسان في كل زمان ومكان.. أعطاه الله تعالى العقل والوعي والإدراك وعرفه سبل الخير والشر، وترك له الاختيار ووضع أمام الاختبار الصعب، فالسعيد من انتصر على أهوائه ونوازعه الضيقة، وغلب قيم الحق، والعدل، واتخذ القرار الحكيم بإرادة ثابتة في طريق الهدى اللاحب.. والشقي من ضعف فتردى وانهار أمام نزعات النفس ونداء الباطل، فعاش الضياع وانتهى إلى الموت وإن كان حياً بين الناس.

هذا النموذج رافق الانسان منذ البداية وسيستمر إلى ما شاء الله، صراع بين الحق والباطل، بين قيم الخير وأساليب الشر، بين الهدى والضلال، والقرار بيد الانسان وله أن يختار بين خط الحسين وبين خط يزيد.

و«مؤسسة دار الاسلام» إذ تصدر هذا الجزء من ملحمة «قوافل النور» تتمنى على الجيل الإسلامي الواعد أن ينهل من معين تاريخ أهل البيت عليهم السلام الدروس والعبر والقوة، ما يعينه على تخطي عقبات الطريق الكأداء، التي يحاول أعداء الإنسانية أن يضعوها بين خطاه لكي ينكفيء إلى الوراء قلقاً مهزوماً:

﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾.

فسلام على السجاد زين العابدين في الاولين والآخرين.

وسلام عليه في سجل الخالدين.

والحمد لله رب العالمين.





في محنة الأسر

وبعدَ مقتلِ الحسينِ الطاهرِ
أحرقَتِ الخيامُ بالنيرانِ
وضجَّتِ السماءُ بالدُخانِ
وسيقَ آلُ المصطفى أسارى
وكُبلَ السجَّادُ بالحديدِ
وأر كبت على النياق الهزلِ
مروا على الأجسادِ في عويلِ
وبعدَ أن جفَّ دمُ المناحرِ
وسُلبتِ قلائدُ النسوانِ
وشمَّتْ عصابُ الشيطانِ
حتى بكت للمشهدِ الصحاى
وأثقلت رجلاه بالقيودِ
بناتُ طه وهو خيرُ الرُّسلِ^(١)
ونُدبَ القتيلُ للقتيلِ

(١) لم يكتف جيش السلطنة الأموية بقتل الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه واهل بيته يوم عاشوراء، إنما عمد إلى اسلوب آخر لم يألفه العرب في حروبهم وهو قطع الرؤوس وحرق الخيام وسلب النساء والأطفال.

قال ابن الأثير في الكامل والطبري في تاريخه: لما قتل أبو عبد الله الحسين عليه السلام مال الناس على ثقله ومتاعه، وانتبهوا ما في الخيام وأضرمو النار فيها، وتسابق القوم على سلب حرائر الرسول عليه السلام ففرت بنات الزهراء حواسر مسلبات باكيات. وجاء في أمالي الصدوق وسير أعلام النبلاء للذهبي، أن رجلاً جاء إلى فاطمة ابنة الحسين عليه السلام فانتزع خلخالها وهو يبكي، فقالت له: ما لك؟ فقال: كيف لا أبكي وأنا أسلب ابنة رسول الله؟ فقالت له: دعني قال: أخاف أن يأخذه غيري.

ونظرت امرأة من آل بكر بن وائل كانت مع زوجها إلى بنات رسول الله بهذه الحال فصاحت: يا آل بكر بن وائل! أتسلب بنات رسول الله لا حكم إلا لله، يا لشارات رسول الله، فردّها زوجها إلى رحله.



أجسادهم كانت بلا رؤوس
وشاهدت زينب في الرمال
فهتفت هذا الحسين في العرا
ونذبت في حرقه أباهما
وأُمها الزهراء بنت المصطفى

مذ دارت المنون بالكؤوس
جسم أخيها دامي الأوصال
ياجد لم يدن له أهل القرى^(١)
وحمزة وحسناً أخاهما
وآل هاشم رجالات الوفا

* * *

(١) بعد مقتل الحسين عليه السلام و حرق خيامه وسلب عياله، قرر الجيش الأموي بقيادة عمر بن سعد أن تقطع الرؤوس، وتسبي النساء والأطفال، وتحملهم النياق الهزل بغير وطاء، وتتجه بهم نحو الكوفة حيث ينتظرهم عبيد الله بن زياد والي الكوفة، فمرت القافلة على أرض المعركة.

قال الخوارزمي في مقتله: فقالت النسوة: بالله عليكم إلا ما مررتم بنا على القتلى، ولما نظرت زينب إلى القتلى صاحت: يا محمداه! هذا حسين بالعراء، مرمل بالدماء، مقطّع الأعضاء وبناتك سبايا، فأبكت كل عدو وصديق، ثم ألقت بنفسها على الأرض وبسطت يديها تحت جسده الشريف ودفعته نحو السماء وقالت: إلهي تقبل منا هذا القربان.
وما أجمل قول الشيخ الأوردبادي رحمة الله، وهو يصف دور زينب في واقعة كربلاء بقوله:

وتشاطرت هي والحسين بدعوة
حتم القضاء عليهما ان يندبا
هذا بمشتبك النصول وهذه
في حيث معترك المكاره في السبا



من كربلاء إلى الكوفة

وسارت القافلةُ الملهوفه
يزجرُها خوَلَةٌ والشمرُ
تدفعُ بالأيدي سِياطَ الظالمِ
قافلةٌ يقدمُها السجّادُ
حتّى بدت للركبِ من بعيدِ
تُدقُّ في أنحائها الطبولُ
حتّى إذا ما وصلتها القافله
قام «عبيدُ الله» فوق المنبرِ
ويحمدُ الله على ما وقعا
واجتمع الناسُ ببابِ المسجدِ
فصرخ الإمامُ لا تبكونا
تطوي الفيافي في طريقِ الكوفه
ودمعُها على المآقي سترُ
وقلبُها ينبضُ بالعزائمِ
بموكبِ يسوقه الجلاذُ
الكوفةُ الحمراء بيوم عيدِ
في فرح يشوبه الذهولُ^(١)
ونزلَ السجّادُ يحمي العائله
مُستبشراً بقتلِ خيرِ البشرِ
من حادثِ هزّ الجهاتِ الأربعا
وبعضُهم يبكي بقلبِ مُكمدِ
ألسنُهم أنتم قتلتمونا

* * *

(١) واتجهت قافلة السبايا من كربلاء الى الكوفة وكان رأس الحسين عليه السلام مع خولّي بن يزيد الأصبحي وحميد بن مسلم ورؤوس أهل البيت عليهم السلام مع شمر بن ذي الجوشن، وقيس بن الأشعث، وعمرو بن الحجاج.

وكانت الكوفة في تلك الأيام تعيش حالة من القلق والخوف والذهول والتناقضات، فهي من ناحية تحتزن أحزانها وآلامها على القتل العظيم الذي تعرفه، ومن ناحية أخرى تعيش الجهل والمسوخ، والانتصار المزيف.

ولكنها سرعان ما رجعت إلى رشدها واستيقظت من غفلتها فخيم عليها الحزن واعتصرها الألم والندم.



خطبة زينب عليها السلام

وأومت زينب للجموع
فسكتوا وارتدت الأنفاس
ورفعت نداءها الشجيا
وخاطبتهم يارجال الغدر
تبيكون لا جفت لكم دموع
فأنتم كمن أبادت غزلها
ما فيكم إلا الكذوب الصلف
كأنكم مرعى بأرض الدمن
فبئس ما قدمتم للآخره
فابكوا كثيراً واضحكوا قليلا
لن ترحضوها أبداً بغسل
حيث سليل خاتم النبوه
وهو ملاذ الحائر الشريد
وهو منار عزة الاسلام
تعسا لكم بفعالكم وسحقا
وخسرت صفقتكم وبؤتم
ياويلكم أي فواد وار
وأي حرمه له أبزتم

وجفنها يخفق بالدموع
وسكنت لصوتها الأجراس
وحمدت وأطرت النبييا
يأمة قد جبلت بالمكر
ولا خفا صوت لكم مسموع
من بعد قوة وفلت فتلها
والمتملق الخؤون النطف
أو فضة منقوشة في كفن
يقتلكم تلك النفوس الطاهره
فقد حملتم عارها ثقيلاً
ولن تبوؤا بعدها بعدل
قتلتموه عطشاً وقسوه
ومفزع للهارب الطريد
وابن الوصي المرتضى الإمام
فقد أضعتم دينكم والحقا
بغضب من بعده لن ترحموا
فريتم لأحمد المختار
وأي نرف طاهر سفكتم



لقد أتيتم فعلةً شوهاها هزت جبال الأرض والسماها
أتعجبون حيثُ أمطرت دما والكونُ من فعلتكم تجهما
فأبشروا بالخزي والعذاب في هذه الدنيا وفي الحساب
فاضطرب الناسُ لها حيارى إذ أشعلت وسط القلوبِ ناراً
يكونُ من هولِ المصابِ ندما دموعُهم تفيضُ حُزناً ودماً^(١)
وابن زيادٍ خاف تلك المِحنه فاخرجَ الرأسَ ليظفي الفتنة
فارتفع البكاءُ والنحيبُ وانفطرت من الأسى القلوبُ
فراح حقداً ينكثُ الثنايا ويرعبُ النساءُ والصبايا

* * *

(١) لما دخلت عائلة الحسين عليه السلام إلى الكوفة اجتمع أهلها للنظر إليهم، فصاحت أم كلثوم: يا أهل الكوفة! أما تستحون من الله ورسوله أن تنظروا إلى حرم النبي صلى الله عليه وآله وفي هذا الجو الحزين أقبلت امرأة مغللة من الكوفيات وقالت: من أي الأسارى أنتم؟ فقلن: نحن أسارى آل محمد فكثرت البكاء، وأخذ أهل الكوفة يناولون الأطفال التمر والخبز، فصاحت أم كلثوم وهي زينب الكبرى: إن الصدقة علينا حرام، ثم رمت به إلى الأرض. وأما والي الكوفة المغرور فعند وصول القافلة جمع الناس في المسجد الأعظم وهم في حالة الدهول والحيرة وخطب خطبة قال فيها: الحمد لله أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه. وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي وشيعته،.. الكامل لابن الأثير ١/ ٣٤. وظهر فرحته واستبشاره، ونشوته، وغروره بالنصر الزائف أمام النساء والأطفال.

زعموا بأن قتل الحسين يزيدهم لكنما قتل الحسين يزيدا

أما الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام فقد خطب بعد الثناء والحمد قال: أيها الناس! من عرفني، فقد عرفني، ومن لم يعرفني، فأنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أنا ابن من انتهكت حرمة، وسُلبت نعمته، وانتهب ماله، وسُبي عياله، أنا اب المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ولا ترات، أنا ابن من قُتل صبراً وكفى بذلك فخراً. ثم قال: أتبكون وتنوحون من أجلنا فمن الذي قتلنا؟



موقف زيد بن أرقم

فانتفض ابنُ الأرقمِ الصحابي
أرفعُ عصاك عن فمِ الحسينِ
إني رأيتُ المصطفى يقبلُهُ
ثمَّ بكى للمشهدِ المريعِ
فصاح فيه ابنُ زيادٍ ويلك
فخرج ابنُ أرقمٍ يُعيدُ
قتلتُم الإمامَ وابنَ فاطمه
يقتل دون رحمةٍ خياركم
مواجهاً للوغدِ في الخطابِ
وعن شفاهِ ثانيِ السبطينِ
طفلاً على عاتقه ويحمله
وهطلت عيناه بالدموعِ
لو لم تكن شيخاً أبحتُ قتلك
يا ناسُ أنتم معشرٌ عبيدُ
ودنتم لابنِ البغيِّ الأثمه
وبالهوى يُبقي لكم شراركم^(١)

* * *

(١) لقد أبدى عبيد الله بن زياد كفراً وطيشاً وحماسة عندما وضع رأس الحسين ربحانة رسول الله ﷺ وسيد شباب أهل الجنة بين يديه وجعل ينكت بالقضيب ثناياه، فقال له زيد بن أرقم: أرفع القضيب عن هاتين الشفتين فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيت شفتي رسول الله تقبلهما، ثم بكى فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك، لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك. فخرج زيد من المجلس وهو يقول: أنتم العبيد بعد اليوم، قتلت ابن فاطمة وأمّرت ابن مرجانة يقتل خياركم، ويستعبد شراركم فرضيتم بالذل. الطبري ٢٦٢/٦، البداية والنهاية لابن كثير ١٨٠/٨، تاريخ ابن عساکر ٣٤٠/٤.

وكانت هذه الصرخة تمثل بداية التحسس في المجتمع الإسلامي بشكل عام وفي المجتمع الكوفي على وجه الخصوص والتحرك ضدّ الأمويين الذي أخذ بالتوسع بفضل صرخة الحسين ونهضته الخالدة.



الحوارُ الساخن

وانعقدَ المجلسُ بالحشودِ وحَفَ بالأسيافِ والعيودِ
فدخلت زينبُ رغم الحرسِ واتخذت زاويةً في المجلسِ
فسألَ الطاغِي وراح يغضبُ مَنْ هذه فقيل هذي زينبُ^(١)

(١) تعد خطبة عقيلة بني هاشم زينب ابنة علي عليه السلام في ذلك الظرف الصعب من أهم الوثائق الخطيرة في ملف الثورة الحسينية. حيث كشفت فيها القناع عن مدى خطورة المشروع الأموي الذي يهدف إلى تمزيق الأمة والقضاء على الرسالة، وسلطت الضوء بقوة على الواقع المتردي للأمة الإسلامية آنذاك.

يقول الراوي: لما أومأت زينب ابنة علي عليه السلام إلى الناس فسكنت الأنفاس والأجراس فعندها اندفعت بخطابها مع طمأنينة نفس وثبات جأش وشجاعة حيدرية، فقالت صلوات الله عليها: الحمد لله والصلوة على أبي محمد وآله الطيبين الأخيار، أمّا بعد يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر، أتبكون فلا رقات الدمعة، ولا هدأت الرنة، إنّما مثلكم كمثلي التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم، ألا وهل فيكم إلا الصلف النطف والكذب الشنف وملق الإماء، وغمز الأعداء، أو كمرعى على دمنة أو كفضة على ملحودة ألا بئس ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم، وفي العذاب أنتم خالدون. أتبكون وتنتحبون، إي والله فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً فلقد ذهبتم بعارها وشارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً، وأنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة، ومدرة حجّتكم ومنار محجّتكم، وملاذ خيرتكم، ومفزع نازلتكم، وسيّد شباب أهل الجنة، ألساء ماتزون.

فتعساً ونكساً وبعداً لكم وسحقاً، فلقد خاب السعي، وتبّت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله ورسوله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة.



الحمدُ لله الذي أباحَ قتلكم
فهتفت في وجهه بقوة
وهو الذي طهرنا تطهيراً
وإنما يفتضحُ الكذابُ
فغضب الملعون ثم قال
قالت: رأيتُ القدرَ الجميلاً
قد كتب الله لنا الشهادة
فهمَّ أن يضربها بقوسه
فقال دعها أيها الأميرُ
فإنها مثكولةٌ حزينة

وهو الذي كذبَ أجدوثكم
أكرمنا الإلهُ بالنبوة
ألمننا التأويلَ والتفسيراً
الفاسقُ الفاجرُ والمعابُ
كيف رأيتِ صنعةَ تعالى
حيث القليلُ يتبعُ القتيلاً
وهي لنا كرامةٌ وعادة
فقام «عمرو بن حريث» نحوه
ولا تؤاخذها بما تقولُ
وقد أفاضَ قلبها شجونه^(١)

⇒ ويلكم يا أهل الكوفة، أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم؟ وأي كريمة له أبرزتم؟ وأي دم له سفكتم؟ وأي حرمة له انتهكتم؟ لقد جئتم شيئاً إداً، تكاد السموات يتفطرن منه، وتنشق الأرض، وتخرّ الجبال هدأاً!

لقد اتيم بها خرقاء، شوهاء، كطلاع الأرض وملاء السماء أفعجبتكم أن مطرت السماء دماً، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون، فلا يستخفّنكم المهمل، فإنه لا يحفره البدار، ولا يخاف فوت الثار، وإن ربكم لبالمرصاد.

(١) جاء في مقتل المرقم عن الكامل لابن الأثير: إن زينب ابنة أمير المؤمنين عليها السلام عندما دخلت إلى مجلس عبيد الله بن زياد انحازت عن النساء وهي متنكرة مما لفت انتباه ابن زياد فقال: من هذه المتنكرة؟ قيل له: ابنة أمير المؤمنين، زينب العقيلة. فأراد أن يحرق قلبها، فقال متشمتاً: الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم وأكذب أجدوثكم. فقالت عليها السلام: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد وطهرنا من الرجس تطهيراً، إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا. قال ابن زياد: كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟ قالت عليها السلام ما رأيت إلا جميلاً. هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم



والتفت الطاغى غلى السجّادِ وقال من هذا على عنادٍ (١)
 قيل عليّ بن الحسين بن عليّ قال ألم يُصب بذاك المقتلِ
 قال الإمام كان لي سمّي يكبرني وهو أخي عليّ
 قتله الناسُ يوم كربلا قال بل الله الذي قد قتلا
 فغضب الطاغى وأطرى نفسه وقال للجلاّد خذلي رأسه
 فحاول الجلاّد أن يقطّعه فصرخت عمّته اقتلني معه
 حسبك ما سفكت من دمائنا وما سبيت اليوم من نسائنا

* * *

⇒ وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذ، ثكلتك أمك يا ابن مرجانة، فغضب ابن زياد واسشاط من كلامها معه في ذلك الموقف وهم أن يضربها. فقال له عمرو بن حريث: إنها امرأة ولا تؤأخذ بشيء من منطقتها، فالتفت إليها ابن زياد وقال: لقد شفى الله قلبي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك. فرقت دموع العقيلة وقالت: لعمرى لقد قتلت كهلي وأبرزت أهلي وقطعت فرعي واجتثت أصلي، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت.

(١) يذكر المؤرخون وأصحاب المقاتل المحاورة التالية بين الإمام السجاد عليه السلام وابن زياد، وسط أجواء الأسر والحزن والألم: قال ابن زياد: ما اسمك؟ قال: أنا علي بن الحسين. فقال له أو لم يقتل الله علياً؟ فقال السجاد عليه السلام كان لي أخ أكبر مني يسمي علياً قتله الناس، فردّ عليه ابن زياد بأن الله قتله، قال السجاد عليه السلام: الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً. فكبر على ابن زياد أن يرد عليه وهو في نشوة غرور فأمر أن تضرب عنقه. فانتفضت العقيلة زينب واعتنقت السجاد عليه السلام وقالت حسبك يا ابن زياد من دمائنا ما سفكت، وهل أبقيت أحداً غير هذا فإن أردت قتله فاقتلني معه، فقال السجاد عليه السلام أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة. فنظر ابن زياد إليهما وقال: دعوه لها، عجباً للرحم وددت أنها تقتل معه. ابن الأثير، الكامل: ٣٤ / ٤.



موقف عبد الله بن عفيف الأزدي

وكان في المجلس شيخ أعمى
قد ذكروه ابن عفيف الأزدي
صاح بوجه ابن زياد ويلكم
لقتل خير الناس أمّا وأبا
ورحتم من فوق هذا المنبر
فأين أولاد المهاجرين
وثلة الأنصار والأصحاب
ينتقموا من فعل هذا الطاغية
وغادر المجلس وهو غاضب
فلم يرق لابن زياد قوله
فأرسلوا وراءه الجنودا
فاقتحموا الدار عليه ليلا
وليس في الدار سوى صبيته
فراح فيهم يضرب الجموعا
« والله لو يكشف لي عن بصري
واجتمعوا عليه حيث أوثقا

قد هاله ما يستباح ظلما
يعرف بالوثبة والتحدّي
جمعتم رجالكم وخيلكم
سبط النبي الهاشمي الأطيبا
تنتقصون ظلماً ابن حيدر
لكي يجيبوا الطاغية اللعينا
وخيرة الشيوخ والشباب
صوت يزيد وصدى معاويه
يصحبه الإخوان والأقارب
وأغضب المستكبرين فعله
ليأسروه عنوةً وحيداً
وطوقوها حرساً وخيلاً
فقال هاتي السيف يا بنيته
وكان صوته لهم مسموعا
ضاق عليكم موردي ومصدري »
وكان فيهم آيساً من البقا



واقْتِيدْ نَحْوَ حَتْفِهِ بِصَبْرٍ أَكْرَمَ بِهِ مِنْ ثَائِرٍ وَحُرٍّ
وسيقَ أهل البيت نحو خربه وزينبٌ أسيرةٌ معذبةٌ (١)
تقول لاتأتي لنا في ذا البلد إلا التي في الأسر أو أمُّ ولد
ومكثوا في قبضة اللئام يكابدون قسوة الأيام

* * *

(١) بعد استعراض ابن زياد لقوته وانتصاره المزعوم، وبعد تلك المواجهة الإعلامية الحادة بينه وبين عائلة الحسين عليه السلام الأسيرة، بدأ التحسس في المجتمع الكوفي خصوصاً بعد حادثة زيد بن أرقم، وعبد الله ابن عفيف الأزدي، فأمر ابن زياد بحبس الأسرى في دار خربة إلى جنب المسجد الأعظم والناس حولهم مجتمعون يبكون ويلطمون وجوهم. فصاحت زينب بالناس: لا تدخل علينا إلا مملوكة أو أم ولد فإنهن سبين كما سبيننا.



المسير نحو الشام

وبعدھا ساروا مع الرؤوس
قد قيّدوا بأثقل الحديد
تصهرهم حرارة الصحراء
ووافوا الشام كما جاء الخبر
فوجدوا دمشق قد تزينت
كأن عيداً في الشام صاراً
وقد تناسوا غضب الجبار
ووصل الموكب باب المسجد
يقدم موكب السبا السجّاد
نحو بلاد الشام والنحوس^(١)
وقرّعوا بالشتم والوعيد
بلا ظلال بارد وماء
في أول الأيام من شهر صفر
وبالجيش الحمر قد تحصنت
فأفرح الكبار والصغار
ووسمت جباههم بالعار
وياله من منظر ومشهد
وخلفه النسوة والأولاد

* * *

(١) في أول يوم من شهر صفر دخلت القافلة دمشق وأوقفوهم على «باب الساعات» وقد خرج الناس بالدفوف وهم في فرح وسرور، ودنا رجل من سكيّنة بنت الحسين وقال: من أي السبايا أنتم؟ قالت: نحن سبايا آل محمد عليهم السلام. وكان يزيد جالساً على منظره على «جيرون» وهو جانب من المسجد الأموي، ولما رأى الرؤوس على أطراف الرماح وقد أشرفوا على ثنية جيرون نعب غراب فأنشأ يزيد يقول:

لما بدت تلك الحمول وأشرق
نعب الغراب فقلت قل أو لا تقل
تلك الرؤوس على شفا جيرون
فلقد قضيت من الرسول ديوني

ومن هنا حكم ابن الجوزي والقاضي أبو يعلى والتفتزاني وجلال الدين السيوطي بكفره ولعنه، كما ذكر السيد القرم في مقتله نقلاً عن روح المعاني للآلوسي ٧٣/٢٦.



فضائل أهل البيت عليهم السلام

حيث دنا «شيخ» من الإمام
قال الإمام هل قرأت المصحفا
فقال هل قرأت آي القربى
قال نعم قرأتها مرارا
قال عليّ نحن هم يا هذا
وهل قرأت آية التطهير
فانتحب الشيخ وراح يبكي
وقال هل لي توبة ياسيدي
فصاح يا ناس من الدواهي
فهؤلاء أطهر البرية
فوصل الأمر إلى يزيد
ثم اقتلوه كي يكون عبره

يقول ربّ انصر جيوش الشام
قال نعم وذاك أمر ما خفا
وحبّهم أجر يزيل الذنبا
وقد فهمت قصدتها تكرارا
نحن غدونا لكم ملاذا
وآية الخمس بلا تزوير
مذ عرف الإمام دون شك
قال نعم وأنت خير السند
أن تأسروا آل رسول الله
أهل التقى والطهر والحمية
فقال كبلوه بالحديد
يريد في ذاك خفاء العترة ^(١)

(١) ودنا شيخ من السجادة عليه السلام وقال له: الحمد لله الذي أهلككم وأمكن الأمير منكم! وهنا أفاض الإمام من لطفه على هذا المسكين المغتر بتلك التمويهات لتقريبه من الحق وارشاده إلى السبيل، وهكذا أهل البيت عليهم السلام تشرق أنوارهم على من يعلمون صفاء قلبه وطهارة طينته واستعداده للهداية. فقال عليه السلام له: يا شيخ أقرأت القرآن؟ قال: بلى قال عليه السلام: أقرأت قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ قال: نعم قال: وقرأت



وأدخلوا آلَ الرسولِ المسجدا مقيّداً متّبِعاً مقيّدا
فوقفوا بين يدي يزيدٍ الفاسقِ الفاجرِ والرعيدي
فصرخ الإمامُ يابنَ هندٍ ماذا تقولُ لو رأنا جدّي
فضجّ أهلُ الشامِ بالبكاءِ وارتعدوا خوفاً من البلاءِ

* * *

⇒ قوله تعالى: ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ وقوله تعالى: ﴿واعلموا أنّما غنمتم من شيءٍ فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى﴾ قال الشيخ: نعم قرأت ذلك، فقال عليه السلام: نحن والله القربى في هذه الآيات، ثم قال الإمام: أقرأت قوله تعالى: ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّر كم تطهيرا﴾.

قال: بلى، فقال عليه السلام: نحن أهل البيت الذين خصّهم الله بآية التطهير. قال الشيخ: بالله عليك أنتم هم؟ فقال عليه السلام: وحق جدّنا رسول الله لنحن هم من غير شك. فوقع الشيخ على قدميه يقبلها ويقول أبرأ إلى الله ممّن قتلكم. وتاب إلى الإمام مما فرط في القول معه، وبلغ يزيد فعل الشيخ وقوله فأمر بقتله.



يزيد يعلن كفره وفجوره

وأحضروا رأسَ الحسينِ خاضباً
 إلا يزيدٌ فلقد نالَ الأملُ
 مردداً ياليتَ أشياخي الأولُ
 إنا قتلنا القرمَ منهم والبطلُ
 قد لعبتَ هاشمُ بالملكِ الأجلُ
 ثم مضى يخاطبُ السجّادا
 فأهطعَ الجمعُ له مناكبا
 منَ الحسينِ بالذي كان فعلُ
 قد شهدوا ما كان من وقعِ الأسلِ
 ثم عدلناه بيديرٍ فاعتدلُ
 لا خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزلُ^(١)
 كيف رأيتَ من طغى وعادى

(١) يذكر المؤرخون أن يزيد بن معاوية شاب طائش نزق عرف بالفسق والفجور وشرب الخمر، وحينما أدخلت عليه عائلة الحسين عليه السلام وهم في حالة من العذاب والعناء مكبلين بالقيود حتى إن الجامعة كانت تربط في عنق الإمام زين العابدين عليه السلام وإلى زينب وباقي بنات رسول الله صلى الله عليه وآله.

في هذا الجو هتف الإمام السجّاد عليه السلام مخاطباً يزيد وهو على سريره منتفخاً بقوله: «ما ظنك برسول الله لو يرانا على هذا الحال؟» فبكى الحاضرون وأمر يزيد بالحبال فقطعت.
 ثم تمثل بأبيات ابن الزبيري:

ليت أشياخي بيدير شهدوا
 لأهلوا واستهلوا فرحاً
 قد قتلنا القرم من سادتهم
 لعبت هاشم بالملك فلا
 لست من خندف إن لم أنتقم
 جزع الخزرج من وقع الأسل
 ثم قالوا يا يزيد لا تشل
 وعدلناه بيدير فاعتدل
 خبر جاء ولا وحي نزل
 من بني أحمد ما كان فعل



فقال كان ذا من الأقدار
وقد صبرنا للقضاء الحق
سبّ به علياً الخبيثُ
وقلبهُ بمرقعةٍ تقطعا
في موقفٍ ما كنتُ فيه أكذبُ
في هذه الحال مع النسوانِ
ونحن أبناءُ إمامِ الرُّسلِ
وفكَّ قيده بلا كلامِ
منبره وأن يسبَّ «البطلا»
وسيدُ الهداة والأخيارِ
بالطه وكبار الشيعة
لو سأل الله بما تجيبُ
وُتسخطُ الله بما لا يوقى
مقاعداً من ذلّةٍ وعمارِ

كيف رأيت صنعَ كفى الباري
قدره الرحمنُ قبل الخلقِ
ودارَ فيما بينهم حديثُ
لكن زين العابدين استرجعا
وقال دعني يا يزيدُ أخطبُ
لو أن جدّي المصطفى رأني
قيدتونا بقيود اللدّلي
فخجل الطاغى من الإمامِ
وأمر الخطيب أن يرقى على
ذاك وصي أحمد المختارِ
فأكثر الخطيبُ بالوقيعه
قال علي: أيها الخطيبُ
تُرضي بما قد قلته المخلوقا
فلتتبوا من جحيم النارِ

* * *



الخطاب التاريخي

والتفت السجّادُ نحو الطاغية
يسأله أن يرتقي الأعوادا
فلم يُجبْ مطلبه يزيدُ
لكنّما الناسُ ألحت تطلبُ
ما قدر ما يحسنه هذا الفتى
فقال لا، هذا وريثُ العلم
فلم يزالوا فيه حتّى أذنا
وقال أعطينا من الفضائلِ
مخاطباً إياه في كراهيه
لكي يقولَ الصدقَ والرشادا
لأنّه أدرك ما يريدُ
دع الغلامَ يا يزيدُ يخطبُ
وقد غدا فؤاده مشتتا
فصاحهً بحكمةٍ وحلمٍ
فبدأ الإمام حمداً وثنا
سِتّاً على كرامةِ المنازلِ^(١)

(١) في غمرة هذا المشهد المؤلم وبعد إعلان يزيد لكفره وعدم إيمانه بالوحي ورسالة النبي محمد ﷺ من خلال ترديده للأبيات السابقة، التفت إلى الإمام السجاد عليه السلام يقول: كيف رأيت صنع الله يا علي بأبيك الحسين؟ قال: رأيت ما قضاه الله عزّ وجل قبل أن يخلق السماوات والأرض.

وشاور يزيد من كان حاضراً عنده في أمره فأشاروا عليه بقتله، فقال زين العابدين عليه السلام: يا يزيد! لقد أشار عليك هؤلاء بخلاف ما أشار به جلساء فرعون حين شاورهم في موسى وهارون فإنهم قالوا له: أرجه وإخاه، ولا يقتل الأديعاء أولاد الأنبياء وأبناءهم فأمسك يزيد مطرقاً. إثبات الوصية ١٤٣.

ثم أمر يزيد الخطيب أن يعتلي المنبر وينال من الحسين عليه السلام وأبيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وصعد الخطيب المنبر وبالغ في ذم العترة الطاهرة وأثنى ثناءً كاذباً على يزيد وأبيه، فانبرى



⇒

له الإمام السجاد عليه السلام فصاح به: ويلك أيها الخاطب اشتريت رضا المخلوق بسخط الخالق فتبوا مقعدك من النار.

أتجه الإمام نحو يزيد فقال له: أتاذن لي أن أصعد هذه الأعواد فأتكلم بكلمات فيهن لله رضا وهؤلاء الجالسين أجر وثواب...

فرفض إجابته، وألح عليه الجالسون بالسماح له، فردّ عليهم يزيد قائلاً: إن صعد المنبر لم ينزل إلا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان، إنّه من أهل بيت قد زقوا العلم زقا. وأخذوا يلحون عليه في أن يسمح في الخطاب، ولم يجد بداً من إجابتهم فسمح له، واعتلى الإمام المنبر فخطب خطاباً رائعاً هيمن فيه على الجالسين، أبكى العيون واضطرب المجلس وتغيرت الأجواء لصالح مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

ومن خطابه عليه السلام قوله: أيها الناس أعطينا ستاً وفضلنا بسبع، أعطينا العلم والحلم والسماحة والفصاحة، والشجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين، وفضلنا بأن منا النبي والصدّيق والطيار وأسد الله رسوله وسيّدة النساء وسبطي هذه الأمة، ومنا مهديها أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي، أيها الناس أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفاء، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الرداء، أنا ابن خير من اتزر وارتدى، وخير من طاف وسعى، وحجّ ولبى، أنا ابن من حمل على البراق وبلغ به جبرئيل سدرة المنتهى، فكان من ربه كقاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله ببدر وحنين، ولم يكفر بالله طرفة عين، أنا ابن صالح المؤمنين ووارث النبيين، ويعسوب المسلمين ونور المجاهدين وقاتل الناكثين، والقاسطين، والمارقين، ومفرق الأحزاب، أربطهم جأشاً، وأمضاهم عزيمة، ذاك أبو السبطين الحسن والحسين، علي بن أبي طالب.

أنا ابن فاطمة الزهراء، وسيّدة النساء، وابن خديجة الكبرى، أنا ابن المرملة بالدماء، أنا ابن ذبيح كربلاء، أنا ابن من بكى عليه الجن في الظلماء. وناحت الطير في الهواء.

فلما بلغ إلى هذا الموضع ضجّ الناس بالبكاء وخشي يزيد الفتنة فأمر المؤذن أن يؤذن للصلاة، فقال المؤذن: الله أكبر، قال الإمام: الله أكبر، جلّ وأعلى وأكرم مما أخاف وأحذر، فلما قال المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله، قال عليه السلام: نعم أشهد مع كل شاهد أن لا إله غيره ولا ربّ سواه، فلما قال المؤذن: أشهد أن محمداً رسول الله، قال الإمام للمؤذن:

⇐



شجاعة فصاحة وعلمًا
ثمّ وقد بسبعة فضّلنا
بأنّ منّا أحمد المختارا
وفاطمًا سيّدة النساء
وجعفر الطيّار كان منّا
وسيديّ شباب أهل الجنّة
وانطلق الإمام في خطابه
أنا ابن مكيّة وجمّع ومنى
أنا ابن مبعوث السماء أحمدًا
أنا ابن من قاتل في سيفين
أنا ابن من ربّاه جبرائيلُ
أنا ابن وارث النبوات علي
أنا ابن أكرم النساء الزهرا
أنا ابن من قد رمّوه بالدماء
أنا ابن من في نينوى قد قُتلا
فضجّ كلُّ الناس بالبكاء
وكادت الفتنة أن تكونا

سماحة محبّة وحلمًا
على جميع الخلق فانتصرنا
وانّ منّا حيدر الكرار
وبضعة خامسة النساء
وحزرة ذاك الفتى المكنّى
والقائم المهديّ محيي السنّه
يُذكرُ الجموع في انتسابه
وزمزم وابن الصفا ذاك أنا
من حمل الركن بأطراف الردا
في بدر الكبرى وفي حنين
أنا ابن من نجاه ميكائيلُ
أنا ابن ذاك الهاشمي البطل
فاطمة حسبي بذاك فخرا
أنا ابن من أبكى ملائكة السما
أنا ابن من أضحيّ دفين كربلا
وأيقن الطغاة بالبلاء
عاصفة تحطم الحصونا

⇒
أسألك بحقّ محمد أن تسكت حتى أكلم هذا والتفت إلى يزيد وقال: هذا الرسول العزيز
الكريم جدّك أم جدّي؟ فإن قلت جدّك علم الحاضرون والناس كلهم أنك كاذب، وإن
قلت جدّي؟ فلمّ قتلت أبي ظلما وعدوانا وانتهبت ماله وسبيت نساءه فويل لك يوم
القيامة إذا كان جدّي خصمك.

فصاح يزيد بالموذن: أقم للصلاة، فوقع بين الناس همهمة وصلّى بعضهم وتفرّق الآخر.



فَأَمَرَ الطَّاعِيَةَ الْمُؤَذِّنَا
حَتَّى إِذَا مَا بَلَغَ الشَّهَادَةَ
التَّفْتِ الْإِمَامُ لَابْنِ هِنْدٍ
فَإِنْ زَعَمْتَ أَنْ طَهُ جَدُّكَ
أَمَا إِذَا كُنْتُ أَنَا ابْنُ ابْنَتِهِ
وَلَمْ سَبِّتْ أَهْلَهُ وَالنَّسْوَهُ
فَالْوَيْلُ إِنْ كَانَ النَّبِيُّ خَصْمَكَ
ثُمَّ أُقِيمَتْ بَعْدَهَا الصَّلَاةُ
أَنْ يَصْعَدَ الْمُنْبَرُ كِي يُؤَذِّنَا
لِلْمُصْطَفَى بِالرُّوحِيِّ وَالسِّيَادَةِ
وَقَالَ هَلْ جَدُّكَ ذَا أُمِّ جَدِّي؟
فَقَدْ كَذَبْتَ وَتَعَدَّى حَدُّكَ
فَلَمْ وَضَعْتَ السِّيفَ فِي عَتْرَتِهِ
وَهُمْ لِكُلِّ النَّاسِ خَيْرٌ أُسْوَهُ
يَوْمَ الْحِسَابِ إِذْ تُلَاقِي ظَلَمَكَ
فَأَتَمَّ بِالطَّاعِيَةِ الطُّغْيَاةُ

* * *



رأس الحسين عليه السلام بين يدي يزيد

ثمّ دعا برأسِ فخرِ الشُّرفا وسطَ ذهولٍ من بناتِ المصطفى
فراح ينكتُ الفمَ الشريفِفا فمَ الحسينِ الطاهرِ العفيفِفا
مسترجعاً ثاراتِ يومِ بدرِ من شبيبةِ الحمدِ وآلِ فهرِ
وهو يقول: قد أبت أقوامنا أن ينصفونا فعلى صمصامنا
نفلقُ الهاماتِ من رجالِ كانوا من الكمأةِ والأبطالِ

* * *



موقف يحيى بن الحكم

وكان في المجلس «يحيى بن الحكم»
أولاءٍ يا يزيدُ أدنى رُحما
سمية أولادها عدُّ الحصى
فقال والهَمُّ طِواءُ والألم
من ابنِ مرجانةٍ حين تنمى
ونسُلُ آلِ المصطفى قد نُقصا

* * *



موقف أبي برزة الأسلمي

ثمَّ «أبو برزة أعني الأسلمي» قام وقال قولةً مِلءَ الفمِ
أشهد أنني قد رأيتُ أحمدًا قَبْلَ مُنْه الشفتين واليَدا
وقال ذا شبابُ أهلِ الجنَّةِ فصار حبه هُدىً وسُنَّةً
قد قتل الله الذي يقتله وفي زاوياً سَقِرَ يُنزلُهُ
فغضبوا منه وجُرَّ سحبا وكاد أن يُقتلَ فيه حبا^(١)

* * *

(١) رغم التحسس والذهول الذي أحدثه خطاب الإمام السجاد عليه السلام في مجتمع الشام كان من حماقة يزيد أن دعا برأس الحسين عليه السلام ووضعه أمامه، في مرأى من النساء والأطفال، فلما لاح الرأس الطاهر لهم أكثروا من الصراخ والبكاء ثم أذن يزيد للناس إذناً عاماً أن يدخلوا عليه وأخذ ينكتُ ثغر الحسين عليه السلام بقضيب بيده، وهو يقول: يوم بيوم بدر، وأنشد قول الشاعر:

أبي قومنا أن ينصفونا فأنصفت قواضبُ في أيماننا تقطر الدما
نفلق هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعقّ واظلما
صبرنا فكان الصبر منا عزيمة وأسيافنا يقطعن كفاً ومعصما

فأجابه يحيى بن الحكم بن أبي العاص أخو مروان وكان حاضراً في المجلس بقوله.

لهامٌ بجنب الطف أدنى قرابة من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل
سمية أمسى نسلها عدد الحصى وليس لآل المصطفى اليوم من نسل

فضربه يزيد على صدره وقال: اسكت لا أم لك. تاريخ الطبري ٢٦٥/٦ والكامل لأبن الأثير ٣٧/٤. وكان في المجلس أبو برزة الأسلمي وقد هاله المشهد المؤلم فقال: «أشهد لقد رأيت النبي صلى الله عليه وآله يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن عليه السلام ويقول: أنتم سيدا شباب أهل الجنة قتل الله قاتلكما ولعنه وأعدّ له جهنم وساءت مصيراً» فغضب يزيد وأمر به فأخرج سحبا. تاريخ الطبري ٢٦٧/٦. مناقب ابن شهر آشوب ٢٦/٢.



موقف رسول قيصر

وكان حاضراً رسول قيصر
فقال إنا في بلاد الروم
يُنسب قديماً لحمار عيسى
وقد قتلتم عترة النبي
وقبّل الرأس وراح يكي
فصلبوه سفهاً وظلماً

فساءه ما قد رأى من منظر
نؤم عند مشهد عظيم
نزوره ونبذل النفيسا
أشهد أن جمعكم في غي
بكل إيمان وكل نُسك
واقترفوا ذنباً به وجُرمًا^(١)

* * *

(١) يذكر المؤرخون وأرباب المقاتل أن رسول قيصر كان عند يزيد فلما رأى رأس الحسين عليه السلام وعرف أنه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسيماء الطهر والجلال تشع منه، التفت إلى يزيد وقال له: إن عندنا في بعض الجزائر حافر حمار عيسى عليه السلام ونحن نحج إليه في كل عام من الأقطار ونهدي إليه النذور ونعظمه كما تعظمون كتبكم فأشهد إنكم على باطل، فأغضب يزيد هذا القول وأمر بقتله، فقام إلى الرأس الشريف وقبله وتشهد الشهادتين وفاز مع الشهداء في درب الحسين عليه السلام اللّاحب.



موقفُ هند بنت عمرو زوج يزيد

ورفعوا الرأس ببابِ القصرِ
فصرختُ رأسُ ابنِ بنتِ أحمدِ
وهتكت حجابها وأقبلت
وأقبل الطاغى يقولُ شعراً
«ياحبذا بردك في اليدينِ
كأنه بات بعسجدينِ
وشاهدته هندُ بنتُ عمرو
على الرماح قد قضى بين العدا
ورفعت صرختها وأعولت
لما رأى الرؤوسَ بين الأسرى
ولونك الأحمرُ في الخدينِ
شفيتُ نفسي من دمِ الحسينِ^(١)

* * *

(١) أخرج يزيد رأس الحسين عليه السلام ورفع على باب قصره ثلاثة أيام، فلما رأت زوجة يزيد هند بنت عمرو بن سهيل الرأس الشريف على باب دارها وهو يعبق بعطر سماوي رائع دخلت المجلس العام وهي تصرخ حاسرة: رأس الحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله على باب دارنا! فقام إليها يزيد وسترها بالحجاب وقال لها: اعولي عليه يا هند فإنه صريخة بني هاشم عجل عليه ابن زياد، وكان يزيد بدأ بالتنصل من مسؤولية قتل الحسين عليه السلام ولكن وقائع التاريخ ووثائق الثورة الحسينية تثبت بدون أدنى شك أن النظام الأموي المتمثل بشخصية يزيد وجلالوته يتحمل المسؤولية الكاملة عن مجزرة كربلاء الأثمة.

وفي هذا الجو المشحون بالتوتر أمر يزيد بجميع رؤوس الشهداء أن ترفع على أبواب الشام والجامع الأموي ففعلوا بها ذلك. وعندها أخذ يترنح فرحاً بيتين من الشعر مشهورين:

يا حبذا بردك في اليدين
كأنه بات بعسجدين
ولونك الأحمر في الخدين
شفيت نفسي من دم الحسين



فضول شيخ من الشام

وكان في الحضور شيخ شامي
لما رأى فاطمة بنت علي
ففرعت فاطمة لزینب
كيف أكون بعد عزّي جاريه
فانتفضت زينب لا والله
قال يزيد لو أريد أفعل
فقال أنتم تركتم ديننا
فهتفت بجدنا اهتديتم
فسبها بظلمه الشرير
يشتم ظالماً بلا رويه
يطلب من يزيد باهتمام
فقال يا أمير لو تكون لي
بدمعة حرّى وصوت متعب
يأليت حيدراً أتانا ثانيه
فإن ذاك أعظم الدواهي
قالت إذن عن ديننا تعزل
وأنتم فارقتم ملتنا
وقبله بالله قد كفرتم
فسكت لأنه أمير
وذاك طبع في بني أميه (١)

* * *

(١) يذكر الطبري وابن الأثير في تأريخيهما: أن رجلاً من الشام نظر إلى فاطمة بنت علي عليها السلام وقيل بنت الحسين عليه السلام فطلب من يزيد أن يهبها له كخادمة ففرعت ابنة أمير المؤمنين وتعلقت بزینب العقيلة وقالت: كيف أستخدم؟ قالت العقيلة: لا عليك إنّه لن يكون أبداً، فقال يزيد لو أردت لفعلت. فقالت له زينب: إلا أن تخرج عن ديننا، فردّ عليها: إنّما خرج من الدين أبوك وأخوك! فقالت ابنة علي: بدين الله ودين جدّي وأبي وأخي اهتديت أنت وأبوك إن كنت مسلماً قال: كذبت يا عدوة الله! فرقت عليها السلام وقالت: أنت أمير مسلط تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك، وانتهى الحوار الساخن عند هذا الحد، وحينما عاود الرجل الشامي الطلب نهره يزيد وقال له: وهب الله لك حتفاً قاضياً.



الخطاب الشجاع

وخطبت زينب بنت فاطمه
معلنةً أمين سجايا العدل
تخديرُك الإماماء في القصور
فأين أهل البأس والحمأة
ينتقمون من طليق الطُّلقا
وأمة أكلة الأكباد
والله ما فريت إلا جلدك
للتلقين الله في دمائنا
فحسبنا بالله خير حاكم
شاهدنا جبريل والملائك
لئن علي جرت الدواهي
فإني أستصغرُ استكبارك
لكن عندنا العيون عبري
يا عجباً بقتل حزب النجبا
والله لا تمحو لنا من ذكر
والله لا يرحضُ عنك عارها
وليس من رأيك إلا فند
وعند ذا قاطعها يزيد

وهي التي بما سيجري عالمه
تُدل في الناس بنات الرُّسل
وسوقكم لنا بلا خدور
وأين أهل الفضل والأبائة
ومن على منبر جدنا رقا
وجده مبغضنا في النادي
فكد بما شئت علينا كيدك
وما كشفت اليوم من خبائنا
وحسبنا بأحمد المخاصم
وصدرنا المرضوض والسنايك
إني أناديك وانت لاه
وإني أستعظمُ احتقارك
وهذه منا الصدور حرى
فالمصطفى باك وأصحاب العبا
ولا تميمت وحيناً بالكفر
وسوف يبقى أبداً شنارها
وليس أيامك إلا أعدد
فقال ما يهوى وما يريد



«يا صبيحةُ تُحمد من صوائِحِ ما أهونَ النوحِ على النوائِحِ»^(١)

(١) قال ابن نما وابن طاووس: لما سمعت زينب بنت علي عليها السلام يزيد يتمثل بأبيات الشاعر ابن الزبيري التي ذكرناها في هامش سابق، وقفت وقالت: الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله سبحانه حيث يقول: «ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون».

أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض، وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى أن بنا على الله هواناً، وبك عليه كرامة وإن ذلك لعظم خطرِكَ عنده فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان مسروراً، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأمور متسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، فمهلاً مهلاً، أنسيت قول الله تعالى: «ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيرٌ لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين» آل عمران / ١٧٨.

أمن العدل يا ابن الطلقاء، تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوهن تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهل المناهل والمعازل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد، والدني والشريف، ليس من حماتهن حمي ولا من جاهن ولي، وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه الأذكياء الأزياء، ونبت لحمه من دماء الشهداء، وكيف يستبطن في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنان، والإحن والأضغان، ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم:

لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل

منحنياً على ثنايا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة تنكتها بمخصرتك وكيف لا تقول، وقد نكأت القرحة، واستأصلت الشافة، بإراقتك دماء ذرية محمد عليه السلام ونجوم الأرض من آل عبد المطلب، وتهتف بأشياخك زعمت أنك تناديهم فلتردن وشيكاً موردهم ولتودن أنك شلت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت، اللهم خذ لنا بحقنا، وانتقم ممن ظلمنا، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا، وقتل حماتنا.

فوالله ما فريت إلا جلدك، ولا حزرت إلا لحمك، ولتردن على رسول الله عليه السلام بما تحملت من سفك دماء ذريته وانتهكت من حرمة في عترته ولحمته، حيث يجمع الله شملهم ويلم



⇒ شعثهم، ويأخذ بحقهم ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾

وحسبك بالله حاكماً، وبمحمد ﷺ خصيماً، وبجبرئيل ظهيراً، وسيعلم من سؤل لك ومكّنك من رقاب المسلمين بثس للظالمين بدلاً وأيكم شرّ مكاناً، وأضعف جنداً، ولئن جرّت عليّ الدواهي مخاطبتك، إني لأستصغر قدرك وأستعظم تقريعك، وأستكثر توبيخك، لكنّ العيون عبرى، والصدور حرى.

ألا فالعجب كل العجب، لقتل حزب الله النجباء، بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدي تنطف من دماننا، والأفواه تتحلب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل، وتعفرها أمهات الفراعيل، ولئن اتخذتنا مغنماً، لتجدنا وشيكاً مغرماً، حين لا تجد إلا ما قدمت يداك وما ربك بظلام للعبيد، وإلى الله المشتكى وعليه المعول، فكذ كيدك، واسع سعيك، وناصر جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحيناً، ولا يرحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فند وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين.

والحمد لله ربّ العالمين، الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة، إنه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل.



أسرة النبي ﷺ في الخربة

وعندها خاف يزيدُ الفتنه
فأخرج العيالَ والإماما
أسكنهم في الشامِ داراً خربه
ظلوا ثلاثاً يندبون الطففا
وخاف أن تدنو منه المحنه
فعمَّ إذ ذاك الضجيجُ (الشاما)
منتظراً ينفدُ فيهم مأربه^(١)
ودمعهم ملتهبٌ ما جفا

* * *

(١) إثر خطبة الإمام السجاد عليه السلام التاريخية في الجامع الأموي وخطبة العقيلة زينب في مجلس يزيد وحالة التحسس العام وتصاعد أجواء التوتر والاضطراب في الشام، خشي يزيد وقوع الفتنة، فقرر أن يخرج الإمام والعيال عن أجواء القصر وأسكنهم في دار خربة أشبه ما تكون بسجن خاص لأسرة رسول الله ﷺ لا تقيهم من حر ولا برد. فأقاموا فيها أياماً وقلوبهم يعتصرها الألم ويخيم عليهم الحزن ودموعهم ما جفت على قتلى كربلاء.



لقاء الإمام عليه السلام مع المنهال

وذا ت يوم خرج السجّادُ
شاهده «ابن عمرو المنهال»
فقال صرنا كبنّي يعقوبِ
يُذبحون غدرةً أبناءنا
بجدنا تفتخرُ الأعرابُ
يفتخرون إن طه الموثلُ
واسترجع الإمامُ مما كانا
وانتشرت أخبارُ آلِ طه
واستنكرَ الناسُ على يزيدِ
قالوا قتلتَ ابنَ النبيِّ الهادي
أبعدَ إيمانٍ نعودُ كفرا
وكثرَ عندَ يزيدِ اللائمُه

مكبلاً بحزنه يقادُ
فقال كيف أمست العيالُ
في آلِ فرعون بلاذنبِ
ويأسرون عنوة نساءنا
بديننا جانبهم يُهابُ
ونحن آلُ بيته نُقتلُ
فصبره قد حيرَ الزمانا^(١)
في «جلق» الشام وفي قراها
فعلتهُ الشنعاء بالتهديدِ
وعترةً من أفضل الأولادِ
وبعد قرآنِ نقول هجرا
بقتله لابنِ البتولِ فاطمه

(١) وفي بعض الأيام خرج الإمام السجّاد عليه السلام من الخربة ليروح عن نفسه الهموم والأحزان، فالتقى بالمنهال بن عمرو فبادره بالسلام قائلاً: كيف أمست يا ابن رسول الله؟ فرمقه الإمام بطرفه وقال: أمسينا كمثل بني إسرائيل في آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم أمست العرب تفتخر بأن محمداً منها وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمداً منها وأمسينا معشر أهل بيته مقتولين مشردين فإننا لله وإنا إليه راجعون.



فلم يجد من قولهم مناصبا ولا من اتهامهم خلاصا
فقال ابن زياد قتله وهو يلاقي ذنبه وعمله^(١)

* * *

(١) ولما كثر الناقمون على يزيد بقتله ريحانة رسول الله ﷺ دعا الإمام زين العابدين عليه السلام فأبدي له اعتذاره وألقى المسؤولية على ابن مرجانة عبيد الله بن زياد قائلاً: لعن الله ابن مرجانة، أما والله لو أتني صاحبه ما سألتني خصلة أبداً أعطيته إياها ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت.

ولكن الإمام السجاد عليه السلام أعرض عنه ولم يجبه بشيء، فقد عرف حقيقة أمره وأنه يريد الهروب من آثار الجريمة النكراء التي اقترفها.

ويذكر الطبري أنّ معاوية كان قد أوصى ولده يزيد في الحسين عليه السلام حيث قال له: إن أهل العراق لن يدعوا الحسين حتى يخرجوه فإذا خرج عليك فاصفح عنه فإن له رحماً ماسة وحقاً عظيماً. فيزيد قد خرج عن الاسلام ولم يلتزم حتى بوصية أبيه.



المسير نحو المدينة

وقد أحسَّ باضطرابِ الشامِ فأرسلَ الرسولَ للإمامِ
ليُخرجَ السجَّادَ والعيالَ وليُحسنَ التكريمَ والمقالا
وجهَّزَ العترةَ للمسيرِ وعودَةَ للأهلِ والعشيرِ
وأمرَ النعمانَ في أن يصحبا بالرفقِ في مسيرةِ أهلِ العبا
وسارت القافلةُ الحزينه تطوي صحارى الشامِ للمدينه
دموعُهم لحزنهم دليلُ وفي حذاءِ ركبهم عويلُ
أطفالُهم تلوذُ بالسجَّادِ وزينبُ والكلُّ في حدادِ^(١)

* * *

(١) كان لوجود عائلة الحسين عليه السلام ورؤوس الشهداء في الشام أثر في ازدياد المعارضة على يزيد فخشي من تفاقم الأمور فقرّر أن يخرجهم إلى المدينة، فعهد إلى النعمان بن بشير أن يصاحب ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وعوائل الرسالة ويردهن إلى يثرب، وأمر بإخراجهن ليلاً خوفاً من الفتنة، وسارت القافلة تطوي الصحراء في رحلة الحزن والمعاناة والدموع.



العودة إلى كربلاء

وفي طريق الشام لاح مفترق
بعبرة هذا طريق كربلاء
فمالت النياق للطفوف
وحين لاحت لهم القبور
وقد رموا أنفسهم عليها
قد أمطروها بالدموع الحرى
تلك تنادي أين قبر والدي
وزينب تندب يا أخيا
اليوم ذل بعدك الاسلام
ف فوق كل مصرع بكاء
حنوا لها وجداً وبانكسار
جاء يزور مصرع الحسين
يقول يا حبيب يا حسين
أجب حبيباً طالما ناغاك
أنى تجيب ودماك الزاكيه
ورأسك الطاهر فوق الرمح
وراح جابر يصب الدمعا

شاهده الحادي فصاح واختنق
هذا طريق من مضي مرملاً
ومالت الشمس إلى الكسوف
أضحت لها قلوبهم تفور
يشكون ما أصابهم إليها
يدعون حيدراً بها والزهرا
وهذه تصرخ أين رائدي
قد قتلوا بقتلك النيا
وقد أبيع البلد الحرام
وفوق كل تربة عزاء
وقد رأوا جابراً الأنصاري
منتحباً ودامع العينين
حبك فينا للنبي دين
طفلاً بحضن المصطفى رآكا
جفت وقد ناحت عليك الناعيه
وصدرك المرضوض بعد الذبح
بيكي سليل أحمد والشرعا



واعتنق الإمام في نحيب
قال علي ها هنا يا جابر
وها هنا قد قُلتُ رجائنا
وها هنا قد أحرقوا الخياما
وها هنا قد هُتكت خدورُ
وها هنا شُرِّدتِ الأطفالُ
ثمّ تعالت صرخاتُ النسوة
ومكثوا ثلاثةً في كربلا
وذاك في العشرين من شهر صفر
والكلُّ منهم صاح يا حبيبي
قد قتلَ السَّبَطُ الإمامَ الطاهرُ
وها هنا قد سُبيت نساؤنا
وها هنا قد ذبحوا الأسلاما
وها هنا قد قُطعت نحرورُ
وها هنا رُوِّعتِ العيالُ
لما تذكرن مصابَ الإخوه
وبعدها ثقلُ الإمامِ ارتحلا
فصار ذكرى كلما عاد ومرّ^(١)

(١) يذكر كثير من الكُتّاب وأرباب المقاتل أنّ قافلة السبايا وقبل وصولها إلى المدينة انعطفت نحو العراق، حيث كربلاء وذكريات الطفّ الأليمة. وحين بدت لهم معالم القبور الطاهرة وتنسموا عبير الحسين عليه السلام وأهل بيته تدفقت المقل بالدموع ورمت النساء بأنفسهنّ على ذلك الصعيد المعطر بدماء الشهادة. فكثرت الصراخ والعويل، وبقوا ثلاثة أيام يندبون الحسين حتى بحت الأصوات وتفتت القلوب. كما تذكر بعض المصادر أنّ الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري قد تشرف بزيارة قبر الحسين عليه السلام فالتقى به الإمام السجاد عليه السلام هناك وحدثه عما جرى على أهل البيت عليهم السلام من محن ورزايا وخطوب وهو حديث يدمي القلوب بالحسرات. وبهذا يعد جابر الأنصاري أوّل زائر لقبر الحسين عليه السلام حيث وقف على قبره وأجهش بالبكاء وهو يقول: يا حسين، يا حسين، يا حسين، ثمّ قال: حبيب لا يجيب حبيبه وأنّى لك بالجواب وقد شخبت أوداجك على أثباجك وفرّق بين رأسك وبدنك أشهد أنّك ابن خاتم النبيين، وابن سيّد المؤمنين، وابن حليف وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، وابن سيّد النقباء، وابن فاطمة سيّدة النساء.. وما لك لا تكون كذلك وقد غذتك كف سيّد المرسلين، وربيت في حجر المتقين ورضعت من ثدي الإيمان، وفطمت بالاسلام، فطبت حياً وطبت ميتاً غير أن قلوب



⇒
المؤمنين غير طيبة بفراقك، ولا شاكة في الخيرة لك، فعليك سلام الله ورضوانه، وأشهد
أنك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا.
ثم أجال بصره حول القبر وقال: السلام عليكم أيها الأرواح التي حلت بفناء الحسين
وأناخت برحله، أشهد أنكم أقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأمرتم بالمعروف، ونهيتم عن
المنكر، وجاهدتم الملحدين، وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين.
والذي بعث محمداً ﷺ بالحق نبياً، لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه فقال له عطية العوفي:
كيف ولم نهبط وادياً ولم نعل جبلاً ولم نضرب بسيف والقوم قد فرق بين رؤوسهم
وأبدانهم وأوتمت أولادهم وأرملت الأزواج؟
فقال له: إني سمعت حبيبي رسول الله يقول: من أحبّ قوماً كان معهم ومن أحبّ عمل
قوم أشرك في عملهم، والذي بعث محمداً بالحق نبياً أن نبيّ ونبه أصحابي على ما مضى
عليه الحسين وأصحابه.



العودة الى المدينة

و حين قاربوا ديارَ يثربِ تنسموا بعبرة طيبَ أنبي
توقفوا لم يدخلوا عليها وارسوا «ابن حذلم» إليها
ينعى الحسين باكياً منبها يأهل يثرب دعوا البقا بها
قد قُتل الحسينُ والأنصارُ ورأسه على القنا يُدارُ
قوموا فها قد وصل السجّادُ وأهله من بعد أسرِ عادوا
فهرعَ الناسُ لصوتِ الناعي بكل قلبٍ مكمّدٍ ملتاغ
وقد دعوا بالويل والثبورِ على يزيدِ الشرِّ والفجورِ^(١)

(١) بعد أن مكث الإمام السجاد عليه السلام مع العائلة ثلاثة أيام في كربلاء قضوها بالندب والبكاء والحسرات، توجهت القافلة إلى يثرب حيث قبر النبي صلى الله عليه وآله والأهل والعشيرة. ولما وصل الإمام زين العابدين عليه السلام بالقرب من يثرب نزل فضرب فسطاطه وأنزل عماته وأخواته، والتفت إلى بشر بن حذلم فقال له: يا بشر! رحم الله أباك لقد كان شاعراً فهل تقدر على شيء منه؟ فقال له: نعم يا ابن رسول الله، فأمره الإمام أن يدخل المدينة وينعى لأهلها الإمام الحسين عليه السلام وانطلق بشر إلى المدينة، فلما دخل المدينة أتجه نحو المسجد النبوي الشريف ورفع صوته بالبكاء عالياً وهو يقول:

يأهل يثرب لا مقام لكم بها قُتل الحسينُ فأدمعي مدارُ
الجسم من بكربلاء مضرجٌ والرأس منه على القنا يُدارُ

وهرع الناس نحو المسجد النبوي الشريف وقد علا صراخهم بالبكاء على الإمام الشهيد، وهم يلتفون حوله ويطلبون المزيد من الأخبار وبشر غارق بالبكاء فقال لهم: هذا علي بن الحسين عليه السلام مع عماته وأخواته قد حلوا بساحتكم وأنا رسوله إليكم أعرفكم مكانه.



وخرج الإمام وهو ينحِبُ
 فحمد الله وأثنى وشكراً
 يقول قد حل مصابٌ جليلُ
 قد قُتل الحسينُ ثم عترته
 ودار رأسه على البلدانِ
 وقد بكتهُ في السمواتِ العلى
 والأرضُ والسماءُ والبحارُ
 فأَيُّ قلبٍ فيه لم ينصدعِ
 صرنا ونحن الآلُ مبعدينَا
 بغير ذنبٍ لا ولا جريمه
 وراح في الجمعِ الحزينِ يخطبُ
 ثم مصلياً على خيرِ البشرِ
 وثلمةٌ في الدين لا تُكتملُ
 وسبيت نساؤه وصيته
 من فوق رأسِ الرمحِ والسنانِ
 ملائِكُ اللهُ وأدمعُ الملا
 والماءُ والجبالُ والأشجارُ
 وأيُّ أذنٍ للذي صار تعي
 مقـتـلـين أو مـشـردـينَا
 قد طاردتنا الزمرة الأثيمه (١)

(١) يصف بعض المؤرخين لقاء الإمام السجاد عليه السلام مع الجماهير التي استقبلته على أبواب المدينة كالיום الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله لكثرة البكاء والنحيب وأراد الإمام عليه السلام أن يحدث الناس بما جرى عليهم من عظيم الرزايا والنكبات بقتل الحسين عليه السلام وأهل بيته فجاء له بكرسي فجلس عليه السلام: الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، بادىء الخلق أجمعين، الذي بعد فارتفع في السموات العلى، وقرب فشهد النجوى، نحمده على عظام الأمور، وفجائع الدهور، وألم الفجائع، ومضاضة اللواذع، وجيليل الرزء، وعظيم المصائب الفاضعة، الكاظمة، الفادحة، الجائحة.

أيها القوم إن الله تعالى إبتلانا بمصائب جليلة، وثلمة في الإسلام عظيمة، قُتل أبو عبد الله الحسين وعترته، وسبيت نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عالِ السنان، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية.

أيها الناس فأَيُّ رجالات منكم يسرون بعد قتله أم أي فؤاد لا يحزن من أجله أم أية عين منكم تحبس دمعها، وتضن عن انهماها، فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار بأمواجها. والسموات بأركانها، والأرض بأرجائها والأشجار بأغصانها، والحيتان في لجج البحار، والملائكة المقرَّبون، وأهل السموات أجمعون.



ودخلوا المسجدَ في بكاءٍ والقبرُ والمنبرُ في عزاءٍ
 تلك تعزي بالمصابِ حيدرا وتلك تدعو فاطماً وجعفرأ
 وقد بكى النبي للمصابِ وما جرى لسيدِ الشبابِ
 وعقدتْ مآتمُ الحسينِ وانفجرتْ بالدمعِ كلُّ عينِ
 وغرقتْ يثربُ بالسوادِ والحزنِ والعويلِ والحدادِ
 وباتتِ المدينةُ المنورةُ تبكي على قتلها ابنِ حيدره
 فكل بيتٍ يندبُ المطهرا ويذرف الدمعِ سخينا أحمرأ
 وأنشدتْ قصائدُ الرثاءِ وانتشرتْ مجالسُ البكاءِ
 وأهلُ بيتِ المصطفى في حزنِ لهم نياحةٌ بأشجى لحنِ
 لم تعرفِ النسوةُ منهم طيبا ولم يعد بنائها خضيبا
 ولليتامى دمعاً وعَبره بذكرِ مأساةِ شهيدِ العِتره
 أبناءُ جعفرِ وولدِ زينبِ وثلةٌ من النساءِ النجبِ^(١)

⇒ أيها الناس أي قلب لا ينصدع لقتله، أم أي فؤاد لا يحن إليه، أم أي سمع يسمع بهذه الثلثة التي ثلمت في الإسلام ولا يصم.

أيها الناس أصبحنا مشردين، مطرودين، مذودين، شاسعين عن الأمصار كأننا أولاد ترك وكابل من غير جرم اجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلثة في الإسلام ثلمناها، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، إن هذا إلا اختلاق، والله لو أن النبي تقدم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصية بنا لما زادوا على ما فعلوه بنا، فإننا لله وإنا إليه راجعون، من مصيبة ما أعظمها، وأفضعها وأمرها، وأفدحها، فعنده نحتسب ما أصابنا، فإنه عزيز ذو انتقام...

(١) بعد خطاب الإمام السجاد عليه السلام الذي استعرض فيه فصول المحنة القاسية والمأساة الرهيبة التي تعرض لها أهل البيت عليهم السلام دخلت القافلة المدينة بالحزن والدموع والحسرات. أما عقيلة الطالبين زينب عليها السلام فإنها أنشأت تقول:



⇒

مدينة جدنا لا تقبلينا فبالحسرات والأحزان جينا
خرجنا منك بالأهلين طراً رجعنا لا رجال ولا بنينا

ثم وقفت بباب المسجد وصاحت: يا جداه! إني ناعية إليك أخي الحسين عليه السلام. وصاحت
سكينة: يا جداه! إليك المشتكى بما جرى علينا، وأقامت السيدات من عقائل الوحي
والرسالة المأتم على سيد الشهداء ولبسن السواد وأخذن يندبنه بأشجي ما تكون الندبة.
وفي حديث الإمام الصادق عليه السلام: ما اختضبت هاشمية ولا أدهنت، ولا أجيل مرود في عين
هاشمية خمس حجج حتى بعث المختار برأس عبيد الله بن زياد.
وأما الرباب فبكت على أبي عبد الله الحسين عليه السلام حتى جفت دموعها، وكان من رثائها
في الحسين عليه السلام:

إنّ الذي كان نوراً يُستضاء به بكربلاء قتيلاً غير مدفون
سبط النبي جزاك الله صالحة عنا وجُنبت خُسران الموازين
قد كنت لي جبلاً صعباً ألودُ به وكنت تصحبنا بالرحم والدين
منَ لليتامى ومنَ للسائلين ومنَ يغني ويأوي إليه كل مسكن
والله لا أبتغي صهراً بصهركم حتى أغيب بين الرمل والطين



أحداث عاشوراء لا تغيب عن الذاكرة

وعاد زين العابدين نادبا يذكر طول عمره الأطايا
يذكرهم حين يريد الماء كيف قضاوا في كربلا ظمأ
وكيف كانوا طعمة السيوف مجزرين في ثرى الطفوف^(١)
و حين يندب الحسين يذكر طفولة رعاها فيها الأطهر

* * *

(١) بعد واقعة كربلاء استقر الإمام السجاد^{عليه السلام} في المدينة يذكر مصيبة الحسين^{عليه السلام} ليلاً ونهاراً وليكون شاهداً حياً على أحداثها، وحلقة وصل بين الثورة والأجيال التي تليها؛ فبدأ منهاجه الرسالي في تذكير الناس بمبادئ الثورة عبر البكاء والدموع، قال الإمام الصادق^{عليه السلام}: إن جدّي علي بن الحسين^{عليه السلام} بكى على أبيه عشرين سنة وما وضع بين يديه طعام حتى بكى، حتى عدله بعض مواليه فقال له: إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين فقال^{عليه السلام}: يا هذا إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله مالا تعلمون، إن يعقوب كان نبياً فغيب الله عنه واحداً من أولاده وعنده اثنا عشر وهو يعلم أنه حي فبكى عليه حتى ابيضت عيناه من الحزن، وإني نظرت إلى أبي وإخوتي وعمومي وصحبي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني؟ وإني لا أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة، وإذا نظرت إلى عماتي وأخواتي ذكرت فرارهن من خيمة إلى خيمة.



المولد المبارك

في الكوفة الحمراء يوم ولدا
حين عليُّ أخذ الوليدا
مذكراً بشارة النبي
يولد منه لي فتى سجّادُ
كنيته أبو الحسين والحسنُ
ذو الثغفات الطاهرُ الزكيُّ
ووصف ابن الخيرتين طراً
هيته تنو لها الوجوه
لا تشبع العيونُ من رؤيته
في شهر شعبان باحضان الهدى
وضمه لصدرة سعيدا
إلى الحسينِ بابنه عليِّ
تغبطه لزهده العبادُ
لم يُر مثله صبوراً في المحنِ
وهو الأمينُ الساجدُ الأبويُّ
أجداده من هاشمٍ وكسرى
يغضي حياءً قال واصفوه
وتفرحُ القلوبُ من بسمته^(١)

(١) جاء في الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي وكتاب كشف الغمة للأربلي إن الإمام السجاد عليه السلام وُلد في يوم الخامس من شعبان سنة ٣٨ هـ. وهذا هو المشهور عند الإمامية، فقد أشرقت سماء الكوفة وابتهجت أرضها بولادة زين العابدين إمام الحكمة والعرفان، ورائد الهداية والمعرفة، وسراج الدنيا والدين، يقول السيد المصري عبد العزيز سيّد الأهل: لقد وُلد ضعيفاً نحيفاً تلوح في نظراته ومضات خافته، وكأنها ومضات همّ منطفىء، وما لبثت هذه الومضات المكسورة إن دلت فإنما تدل على حزن قادم يوشك أن يقع. لقد رافقته الخطوب وصاحبته الآلام منذ ولادته فقد اختطفت يد المنون أمه الزكية وهو في المهدي، وتتابعت عليه المحن بعد ذلك يتبع بعضها بعضاً، وكان أشدها وقعاً وأعمقها أثراً أحداث كربلاء التي عاش تفاصيلها. وكما هي العادة الجارية لإجراء مراسم الوليد في الاسلام، فقد حمّله والده الحسين عليه السلام مسرعاً به إلى جدّه أمير المؤمنين فأذن في أذنه



⇒
اليمنى، وأقام في اليسرى فكانت كلمات التوحيد أول نغم يدخل قلبه وكيانه، بذلك بقيت لنا خاشعاً في مناجاته وأدعيته.

وأما تسميته فقد أجمع المؤرخون والرواة أن رسول الله ﷺ قد سمى حفيده بعلي بن الحسين عليه السلام ولقبه بزین العابدين وذلك قبل أن يخلق بعشرات السنين، فقد روى الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري وغيره قال: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ والحسين في حجره، وهو يداعبه، فقال عليه السلام: يا جابر! يولد له مولود اسمه علي إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم سيد العابدين، فيقوم ولده، ثم يولد له ولد اسمه محمد فإن أدركته يا جابر فأقرئه مني السلام.

وأذاع جابر هذا الحديث، كما أدرك الإمام محمداً الباقر عليه السلام وبلغه هذه التحية من جدّه الرسول ﷺ فتلقاها الإمام بمزید من الغبطة والسرور. كما نذكر ذلك إن شاء الله في القسم السابع من هذه الملحمة حول الإمام الباقر عليه السلام.

وأما كنيته فهي أبو الحسين، وأبو الحسن، وأبو محمد، وأبو عبد الله، وكان له عليه السلام عدّة ألقاب فهو: زين العابدين، سيد العابدين، ذو الثننات، السجّاد، الزكي، الأمين، وابن الخيرتين، ولا شك أن هذه الألقاب والصفات تحكي خصائص شخصيته المباركة وسمات نفسيته العالية في الروح والإخلاص والحب والتضحية والوفاء والعطاء الذي ليس له انقطاع.



الصحيفةُ السجّاديةُ

يُعرف بالدعاء والتهجدِ وكثرة السجود والتعبُدِ
حتى غدا دعاؤه صحيفه عالية في نهجها منيفه (١)

(١) تعد الصحيفة السجّادية للأمام زين العابدين عليه السلام من أعز كتب الدعاء والعرفان ومن أهم ذخائر التراث والأداب والبلاغة. وهي كما يقول الإمام الشهيد الصدر رضي الله عنه: تعبر عن عمل اجتماعي عظيم كانت ضرورة المرحلة والظروف السياسية تفرضه على الإمام السجّاد عليه السلام إضافة إلى كونها تراثاً ربانياً فريداً يظل على مرّ الدهور مصدر عطاء ومشعل هداية ومدرسة أخلاق وتهذيب، وتظل الانسانية بحاجة إلى هذا التراث المحمدي العلوي، وتزداد حاجة كلّما ازداد الشيطان إغراء والدنيا فتنة. وسندها المبارك ينتهي إلى الإمام أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام وإلى الشهيد الفذ زيد ابن علي بن الحسين عليه السلام وقد توارثها أهل البيت عليهم السلام حتى أوصلوها إلى الأجيال بأمانة وإخلاص. كما ذكرت سلسلة سندها في مقدمة الصحيفة، ولجلالة قدرها سميت بزبور آل محمد، وكانت منذ القدم موضع عناية علمائنا والواعين من أبناء مدرسة أهل البيت عليهم السلام لما تتمتع به من أصالة فكرية ونفحات روحية وبلاغة علوية، وأساليب عرفانية ومناهج تربوية في إعداد الفرد والمجتمع، ومواجهة تحديات الشيطان على مختلف مواقع الصراع والمواجهة، وهي نور القلب وسلاح الروح أمام التحديات، وأذكر حين كنّا في المعتقل في منتصف السبعينات كان الجلّادون من رجال الأمن العراقي يعدون الصحيفة السجّادية من الكتب المنوعة التي يحظر على المؤمنين تداولها في المعتقل رغم أنّها مجموعة أدعية ومناجاة في رحاب الله تعالى وآفاق الروح والحياة، وذلك لما لها من أثر نفسي وأخلاقي في تماسك الشخصية واعدادها بالقوّة في مواجهة التحديات.



زبور آل أحمد قد وُصفتُ
يبدأها بالحمدِ والثناءِ
ثمّ الصلاةِ للنبيّ الهادي
تضمنتُ أفضلَ ما قد قيلاً
فيه تواضعُ العبادِ البررةِ
يَدْعُو لجنّدِ الله في الثغورِ
وفي المناجاةِ له دويٌّ
يسمعُ منه الباقرُ الدعاءِ
قد ورثوها أهلُ بيتِ الرحمةِ
تلهجُ فيها ألسنُ الأخيارِ
على ذخائرِ الدعاءِ إئتلفتُ
لله في السراءِ والسراءِ
وآلِهِ أئمةِ الرشادِ
من الدعاءِ مهذباً جميلاً
ودمعةٌ من خوفِهِ منحدره
وقلبه منبعُ كلِّ نورِ
فهو بحقُّ جدّه عليٍّ
وزيدٌ يملِي قوله إملاءِ
حتى غدت معروفةً في الأمةِ
فهي بحقُّ درةِ الأذكارِ

* * *



فضائل الإمام السجّاد عليه السلام

وللإمام أفضل الصفات
فهو يحبّ العبد والفقير
يُطعمُ من طعامه المملوكا
جيرانه كأهله لديه
في الليل يحمل الجراب دأبه
حتى لقد أثر في أكتافه
من كرم كانت ومكرمات
ويذكرُ المسكين والأسير^(١)
ما فرق العبيد والمملوكا
فالكلُّ منهم وافدٌ إليه
وحسبُهُ بذاك فخراً حسبه
لينعم الفقيرُ في أكتافه

* * *

(١) عرف الإمام السجّاد عليه السلام بفضائل الأخلاق والمكرمات؛ فطالما جالس الفقراء والمساكين حتى أصبح محبوبهم، وطالما حمل والغذاء على ظهره لعوائل البؤساء والضعفاء في أحياء المدينة ونواحيها يسد جوعهم ويحفظ كرامتهم. حتى روى الزهري انه لقي الامام السجّاد عليه السلام في الليل وهو يحمل على ظهره جراب الطعام للفقراء فقال له: الى أين يا ابن رسول الله فقال له الامام: انا في سفر وبعد أيام لقي الامام فقال له ألم تسافر أجابه الامام لحيث تظن يا زهري.. انما هو سفر وهكذا كان الامام يرعى الفقراء ويحنو عليهم كالام الدؤوم.



الإمام السجّاد عليه السلام في لسان الرواة والفقهاء

وبيته محطّ أهل الذكر
يقول ما رأيت هاشمياً
وقد روى عنه رواة كثر
منهم أبو حمزة الثمالي
ثم شهيداً رشيداً الهجري
ثم سعيد بن جبير الصيرفي
ثم سدير بن حكيم الصيرفي
وآخرون من رواة الصدق
حتى روى العجيب منه الزهري^(١)
أفضل منه ميتاً وحيّاً
فعلمه يزخر وهو بحر
«ثابت المعروف بالرجال»
وسالم المعروف مولى عمر
من ناله الحجاج بالسيوف
فظالم بن عمرو المعروف
قد عرفوا إمامهم بحق

(١) كان منزل الإمام السجّاد عليه السلام ملتقى العلماء ومنتدى الذاكرين والباحثين في علوم الشريعة وآدابها، فهو المعلم الذي تشد إليه الرحال، وصاحب الحلقات الدراسية في مسجد جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله.

حتى قال عالم الحجاز والشام وأحد الفقهاء الأعلام وهو محمد بن مسلم القرشي الزهري: ما رأيت هاشمياً مثل علي بن الحسين وقال: كان علي بن الحسين أفضل أهل زمانه وأحسنهم طاعة. وحينما سئل عن أزهد الناس في الدنيا، فقال: علي ابن الحسين عليه السلام. وكان من شدة حبّ الزهري للإمام السجّاد عليه السلام إنه إذا ذكره بكى. تاريخ دمشق ١٩/١٢. ولقد روى عن الإمام السجّاد عليه السلام رواة كثيرون، منهم العالم الجليل أبو حمزة الثمالي، واسمه ثابت بن صفية، صاحب دعاء السحر في شهر رمضان المبارك، وهو من وجوه الكوفة ورجالات الشيعة فيها، وقد روى عن الإمام رسالته المعروفة رسالة الحقوق.



⇒

ومنهم رشيد الهجري وهو بطل من أبطال الاسلام الخالدين ورمز من رموز الجهاد الذي حمل مبدأ الإمامة وصمد بوجه الطاغية عبيد الله بن زياد. وكان قد أخبره أمير المؤمنين عليه السلام بما سيلقى في حب آل محمد. فقد قال له يوماً: يا رشيد! كيف صبرك إذا أرسل إليك دعي بني أمية فقطع يديك ورجليك ولسانك، فقال للإمام: يا أمير المؤمنين! آخر ذلك إلى الجنة، وبادر الإمام قائلاً له: يا رشيد! أنت معي في الدنيا والآخرة.

وهكذا نال الشهادة مع الأبرار الذين لاحقهم الطاغية بعد مقتل الحسين عليه السلام فكان مع الخالدين، ومنهم سالم بن عبد الله مولى عمر فقد عدّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام ومنهم سعيد بن جبير الكوفي وهو من العلماء التابعين المجاهدين، كان من أبرز العلماء في عصره، وقد تعرّض له الطاغية الحجاج بن يوسف الثقفي بالتعذيب حتى الاستشهاد، وقبره اليوم شاخص يزار في مدينة الكوت في العراق.

ومنهم سدير بن الحكيم الصيرفي الكوفي، عدّه الشيخ الطوسي من رجال الإمام زين العابدين. ومنهم ظالم بن عمرو ويكنى أبا الأسود الدؤلي، عدّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام كان من العلماء اللامعين والشعراء الموهوبين وهو المؤسس الأوّل لعلم النحو حيث أخذه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في قصة معروفة.

وغيرهم كثير حتى أحصاهم الشيخ باقر شريف القرشي في كتب الرجال بمائة وثلاثة وستين رجلاً إضافة إلى امرأة فاضلة روت عن الإمام السجاد عليه السلام هي أم البر وقيل حباة الوالدية.



والبيتُ يعرفهُ والحلُّ والحرمُ

قد حجّ عشرين على أقدامه
لم يزجر الناقة من رقبته
وذات عام في الإحرام
فأفرج الناس له في الكعبه
فغاظ فعلتهم هشام
فقال: من هذا الذي تفرّقوا
هذا الذي تعرفه البطحاء
هذا ابن سيّد العباد أحمد
ولم يكن قولك من ذا ضائره
تعرفه الأعراب والأعاجم
ما قال لا قط سوى التشهد
وخيلُه تُقادُ من أمامه
لكي يُشيع الرفق في أمته
وقد دنا الإمام من هشام
فاستلم الركن بكل هيبة
ثمّ أراد يُجهلُ الإمام
عنه فرد قوله الفرزدق
والبيتُ والأركان والأرجاء
نراه فينا الهاشمي السيدا
فهو سنا الدنيا ونور الآخرة
وكفه تألفها المكارم
فهو بحق بحرُ آلا أحمد^(١)

(١) كانت علاقة أهل البيت عليهم السلام بالحج وطيدة لما ينطوي عليه من مضامين عبادية واجتماعية، وثقافية، وسياسية خصوصاً الإمام زين العابدين عليه السلام فقد عرف عنه إنه كان شديد التعلق بالكعبة الشريفة ومسجدها الحرام حتى قيل إنه كان يحج ماشياً على قدميه حباً في هذه العبادة، وتواضعاً وشوقاً في السعي إلى المحبوب، وروي أنه أوصى ولده محمداً الباقر عليه السلام بناقته التي كانت ترافقه في هذه الرحلات الطويلة بأنها إذا نفقت أي إذا ماتت أن يحفر لها ويدفنها خشية أن تأكلها الوحوش.



⇒ وهناك قصة مشهورة تشهد على مدى تعلق المسلمين الشديد بالإمام زين العابدين عليه السلام والحب والولاء الروحي له بين الجماهير وذلك حينما حج هشام بن عبد الملك وطاف بالبيت وأراد أن يستلم الحجر الأسود فلم يقدر على استلامه من شدة الزحام، فنصب له كرسي فجلس ينتظر ثم أقبل وسط هذا الحشد الجماهيري الهائل الإمام زين العابدين عليه السلام وأخذ يطوف فكان إذا بلغ موضع الحجر انقرجت الجماهير لهيبته وتنحى الناس لجمال طلعتة حتى يستلمه لعظيم معرفتها بقدره وحبها له على اختلاف بلدانها ومذاهبها واتجاهاتها، وحينما سأل أحد الناس عن الإمام ومن يكون هذا؟ تنكر هشام للإمام السجاد عليه السلام لئلا يفتنوا بمعرفته، فأجاب الشاعر الفرزدق بقوله: أنا أعرفه، فسجل الشاعر هذا الموقف في قصيدة رائعة مشهورة نذكر منها:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيتُ يعرفهُ والحلُّ والحرمُ
هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقى النقي الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
وليس قولك من هذا بضائره	فالعرب تعرف من أنكرت والعجم
يكاد يمسه عرفان راحته	ركن الخطيم إذا ما جاء يستلم
ما قال لا قط إلا في تشهده	لولا التشهد كانت لأوه نعم
يغضي حياء ويغضي من مهابته	فلا يكلم إلا حين يتسم
ينشق نور الهدى عن نور غرته	كالشمس تنجاب عن إشراقها الظلم
مشقة من رسول الله نبوته	طابت عناصرها والخيم والشيم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله	بجده أنبياء الله قد ختموا
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم	في كل فرض ومختوم به الكلم



ثورة المدينة

تعرفه يثربُ بالحميه
بثورة يقودها الأنصارُ
كانوا يرون أن آل هاشم
دافعهم أن يزيدَ فاجرُ
وتاركٌ للصوم والصلاة
فاشتعلت يثربُ بالتحدي
فهي بُراءٌ من بني أمية
وثلةُ الأصحاب والأخيارُ
أولى بنصرٍ من بني المآثم
وظالم وفاسق وكافرُ
منهمكٌ باللهو واللذات
بخيرِ فرسان وخيرِ جنود^(١)

(١) تشير الأبيات إلى ثورة المدينة وقد تسمى بثورة الحرة، وهي من الثورات الكبيرة التي هزت مشاعر المسلمين، وكان سبب الثورة تراكم الثارات عند أهالي المدينة على بني أمية خصوصاً بعد ثورة الحسين عليه السلام وما جرى على أهل بيته من بعده، إضافة إلى تجاهر رأس السلطة (يزيد) بالفسق والفجور وارتكاب الموبقات والمعاصي، وعدم الإكتراث بإرادة الأمة وحرّيتها واختيارها وكرامتها. فرأى أهل المدينة وانطلاقاً من مسؤوليتهم الشرعية أن يبعثوا وفداً للتفاوض مع يزيد في الشام، فرجعوا وهم أشد نقمة على الأمويين، فكانت الثورة الشعبية على والي المدينة وتحريرها من النظام الأموي الجائر.

وقد كان عبد الله بن حنظلة وهو أحد قادة الثورة يقول: والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إنه ينكح الأمهات والبنات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت لله فيه بلاء حسناً. الطبري ٣٦٨/٤.
فطردوا الحاكم الأموي عثمان بن محمد بن أبي سفيان وسائر بني أمية وشكلت حكومة مؤقتة يديرها رجال الثورة.



⇒

ويذكر المؤرخون أنّ مروان بن الحكم وهو من الشخصيات الأساسية في النظام الأموي هرع إلى الإمام زين العابدين عليه السلام خائفاً على نفسه وعلى نسائه من الإعتداء، فأجابه الإمام عليه السلام إلى ذلك وضم نساء الأمويين إلى حرمة، ويقول المؤرخون أنّ الإمام السجاد قد كفل أربعمئة امرأة مع أولادهن وحشمهن وضمهن إلى عياله، إلى أن خرج قائد الجيش الأموي مسلم بن عقبة من المدينة، بعد ارجاعها إلى السلطة الأموية وأقسمت واحدة منهنّ إنّها ما رأت في دار أبيها من الراحة والعيش الهنيء مثل ما رآته في دار الإمام علي بن الحسين عليه السلام.

بعد ذلك وصلت الأنباء إلى دمشق بقيام الثورة في المدينة، فخاف يزيد امتداد الثورة إلى باقي الأرجاء فانتدب أشرس مجرم إرهابي وهو مسلم بن عقبة لمواجهة أهالي مدينة النبي صلى الله عليه وآله، ويوصف بأنه من جبابرة العرب، ويحدثنا صاحب العقد الفريد عن شكله بأنه كان أعور أفغر، نائر الرأس، كأنما يقطع رجله من وحل إذا مشى، ويقول المستشرق دوزي: إنّ كان لا يؤمن بالله، ولا بالاسلام، وكان مريضاً، فلما أسند إليه يزيد قيادة الجيش غره السرور، وقد قال له يزيد: إن شئت أن أعفيك، فإني أراك مدنفاً «مريضاً» منهوكاً، فقال له الخبيث: نشدتك الله أن لا تحرمني أجراً ساقه الله. «معاوية بن أبي سفيان لعمر أبو النصر. نقلاً عن الإمام زين العابدين للشيخ باقر شريف القرشي / ٢٦٦»

وسار الجيش الأموي يطوي البيداء نحو المدينة ففرض عليها الحصار فقام المدنيون فحفروا الخندق الذي حفره رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الأحزاب، ولم تتمكن قوات يزيد من احتلال المدينة إلا أن عبد الملك بن مروان أسرع بايعاز من أبيه إلى مسلم بن عقبة فدلّه على عورات البلد ونقاط الضعف في الخندق وبذلك استطاع الجيش أن يدخل المدينة المنورة. وقد التحم الجيشان في معركة دامية، استشهد فيها الصحابي البطل عبد الله بن حنظلة مع أبنائه وثلة من أبناء المهاجرين والأنصار، وقد فقدت المدينة في هذه الواقعة ثمانين من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله حتى لم يبق بها بدري، كما فقدت سعمائة من قريش والأنصار وعشرة آلاف من سائر الناس. الطبري ٥/٧-١٢.

وقد أباح (مسرف بن عقبة) المدينة لجيشه الآثم أيام فقتل الأبرياء من الأطفال والشيوخ وهتك الأعراض، وأخذ البيعة لمن بقي من الناس أنهم خول وعبيد ليزيد بن معاوية يفعل بهم ما يشاء.



فوئبوا بابن أبي سفيان
مخرباً ومفسداً في البلدِ
فرَّ إلى الإمامِ كي يحميه
وذاك ما لم ينكر الأعداءُ
أصبحت المدينةُ المجللة
وسارت الأخبارُ نحو الشامِ
أعدَّ جيشاً كي ينال مأربه
أوصاه بالسيفِ وأن تباحا
بكل رأسٍ يتغني التمردا
فزحف الجيش اللئيم غدرا

عثمان أقبح فيه من عثمان
يسلب من أموالهم ويعتدي
فضمَّ أهلهُ إلى أهليه
من فضلٍ من تعرفهُ السَّماءُ
في يدِ عبد الله وابن حنظله
فخطط الطاغوتُ لانتقامِ
يقوده «مسلم بن العقبة»
يثرِبُ أياماً وأن يطاحا
فكلُّ أهلٍ يثرِبُ همُّ العدا
ومسلم ينشد فيه شعرا

⇒ وأما الإمام زين العابدين عليه السلام فقد ألقى عليه القبض عندما كان عند قبر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله يدعو الله ويناجيه وجيء به إلى الطاغية، فلما رآه ارتعدت فرائضه من هيئته وقام إليه تكريماً وقال له: سلني حوائجك، فأخذ يتشفع بمن حكم عليهم بالموت فأجابه إلى ذلك، ولم يبايع الإمام ليزيد كما بايع الناس.

وأمر المجرم ابن عقبة بحز رؤوس الشهداء من أبناء يثرِب وبعثها إلى الطاغية يزيد بن معاوية فلما وضعت بين يديه سرَّ بذلك سروراً بالغاً وجعل يتمثل بقول الشاعر ابن الزبيري يوم أُحد كما هي عادته كلما حقق نصراً على بني هاشم وأحرار الإسلام وثواره:

ليت أشياخي يبدر شهدوا
لأهلوا واستهلوا فرحاً
جزع الخزرج من وقع الأسل
ثم قالوا يا يزيد لا تشل

هذه هي نهاية ثورة المدينة أو واقعة الحرة، فقد كانت من الكوارث المأسوية في حياة المسلمين، وقد تركت لوعة وحزناً في نفس الإمام زين العابدين عليه السلام وهو يرى مدينة جدّه المصطفى وقد عاث يزيد فيها فساداً وتركها ركاماً من الأطلال الموحشة قد ملئت بيوتها بالأسى والشكل والأحزان بعدما كانت واحة غناء عامرة بالهدى والنور والعطاء.



«أبلغ أبا بكر إذا الأمر انبرى
أجمعُ سكران من القوم ترى
فحاصروا مدينة الرسول
فحفر الثوار فيها خندقاً
لكنما الحرب استطالت نارها
حيث التقى الجمعان عند الحرّة
فيها لها من وقعةٍ معابه
لم يبق «بدريُّ» بُعيدَ الوقعه
قد سالت الدماء دون رحمه
أباحها ثلاثةً للقتلِ
وأجبر الناسَ على المبايعه
منتهاكاً قبرَ النبيّ الأطهرِ
لكنما السجّادُ لم يعطِ يدا
وبقي الإمام منه حذرا
وعانت المدينة العذابا
فالتكل والحزن وظلم الوالي
قد ترك الأجواء فيها مظلمه

وانحطت الرايات من وادي القرى
أم جمعُ يقظان نفى عنه الكرى»
ومهبط الآيات والتنزيلِ
ليضمنوا لثورة الحق البقا
واتقدت في يثرب جمارها
«ومسرفٌ» صبَّ عليها شرّه
عضت ثمانينَ من الصحابه
عشرةُ الآف بها أو تسعه
وانتهكت فيها نساء الأممه
مشتتاً فيها لكل شملِ
إلى يزيد خُولاً وطائعاه
بخيله وجنده والعسكرِ
أو أن يخاف منه أو يؤيدا
لما رآه طاغياً مستهترا
عاشت ولكن فقدت أحبابا
ومقتل الأبناء والرجالِ
مذ أسرفت فيها أكفُ الظلمه

* * *



ثورة التوابين

لكنّما الكوفةُ باتت قلقه آلُ أميَّةٍ بها مفترقه
والشيعةُ الأبرارُ في عناءٍ وندمٍ يموج في الأحشاء^(١)

(١) بعد واقعة كربلاء بداء الشعور بالذنب والإحساس بالندم يتصاعد تدريجياً في نفوس شيعة أهل البيت عليهم السلام وخصوصاً في أجواء الكوفة التي تنصر الحسين عليه السلام وهي التي دعتهم إليها ولم توفق إلى نصرته وإغاثته يوم عاشوراء، فبدأ الواعون من المجتمع الكوفي يتلاومون بألم وحسرة يتحدثون سرّاً عن مشروع الثورة، وقد رفعوا شعارهم: يا لثارات الحسين. وعقد التوابون أول لقاء لهم في دار الصحابي الجليل زعيم الشيعة آنذاك سلمان بن صرد الخزاعي، وقد أقيمت في هذا اللقاء عدّة كلمات حماسية لاهبة بالدموع والأسف لعدم التوفيق لنصرة ريحانة رسول الله الإمام الحسين بن علي عليهما السلام وكان عدد الحضور أكثر من مائة رجل من فرسان الشيعة ووجهائهم، وكان ذلك في سنة ٦١ هجرية وهي السنة التي استشهد فيها الإمام الحسين عليه السلام. واتخذ المجتمعون في هذا المؤتمر الخطير عدّة قرارات سياسية وجهادية وهي:

- الاتفاق على سليمان بن صرد الخزاعي قائداً للثورة وقد أنيطت به مسؤولية الاتصال بالمناطق الأخرى ووضع الخطة العسكرية للثورة.
- التعهد على سرية العمل والتخطيط وإحاطة التحرك بالسرية خوفاً من افشال الحركة.
- جمع الأموال والأسلحة والمعدات الأخرى وقد اتفقوا على عبد الله بن وائل التميمي لجمع الأموال وشراء الأسلحة.
- تحديد الوقت المناسب للثورة، واتفقوا على أن تكون الانطلاقة في مطلع ربيع الثاني سنة ٦٥ للهجرة وإنّ السنوات الأربع كافية للإعداد لهذا الثورة.
- أن يكون موقع النخيلة هو النقطة التي يجتمعون فيها ومنه تنطلق الثورة على النظام الأموي الفاسد.



إن لم يكونوا نصرّوا الحسينا
 قد كاتبوه ودعوه سرا
 فاشتعل اللومُ بهم والعتبُ
 فما الذي يمحو سوادَ العارِ
 فيالثارات الحسين ارتفعت
 فاجتمعوا في دارة الخزاعي
 فذكروا مقتل سبط طه
 وقرّروا أن يكتبوا للشيعه
 ولم يوفوا للنبيّ الدينا
 لكنّهم لم ينصروه جهرا
 عسى يكفرُ الونا والذنبُ
 غيرُ طلابِ الثارِ للأطهارِ
 وخلفها كلُّ السيوف التمعت
 القائد المقدم المطاع
 وأطلقوا آهاً تجرُّ آها
 في السر نحو ثورة مريعه

⇒ ولما حان الوقت المتفق عليه تجمع أربعة آلاف في النخيلة وقد انطلق الثوار إلى قبر الحسين عليه السلام وهم يبكون ويعلنون ندمهم وتوبتهم إلى الله من خذلانهم لسبط النبي وريحانته، ثم انصرفوا عن القبر الشريف بعد أن أقسموا على الأخذ بالثأر للحسين الشهيد، وكان عبدالله بن عوف الأحمر يلهب النفوس بشعره الثوري، حيث كان يخاطب الجموع بقوله:

صحوتُ وودعت الصبا والغوانيا وقلت لأصحابي: أجيئوا المناديا
 وقولوا له إذ قام يدعو إلى الهدى وقبل الدعاء: لبيك لبيك داعيا

وسار جيش التوابين يقدمهم عبدالله بن عوف وهو يثير حماسهم مرتجزاً بأشعاره. فوصلوا إلى (عين الوردة) وقد زحفت عليهم جيوش الشام بقيادة المجرم عبید الله بن زياد. فالتحم الجيشان التحاماً رهيباً وجرت أعنف المعارك، وأبدى التوابون من البسالة والبطولة والصمود ما يشرف صفحات التاريخ. فاستشهد قائد التوابين سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة وعبد الله بن سعد وغيرهم من الأبطال. وفي غمرة الصراع رأى التوابون أن لا قدرة لهم على المواصلة فتركوا ساحة القتال ورجعوا مع الجراح النازفة في ظلمة الليل البهيم إلى الكوفة، ولا شك أن ثورة التوابين رغم أنها لم تحقق نصراً حاسماً إلا أنها ساهمت في بلورة الوجود الشيعي الثوري في الكوفة، وكذلك تحطيم القوة العسكرية للجيش الأموي الذي لا يقهر، ومهدت الطريق إلى ثورة المختار العظيمة.



وجمعوا الأموال للسلح
ودام نظم أمرهم أعواما
ثورتهم في بقعة النخيله
كان لهم أربعة آلاف
وانطلقوا لمصرع الحسين
فأعلنوا توبتهم للباري
ظلوا ثلاثاً في طفوف كربلا
ساروا على اسم الله للجهاد
يقدمهم فيها «ابن عوف الشاعر»
«خرجن يلمعن بنا إرسالا
نريد أن نلقي بها الأقيالا
وقد رفضن الولد والأموالا
نرضي به ذا النعم المفضالا»
فوصلوا صباحاً «لعين الورد»
فالتحم الجيشان في بساله
فاستشهد ابن صرد الخزاعي
وبعده المسيب بن نجبه
واستشهد الباكون في القتال
وقفل القلة نحو الكوفه

والفتح والجهاد والكفاح
أربعة من قبل أن تقاما
فجيشهم فيها أعد خيله
لم يرهبوا الموت ولم يخافوا
والكل منهم دامع العينين
وطلبوا الغفران بانكسار
من قبل أن ثورتهم تشتعلا
ليقطعوا الوادي بعد الوادي
مرتجزاً بشعره يجاهر
عوابساً يحملتنا أبطالا
القاسطين الغدر الضلّالا
والخفرات البيض والحجالا
قد قالها ما أحسن المقالا
فيها «عبيد الله» لمّ جنده
والكل منهم ناله ما ناله
وهو صحابي بلا نزاع
لاقي على درب الحسين ربّه
من بعد يوم شرس النزال
جرحى من المعركة المخوفه

* * *



ثورة المختار الثقفي

وهكذا الكوفة ظلت قلقه رجالها قلوبهم محترقه
ينتظر الأحرار فيها الثارا يبايعون سراً المختاراً^(١)

(١) يعدّ المختار بن يوسف الثقفي من الشخصيات الإسلامية والقيادية اللامعة في التاريخ الإسلامي حيث فجر ثورة عارمة بوجه الأمويين تقوم على أساس الولاء والمحبة لأهل البيت عليهم السلام ومعاقبة الجناة والمفسدين خصوصاً الذين شاركوا في مجزرة كربلاء الأليمة. فقد امتازت شخصيته بشدة الذكاء والدهاء والقدرة القيادية العالية إضافة إلى حبه وولائه لأهل البيت عليهم السلام ولسمو مكانته عند الأئمة الأطهار عليهم السلام.

قال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام: ما امتشطت فينا هاشمية ولا أخضبت حتى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين عليه السلام.

وفي رواية أخرى لما بعث المختار برأس عبيد الله بن زياد ورأس عمر بن سعد إلى الإمام زين العابدين عليه السلام خرّ الإمام ساجداً لله وقال: الحمد لله الذي أدرك ثاري من أعدائي وجزى الله المختار خيراً.

ومن نال العقاب الصارم المجرم المسوخ حرملة بن كاهل الأسدي الذي قتل عبد الله الرضيع عندما حمله والده الحسين عليه السلام ليسقوه شربة من الماء فرماه الخبيث حرملة بسهم فذبحه من الوريد إلى الوريد، فقد ترك هذا الرضيع الذبيح لوعة في قلوب العلويين، فقد روى المنهال بن عمرو قال: دخلت على علي بن الحسين عليه السلام حال منصرفي من مكة فقال لي: يا منهال! ما صنع حرملة بن كاهل الأسدي؟ قلت: سيدي، تركته حياً في الكوفة. فرفع الإمام يديه إلى السماء، وراح يدعو بحرارة قائلاً: اللهم أذقه حر الحديد.. اللهم أذقه حرّ النار، قال المنهال: فلما قدمت الكوفة قصدت المختار وكان لي صديقاً فسلمت عليه،



ويجمعون المال والسلاحاً
حتى إذا ما قويت شوكتهم
تفجرت صرختهم بالثار
فأطبقوا على دروب الكوفه
فانصروا ونصرهم مؤزر
لثورة تحقق الصلاحاً
واكتملت على الوفا عدتهم
إلى دم ابن المصطفى المختار
وقاتلوا جيوشها الموصوفه
وقد أحاط بالطغاة الخطر

⇒ ورأيته مشغول الفكر يترقب أمراً وما هي إلا لحظات حتى جيء بالمجرم حرملة بن كاهل فأمر بإحضار نار، وتقطيع أوصاله وإلقائها في النار، فكبرت فالتفت المختار إليّ وقال: إن التكبير لحسن، لم كبرت؟ فأخبرته بدعاء الإمام علي بن الحسين عليه السلام وعظم ذلك عند المختار وصام يومه شكراً لله على استجابة دعاء الإمام علي يديه.

وأما قصة مصرع الطاغية عبيد الله بن زياد بن أيبه فقد علم المختار إن عبد الملك بن مروان أرسل جيشاً كثيفاً بقيادة عبيد الله بن زياد لفتح الكوفة، وعهد إليه أن يبيحها ثلاثة أيام لجنده، كما فعل ذلك يزيد بن معاوية في مدينة النبي صلى الله عليه وآله فانتدب المختار لمواجهة جيشاً مفعماً بحب آل محمد صلى الله عليه وآله والدفاع عن مدرستهم العقائدية الأصيلة والروح المعنوية العالية وكان بقيادة الرجل الشجاع إبراهيم بن مالك الأشتر رضي الله عنه، وكان جيش ابن زياد يفوق جيش الأشتر عدداً وعدة إلا أنه فارغ من الإيمان والروح المعنوية، وقد التحم الجيشان في معركة الزاب الهيبه، أبدى فيها جيش الكوفة صموداً وبسالة وإقداماً فانهمز جيش الشام شر هزيمة وخسر خسائر فادحة في الأرواح والعتاد، وقد قتل البطل إبراهيم الأشتر رأس الضلال والجريمة عبيد الله بن زياد وقتل الحصين بن نمير كما قتل أكثر القادة العسكريين من أهل الشام وحمل رأس ابن زياد إلى المختار فسرّ بذلك سروراً بالغاً.

ووجه المختار برأس الخبيث إلى الإمام علي بن الحسين عليه السلام وحين وصل الرسول إلى باب الإمام صاح بأعلى صوته: يا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومهبط الملائكة، ومنزل الوحي، أنا رسول المختار بن أبي عبيدة الثقفي ومعني رأس عبيد الله ابن زياد...

ولم تبق علوية في دور بني هاشم إلا صرخت، فقد تذكرت ما اقترفه ابن مرجانة من الجرائم تجاه حرائر النبوة وبنات رسول الله صلى الله عليه وآله ولما رأى الإمام رأس الطاغية سجد لله شكراً، وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أنجز ما وعد وأدرك ثأري من عدوي.



فانتقموا من قاتلي الحسين
ثم أقاموا دولة فتيه
فأرسلت دمشق بالفرسان
فحدثت معركة في الزاب
فقتل المسخ «عبيد الله»
وأرسلت رؤوسهم ليثرب
وسجد الإمام وهو يشكر
وفرحت عقائل الإمامه
ثم وفوا لله كل دين
قد أعقبت حكم بني أميه
لكنما الأشر في الميدان
واستعر القتل مع الضراب
ومعه «الحصين» ذاك اللاهي
وفرحت بقتلهم آل النبي
ثم يقول ذلك المقدر
وابتشرت بالنصر والكرامه

* * *



رسالة الحقوق

ظلّ الإمام يقطن المدينة
لكنّه ظلّ طويلاً يدعو
رسالة الحقوق من عطائه
قد جمعت حق بني الانسان
ورغم ذا قلوبهم حزينه
مريباً جيلاً ليعلو الشرع
وهي نظام الدين في صفائه^(١)
بعد حقوق الخالق الرحمن

(١) مارس الإمام السجاد عليه السلام نشاطاً فكرياً واجتماعياً واسعاً في المدينة المنورة طيلة مدة إمامته التي كانت حوالي ٣٥ سنة، حتى قيل إنه كان المؤسس الثاني لمدرسة أهل البيت عليهم السلام الفكرية والفقهية بعد جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حيث نشر الفقه والعلم، وأخذ عنه العلماء وطلاب الحقيقة من مختلف أصقاع العالم. كما إنه ترك تراثاً فكرياً وتربوياً رائعاً في مختلف فنون العلم والأدب والأخلاق والمعرفة. ومن تراثه الخالد رسالته إلى بعض أصحابه المعروفة برسالة الحقوق وهي مجموعة حقوق انسانية وأخلاقية واجتماعية وسياسية من النمط العالي تصلح أن تكون دستوراً لحقوق الانسان في كل زمان ومكان، وقد سبقت بمضمونها الانسانية الراقية الإعلان العالمي لحقوق الانسان المعتمد من قبل الأمم المتحدة في القرن العشرين. فهي تحدد واجبات الانسان تجاه ربه وخالقه الذي أنعم عليه بنعمة الوجود وسائر النعم الأخرى، وحقوق الوالدين والنفس والإخوان والجيران وسائر طبقات الأمة وشرائحها الاجتماعية المختلفة، وقد بلغت خمسين حقاً، وهي إن دلت على شيء إنما تدل على سمو الفكر وصفاء الروح وسعة العقل عند زين العابدين وسيد الساجدين عليهم السلام وقد روتها كتب الحديث المعتبرة مثل الخصال ومن لا يحضره الفقه للصدوق، وتحف العقول لابن شعبه الحراني، وغيرها من المصادر.



ثمّ حقوق السادة الأئمة
ثمّ حقوق النفس والرعيّة
ثمّ حقوق الأب والأبناء
ثمّ حقوق الزوج والأصحاب
خمسون حقاً توجب الرعيّة
أوجزها الإمام في رساله
وبعدها جاءت حقوق الأمّه
ثمّ حقوق الرحم المرعيّه
والأهل والوفاء للأصدقاء
والنصح للإخوان والأحباب
قد أسندت بسورة وآيه
لتحتوي القانون والعداله

* * *



السجّاد عليه السلام في ذمّة الخلود

ورغم أنّ عمَل السجّادِ
لكنّه اغتَاطَ بني أميّه
قال «الوليد» قولةً بالغدرِ
وذا «علي» يسكن المدينة
فدسّ سمّاً للإمامِ قاتلاً
وأحزن القرآن والإسلاماً
وحُمِلَ السجّادُ للبقيعِ
وأتشحت يثربُ بالسوادِ
عليه منّا أفضلُ السلامِ

مقتصرٌ في النصيحِ والرشادِ
وحسدته الأنفسُ الدنيّه
«والله لا راحة لي في عمرٍ»
حيّاً وكلّ الناس يعشقونه
فأفرح الطغاة والأراذلا
وعطّل الحلالَ والحراماً
مودعاً بالحزنِ والدموعِ
وهي توارى جسدَ السجّادِ
فقد هوت دعامةُ الإسلامِ^(١)

(١) واصل الإمام السجّاد عليه السلام مشاريعه الإصلاحية في الإرشاد والتوجيه والارتفاع بالأمة إلى مستوى المسؤولية الرسالية والأخلاقية، فقد كان قطب الرحى في المدينة المنورة خصوصاً بعد تصفية كل المعارضين للنظام الأموي.. فتعلق الناس بالإمام وأحبّوه لعلمه وعبادته وورعه وصفاء نفسه. فكان السعيد من يحظي برؤيته، والعظيم من يهتدي بهداه. وقد شق ذلك على الأمويين وقد تأزم الموقف بعد موت عبد الملك بن مروان حيث تسلّم ابنه الوليد زمام الأمر بعده وكان من أشدّ الحاقدين على الإمام زين العابدين عليه السلام فقد روى الزهري أنّه قال: لا راحة لي وعليّ بن الحسين عليه السلام موجود في دار الدنيا، وأصرّ الخبيث على إغتيال الإمام فبعث سما قاتلاً إلى عامله علي يثرب وأمره أن يدسه للإمام ونفذ عامله ذلك وقيل كان علي يد سليمان بن عبد الملك.



⇒ وقد تفاعل السم في جسم الإمام عليه السلام فأخذ يعاني أشد الآلام وأقساها فبقي عليه السلام أياماً طريح الفراش يبث شكواه إلى الله ويدعو لنفسه بالمغفرة والرضوان، ويوصي أهل بيته بالصبر والتقوى خصوصاً ولده محمد الباقر عليه السلام الذي حمل لواء الإمامة بعده فكان الوصي والوارث من بعده في قيادة الأمة والدفاع عن رسالتها الإسلامية.

وهكذا انطوت صفحات عصر الإمام زين العابدين عليه السلام فودع الدنيا راحلاً إلى الله نقي الثوب وضاح الجبين. فجهز وكفن وحمل نعشه على الأعناق فدفن في مقبرة البقيع إلى جنب عمه الإمام أبي محمد الحسن المجتبي عليه السلام. ولكن أفكاره وأهدافه بقيت حية تزخر بالعطاء والنماء تحرك التاريخ وتوقض النفوس وتقارع الظالمين.

فسلام عليك سيدي أيها السجاد، يا علي بن الحسين، أيها الراحل العظيم. ولمزيد الفائدة فإننا نثبت رسالة الحقوق بنصها الكامل باعتبارها أعز وثيقة انسانية ودستورية في ملحق هذه الهوامش.

والله ولي التوفيق.
والحمد لله رب العالمين



رسالة الحقوق

للامام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (*)

المقدمة

إعلم- رحمك الله- أنّ الله عليك حقوقاً محيطاً في كلّ حركةٍ تحرّكتها أو سكنةٍ سكنتها [أو حال حُلَّتْها] أو منزلةٍ نزلتْها أو جارحةٍ قلبتْها أو آلةٍ تصرّفتْ بها (بعضها أكبرُ من بعض):

[أ] فأكبر حقوق الله عليك:

ما أوجبه لنفسه تبارك وتعالى من حقّه الذي هو أصل الحقوق (ومنه تُفرّع).

[ب] ثمّ ما أوجبه الله عزّ وجلّ لنفسك، من قرنك إلى قدمك، على اختلاف

جوارحك:

(*) لقد ذكرت رسالة الحقوق في العديد من المصادر المعتبرة مثل كتاب مَنْ لا يحضره الفقه للشيخ علي بن الحسين الصدوق رضي الله عنه وكتاب تحف العقول لابن شعبه الحراني وغيرهما من مصادر الحديث الشريف. ولمزيد الفائدة فأنا نثبتها بنصّها الكامل في هذا الملحق.



فجعل للسانك عليك حقاً ولسمعك عليك حقاً، ولبصرك عليك حقاً،
وليديك عليك حقاً، ولرجلك عليك حقاً، ولبطنك عليك حقاً، ولفرجك عليك
حقاً.

فهذه الجوارح السبعُ التي بها تكون الأفعال.

[ج] ثم جعل عزّوجلّ لأفعالك عليك حقوقاً:

فجعل لصلاتك عليك حقان ولحجّك عليك حقاً، ولصومك عليك حقاً،
ولصدقتك عليك حقاً، ولهديك عليك حقاً، ولأفعالك عليك حقاً.

ثم تخرج الحقوق منك إلى غيرك، من ذوي الحقوق الواجبة عليك، وأوجبها
عليك: حقوق أئمتك، ثم حقوق رعيتك، ثم حقوق رحمك، فهذه حقوق
يتشعبُ منها حقوق.

[د] فحقوق أئمتك ثلاثة:

أوجبها عليك حقٌّ سائسك بالسلطان، ثم حقٌّ سائسك بالعلم، ثم حقٌّ
سائسك بالملك. وكلُّ سائسٍ إمامٌ.

[هـ] وحقوق رعيتك ثلاثة:

أوجبها عليك حقٌّ رعيتك بالسلطان. ثم حقٌّ رعيتك بالعلم. فإنّ الجاهل
رعيتة العالم، ثم حقٌّ رعيتك بالملك: من الأزواج وما ملكت الأيمانُ.

[و] وحقوق رحمتك كثيرة، متصلةٌ بقدر اتصال الرحم في القرابة. فأوجبها
عليك:

حقُّ أمك، ثم حقُّ أبيك، ثم حقٌّ ولدك، ثم حقٌّ أخيك، ثم الأقرب
فالأقرب، والأول فالأول.

[ز] ثمّ [حقوق الآخرين]:

حقّ مولاك المنعم عليك، ثمّ حقّ مولاك الجارية نِعْمَتِكَ عليه، ثمّ حقّ ذي المعروف لديك، ثمّ حقّ مؤذّنك لصلّاتك، ثمّ حقّ إمامك في صلّاتك، ثمّ حقّ جليستك، ثمّ حقّ مالِك، ثمّ حقّ غريمك الذي يُطالبُك، ثمّ حقّ خليطك، ثمّ حقّ خصمك المدّعي عليك، ثمّ حقّ المُشير عليك، ثمّ حقّ مُستنصحك، ثمّ حقّ الناصح لك، ثمّ حقّ مَنْ هم أكبر منك، ثمّ حقّ مَنْ هم أصغر منك، ثمّ حقّ سائلك، ثمّ حقّ مَنْ سألتَهُ، ثمّ حقّ من جرى لك على يديه مساءةٌ بقول أو فعل، عن تعمدٍ منه أو غير تعمدٍ، ثمّ حقّ من جرى على يديه مسرّةٌ من قول أو فعل، ثمّ حقّ أهل ملّتك عامّة، ثمّ حقّ أهل ذمّتك.

ثمّ الحقوق الجارية بقدر علل الأحوال وتصرف الأسباب.

فطوبى لمن أعانهُ الله على قضاء ما أوجب عليه من حقوقه، ووفّقهُ لذلك وسدّدهُ.

[أ] حقّ الله

[١] فأما حقّ الله الأكبر عليك:

- فإنّ تعبدَهُ لا تُشركَ به شيئاً، فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة (ويحفظ لك ما تحبُّ منها).

[ب] حقوق الأعضاء

وأما حقّ نفسك عليك: أن تستعملها في طاعة الله: فتؤدّي إلى لسانك حقّه، وإلى سمعك حقّه، وإلى بصرك حقّه، وإلى يدك حقّها، وإلى رجلك حقّها، وإلى بطنك حقّه، وإلى فرجك حقّه، وتستعين بالله على ذلك.



[٢] وأما حقّ اللسان:

- فإكرامه عن الخنا.
- وتعويده على الخير [والبرّ بالناس، وحسن القول فيهم].
- وحمله على الأدب.
- وإجمامه إلا لموضع الحاجة والمنفعة للدين والدنيا.
- وإعفاؤه عن الفضول الشنيعة، القليلة الفائدة التي لا يؤمن ضررها مع قلة فائدتها.
- ويعدّ شاهد العقل، والدليل عليه، وتزيّن العاقل بعقله حسن سيرته في لسانه. ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

[٣] وأما حقّ السمع:

- فتزويده عن أن يجعله طريقاً إلى قلبك إلا لفوهة كريمة تحدث في قلبك خيراً، أو تكسب خلقاً كريماً، فإنه باب الكلام إلى القلب، يؤدي إليه ضروب المعاني على ما فيها من خير أو شر. ولا قوة إلا بالله.

[٤] وأما حقّ بصرك:

- فغضّه عما يحلّ لك.
- وترك ابتذاله إلا لموضع عبرة تستقبل بها بصراً، أو تستفيد بها علماً فإنّ البصر باب الاعتبار.

[٥] وأما حقّ يدك:

- فإن لا تبسطها إلى ما لا يحلّ لك فتنال بما تبسطها إليه من الله العقوبة في الآجل، ومن الناس بلسان اللائمة في العاجل.
- ولا تقبضها عما افترض الله عليها.



ولكن توقرها: بقبضها عن كثير مما يحل لها، وبسطها إلى كثير مما ليس عليها، فإذا هي قد عقلت وشرفت في العاجل وجب لها حسن الثواب من الله في الآجل).

[٦] وأما حق رجلك:

- أن لا تمشي بها ما لا يحل لك. [فيها تقف على الصراط فانظر أن لا تزل بك فتردى في النار].

- ولا تجعلها مطيتك في الطريق المستخفة بأهلها فيها، فإنها حاملتك وسالكة بك مسلك الدين، والسبق لك. ولا قوة إلا بالله.

[٧] وأما حق بطنك:

- فأن لا تجعله وعاءً لقليل من الحرام ولا لكثير.

- وأن تقتصد له في الحلال، ولا تُخرجه من حدّ التقوية إلى حدّ التهوين وذهاب المروءة.

- وضبطه إذا همّ بالجوع والعطش.

- [ولا تزيد على الشبع] فإن الشبع المنتهي بصاحبه إلى التخم مكسلة ومثبطة ومقطعة عن كل برّ وكرم وإن الريّ المنتهي بصاحبه إلى السكر مسخفة ومجهلة ومذهبة للمروءة).

[٨] وأما حق فرجك:

- فحفظه مما لا يحل لك أن تُحصنه عن الزنا، وتحفظه من أن ينظر إليه والاستعانة عليه بغضّ البصر، فإنه من أعون الأعوان، وكثرة ذكر الموت، والتهدد لنفسك بالله والتخويف لها به. وبالله العصمة والتأييد، ولا حول ولا قوة إلا به.



[ج] ثم حقوق الأفعال

[٩] فأما حق الصلاة:

- فإن تعلم أنها وفادة إلى الله، وأنت قائمٌ بها بين يدي الله، فإذا علمتَ ذلك كنتَ خليقاً أن تقومَ فيها مقامَ العبد، الدليل [الحقير]، الراجب، الراهب، الخائف، الراجي، المسكين، المتضرع وخشوع الأطراف، ولين الجناح، وحسن المناجاة له نفسه، والطلب إليه في فكك رقبتك التي أحاطت بها خطيئتك، واستهلكتها ذنوبك.
- وتقبل عليها بقلبك.

- وتقيمها بحدودها وحقوقها. ولا قوة إلا بالله.

[١٠] وحق الحج:

- أن تعلم أنه وفادة إلى ربك، وفرارٌ إليه من ذنوبك، وفيه قبول توبتك، وقضاء الفرض الذي أوجبه الله عليك.

[١١] وأما حق الصوم:

- فأن تعلم أنه حجابٌ ضربه الله على لسانك وسمعك وبصرك وفرجك وبطنك، ليسترِكَ به من النار، فإن تركت الصوم خرقت ستر الله عليك.

(وهكذا جاء في الحديث: «الصوم جُنَّةٌ من النار» فإن سكنتَ أطرافك في حجبتها رجوتَ أن تكون محبوباً، وإن أنت تركتها تضطرب في حجابها، وترفع جنبات الحجاب فتطلع إلى ما ليس لها، بالنظرة الداعية للشهوة، والقوة الخارجة عن حدِّ التُّقِيَةِ لله، لم تأمن أن تخرق الحجابَ وتخرجَ منه. ولا قوة إلا بالله).



[١٢] وأما حقّ الصدقة:

- فأَنْ تعلم أنّها ذخرك عند ربك، ووديعتك التي لا تحتاج إلى الإِشهاد [عليها] فإذا علمتَ ذلك كنتَ بما استودعته سِراً أوْثق [منك] بما استودعته علانيةً، وكنْتَ جديراً أن تكون أسررت إليه أمراً أعلنته، وكان الأمر بينك وبينه فيها سراً على كلِّ حال، ولم تستظهر عليه في ما استودعته منها بإشهاد الأسماع والأبصار عليه بها كأنك أوْثق في نفسك لا كأنك لا تثق به في تأدية وديعتك إليك.

- وتعلم أنّها تدفع البلايا والأسقام عنك في الدنيا، وتدفع عنك النار في الآخرة.

- ثمّ لم تَمَنَّ بها على أحدٍ، لأنّها لك، فإذا امتننتَ بها لم تأمن أن تكون بها مثل تهجين حالك منها إلى مَنْ مننتَ بها عليه، لأنّ في ذلك دليلاً على أنّك لم تُرد نفسك بها، ولو أردت نفسك بها لم تَمَنَّ بها على أحدٍ. ولا قوّة إلاّ بالله.

[١٣] وأما حقّ الهدّي:

- فأَنْ تُخْلِصَ بها الإرادة إلى ربك، والتعرّض لرحمته وقبوله، ولا تريد عيون الناظرين دونه، فإذا كنت كذلك لم تكن متكلّفاً ولا متصنّعاً، وكنْتَ إنّما تقصد إلى الله.

[١٤] وأما حقّ عامّة الأفعال:

- واعلم أنّ الله يُراد باليسير، ولا يُراد بالعسير، كما أراد بخلقهِ التيسير ولم يُرد بهم التعسير.

- وكذلك التذلل أولى بك من التدهقن، لأنّ الكلفة والمؤونة في المتدهقنين، فأما التذلل والتمسك فلا كلفة فيهما، ولا مؤونة عليهما لأنّهما الخلق، وهما موجودان في الطبيعة. ولا قوّة إلاّ بالله.



[د] ثم حقوق الأئمة

[١٥] فأما حقّ سائسك بالسُّلطان:

- فإن تعلم أنك جُعِلتَ له فتنةً، وأنه مُبتلىٌّ فيك بما جعله الله له عليك من السُّلطان.
- وأن تُخلص له في النصيحة.
- وأن لا تماحكه، وقد بُسِطتْ يده عليك، فتكون سبب هلاك نفسك وهلاكه.
- وتذلل وتلطف لإعطائه من الرضا ما يكفه عنك ولا يضرّ بدينك، وتستعين عليه في ذلك بالله.
- ولا تعازره ولا تعانده، فإنك إن فعلت ذلك عققه، وعققته نفسك، فعرضتها لمكروه، وعرضته للهلكة فيك، وكنت خليقاً أن تكون مُعِيناً له عليه نفسك) وشريكاً له في ما أتى إليك [من سوء]. ولا قوة إلا بالله.

[١٦] وأما حقّ سائسك بالعلم:

- فالتعظيم له.
- والتوقير لمجلسه.
- وحسن الاستماع إليه، والإقبال عليه.
- والمعونة له على نفسك في ما لا غنى بك عنه من العلم، بأن تفرّغ له عقلك، وتحضره فهمك، وتذكي له قلبك، وتجلي له بصرك؛ بترك اللذات، ونقص الشهوات.



- وأن تعلم أنك - في ما ألقى إليك - رسوله إلى من لقيك من أهل الجهل، فلزمك حسنُ التأديبة عنه إليهم، ولا تخنهُ في تأديبة رسالته، والقيام بها عنه إذا تقلدها.
- وأن لا ترفع عليه صوتك.
- وأن لا تجيبَ أحداً يسأله عن شيء حتى يكونَ هو الذي يُجيب.
- ولا تحدّثَ في مجلسه أحداً.
- ولا تغتابَ عنده أحداً.
- وأن تدفعَ عنه إذا ذكر عندك بسوء.
- وأن تستر عيوبه.
- وتُظهر مناقبه.
- ولا تُجالس له عدواً.
- ولا تُعادي له ولياً.

فإذا فعلت ذلك شهدت ملائكةُ الله عزّ وجلّ بأنك قصدته وتعلّمتَ علمه لله جلّ وعزّ اسمه، لا للناس. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

[١٧] وأما حقّ سائسك بالملك:

- فنحوّ من سائسك بالسلطان، إلا أنّ هذا يملك ما لا يملكه ذاك تلزمك طاعته في ما دقّ وجلّ منك إلا أن تخرجك من وجوب حقّ الله، فإن حقّ الله يحول بينك وبين حقّه وحقوق الخلق، فإذا قضيته رجعت إلى حقّه فتشاغلت به. ولا قوة إلا بالله.



[هـ] ثم حقوق الرعية

[١٨] فأما حقّ رعيّتك بالسُّلطان:

- فإنّ تعلم أنّك إنّما استرعيته بفضل قوتك عليهم، فإنّه إنّما أحلّهم محلّ الرعية لك ضعفهم، وذلّهم، فما أولى من كفاكه ضعفه وذله.
- حتّى صيرّه لك رعيّة، وصيرّ حكمك عليه نافذاً، لا يمتنع عنك بعزّة ولا قوّة، ولا يستنصر في ما تعظمه منك إلاّ بالله - بالرحمة والحيطة والأناة!

- فيجب أنّ تعدلَ فيهم، وتكونَ لهم كالوالد الرحيم.
- وتغفر لهم جهلهم.
- ولا تعاجلهم بالعقوبة.

وما أولاك - إذا عرفت ما أعطاك الله من فضل هذه العزّة والقوّة التي قهرت بها - أنّ تكون لله ساكراً! وتشكر الله عزّوجلّ على ما آتاك من القوّة عليهم ومنّ شكر الله أعطاه في أنعم عليه. ولا قوّة إلاّ بالله.

[١٩] وأما حقّ رعيّتك بالعلم:

فإنّ تعلم أنّ الله جعلك قيماً لهم في ما آتاك من العلم، وولّك من خزانة الحكمة.

- فإن أحسنتَ في تعليم الناس ما ولّك الله من ذلك، ولم تخرق بهم ولم تضجر عليهم، وقمتَ لهم مقام الخازن الشفيق الناصح لمولاه في عبيده، الصابر المحتسب الذي إذا رأى إذ حاجةٍ أخرج له من الأموال التي في يديه [زادك الله من فضله] كنتَ راشداً، وكنتَ لذلك آملاً معتقداً. وإلاّ كنتَ له خائناً، ولخلقه ظلماً، ولسلبه وغرّه متعرّضاً.



كان حقاً على الله عزّوجلّ أن يسلبك العلم، وبهاءه، ويُسقط من القلوب محلك.

[٢٠] وأما حقّ رعيّتك بالملك:

وأما حقّ رعيّتك بملك النكاح:

- فإن تعلم أنّ الله جعلها سكناً ومستراحاً وأنساً وواقيةً
- وكذلك كلّ واحد منكما يجب أن يحمّد الله على صاحبه ويعلم أنّ ذلك نعمة منه عليه ووجب أن يُحسّن صحبه نعمة الله.
- فتكرمها وترفق بها.
- وإن كان حقك عليها أوجب وطاعتك لها ألزم في ما أحببتَ وكرهتَ، ما لم تكن معصيةً فإنّ لها عليك حقّ الرحمة والمؤانسة أن ترحمها، لأنها أسيرك.
- وتطعمها، وتسقيها، وتكسوها.
- فإذا جهلت عفوت عنها.
- وموضع السكون إليها قضاء اللذة التي لا بدّ من قضائها، وذلك عظيم. ولا قوّة إلاّ بالله.

وأما حقّ رعيّتك بملك اليمين:

- فإن تعلم أنّه خلق ربك وابن أبيك وأمك ولحمك ودمك، وأنك تملكه، لا أنت صنعته دون الله، ولا خلقت له سمعاً ولا بصراً، ولا أجريت له رزقاً، ولكنّ الله كفاك ذلك، ثمّ سخّره لك، وأتمنك عليه، واستودعك إياه لتحفظه فيه، وتسير فيه بسيرته، فتطعمه ممّا تأكل، وتلبسه ممّا تلبس، ولا تكلفه ما لا يطيق.



- فإن كرهته (خرجت إلى الله منه) استبدلت به، ولم تعذب خلق الله عزوجل. ولا قوة إلا بالله.

[و] وأما حقّ الرحم

[٢١] فحقّ أمك:

- أن تعلم أنها حملتك حيث لا يحمل أحدٌ أحداً، وأطعمتك من ثمرة قلبها ما لا يُطعم أحدٌ أحداً، وأنها وفّقتك بـ(سمعها وبصرها ويدها ورجلها وشعرها وبشرها) وجميع جوارحها مُسْتَبْشِرةً بذلك فرحةً، موابلةً محتملةً لما فيه مكروها وألمها وثقلها وغمّها، حتّى دفعتها عنك يدُ القدرة، وأخرجتك إلى الأرض.

- فرضيت أن تشبع وتجوّع هي، وتكسوك وتعري، وترويك وتظماً، وتظلك وتضحى، وتُنعمك ببؤسها، وتلذذك بالنوم بأرقها، وكان بطنها لك وعاءً، وحجرها لك حواءً، وثديها لك سقاءً، ونفسها لك وقاءً تباشر حرّ الدنيا وبردها لك ودونك.

- فتشكرها على قدر ذلك فإنك لا تطيق شكرها ولا تقدر عليه إلاّ بعون الله وتوفيقه.

[٢٢] وأما حقّ أبيك:

- فتعلم أنه أصلك، وأنتك فرعه، وأنتك لولاه لم تكن، فمهما رأيت في نفسك ممّا يُعجبك فاعلم أنّ أباك أصل النعمة عليك فيه.

- فاحمد الله واشكره على قدر ذلك. ولا وقوة إلا بالله.

[٢٣] وأما حقّ ولدك:

- فتعلم أنه منك، ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره.



- وأنتك مسؤول عمّا وليتُهُ من حُسن الأدب، والدلالة على ربّه، والمعونة له على طاعته فيك وفي نفسه، فمثابٌ على ذلك ومعاقب.
- فاعمل في أمره عمل مَنْ يعلم أنّه مثابٌ على الإحسان إليه، معاقب على الإساءة إليه المتزيّن بحُسن أثره عليه في عاجل الدنيا المعذِر إلى ربّه في ما بينك وبينه بحسن القيام عليه، والأخذ له منه. ولا قوّة إلاّ بالله.

[٢٤] وأما حقّ أخيك:

- فإن تعلم أنّه يدك التي تبسطها، وظهرك الذي تلتجىء إليه، وعزك الذي تعتمد عليه، وقوتك التي تصول بها.
- فلا تتّخذهُ سلاحاً على معصية الله.
- ولا عُدّة للظلم لخلق الله.
- ولا تدع نصرته على نفسه، ومعونته على عدوّه، والخؤول بينه وبين شياطينه، وتأدية النصيحة إليه، والإقبال عليه في الله.
- فإن انقاد لربّه وأحسن الإجابة له، وإلاّ فليكن الله آثرَ عندك وأكرم عليك منه. ولا قوّة إلاّ بالله.

[ز] حقوق الآخرين

[٢٥] وأما حقّ المنعم عليك بالولاء:

- فإن تعلم أنّه أنفق فيك ماله، وأخرجك من دُلّ الرِقّ ووحشته إلى عزّ الحرّية وأنسها، وأطلقك من أسر الملكة، وفكّ عنك قيد العبوديّة وأوجدك رائحة العزّ وأخرجك من سجن القهر ودفع عنك العُسر، وبسط لك لسان الإنصاف، وأباحك الدنيا كلّها) فملكك نفسك، وحلّ أسرك وفرغك لعبادة ربّك واحتملَ بذلك التقصير في ماله.



- فتعلم أنه أولى الخلق بك (بعد أولي رحمك) في حياتك وموتك، وأحقّ الخلق بنصرك (ومعونتك)، ومكانفتك في ذات الله، فلا تُؤثر عليه نفسك) ما احتاج إليك.

[٢٦] وأما حقّ مولاك الجارية عليه نعمتك:

- فإن تعلم أنّ الله جعلك حاميةً عليه، وواقيةً، وناصرًا، ومعقلاً، وجعله لك وسيلةً وسبباً بينك وبينه، فبالحرّيّ أنّ يحجبك عن النار، فيكون ذلك ثوابك منه في الآجل.

- ويحكم لك بميراثه في العاجل - إذغ لم يكن له رَجِمٌ - مكافأةً لما أنفقته من مالك عليه وقمت به من حقه بعد إنفاق مالك، فإن لم تقم بحقه خيف عليك أن لا يطيب لك ميراثه. ولا قوّة إلاّ بالله.

[٢٧] وأما حقّ ذي المعروف عليك:

- فإن تشكره.

- وتذكر معروفه.

- وتنشر له المقالة الحسنة.

- وتُخلص له الدعاء في ما بينك وبين الله سبحانه. فإنك إذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سرّاً وعلانيةً.

- ثمّ إن امكنك مكافأته بالفعل كافأته، وإلاّ كنت مُرْصداً موطناً نفسك عليها.

[٢٨] وأما حقّ المؤذن:

- فإن تعلم أنه مذكرك برّبك، وداعيك إلى حظّك، وأفضل أعوانك على قضاء الفريضة التي افترضها الله عليك.

- فتشكره على ذلك شكرك للمحسن إليك.



- وإن كنتَ في بيتك مهتماً لذلك، لم تكن لله في أمره متّهماً، وعلمت أنه نعمة من الله عليك، لا شك فيها، فأحسن صحبة نعمة الله بحمد الله عليها على كل حال. ولا قوّة إلا بالله.

[٢٩] وأما حقّ إمامك في صلاتك:

- فإن تعلم أنه قد تقلّد السفارة في ما بينك وبين الله، والوفادة إلى ربّك.

- وتكلّم عنك ولم تتكلّم عنه.

- ودعا لك ولم تدعُ له.

- وطُلبَ فيك ولم تُطلبَ فيه.

- وكفاك همّ المقام بين يدي الله، والمسألة له فيك، ولم تكفه ذلك، فإن كان في شيء من ذلك تقصير كان به دونك، وإن كان تماماً كنت شريكه، وإن كان آثماً لم تكن شريكه فيه.

- ولم يكن له عليك فضل، فوقى نفسك بنفسه، ووقى صلاتك بصلاته.

- فتشكر له على [قدر] ذلك. ولا حول ولا قوّة إلا بالله).

[٣٠] وأما حقّ المجلس:

- فإن تُلين له كنفك، وتطيّب له جانبك.

- وتُنصفه في مجارة اللفظ.

- ولا تُغرق في نزع اللحظ إذا لحظت

- وتقصد في اللفظ إلى أفهامه إذا لفظت.



- وإن كنت الجليس إليه كنت في القيام عنه بالخيار، وإن كان الجالس إليك كان بالخيار، ولا تقوم إلا بإذنه.
- وتنسى زلاته
- وتحفظ خيراته
- ولا تُسمعه إلا خيراً، ولا قوة إلا بالله.
- [٣١] وأما حقّ الجار:
- فحفظه غائباً.
- وإكرامه شاهداً.
- ونصرته ومعونته في الحالين جميعاً إذا كان مظلوماً.
- ولا تتبّع له عورةً ولا تبحث له عن سوءة لتعرفها، فإن عرفتها منه - من إرادة منك ولا تكلف كنت - لما علمت حصناً حصيناً وستراً ستيراً، لو بحثت الأسنة عنه ضميراً لم تتصل إليه لانطوائه عليه.
- وإن علمت أنه يقبل نصيحتك نصحته في ما بينك وبينه
- لا تستمع عليه من حيث لا يعلم.
- ولا تسلّمه عند شديدة.
- ولا تحسده عند نعمة.
- وتقبل عشرته، وتغفر زلته، ولا تدّخر حلمك عنه إذا جهل عليك.
- ولا تخرج أن تكون سلماً له، تردّ عنه لسان الشتيمة، وتبطل فيه كيد حامل النصيحة.
- وتعاشره معاشرةً كريمة. ولا حول ولا قوة إلا بالله.



[٣٢] وأما حقّ الصاحب:

- فأن تصحبه بالفضل ما وجدت إليه سبيلاً، وإلا فلا أقلّ من الإنصاف.
- وأن تكرمه كما يكرمك، ولا يسبقك في ما بينك وبينه إلى مكرمة، فإن سبقك كافأته.
- وتودّه كما يودّك، ولا تقصّر به عما يستحقّ من المودّة.
- تلزم نفسك نصيحتة وحياطته.
- ومعاضدته على طاعة ربّه.
- ومعاونته على نفسه في ما لا يهّم به من معصية ربّه.
- ثمّ تكون عليه رحمة، ولا تكون عليه عذاباً. ولا قوّة إلاّ بالله.

[٣٣] وأما حقّ الشريك:

- فإنّ غاب كفيته.
- وإن حضر ساويته.
- ولا تعزم على حكمك دون حكمه.
- ولا تعمل برأيك دون مناظرته.
- تحفظ عليه ماله.
- وتنفي عنه خيانتة في ما عزّ أو هانّ فإنه بلغنا «أنّ يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا». ولا قوّة إلاّ بالله.

[٣٤] وأما حقّ المال:

- فأن لا تأخذه إلاّ من حله.



- ولا تُنفقه إلا في حله ولا تحرفه عن مواضعه، ولا تصرفه عن حقائقه، ولا تجعله - إذا كان من الله - إلا إليه، وسبباً إلى الله.

- ولا تُؤثر به على نفسك من لا يحمذك وبالحرى أن لا يُحسن خلافته في تركتك، ولا يعمل فيه بطاعة ربك، فتكون مُعيناً له على ذلك، أو بما أحدث في مالك أحسن نظراً، فيعمل بطاعة ربه فيذهب بالغنيمة.

- فاعمل فيه بطاعة ربك، ولا تبخل به [فتبوء بالإثم وبالחסرة والندامة مع التبعة. ولا قوة إلا بالله.

[٣٥] وأما حقّ الغريم الطالب لك:

- فإن كنتَ موسراً أوفيتَه، وكفيتَه وأغنيتَه، ولم تردّده وتمطله، فإنّ رسول الله ﷺ قال: «مطلُّ الغنيّ ظلم».

- وإن كنتَ مُعسيراً أرضيتَه بحُسن القول، وطلبتَ إليه طلباً جميلاً وردّته عن نفسك ردّاً لطيفاً.

ولم تجمع عليه ذهاب ماله، وسوء معاملته، فإنّ ذلك لؤمّ. ولا قوّة إلاّ بالله.

[٣٦] وأما حقّ الخليط:

- فإن لا تُغرّه.

- ولا تغشه.

- ولا تكذبه.

- ولا تغفله.

- ولا تخدعه.

- ولا تعمل في انتفاضة عمل العدو الذي لا يُبقي على صاحبه.



- وإن اطمأنَّ إليك استقصيت له على نفسك، وعلمت: «أنَّ غبن المسترسل ربا».

- وتتقي الله تبارك وتعالى في أمره. ولا قوَّة إلاَّ بالله.

[٣٧] وأما حقَّ الخصم المدَّعي عليك:

- فإن كانَ ما يدَّعي عليك حقاً كنت شاهده على نفسك لم تنفسخ في حُجَّتِه ولم تظلمه، ولم تعمل في إبطال دعوته وأوفيته حقه، وكنت خصم نفسك له، والحاكم عليها، والشاهد له بحقه، دون شهادة الشهود، فإن ذلك حقَّ الله عليك.

- وإن كان ما يدَّعيه باطلاً رفقتَ به، وردعته وناشدته بدينه، ولم تأتِ في أمره غير الرفق، ولم تُسخط ربك في أمره، وكسرت حدته بذكر الله، بل تبوء بإثمه، وبه يشحد عليك سيف عداوته، لأنَّ لفظة السوء تبعث الشرَّ، والخير مَقْمَعَةٌ للشرِّ. ولا قوَّة إلاَّ بالله.

[٣٨] وأما حقَّ الخصم المدَّعي عليه:

- فإن كانَ ما تدَّعيه حقاً أجملتَ في مقاولته بمخرج الدعوى فإنَّ الدعوى غلظةٌ في سمع المدَّعي عليه، ولم تجحدُ حقه.

- وقصدت قصد حجَّتِك بالرفق، وأمهل المهلة، وأبين البيان، وألطف اللطف.

- ولم تتشاغل عن حجَّتِك بمناعته بالقييل والقال، فتذهب عنك حجَّتِك، ولا يكون لك في ذلك دركٌ.

وإن كنت مبطلاً في دعواك اتقيت الله عزوجلَّ، وثبتَ إليه، وتركت الدعوى. ولا قوَّة إلاَّ بالله.



[٣٩] وأما حقّ المستشار:

- فإنّ حضرك له وجه رأي، جهدتَ له في النصيحة، اشرت عليه (بما تعلم أنّك لو كنتَ مكانه عملتَ به).
- وذلك ليكن منك في رحمةٍ، ولينٍ، فإنّ اللين يؤنسُ الوحشةَ، وإنّ الغلظ يؤحش موضع الأُنس.
- وإن لم يحضرك له رأي، وعرفتَ له مَنْ تثقُ برأيه وترضى به لنفسك، دَلَّته عليه، ارشدته إليه فكنتَ لم تأله خيراً، ولم تدخره نصحاً. ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

[٤٠] وأما حقّ المُشير عليك:

- أن لا تتهمه في ما لا يوافقك عليه من رأيه إذا أشارَ عليك فإنّما هي الآراء وتصرفُ الناس فيها واختلافهم، فكن عليه في رأيه بالخيار، إذا اتَّهمتَ رأيه، فأما تهمتهُ فلا تجوزُ لك، إذا كان عندك ممّن يستحقّ المشاورة.
- ولا تدعُ شكره على ما بدا لك من إشخاص رأيه، وحُسن وجه مشورته.
- فإذا وافقك حمدتَ الله، وقبلتَ ذلك من أخيك بالشكر والإرصاد بالمكافأة في مثلها، إن فزع إليك. ولا قوّة الا بالله.

[٤١] وأما حقّ المستنصح:

- فإنّ حقّه أنّ تؤدّيَ إليه النصيحةَ على الحقّ الذي ترى له أنّه يحمل، وتُخرج المخرجَ الذي يلين عليّ مسامعه، وتكلمه من الكلام بما يُطيقه عقله، فإنّ لكلّ عقلٍ طبقةً من الكلام يعرفه ويجتنبه.
- وليكن مذهبك الرحمة له والرفق به. ولا قوّة إلاّ بالله.



[٤٢] وأما حقّ الناصح:

- فان تُلين له جناحك.
- ثمّ تُشرب له قلبك، وتفتح له سمعك، حتى تفهم عنه نصيحته.
- ثمّ تنظر فيها: فإنّ كان وُفقَ فيها للصواب حمدت الله على ذلك، وقبلتَ منه وعرفتَ له نصيحته.
- وإن لم يكن وُفقَ له فيها رحمة، ولم تُتهمه، وعلمتَ أنّه لم يألك نصحاً، إلّا أنّه أخطأ، ولم تُؤاخذه بذلك إلّا أن يكونَ عندك مستحقاً للتهمة، فلا تعبا بشيءٍ من أمره على كلّ حال. ولا قوّة إلّا بالله.

[٤٣] وأما حقّ الكبير:

- فإن حقه توقير سنّه.
- وإجلال إسلامه، إذا كان من أهل الفضل في الإسلام، بتقدّمه فيه.
- وترك مقابله عند الخصام.
- ولا تسبقه إلى طريق.
- ولا تؤمّه في طريق.
- ولا تستجهله.
- وإن جهل عليك، تحمّلت، وأكرمته بحقّ إسلامه، وحرمته مع سنّه، فإنّما حقّ السن بقدر الإسلام. ولا قوّة إلّا بالله.

[٤٤] وأما حقّ الصغير:

- فرحمته.
- وتثقيفه وتعليمه.



- والعفو عنه، والستر عليه.
 - والرفق به.
 - والمعونة له.
 - والستر على جرائم حدائته، فإنه سببٌ للتوبة.
 - والمداراة له، وترك مباحكته، فإن ذلك أدنى لرشده.
- [٤٥] وأما حقّ السائل:

- فأعطاؤه [على قدر حاجته] إذا تيقنت صدقةً وقدرت على سدّ حاجته.
- والدعاء له في ما نزل به.
- والمعاونة له على طلبته.
- وإن شككت في صدقة، وسبقت إليه التهمة له، ولم تعزم على ذلك، لم تأمن أن يكون من كيد الشيطان، أراد أن يصدك عن حظك، ويحول بينك وبين التقرب إلى ربك، فتركته بستره، ورددته رداً جميلاً.
- وإن غلبت نفسك في أمره، وأعطيته على ما عرضَ في نفسك منه، فإن ذلك من عزم الأمور.

[٤٦] وأما حقّ المسؤول:

- إن أعطى قبلَ منه (ما أعطى) بالشكر له، والمعرفة لفضله.
- وطلب وجه العذر في منعه.
- وأحسن به الظنّ



- واعلم أنه إن منعَ فماله مَنعَ، وأن ليس التَّريبُ في ماله، وإن كان ظالماً، فإنَّ الإنسانَ لظَلومٌ كَفَّارٌ.

[٤٧] وأما حقٌّ مَنْ سرَّكَ اللهُ به وعلى يديه:

- فإن كانَ تَعَمَّدها لك: حمدتَ اللهُ أولاً، ثمَّ شكرتُهُ على ذلك بقدره، في موضع الجزاء.

- وكافأته على فضل الابتداء، وأرصدتَ له المكافأة.

- وإن لم يكن تَعَمَّدها: حمدتَ اللهُ وشكرته، وعلمتَ أنه منه، توحدك بها.

- وأحببتَ هذا إذ كان سبباً من أسباب نِعَمِ اللهُ عليك.

- وترجو له بعد ذلك خيراً، فإنَّ أسبابَ النِّعمِ بركةٌ حيثُما كانتُ، وإن كان لم يتعمَّد. ولا قوَّةُ إلاَّ بالله.

[٤٨] وأما حقٌّ مَنْ ساءَكَ (القضاء على يديهِ بقولٍ أو فعلٍ):

- فإن كانَ تَعَمَّدها كان العفو أولى بك (لما فيه له من القمَع، وحُسن الأدب مع كثير أمثاله من الخلق).

- [وإن علمت أنَّ العفو عنه يضرُّ، انتصرت] فإنَّ اللهُ يقول: ﴿وَلَمَنْ انتصر بعد ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ على قوله: ﴿مَنْ عَزَمَ الْأُمُورَ﴾ وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ هذا في العمد.

- فإن لم يكن عَمْدًا، لم تظلمه بتعمُّد الانتصار منه، فتكون قد كافأته في تعمُّد على خطأ.

- ورفقتَ به، ورددته بالطفِّ ما تقدِّرُ عليه. ولا قوَّةُ إلاَّ بالله.



[٤٩] وأما حقّ أهلِ مِلَّتِكَ (عامّةً):

- فإضمار السلامة.
- ونشر جناح الرحمة بهم.
- والرفق بمسيئتهم.
- وتألّفهم.
- واستصلاحهم.
- وشكر محسنهم إلى نفسه، وإليك، فإنّ إحسانه إلى نفسه إحسانٌ إليك، إذا كفّ أذاه، وكفاك مؤونته، وحبس عنك نفسه.
- فعُمَّهم - جميعاً - بدعوتك.
- وانصرهم - جميعاً - بنصرتك.
- وكفّ الأذى عنهم
- وتُحبُّ لهم ما تُحبُّ لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك.
- وأنزلهم - جميعاً - منك منازلهم: كبيرهم بمنزلة الوالد، وصغيرهم بمنزلة الولد، وأوسطهم بمنزلة الأخ، وعجائزهم بمنزلة أمك.
- فَمَنْ أتاكَ تعاهدتّه بلطفٍ ورحمةٍ
- ووصل أخاك بما يجب للأخ على أخيه.

[٥٠] وأما حقّ أهلِ الذمّة:

- فالحكم فيهم أن تقبل منهم ما قبل الله.
- وتفي بما جعل لهم من ذمّته وعهده
- وتكلّمهم إليه في ما طلبوا من أنفسهم، وأجبروا عليه.



- وتحكم فيهم بما حكم الله به على نفسك، في ما جرى بينك وبينهم من معاملة.

- ولا تظلمهم ما وفوا لله عزّ وجلّ بعهد، وليكن بينك وبين ظلمهم من رعاية ذمّة الله، والوفاء بعهد وعهد رسول الله ﷺ حائلٌ فإنه بلغنا أنه قال: «مَنْ ظَلَمَ معاهداً كُنْتُ خصمه» فاتق الله. ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

فهذه خمسون حقاً محيطاً بك، لا تخرج منها في حال من الأحوال، يجب عليك رعايتها، والعمل في تأديتها، والاستعانة بالله جلّ ثناؤه على ذلك. ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

والحمد لله ربّ العالمين وصلواته على خير خلقه محمّد وآله أجمعين وسلّم تسليمًا.





الجزء السابع

الامام محمد بن علي
الباقر عليه السلام





الأهْدَاء

الى الامام ابي جعفر

محمد بن علي الباقر

باقر العلم .. ورائد الحلم.





إضاءة

يمثل الإمام محمد الباقر عليه السلام مدرسة فكرية وأخلاقية في حياة المسلمين، لما تزخر به هذه المدرسة بالعطاء الثر على مستوى بناء الفرد والمجتمع، وتعدّ مرحلته عليه السلام مرحلة تاريخية مهمة وخطيرة في حركة مدرسة أهل البيت عليهم السلام حيث كان له الدور الأكبر في إرساء قواعد الجامعة الإسلامية الكبرى في حياة الأمة الإسلامية، تلك الجامعة التي كانت وما زالت مصدر الإشعاع الفكري والروحي في تاريخ الإسلام والمسلمين، ومن خلالها انطلقت الأفكار الأصيلة والمشاريع البناءة في مواجهة التحديات العقائدية والاجتماعية والسياسية التي تهدد العقل الإسلامي، والكيان الفكري، والسياسي للأمة بالتشويه والمسح والتحريف، وعلى الصعيد الداخلي للدولة الإسلامية.

فقد عاش الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام مرحلة الصراعات السياسية للخطوط المختلفة في اتجاهات الحكم والسياسة، كما واجه القلق الثقافي والاضطرابات العقائدية للمدرسة الكلامية والتيارات الفقهية التي عاصرها.

فكان عليه السلام قطب الرchy للأمة والملاذ الأمن للعلماء، وطلاب الحقيقة، فقد تخرج على يديه مئات العلماء في مختلف صنوف المعرفة، ونهل من علومه الاف الرواة والمحدثين يحملون فكره وهديه وأخلاقه ما ينير لهم الطريق في الحياة الفكرية والاجتماعية.

و «مؤسسة دار الاسلام» إذ تقدم الإمام الباقر عليه السلام ضمن ملحمة «قوافل النور» المباركة في سيرة النبي وأهل بيته عليهم السلام. لتشعر بالفخر والشرف أن تكون هذه الملحمة قد ساهمت في رسم حروفها ملامح الشخصية الفذة، والحياة الخالدة للإمام الباقر عليه السلام، فحياته تعبق بشذى العلم والطيب، وتزخر بالهدى والمكرمات. فهو الإمام الذي بقر العلم، وتوسع في مغازيه وآفاقه. فسلام على امامنا أبي جعفر الباقر عليه السلام وعلى ابائه الطاهرين عليهم السلام وابنائهم الميامين ورحمة الله وبركاته.





المولد المبارك

في دارة السجّادِ حلّ نورٌ
قد وُلد الباقرُ فهو بُشْرَى
طلعتُهُ أضواءُ المدينة
فأمُّه فاطمةُ بنتُ الحسَنِ
أولُ مولودِ لآلِ هاشمِ
في رجبٍ قد وُلد الإمامُ
قد ضمّه الحسينُ في أحضانهِ
لقبّه بالباقرِ النبيُّ
يُقرُّ علمَ الأوّلينَ بقرا
وعمّت الفرحةُ والسرورُ
تمسحُ أتعابَ القلوبِ الحيرى
بالبشرِ والآمالِ والسكينةِ
صدّيقةٌ طاهرةٌ من الدّرَنِ
من علويّين من الأكارمِ
فاستبشّر النبيُّ والإسلامُ
يسقيه كأسَ الحُبِّ من حنانهِ
وقد نَمَاهُ للعُلى «عليُّ»
ويغتدي للظامئين بحرا^(١)

(١) وُلد الإمام محمد الباقر عليه السلام في يوم الجمعة في غرة شهر رجب الحرام عام ٥٧ هـ أي قبل استشهاد جدّه الإمام الحسين عليه السلام بثلاث سنوات كما في «وفيات الأعيان». وهو الإمام الخامس من أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين نصّ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله ليخلفوه في قيادة الأمة الإسلامية، ومن الذين شملهم حديث الثقلين المتواتر: إني مَخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً. وقد ولد من أبويين علويين طاهرين زكيين فاجتمعت فيه خصال جدّه السبط الحسن وجدّه سيّد الشهداء الحسين عليه السلام، فأبوه سيّد الساجدين وزين العابدين وسراج الدين والدنيا الإمام علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عليه السلام.



⇒
وأُمّه السيّدة الزكية الطاهرة فاطمة بنت الإمام الحسن سيّد شباب أهل الجنّة وتكنى أمّ عبد الله، وكانت من سيّدات نساء بني هاشم، وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يسمّيها الصديقة، ويقول فيها الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق عليه السلام: كانت صديقة لم تدرك من آل الحسن مثلها.

لقد كان الإمام الباقر عليه السلام بشارة النبي حيث حدّث عنه قبل ولادته، وكان أهل البيت عليهم السلام ينتظرونه بفارغ الصبر، وقد أجريت له فور ولادته مراسيم الولادة كالإقامة، في أذنية وحلق رأسه والتصديق بزنة شعره فضة على المساكين، والعقّ، عنه بكبش والتصديق به على الفقراء. وسمّاه جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله بمحمد ولقبه بالباقر قبل أن يولد بعشرات السنين وكان ذلك من أعلام نبوّته، وقد استشف من وراء الغيب ما يقوم به سبطه من نشر العلم والمعرفة وحماية الدين من التحريف وتربية العلماء والمحدثين.



مشاهد كربلاء

لم يبلغ الباقرُ سنَّ الثالثه
في كربلا عانى من الأهوالِ
رأى الحسينَ جدَّهُ صريعاً
رأى الخيامَ أصبحت رَمادا
رأى النساءَ في البراري حيرى
رأى السماءَ امتلأت دُخانا
وفوقهُ رأسُ ابنِ بنتِ المصطفى
رأى السبايا في دروب الشامِ
رأى السَّياطُ تُلهبُ الظُّهورا
فظلَّ قلبه لها حزيناً
مشاهدٌ ما فارقت عينيه
يذكرها فتَهطلُ الدموعُ
إلا وقد شاهدَ أقسى حادثه
في محنةِ النساءِ والأطفالِ
مقطّعاً على الثرى تقطيعاً
رأى الخيولَ تطحنُ الأجسادا
رأى العيونَ بالدموعِ عبرى
رأى الرجالَ ترفعُ السنانا
وسيدَ المنتجبين الشُّرفا
أسيرةً لزمرةِ اللُّثامِ
رأى القيودَ تُثقلُ النُحورا
يَمزجُ في لوعته الأيننا
فقد تراءتِ دائماً إليه
سخينةٌ يَغمرها الخشوعُ^(١)

* * *

(١) لقد عاش الإمام الباقر عليه السلام منذ طفولته حادثة كربلاء ومصرع جدّه الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابهم بكل ما في تلك الحادثة من مشاهد مؤلمة وصور لا تغيب عن الذاكرة.. وقد حمل مأسوراً الى الكوفة والشام وكان مع السبايا أهل البيت عليهم السلام فشاركهم المحن والمصائب الأليمة التي تتصدّع لها القلوب، فبقيت تلك الصور والمشاهد مخترنة في قلبه بالحزن فتفيض عيناه بالدموع والثأر والإصرار على حمل مشعل الثورة والدفاع عن مبادئها وأهدافها المقدسة.



حديث جابر بن عبد الله الأنصاري

لكنه يُفرحه أن يَسْمَعَا
يُحِبُّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ جَدَّهُ
قَدْ نَقَلُوا لَهُ سَلَاماً مِنْهُ
فَقَدْ رَوَى «جَابِرُ الْأَنْصَارِيِّ»
بِأَن سَتُدْرِكُ الْفَتَى «مُحَمَّدًا»
فَاقْرَأَهُ مِنِّي الْحَبَّ وَالسَّلَامَا
فَجَاءَ جَابِرٌ إِلَى السَّجَادِ
يَحْمِلُ أَجْزَاءً مِنَ الْقُرْآنِ
عَادَ لِأَهْلِهِ مَعَ الصِّغَارِ
مَقْبِلًا لِرَأْسِهِ وَصَدْرِهِ
قَالَ لَهُ: لَكَ السَّلَامُ الْعَطِيرُ
مِنْ جَدِّكَ الْمَبْعُوثِ بِالْكِتَابِ
أَجَابَهُ لَجَدِّي السَّلَامُ
ثُمَّ عَلِيكَ أَيُّهَا الْمُبَجَّلُ
فَرَدَّ جَابِرٌ لِي الشِّفَاعَةَ
فَابْتَسَمَ الْإِمَامُ بِالْقَبُولِ

تلاوة القرآن أو صوت الدعاء
لأنه وارثه من بعده
ونقلوا بعض الصفات عنه
ذلك عن بنينا المختار
الباقر المؤيد المسددا
فهو إمام يحفظ الإسلام
ونجله الغض مع الأولاد
فاق بها بقية الأقران
فضمه جابر الأنصاري
يشم عطر أحمد في نحره
يأيهما الباقر والمفتخر
وسيد الأشراف والأطياب
مني يا جابر والاكرام
تحية فيها الثنا متصل
تضمنها بعد قيام الساعه
وقد أجاب صاحب الرسول^(١)

(١) لقد ورد حديث الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري بعدة طرق وصيغ



⇒ متنوعة وكلها تتفق على مضمون واحد، فقد جاء كما في الإرشاد للشيخ المفيد عن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: دخلتُ على جابر بن عبد الله فسلمتُ عليه فردَّ عليَّ السلام قال لي: مَنْ أنت؟. ذلك بعد ما كُفَّ بصره.
فقلت: محمد بن علي بن الحسين.
قال: يا بُنيَّ! أدنُ مني. فدنوت منه، فقَبَّلَ يدي.
ثمَّ قال لي: رسول الله يُقرئك السلام.
فقلت: وعلى رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته، فكيف ذاك يا جابر؟.
فقال: كنتُ ذات يوم، فقال لي: يا جابر! لعلك تبقى حتى تلقى رجلاً من ولدي يقال له: محمد بن علي بن الحسين يهب الله له النور والحكمة فأقرئه منِّي السلام.
وفي أبيات الملحمة تفصيل وتصوير لرواية أخرى اعتمدها الشاعر في نظم قصة لقاء جابر مع الإمام الباقر عليه السلام.



أسمائه وصفاته

ونقل الرواة من أسمائه
فهو الأمين الشاهد الصبور
معتدل القامة في جمال
له وقار في الورى ورهبه
ما يُخجلُ الفرقد في سماءه
وهو الشبيه الباقر الشكور
وأسمراً مورّذ بخال
تضطربُ القلوبُ منه هيبة^(١)

* * *

(١) لقب الإمام الباقر عليه السلام بعدة ألقاب وهي تدل ملامح شخصيته العظيمة وهي: الأمين، الشاكر، الشبيه؛ لأنه كان يشبه جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله. الصابر، الشاهد، الباقر؛ وهذا من أكثر ألقابه اشتهاً وانتشاراً، وقد لقب هو وولده الإمام جعفر الصادق عليهما السلام بـ«الباقرين» كما لقب بـ«الصادقين» من باب التغليب، وكنيته «أبو جعفر» ولا كنية له غيرها. وقد وصفه معاصروه بأن شمائله كشمائل رسول الله صلى الله عليه وآله وأنه كان معتدل القامة أسمر اللون، رقيق البشرة، له خال، ضامر الكشح، حسن الصوت، مطرق الرأس. قال عبد الله بن عطاء المكي كما في الارشاد للشيخ المفيد والبحار للمجلسي: ما رأيت العلماء عند أحد قط أصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام ولقد رأيت الحكم بن عتيبة مع جلالاته في القوم بين يديه كأنه صبي بين يدي معلّمة. وقال ابن العماد الحنبلي: أبو جعفر محمد الباقر كان من فقهاء أهل المدينة، وقيل له الباقر لأنه بقر العلم أي شقّه وعرف أصله وتوسع فيه..



حديث قتادة

فقد روى «قتادة» الفقيهُ
قال: جلستُ عند جُلِّ الصحبِ
لكنّما حينَ رأيتُ الباقرَ
هيبتهُ قد ملأتُ كياني
يحملُ علمَ الأرضِ والسماءِ
مُؤازراً والدةً في أمره
يَعجبُ من عبادةِ السجّادِ
العالمُ المفسّرُ الوجيهُ
لم يرتعب خوفاً لديهم قلبي
أصبح قلبي من ضلوعي طائراً
فليس مَنْ يَسْمَعُ كالعيانِ
ونبعهُ أصفى من الصفاءِ
لأربعينَ سنةً من عُمره
مقتدياً بالهادي والسّدادِ^(١)

* * *

(١) قال قتادة بن دعامة البصري للإمام الباقر عليه السلام يوماً كما في كتاب في رحاب أهل البيت عليهم السلام: لقد جلستُ بين يدي الفقهاء وقدام ابن عباس، فما اضطرب قلبي قدام أحدٍ منهم ما اضطرب قدامك.

وقال له عبد الله بن معمر الليثي كما في كشف الغمة: ما أحسب صدوركم إلا منابت أشجار العلم فصار لكم ثمرة وللناس ورقه.



النص على إمامته

أوصى له السجّادُ بالإمامه معرفاً لصحبه مقامه
فهو إمامُ المسلمين بعده وهو الذي ينفذُ فيهم عهده
وصيّة عن النبي الأكرم إلى الإمام الباقر المعظّم
حتى إذا رحلَ السجّادُ وانهارَ من أهلِ العبادُ
قام الإمامُ باقرُ العلوم بدوره الكبير والعظيم
متبعاً سنةً من قد رحلا من سلفٍ كانوا أئمة الملا^(١)

* * *

(١) إنّ النص من قبل الإمام السجّاد عليه السلام على إمامة ولده الإمام الباقر عليه السلام تعتبر في الحقيقة توكيداً للنصوص الثابتة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في إمامة أهل البيت عليهم السلام التي تؤكد بطبيعتها على أنّ الإمامة في إثني عشر نقيباً كنعباء بني إسرائيل كلهم من قریش.

ومن تلك النصوص، النص الذي رواه جابر بن عبد الله الأنصاري وقد جاء فيه: فقال: يا رسول الله! ومن الأئمة من ولد علي ابن أبي طالب؟ قال: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، ثم سيّد العابدين في زمانه علي بن الحسين، ثم الباقر محمد بن علي وستدرکه يا جابر، فإذا أدركته فأقرئه مني السلام. كفاية الأثر ١٤٤ - ١٤٥.

كما إنّ الإمام زين العابدين عليه السلام كان يوجه الأنظار دائماً إلى إمامة ابنه الباقر عليه السلام ويستثمر الفرص والمناسبات لإعلانها أمام أبنائه وخاصته وتلامذته وثقاته من أجل أن يعمّق في وجدانهم حقيقة الإمامة المتمثلة بالإمام الباقر باعتباره الشخصية التي تجسد العمق والامتداد في مسيرة أهل البيت عليهم السلام.



الدور العلمي للإمام الباقر عليه السلام

يُنشَرُ علم الشريعة الغراءِ
فحلقاتُ مسجِدِ النبيِّ
خاض جميعَ أبحرِ المعارفِ
فالفقهُ والكلامُ والتفسيرُ
والجفرُ والجامعةُ الكبيره
منهلُهُ القرآنُ والحديثُ
يروى عن الصحابةِ الكبارِ
فاتسعت دائرةُ العلومِ
وحدت الرواةُ في الأنصارِ
وردَّ أهلَ الزيغِ والزنداقه
وقد صفا التوحيدُ في زمانه
حتى غدت مدرسةً حيائه
مؤسساً جامعةً للدينِ

في خُلُقٍ يُنمى للأنبياءِ
تَشهدُ بالفضلِ إلى الوصيِّ
وحوله مختلفُ الطوائفِ
والهديُّ والأخلاقُ والتعبيرُ
وما حوت أسرارها الخطيره
والعقلُ والسيرةُ والموروثُ
عن النبي المصطفى المختارِ
على يدي باقرها العظيمِ
على المهاجرين والأنصارِ
وحاججِ الخصومِ والمناطقه
مذ شيد الباقرُ من أركانه
وملأت كل الدُّنأ روائه
وناصراً للحقِّ في يقين^(١)

(١) يتمثل دور الإمام الباقر العلمي في التركيز على نشر علوم الشريعة وردّ الشبهات والمقولات والعقائد الباطلة التي تحاول أن تشوش أفكار المسلمين، وتضعف أرائهم وتمسخ



⇒ شخصيتهم، فلقد كان المشروع الأموي في زمانه يتمثل في إشاعة الجهل والتحريف الفكري في حياة الأمة، فكان دور الباقر عليه السلام هو تعطيل هذا المشروع الظالم وحماية الفكر والوعي الاسلامي من الخطط المبرمجة التي تشوه الاسلام، وتزور مفاهيمه وأحكامه... فاتخذ عليه السلام من المسجد النبوي الشريف منطلقاً لمدرسته الفكرية فتحلّق حوله العلماء والفقهاء والفلاسفة ينهلون من نعيم علمه الصافي، فحدث في التفسير والحديث والفقهاء ودرّس في الفلسفة والكلام والفلك، وردّ على الزنادقة والملاحدة بدليل العقل والنقل وبأسلوب أخلاقي حكيم ومؤثر، وهكذا أصبح قطب الرحي للفكر الاسلامي ومدار الحكمة والعلم للعلماء والفقهاء وطلاب الحقيقة. حتى أننا نستطيع أن نقول أنّ حياة الإمام الباقر عليه السلام كانت مدرسة ثرة العطاء خالدة في تاريخ الأمة الاسلامية وحركتها الفكرية والسياسة، وما علم الجفر وهو: الكتب والعلوم الخاصة بأهل البيت عليهم السلام المدونة على جلد العنز وعلم الجامعة الذي ورثوه من آبائهم إلا نماذج علمية لضخامة دور الإمام الباقر وغزير عطائه الثقافي في حياة الأمة الاسلامية.



رعايته للفقراء والمساكين

يخنو على المسكين والفقير
يحرر العبيد كل عام
فماله للفقراء صدقه
فكم كسى الديباج من مسكين
كم أشبع الجوع في المدينة
فهو لهم أكبر من نصير
بالحُبِّ والرقة والسلام
نعمته بكفهم مندفة
وكم رثى لبائس حزين
وكم رعى كسيرة مسكينه^(١)

* * *

(١) الكرم والسخاء من مكارم الأخلاق التي عرف بها أهل البيت عليهم السلام وكان الإمام الباقر عليه السلام يخنو على الفقراء والمساكين ويرفع من شأنهم، ويقول المؤرخون كما في عيون الأخبار للصدوق، والبيان والتبيين للجاحظ أنه عهد لأهله إذا قصدهم سائل أن لا يقولوا له: يا سائل خذ هذا، وإنما يقولون له: يا عبد الله! بورك فيك، وقال: سمّوهم بأحسن أسمائهم، وكان أحب شيء إلى الإمام عليه السلام في هذه الدنيا صلته لإخوانه، فكان لا يمل من صلتهم وصلة قاصديه وراجيه ومؤمليه.

وكان كثير البرّ والمعروف على فقراء المدينة وكان يتصدّق عليهم في كل يوم جمعة بدينار ويقول: الصدقة يوم الجمعة تضاعف على غيره من الأيام.

وذكر المؤرخون: إنه كان أقلّ أهل بيته مالاً وأعظمهم مؤونة ومع ذلك كان يجود بما عنده لانعاش الفقراء والمحرومين.

فقد روت مولاته سلمى فقالت: كان يدخل عليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيب، ويلبسهم الثياب الحسنة، ويهب لهم الدراهم، وقد عدلته سلمى عن ذلك، فقال لها: يا سلمى! ما يؤمل في الدنيا بعد المعارف والإخوان، وكان يقول: ما حسنت الدنيا إلا صلة الإخوان والمعارف.



إحياء مجالس الحسين عليه السلام

يُحيي مآسي الطفّ في بكاءٍ
يقول للأمة أحيوا أمرنا
والله إنّ هذه المجالس
تعلّم الثورة والصمودا
دم الحسين زيتها ونورها
ففي الحسين راية الجهاد
وهكذا راح يصوغ عصبه
كانوا له كنزاً من الوفاء
قد عرفوا بالعلم والعبادة

وينصب المجلس للعزاء
ولتحفظوا بيعتنا وسرنا
قد أصبحت لنهجنا مدارس
وترسم البقاء والخلودا
وثلة قد دميت نحورها
على المدى لثأره تنادي
مجبولةً بالخير والمحبة
والصدق والإيثار والعطاء
فهم لدى الأمة كانوا القادة ^(١)

(١) لقد اهتمّ الأئمة الأطهار بعد الإمام الحسين عليه السلام بإحياء ذكرى عاشوراء اهتماماً خاصاً.. لأن واقعة كربلاء تمثل الحدث الأهم في تاريخ الإسلام وحياة الأمة، حيث حققت هدفين كبيرين:

الأول: بعث الروح النضالية في حياة الأمة وتفادي سقوطها في اليأس والقنوط.. فكانت ثورة الحسين الأمل المشرق الذي رسم ملامح المستقبل بعد عقود العذاب والمحنة والمعاناة تحت وطأة الحكام الأمويين.



⇒
الثاني: كشف ستار الشرعية المزيفة التي يتسترُ بها الحكّام علي جرائمهم وفجورهم في حياة الناس. فقد بدأت تتصدع أركان الدولة الظالمة شيئاً فشيئاً عبر الثورات المتلاحقة التي اتخذت من الحسين مشعلاً يضيء لها الطريق.

وكان للإمام الباقر عليه السلام الدور المتميز في ربط الناس بثورة الحسين عبر إحياء مجالس الذكرى بنفسه وإقامة العزاء على شهداء الطف في منزله وعبر الزمن تحولت هذه إلى مدارس للتوجيه والتعبئة الفكرية والسياسية والتربوية في حياة الفرد والأمة وإلى يومنا هذا. وقد تجسدت الشعائر الحسينية في سيرة أهل البيت عليهم السلام كما في بحار الأنوار وغيره من المصادر بما يلي:

١- اظهار الحزن واقامة مجالس العزاء والبكاء على قتلى يوم الطف في كربلاء فكان الإمام الباقر عليه السلام يقول: مَنْ ذرفت عيناه على مصاب الحسين ولو مثل البعوضة غفر الله ذنوبه.

٢- الزيارة: حث الإمام الباقر على زيارة قبر جدّه الإمام الحسين عليه السلام لتعميق الارتباط به فكراً ومنهجاً واستلهام روح الثورة ومعاهدته على الاستمرار على منهجه فإنّ الزيارة تعني الحبّ والوفاء والعهد والبيعة على التضحية من أجل الأهداف المقدّسة. وكان يقول عليه السلام: مروا شيعتنا بزيارة الحسين بن علي وزيارته مفروضة على مَنْ أقرّ للحسين بالإمامة.

٣- نظم الشعر وانشاده في ذكرى الحسين ورثاء الشهداء الذين بذلوا مهجهم دون الحسين في كربلاء.



أزمة النقد في الدولة الإسلامية

ما ظهرت مشكلة في الأمه
إلا وكان الباقر الطيبا
بعلمه بات يحل العقدا
وحين حلت أزمة «النقود»
أعني به المشؤوم عبد الملك
مذ هدد الروم بشتيم المصطفى
فحار عبد الملك المشؤوم
ولم يجد بدا من الإذعان
فأرسل الرسول نحو يثرب
فسوف تشهد الإمام الباقر
بين له محتنا الكبيره
وشد رحله لأرض الشام
فحل في دمشق نجل المصطفى
وحين راح يسرد الحكاياه
فابتسم الإمام ثم قال
فالأمر لم يبلغ مداه حدا

وأصبحت على العباد غمه
لكل ملهوف غدا مجيبا
مستشرفا بنور عقله الغدا
في زمن الخليفة الرعدي
وهو ابن مروان طريد السكك
ونقش ذاك في النقود سرفا
بما ستفعل العتاة الروم
لباقر العلم الإمام الحاني
وقال إن جئت إلى دار النبي
ومن بعلمه يُعين الحائرا
وما بنا من أزمة خطيره
فهو دعامة إلى الإسلام
حيث ابن مروان بركبه احتفى
ولم تكن فيها له درايه
هون فلن يُسلمنا تعالى
فابدأ وسك بالشام النقدا



واضرب دراهماً بذكر الهادي
وامنعهم عن سكة الغريب
فعجب الناس من الإمام
وانتهت المعضلة المخيفه
ورجع الإمام للمدينه
كادت بأن تُدي بالاسلام
وسورة التوحيد للعباد
وعملية التليث والصليب
وقيل: هذا رائد الاسلام
واغتم في أحقاده الخليفه
من بعد حل أزمة لعينه
لولا بيان حكمة الإمام^(١)

(١) كان للإمام الباقر عليه السلام الدور الأكبر في مواجهة التحديات الصعبة التي تواجه الأمة، فهو الملاذ الذي يلجأ إليه المسلمون في المواقف الصعبة.

وكانت مشكلة النقد الاسلامي في عصره من أخطر المشكلات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي واجهت الدولة الاسلامية في عصره، فقام الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام بأعظم خدمة للأمة الاسلامية عبر الزمن، فقد حرّر النقد من التبعية للامبراطورية الرومية، حين كان النقد يُصنع هناك ويحمل شعار الروم النصرى، وقد جعله الإمام مستقلاً بنفسه، يحمل الشعار الاسلامي، وقطع الصلة بينه وبين الروم المسيحيين.

أما قصة ذلك كما جاء في كتاب الإمام الباقر عليه السلام من موسوعة أعلام الهداية الصادر عن المجمع العالمي لأهل البيت، فهي أن عبد الملك بن مروان نظر إلى قرطاس قد طرز بمصر فأمر بترجمته إلى العربية، فترجم له، وكتب عليه الشعار المسيحي «الأب والابن والروح» فأنكر ذلك، وكتب إلى عامله على مصر عبد العزيز بن مروان بإبطال ذلك وأن يحمل المطرزين للثياب والقراطيس وغيرها على ان يطرزها بشعار التوحيد، ويكتبوا عليها «شهد الله أنه لا إله إلا هو» وكتب إلى عمّاله في جميع الآفاق بإبطال ما في أعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم ومعاقبة من وجد عنده شيء بعد هذا النهي.

وقام المطرزون بكتابة ذلك، فانتشرت في الآفاق وحملت إلى الروم، ولما علم ملك الروم بذلك انتفخت أوداجه، واستشاط غيظاً وغضباً وكتب إلى عبد الملك أن عمل القراطيس بمصر، وسائر ما يطرز إنما يطرز بطراز الروم إلى أن أبطلته، فإن كان من تقدمك من الخلفاء قد أصاب فقد أخطأت، وإن كنت قد أصبت فقد أخطأوا. فاختر من هاتين الحالتين أيهما شئت وأحببت، وقد بعثت إليك بهدية تشبه محلك، وأحببت أن تجعل رد



⇒

ذلك الطراز إلى ما كان عليه في جميع ما كان يطرز من أصناف من أصناف الأعلاق حالة أشكرك عليها وتأمّر بقبض الهدية.

ولما قرأ عبد الملك الرسالة أعلم الرسول أنه لا جواب له عنده، كما ردّ الهدية، وقفل الرسول راجعاً إلى ملك الروم فأخبره الخبر، فضاغف الهدية وكتب إليه ثانياً يطلب باعادة ما نسخه من الشعار، ولما انتهى الرسول إلى عبد الملك ردّه مع هديته، وظل مصمماً على فكرته، فمضى الرسول إلى ملك الروم وعرفه بالأمر، فكتب إلى عبد الملك يتهدده ويتوعده، وقد جاء في رسالته: إنك قد استخففت بجوابي وهديتي، ولم تسعفني بحاجتي فتوهمتك استقلت الهدية فاضعفتها، فجريت على سبيلك الأول وقد أضعفتها ثالثة، وأنا أحلف بالمسيح لتأمرن بردّ الطراز إلى ما كان عليه أو لأمرن بنقش الدنانير والدراهم، ولم تكن الدراهم والدنانير نقشت في الإسلام، فينقش عليها شتم نبيّك، فإذا قرأته ارفض جبينك عرقاً، فأحب أن تقبل هديتي، وتردّ الطراز إلى ما كان عليه، ويكون فعل ذلك هدية تودني بها، وتبقى الحال بيني وبينك.

ولما قرأ عبد الملك كتابه ضاقت عليه الأرض، وحر كيف يصنع، وراح يقول: أحسبني أشأم مولود في الإسلام، لأنني جنيت على رسول الله ﷺ من شتم هذا الكافر، وسيبقى عليّ هذا العار إلى آخر الدنيا فإنّ النقد الذي توعدني به ملك الروم إذا طبع سوف يتناول في جميع أنحاء العالم.

وجمع عبد الملك الناس، وعرض عليهم الأمر فلم يجد عند أحد رأياً حاسماً، وأشار عليه روح بن زبّاع، فقال له: إنك لتعلم المخرج من هذا الأمر، ولكنك تتعمد تركه، فأنكر عليه عبد الملك وقال له: ويحك! من؟ فقال له: عليك بالباقر من أهل بيت النبي ﷺ فأذعن عبد الملك، وصدقه على رأيه، وعرفه أنه غاب عليه الأمر، وكتب من فوره إلى عامله على يثرب يأمره بإشخاص الإمام وأن يقوم برعايته والاحتفاء به، وأن يجهزه بمائة ألف درهم، وثلاثمائة ألف درهم لنفقته، ولما انتهى الكتاب إلى العامل قام بما عهد إليه، وخرج الإمام من يثرب إلى دمشق، فلما سار استقبله عبد الملك، واحتفى به وعرض عليه الأمر، فقال ﷺ: لا يعظم هذا عليك، فإنه ليس بشيء من جهتين: إحداهما إنّ الله عزّ وجلّ لم يكن ليطلق ما تهدد به صاحب الروم في رسول الله ﷺ والأخرى وجود الحيلة فيه.

فقال: ما هي؟ قال ﷺ: تدعو في هذه الساعة بصنّاع فيضربون بين يديك سككاً للدراهم

⇐



⇒
والدينانير، وتجعل النقش سورة التوحيد وذكر رسول الله ﷺ أحدهما في وجه الدرهم،
والآخر في الوجه الثاني، وتجعل في مدار الدرهم والدينار ذكر البلد الذي يضرب فيه
والسنة التي يضرب فيها، وتعتمد إلى وزن ثلاثين درهماً عدداً من الأصناف الثلاثة إلى
العشرة منها وزن عشرة مثاقيل، وعشرة منها ستة مثاقيل، وعشرة منها وزن خمسة
مثاقيل، فتكون أوزانها جميعاً واحداً وعشرين مثقالاً، فتجزئها من الثلاثين فيصير العدة من
الجميع وزن سبعة مثاقيل، وتصب صنجات من قوارير لا تستحيل إلى زيادة ولا نقصان،
فتضرب الدراهم على وزن عشرة، والدينانير على وزن سبعة مثاقيل.
وأمره بضرب السكة على هذا اللون في جميع مناطق العالم الإسلامي، وأن يكون التعامل
بها، وتلغى السكة الأولى، ويعاقب بأشد العقوبة من يتعامل بها، وترجع إلى المعامل
الإسلامية لتصب ثانياً على الوجه الإسلامي.
وامثل عبد الملك ذلك، فضرب السكة حسبما رآه الإمام ﷺ ولما فهم ملك الروم ذلك
سقط ما في يده، وخاب سعيه، وظلّ التعامل بالسكة التي صممها الإمام ﷺ حتى زمان
العباسيين.
وذكر ابن كثير إنّ الذي قام بهذه العملية الإمام زين العابدين ﷺ ولا مانع من أن يكون
الإمام زين العابدين فد نفذ الخطة بواسطة ابنه محمد الباقر ﷺ.
وعلى أيّ حال فإنّ العالم الإسلامي مدين للإمام أبي جعفر الباقر ﷺ بما أسداه إليه من
الفضل بإنقاذ نقده من تبعية الروم المسيحين.



حلمه وسعة صدره

و ذات يومٍ سبهُ كتابي
فقال أنت أمك الزنجيه
فابتسم الإمام ثم قال:
يغفر لها الله وإن كذبتا
فبهت الكافر ثم تابا
فقال رب اغفر وأنت الغافرُ
من خلقي وعفّةٍ ورحمه
و كال ما كال من السباب
و المرأة الطباخة البديه
إن كنت قد صدقتني مقالا
فليغفر الله الذي ما قلتا
لربّه وأسلم احتسابا
ما كنت أدري ما يُخي الباقر!!
حاط بها الإمام كلّ الأمه^(١)

* * *

(١) كان الحلم من أبرز ملامح شخصية الإمام الباقر عليه السلام فكان يقابل الإساءة بالإحسان والبرّ والمعروف ويعامل الجهلاء بالصفح والحلم والحكمة، وقد ذكر المؤرخون أنّ رجلاً كتابياً هاجم الإمام عليه السلام واعتدى عليه وخاطبه بسوء القول: أنت بقرا فتبسم الإمام ووجهه مفعم بالمروءة والحب قائلاً: لا أنا باقر. فراح الرجل يواصل هجومه وإساءته قائلاً: انت ابن الطباخة!. فتبسم الإمام ولم يفعل بل قال له: ذاك حرفتها. ولم يقف الكتابي عن غيّه، بل راح يهاجم الإمام قائلاً: أنت ابن السوداء الزنجية البذية. ولم يغضب الإمام عليه السلام إنّما قابله باللطف قائلاً: إن كنت صدقت غفر الله لها، وإن كنت كذبت غفر الله لك. وهنا بهت الكتابي، وانبهر من عظمة أخلاق الإمام التي شابته أخلاق الأنبياء، فاعلن اسلامه واختيار طريق الحق والهدى.



صَبْرُهُ وَرَأْفَتُهُ

وينقل الرواة أنَّ صَبْرَهُ
ففي حديثٍ إنَّه قد كانا
إذ سمع الصبيحة عند بيته
وجاءه بعضُ الموالى مسرعاً
لكنَّه ظل على هيبته
وقال إنَّ الله قد أعطاه
فجهَّزوه واخفَضُوا البكاء
وقال أنتِ يافتاةٌ حُرَّة
وعندما ساءلَهُ الأصحابُ
من أن بعض ولده الثمانيه
فارتعبت خوفاً من العقوبه
حيرَ فيما ينقلونَ عصره
في صحبه يُعلِّمُ القرآنا
وصرخةً للموتِ في نسوته
فقال في السرِّ له ما أفزعا
يزيدُ في القلوبِ من رهبتِه
ثمَّ إلى جنتِه دعاهُ
وصبَّروا الصبيانَ والنساء
فابتسمت في قلبها المسرة
أتاهمُ بالبسمةِ الجوابُ
في غفلةٍ قد أسقطته الجارِيه
لكنَّها قد حُررت مثوبه^(١)

(١) روى المؤرخون عن عظيم صبره إنَّه كان جالساً مع أصحابه إذ سمع صبيحة عالية في داره، فأسرع إليه بعضُ مواليه فأسرَّ إليه بشيء، فقال ﷺ: الحمد لله على ما أعطى، وله ما أخذ، إنهم عن البكاء، وخذوا في جهازه، واطلبوا السكينة، وقولوا لها: لا ضير عليك أنت حرَّة لوجه الله لما تداخلك من الروع.



⇒ ورجع إلى حديثه، فتهيب القوم سؤاله، ثم أقبل غلامه فقال له: قد جهزناه، فأمر أصحابه بالقيام معه للصلاة على ولده ودفنه، وأخبر أصحابه بشأنه فقال لهم: إنه قد سقط من جارية كانت تحمله فمات. عيون الأخبار وفنون الآثار/ ٢١٨.

ومن الجدير بالذكر أنّ ولد الإمام الباقر سبعة كما ذكر المفيد في الإرشاد وهم: أبو عبد الله جعفر بن محمد، وعبد الله بن محمد، وأمّهما أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، وإبراهيم وعبيد الله وأمّهما أم حكيم بنت أسد بن المغيرة الثقفية، وعلي وزينب لأم ولد وأم سلمة لأم ولد.

وبعد اضافة الولد الذي مات بعد أن سقط من يد الجارية يكون المجموع ثمانية..



وصيته الخالدة

وهكذا كان مدار الخلق
يُوصي إلى شيعته الوصايا
في كرمٍ قلَّ له نظيرُ
يقولُ في وصيةٍ أخيره
فلتخلصوا في القول والأعمال
ولتكرموا الأصحابَ والأعداءَ
لا تدخلوا غِشاً ولا خيانه
ولتأمرُوا بالحقِّ والعدالة
كونا لنا زيناً وليس شينا
فأنتم سراجُ هذا الدينِ
في عفةٍ ورأفةٍ ومنطقٍ
ويوصلُ الإكرامَ والهدايا
عاش به الغنيُّ والفقيرُ
شيعتنا من استقام السيره
ولتنفقوا دوماً بلا سؤالٍ
ولتصدقوا حديثكم أداءً
ولتحفظوا الوفاءَ والأمانه
واجتنبوا الشبهةَ والجهاله
ولتصبحوا أدلةً علينا
والحالمون الحقُّ في يقينٍ^(١)

(١) وكان للإمام الباقر عليه السلام عدة وصايا لشيعته ومحبيه وعموم المسلمين تمثل مناهج تربية وأخلاقية رائعة، نذكر منها وصيته لأحد تلامذته وهو جابر بن يزيد الجعفي «رض» التي اشتملت على مبادئ الأخلاق في التعامل مع الآخرين، حيث يقول عليه السلام كما في تحف العقول: أوصيك بخمس: إن ظلمت فلا تظلم، وإن خانوك فلا تخن، وإن كذبت فلا تغضب، وإن مدحت فلا تفرح، وإن دُمت فلا تجزع، وفكر فيما قيل فيك، فإن عرفت من نفسك ما قيل فيك فسقوطك من عين الله جلّ وعزّ عند غضبك من الحق أعظم



⇒

عليك مصيبة مما خفت من سقوطك من أعين الناس، وإن كنت على خلاف ما قيل فيك، فتواب اكتسبته من غير ان يتعب بدنك، واعلم بأنك لا تكون لنا ولياً حتى لو اجتمع عليك أهل مصرك، وقالوا: إنك رجل سوء لم يحزنك ذلك، ولو قالوا: إنك رجل صالح لم يسرك، ولكن اعرض نفسك على كتاب الله فإن كنت سالكاً سبيله، زاهداً في تزهيده، راغباً في ترغيبه، خائفاً من تخويفه فاثبت وأبشر، فإنه لا يضرک ما قيل فيك، وإن كنت مبيناً للقرآن، فماذا الذي يغرک من نفسك، إن المؤمن معني بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها، فمرة يقيم أودها ويخالف هواها في محبة الله ومرة تصرعه نفسه فيتبع هواها فينعشه الله، فينتعش ويقل الله عشرته فيتذكر، ويفزع إلى التوبة والخافة فيزداد بصيرة ومعرفة لما زيد فيه من الخوف، وذلك بأن الله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾.

يا جابر! استكثر لنفسك من الله قليل الرزق تخلصاً إلى الشكر، واستقل من نفسك كثير الطاعة لله إزاءً على نفسك وتعرضاً للعفو، وادفع عن نفسك حاضر الشر بحاضر العلم، واستعمل حاضر العلم بخالص العمل، وتحرز في خالص العمل من عظيم الغفلة بشدة التيقظ، واستجلب شدة التيقظ بصدق الخوف، واحذر خفي التزين بحاضر الحياة، وتوق مجازفة الهوى بدلالة العقل، وقف عند غلبة الهوى باسترشاد العلم، واسبق خالص الأعمال ليوم الجزاء، وانزل ساحة القناعة باتقاء الحرص، وادفع عظيم الحرص بإيثار القناعة، واستجلب حلاوة الزهادة بقصر الأمل، واقطع أسباب الطمع ببرد اليأس، وسد سبيل العجب بمعرفة النفس، وتخلص النفس بصحة التفويض، واطلب راحة البدن بإجمام القلب وتخلص إلى إجمام القلب بقلّة الخطأ، وتعرض لرقّة القلب بكثرة الذكر في الخلوات، واستجلب نور القلب بدوام الحزن. وتحرز من إبليس بالخوف الصادق، وإيّاك والرجاء الكاذب فإنه يوقعك في الخوف الصادق، وتزين لله عز وجل بالصدق في الأعمال، وتحبب إليه بتعجيل الانتقال. وإيّاك والتسويق فإنه بحر يغرق فيه الهلكى، وإيّاك والغفلة ففيها تكون قساوة القلب، وإيّاك والتواني فيما لا عذر لك فيه فإنه يلجأ النادمون، واسترجع سالف الذنوب بشدة الندم، وكثرة الاستغفار، وتعرض للرحمة وعفو الله بحسن المراجعة، واستعن على حسن المراجعة، بخالص الدعاء، والمناجاة في الظلم، وتخلص إلى عظيم الشكر باستكثار قليل الرزق، واستقلال كثير الطاعة.



⇒

واستجلب زيادة النعم بعظيم الشكر، والتوسل إلى عظيم الشكر بخوف زوال النعم. واطلب بقاء العزّ بأماته الطمع، وادفع ذلّ الطمع بعزّ اليأس، واستجلب عزّ اليأس ببعد الهمة، وتزود من الدنيا بقصر الأمل، وبادر بانتهاز البغية عند إمكان الفرصة، ولا امكان كالأيام الخالية مع صحّة الأبدان.

وإياك والثقة بغير المأمون فإن للشر ضراوة كضراوة الغذاء، وأعلم إنّه لا علم كطلب السلامة، ولا سلامة كسلامة القلب، ولا عقل كمخالفة الهوى، ولا خوف كخوف حاجز، ولا رجاء كرجاء معين، ولا فقر كفقر القلب، ولا غنى كغنى النفس، ولا قوة كغلبة الهوى، ولا نور كنور اليقين، ولا يقين كاستصغارك للدنيا، ولا معرفة كمعرفتك بنفسك. ولا نعمة كالعافية، ولا عافية كمساعدة التوفيق، ولا شرف كبعد الهمة، ولا زهد كقصر الأمل، ولا حرص كالمنافسة في الدرجات، ولا عدل كالإنصاف، ولا تعدي كالجور، ولا جور كموافقة الهوى، ولا طاعة كأداء الفرائض، ولا خوف كالحزن، ولا مصيبة كعدم العقل، ولا عدم عقل كقلّة اليقين، ولا قلّة يقين كفقد الخوف، ولا فقد خوف كقلّة الحزن على فقد الخوف، ولا مصيبة كاستهانتك بالذنب، ورضاك بالحالة التي أنت عليها، ولا فضيلة كالجهاد، ولا جهاد كمجاهدة الهوى، ولا قوّة كردّ الغضب، ولا معصية كحبّ البقاء، ولا ذلّ كذلّ الطمع، وإياك والتفريط عند إمكان الفرصة فإنه ميدان يجري لأهله بالخسران.



وصيته الأخيرة

وبعد ذاك راح يوصي الصادقا
ويحفظ القرآن والشريعة
بأن يكون للهدى معانقا
ويُعطي الفقه رواة الشيعة
أوصاه أن يدفن في ثيابه
فإنها شاهدة لما به^(١)

* * *

(١) روى الكليني في الكافي بسنده عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: إن أبي قال لي ذات يوم في مرضه: يا بُني! أدخل أنا من قريش من أهل المدينة حتى أشهدهم، فأدخلت عليه أنا مناهم، فقال: يا جعفر! إذا أنا مت فغسلني وكفني وارفع قبري أربع أصابع ورشه بالماء، فلما خرجوا قلت: يا أبت! لو أمرتني بهذا صنعته ولم ترد أن ادخل عليك قوماً تشهدهم، فقال: يا بُني! أردت أن لا تنازع - أي لا تنازع في الإمامة والخلافة من بعدي متى علموا إنك وصي -

وروى الكليني في الكافي كذلك عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: كتب أبي في وصيته أن أكفنه في ثلاثة أثواب أحدها رداء له حبرة كان يصلي فيه يوم الجمعة وثوب آخر وقميص.



شهادته

من أثر السمّ الذي قد سُقيا
وظلّ في محتته يُعاني
فحزنت مدينة النبوة
وحُمّل الباقرُ للبقيع
صلى عليه الصادقُ الإمامُ
وناح من خلف الستور المصطفى
وظل ذكره على الشفاه
فعلمه ليس له انتهاء
من آل مروان عُداة الأتقيا
حتى قضى بسُمّه «المرواني»
لما قضى من كان فيها أسوه
في موكبٍ محتشدٍ مُريع
وقد بكاه في الورى الاسلام
وقد نعاها للهدى أهل الوفا
فإنه من بركات الله
يحمله الآباء والأبناء^(١)

(١) ذكر محمد بن جرير الطبري في دلائل الإمامة.. إنّ الإمام الباقر عليه السلام قد تعرّض للإعتقال في بلاد الشام ثمّ أطلق سراحه بسبب تأثيره على جماهير دمشق وكان ذلك على أثر مناظراته لزعيم النصارى هناك ودحض آرائه وتبيان زيفها والرد على كل الشبهات التي أثارها حول عقيدة التوحيد ورسالة الاسلام وشريعته المقدسة، ولم تتحقق للنظام الأموي غايته الدنيئة في محاصرة الإمام وإبعاده عن جماهيره الممتدة بامتداد شعوب الأمة الاسلامية.

فقد رأت السياسة الأموية المنحرفة إنه ليس هناك بُدٌّ من اغتيال الإمام، وهكذا دُسر إليه السم في عام ١١٤هـ.



⇒
وقد اختلف المؤرخون في اليد الآثمة التي أقدمت على اقتراف الجريمة في قتله، فمنهم من قال: إن هشام بن الحكم - كما في بحار الأنوار - هو الذي أقدم على اغتيال الإمام فـدس إليه السم وهو القول الأرجح وذلك لشدة حقد هشام على آل النبي ﷺ. ومنهم من قال: إن الذي أقدم على سمّ الإمام هو إبراهيم بن الوليد أو أنه اشترك مع غيره في عملية اغتيال الإمام ﷺ.
وهكذا ودّع الإمام الدنيا وهي حطام تحت قدميه وحمل إلى البيقع زكي النفس طاهر الأردن ورحل إلى ربّه سبحانه صابراً محتسباً.
وحلّ على الله ضيفاً كريماً مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، فسلام عليه يوم ولد ويوم رحل إلى ربّه ويوم يبعث حياً.
والحمد لله ربّ العالمين



الجزء الثامن

الامام جعفر بن محمد
الصادق عليه السلام





الأهداء

إلى سيدي الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام
الذي فجر ينابيع العلم والحكمة
وحمل لواء الحق والعقيدة
وبعث النهضة في تاريخ الأمة
أهدي هذا الجزء من (قوافل النور)
راجياً ان يكون مشعلاً يضيء الطريق للأجيال.





اضاءة

هذا هو الجزء الثامن من ملحمة قوافل النور الشعرية التي بدأت في خضمّ معاناة الهجرة الطويلة، وهو أول جزء يعد ويطلع في العراق، بعد سقوط الصنم والعودة من المنافي الثلجية.

ويتناول هذا الجزء حياة، ومدرسة الامام جعفر الصادق عليه السلام الامام الذي ملأ الدنيا وشغل الناس، فقد روى الحسن بن علي الوشاء قال: أدركت في مسجد الكوفة تسعمائة شيخ كلّ يقول؛ حدثني جعفر بن محمد.

وكلمة شيخ التي وردت في الرواية تعني الاستاذ؛ وهذا يشير الى كم من الحلقات العلمية التي أخذت العلم عن الامام الصادق، وحملته مشاعل في بلاد المسلمين المترامية الاطراف.

وهذه الرواية وحدها تكشف بوضوح لا لبس فيه ولا غموض، أن الامام الصادق عليه السلام كان مثابة العلماء، ومرجع الفقهاء، ورائد الفلاسفة، ومصدراً أصيلاً نقياً لكل صنوف العلم، وآفاق المعرفة.

و «مؤسسة دار الاسلام» إذ تقدم هذا الجزء من ملحمة «قوافل النور» ترحب لأجيالها الواعدة ان تنهل من معين الامام الصادق عليه السلام ما يمدّها بالزاد والوقود، وهي تشق طريقها الصعب لبناء حياة أفضل تقوم على أساس العدل، والحق، والامن، والسلام.

والحمد لله رب العالمين





المولد المبارك

في دوحه النبوة الأمينه
قد حملت بالطهر «أم فروه»
وهي ترى في حملها العلائما
حتى إذا ما اكتملت أيامه
شعت سماء البيت بالأنوار
قد ولد الصادق أي بشري
أورق غصن الخير في المدينه
بنت أبي بكر وكانت قدوه
وتشهد الاعجاز والمكارما
وحان من بدر الهدى تمامه
وابتسم الطاهر للأطهار
تزفها الأملاك لابن الزهرا^(١)

* * *

(١) ولد الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في المدينة المنورة يوم الاثنين في السابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ٨٣ هـ في اليوم الذي ولد فيه جده رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يوم عظيم البركة يُعظّمه المسلمون ويُستحب فيه الصوم شكراً لله والصدقة وفعل الخيرات. وأمه الجليلة المكرّمة فاطمة المكنّاة بـ «أم فروه» وقيل اسمها «فروه» بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، والتي قال في حقها ولدها الإمام الصادق عليه السلام: كانت أُمي ممن آمنت، وأتقت، وأحسنت، والله يحب المحسنين.

وأبوها القاسم بن محمد، من فقهاء الشيعة، وهو من خواص الإمام زين العابدين عليه السلام يقول: لقد أولدني أبو بكر مرتين. - لان أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، وأما أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، وهكذا تكون أمه راجعة الى أبي بكر من جهة أبيها وأمها. نور الابصار/١٦٠.



أسماءه وألقابه

يحملهُ السجَادُ في يديه ليرفَعَ الأذَان في أذنيه
أنشودة تهتَفُ بالتوحيدِ ليعبثَ النبيَّ من جديدِ
فهو الذي سماهُ يوماً صادقاً فكان بالحقِّ إماماً ناطقاً
أما اسمه جعفرُ فهو يُعرفُ نهرٌ وفي الجنةِ منه يُعرفُ
لقبَ بالطاهرِ ثم الفاضلِ والقائمِ الامامِ ثم الكافلِ
ووجهه يزهرُ مثلَ البدرِ كان أشمَّ الأنفِ جعدَ الشعرِ
في خده خالٌ رقيقٌ أسودُ أورثهُ له النبيُّ أحمدُ
شبَّ بأحضانِ الإمامِ الباقرِ ينهلُ من علومه الزواجرِ^(١)

* * *

(١) ولما ولد الإمام الصادق عليه السلام أقام جدّه السجادة عليها السلام السنة النبوية فيما يعمل للمولود الجديد، وقد توافرت الاخبار أن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله قد سماه بـ «الصادق» لأشتهار صدقه في القول والعمل. وله عليه السلام ألقاب كثيرة معروفة وأشهرها «الصادق» ومن ألقابه:

الطاهر: وهي الطهارة في المولد، وطهارة العمل. والفاضل: لسعة فضله. والقائم: أي القائم بأمر الإمامة. والكافل: أي من كفل أمر أخوانه.

وحال ولادته شرع والده الباقر عليه السلام في تربيته وإظهار فضله وإمامته، وقد ورث من جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله الهيبة والسؤدد، وأغلب السمائل الخلقية والأخلاقية، وبالجملة فقد قال في حقه الشيخ عبد المجيد بن محمد الخاني: ناهيك بإمام ورث مقام النبوة والصديقية، فأزدهرت في طلعتة أنوار كثيرة، ومكاشفات شهيرة من المعارف الحقيقية، وله كرامات لا تُحصى. الحدائق الوردية / ٥٤.

وقال عنه الشبلنجي الشافعي: ومناقبه كثيرة تكاد تفوق عدّ الحاسب، ويحار في أنواعها فهم اليقظ الكاتب. نور الإبصار / ١٦٠.



خصاله وصفاته

في هيئة عظيمة الجلال
مذكراً بطلعة الرسول
وحيدر الكرار والسبطين
وجده السجاد ذي العباده
لم يُرَ إلا صائماً أو ذا كرا
فكان من أعظم العباد
أوصى له الباقر بالإمامه
يُشير للتوحيد والنبوه
يغضي عن المذنب والمسيء
فكان مقصداً لمن أرادا
كريمة الأصول والخصال
وأمه الطاهرة البتول
الحسن الكريم والحسين
ومن مضوا للمؤمنين قاده
أو قائماً مخافتاً مجاهرا
وكان من أكابر الزهاد
فكان في دين الهدى علامه
بالحب والحنان والابوه
مبتسماً بوجهه المضيء
أن يدرك العزة والرشادا^(١)

(١) ورث الإمام الصادق عليه السلام صفات أبيه وأجداده ولاسيما جده رسول الله صلى الله عليه وآله من الهيبة والجلال المهيب، وعلى وجه الخصوص كثرة العبادة والانقطاع الى الله سبحانه، حتى قال الراوي: كان عليه السلام أفضل أهل زمانه وأعلم بدين الله وأتقاهم. تاريخ يعقوبي ٣٨١/٢.

ولما ظهرت صفاته الشريفة عهد إليه والده الإمام الباقر عليه السلام بالإمامة، فصار مقصداً يرتاده طلاب العلم والفضيلة، ومنهلاً لرواد الكمال والحقيقة، وعرف عنه عليه السلام طيلة حياته سعة حلمه، وإغضائه عن المذنب المسيء، ومما ورد له في هذا الباب ما نقله الطبرسي في مشكاة الانوار: جاء رجل إلى الإمام الصادق عليه السلام وقال له: إن فلاناً ابن عمك ذكرك بما يسوء، فقال الإمام الصادق عليه السلام لجارية له: أتيني بماء الوضوء، ثم دخل إلى مُصلاه، قال الرجل: فقلت في نفسي إن الإمام دخل ليدعو عليه، فلما صلى ركعتين سمعته عليه السلام يقول في قنوته:



⇒
ربّ هو حقي قد وهبته وانت أجود مني وأكرم، فهبه لي ولا تؤاخذ به بي. قال الرجل:
فجعلتُ أتعجبُ مما أسمع وارى.

ونقل ابن شهر آشوب: قال جعفر الخثعمي: اعطاني الإمام الصادق عليه السلام صرة وقال لي:
ادفعها الى رجل من بني هاشم، ولا تُعلمه أنني اعطيتك شيئاً، قال الخثعمي: فأتيت الهاشمي
وأعطيته، فقال الهاشمي: جزى الله هذا الرجل خيراً ما يزال يبعث لنا منذ زمن ما نعيش به
الى قابل، وهذا ابن عمي جعفر - يقصد الصادق عليه السلام - على كثرة ماله لا يبعث لنا شيئاً.

المناقب/٤/٢٧٣.



أقوال العلماء فيه

وقد روى عنه أئمة الملا
فمالك وشعبة والثوري
وابن عيينة واسماعيل
«حبكم فرض على الانام
وحاتم وروح بن القاسم
ومن أراد العلم والرواية
فهو بذا صار منار الدين
إن قال فهو عن ابيه قال
حديثه كان حديث طه
فكم له من أثر حميد
فذا أبو حنيفة يقول
عامين كنت عنده لولاهما
وقال عنه زيد الشهيد
وقال عمرو بن عبيد البصري
علومه لغيره مباحه

وجملة الأعلام في من نقل
وابن جريج بعد وابن عمرو
والشافعي عندما يقول
«واجب في أمة الاسلام»
وأحمد وجملة الاعاظم
والفقه والتفسير والهداياه
وغاية الصادق والامين
الى النبي يرفع المقالا
فمن أراد الله أراد الله
على الوري بالعلم والتجديد
كجعفر لم تشهد العقول
هلكت في الجهل وجبار السما
حجتنا الصادق والعميد
يهلك من نازعكم بأمر
قد غلبت حجته سلاحه



لا فرق من والاه أوعاداهُ في علمه إن بسطت يده^(١)

(١) نقل أرباب السير واهل التاريخ في طبقات الرجال وتراجمهم أن الإمام الصادق عليه السلام كان قبلة لأهل العلم على اختلاف مشاربهم، ولاسيما أهل المذاهب سواءً الباقية منها أو المنقرضة، ومن الذين تتلمذوا على يديه هم: مالك بن أنس بن مالك الاصبحي، صاحب المذهب المالكي، والذي عرّف بكتابه «الموطأ» وابن جريج، واسماعيل، ومن اشهرهم محمد بن إدريس الشافعي؛ إمام المذهب الشافعي، والذي عرف بميله الى اهل البيت عليهم السلام حسب ما ورد الينا في اقواله وأشعاره، واليك هذه الابيات الشعرية الشهيرة التي انشدها الشافعي حيث يقول:

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزلهُ
كفاكم من عظيم الشأن أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له

ومن تتلمذ على يده عليه السلام أبو حنيفة النعمان صاحب المذهب الحنفي، حيث أخذ منه قرابة عامين من الزمان علم الفقه وشيئاً من الاداب، حتى نقل عنه قول: «لولا السنتان لهلك النعمان». وله مع الإمام وتلاميذه جملة من المناظرات والاحتجاجات نقلتها الكتب المُعتبرة. ومما يُنقل في هذا المجال ما ذكره السيد حامد حسين اللكنهوي حيث جاء قال: جاء رجل الى أبي حنيفة وقال له: توفي أخي وأوصى بثلاث ماله لإمام المسلمين فالى مَنْ ادفعه؟ فقال أبو حنيفة: هل أمرك بهذا السؤال أبو جعفر الدوانيقي؟ فحلف الرجل كذباً انه ما أمره بهذا السؤال، فقال أبو حنيفة: ادفع الثلث الى جعفر بن محمد الصادق فانه هو الإمام الحق. عبقات الأنوار ٢٢/١٠.

وهذه شهادة صريحة من الإمام أبي حنيفة بأحقية الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بالإمامة العامة على الناس. وممن أخذ عنه عليه السلام أحمد بن حنبل، حيث روى الكثير عنه في مسند أحمد وممن أخذ عنه عمّه زيد بن الإمام الباقر والمعروف بـ «زيد الشهيد». وبالجملة فقد كان دوحة للعلوم والمعارف من حديث، او فقه، او تفسير، بحيث قصده البعيد والقريب، والموالي والمُخالف لينهل من بحر علمه، حتى صار عليه السلام علماً بارزاً يعترف به أهل الشرق والغرب، وقد جاء في كتاب تاريخ العرب لمير علي قوله:



⇒ إن الإمام الصادق يُعتبر في الواقع أول من أسس المدارس الفلسفية والعقلية في الاسلام، حيث حضر عنده طلاب الفلسفة من أنحاء الدنيا، ومؤسسو المذاهب الإسلامية. وجاء في الصواعق المحرقة لابن حجر نقل الناس من علوم الإمام الصادق عليه السلام ما سارت به الرُكبان حتى أنتشر صيته في البلدان. وجاء في كتاب الإمام الصادق كما عرفه اهل الغرب، للدكتور نور الدين آل علي للإمام الصادق عليه السلام أشارات علمية غير مسبوقه في علم الضوء حيث أكد عليه السلام أن الضوء ينعكسُ من الاجسام على صفحة العين البشرية وهذا يلغي الرأي السائد قبل عصره عليه السلام وبالجملة فمناقبه وعلومه لا يكاد يُحصيها حاسب.



رواته وتلامذته

مجلسه يضم كل مذهب
حيث الجميع من يديه ينهل
طلابهُ قد عرفوا بالفضل
أربعُ آلافٍ من الرواة
أولهم كان هشام بن الحكم
لينشروا العلوم والفضائل
فاعتدلت قوائم الشريعة
وبعدهُ أبان بن تغلب
وحبه لأهل بيت المصطفى
وثقه العجلي وابن حنبل
قد ارجع الإمام بعض الشيعة
ثم ابن عثمان أبان البجلي
يُعرف بالشعر وعلم النسب
والحميري وهو إسماعيل
ثم بريد العربي البجلي
وبكر الأزدي وابن غامدي
ثم ابن دراج جميل الكوفي
ثم أبو محمد الأزدي

وكل فكرة وكل مشرب
وكلهم من هديه مؤمل
وحكمة بالغية وعقل
قد حدثوا عنه بلا أناة
وكان في الجدال فذاً وعلم
ويرشدوا من كان عنه غافلاً
وأشرعت أبوابها الوسيعة
ومن سما في فقهه والادب
وهو الذي نال بذاك الشرفا
رغم إتهامه لحبه علي
اليه في الفتيا وفي الشريعة
الأحمر الكوفي ذلك السولي
وكان من حفظ أهل العرب
شاعر آل أحمد الأصيل
ومن له باع بعلم الجدل
وجابر سيف على المعاند
وقوله أمضى من السيوف
ذاك حريز الثقة الكوفي



راح بسيف زمرة عتاة
 ومن غدا من عمره ميؤوسا
 مصادقاً مقولة الإمام
 ذاك بن أعين الفتى الشيباني
 ذاك الذي يجيد رعي الغنم
 الثقة الصادق بالمقال
 ثم ابن ادريس الفتى الأودي
 ومن اليه ينتهي الاسناد
 علي ابن الطاهرين الازهر
 ينسب للغرير أو للكوفه
 عيسى الفقيه الزاهد التقي
 وكادح الضعيف في الزهاد
 الشاعر الشجاع في التمرد
 وهي لدى الاحرار دوماً عاده
 العربي الثقة الكوفي
 له كتاب عن حروب الجمل
 ونال ما نال علو المنزله
 منافحاً بفكره السديد
 محمد المفسر الكوفي
 وأمره بالعلم غير مخفي
 فعلمه طابق دوماً عمله
 فصار من مصادر الشريعة

البطل المقتول في الشراة
 وبعده حماد بن عيسى
 ومن قضى في الحج و الاحرام
 وانتشر الحديث من حمران
 وبعده سالم بن مكرم
 ثم ابو حمزة الثمالي
 وابن ابي يعفور العبدي
 وابن صهيب واسمه عباد
 وعروة القتات وابن جعفر
 مسائل في فقهه معروفه
 وابن ابي منصور الكوفي
 والقاسم بن عروة البغدادي
 ثم الكمي وأبن زيد الأسدي
 قد نال في اشعاره الشهاده
 ومالك بن أعين الجهني
 ومؤمن الطاق الولي البجلي
 قد ناقش الارجاء والمعتزله
 اتقن فن الجدل العنيد
 وابن فضيل الثقة الظبي
 والمستنير بن يزيد الجعفي
 ثم زرارة العظيم المنزله
 يروي الصحيح من حديث الشيعة



عظّمهُ الصادقُ في الاطراءِ
وبعدهُ محمدُ بن مسلمٍ
كان فقيهاً من وجوه الصحبِ
وابن ابي عمير الممتحنُ
له مراسيلٌ أتت بلا سندُ
قد أحرقوا تراثه وداره
أبو بصيرٍ كان من اصحابه
بالصدقِ كان ينقلُ الروايه
أولاءٍ بعضُ من روى عن جعفرِ
وقلةٌ زاغوا عن الطريقه
لكن أكثر الرواة وثقوا
قيمتهم ان أوصلوا الاحكاما

وقال ذا من أنجم السماءِ
الثقفيُّ ثقة كالعالمِ
له أصولٌ ذكرت في الكتبِ
الثقة المجاهد المؤمنُ
غدت لأكثر الفتاوى معتمداً
لكنما ظلت له الصداره
ودائماً يُعدُّ من أحبابه
حتى كأن نقله درايه
وغيرهم كثر ثقة الخبيرِ
لم يأتوا بالصدق وبالحقه
واعتمدوا ومُدحوا وصدقوا
ويبنوا الحلال والحراماً^(١)

(١) ضمت مدرسة الإمام الصادق عليه السلام رؤساء المذاهب الاسلامية على اختلاف المشارب، كما نبغ فيها جمعٌ غفير من الطلاب والناهين ممن تلقوا من الإمام عليه السلام ونهلوا من علومه، وحاججوا غيرهم في الدفاع عن الدين والعقيدة، كاثبات حق الإمامة وردّ خصومها، واليك شهادة احد تلامذته الحسن بن علي الوشاء وهو يقول لابن عيسى القمي: أدركتُ في مسجد الكوفة تسعمائة شيخٍ كلُّ يقول حدثني جعفر بن محمد الصادق. ومن تتلمذوا على يده ورووا عنه أئمة المذاهب: مالك بن أنس، وابو حنيفة، والشافعي، وابن حنبل، ومن أعلام الدين يحيى بن سعيد، والثوري، وسفيان بن عيينه، وغيرهم.. ذكر الشيخ عباس القمي: إن أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء من رووا عنه من الثقات على اختلاف آرائهم ومقالاتهم فكانوا أربعة آلاف رجل. منتهى الآمال / ١٩٣.

ومن تتلمذوا على يده وصاروا من خلص أصحابه رجالٌ عُرفوا بالنبوغ والفتنة، وسرعة البديهة، وقول الجدل، منهم: هشام بن الحكم المعروف بقوة الحجة والجدل وعلم الكلام،



⇒ وأبان بن تغلب، وابو حمزة الثمالي صاحب الدعاء المشهور، ومؤمن الطاق صاحب المناظرات ولاسيما مع ابي حنيفة، وأولاد آل أعين، ومنهم؛ زرارة، ومالك، وابو بصير الذي كان ملازماً للإمام عليه السلام وكثير الرواية عنه. إضافة الى ذلك جملة من أبرز شعراء عصره عليه السلام كالسيد الحميري، والكميت الاسدي، وأبان بن عثمان البجلي. وللأسف فقد زاغ عن هذه المدرسة ممن أخذوا عنها رجالٌ: كأبي شاعر الديصاني، والمغيرة بن سعيد، وابي الخطاب، وابن أبي العوجاء.



جامعة الإمام الصادق عليه السلام

وسار شرعُ الحق في الآفاقِ من يثربِ الى ذرى العراقِ
ولم يقل مَنْ قبله سلوني سوى الإمامِ الانزعِ البطينِ
كان إذا ما أجمعَ الحجيجُ وارتفعَ الدعاءُ والضجيجُ
قال سلوني لم يجئكم بعدي محدثٌ مبلِّغٌ عن جدي
وكان فذاً يعلمُ التأويلاً والذكرَ والتوراةَ والانجيلاً
والطبَّ والنجومَ والحسابا والجبرَ والكمياءَ والأنسابا
وإنه يعلمُ ما في المصحفِ من غامضٍ ومبهمٍ ومختفٍ^(١)

(١) تنقلُ كتب السير والتاريخ أن خلفاء بني العباس كالسفاح والمنصور حملوا الإمام الصادق عليه السلام بالاكراه على الهجرة من المدينة الى بغداد خوفاً على سلطتهم هناك، وليكون تحت أنظارهم خوفاً منه، ولما حلَّ الإمام عليه السلام في ربوع العراق ألتفَّ حوله الناس لينهلوا من علومه التي لا حصر لها، فصار اسوةً بجمده أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام والذي نقل الخاص والعام أنه عليه السلام قد تحدى البشر بقوله «سلوني قبل أن تفقدوني» وهذه من مختصات أمير المؤمنين، ما نازعه فيها أحدٌ إلا حار، وافتضح، وندم، وهكذا سار حفيده الصادق عليه السلام على نفس الدرب بدقائق العلوم والمعارف كعلوم الدين، والتأويل، والفقه، والاصول، والحديث، والتفسير، والعلوم الطبيعية كالطب، والنجوم، والرياضيات، والكيمياء، والفيزياء، والطبيعة، وعلوم الانساب، وتأويل الرؤيا، وغيرها..

ويذكر الأستاذ محمد أمين غالب الطويل: كان الإمام الصادق عليه السلام يعرف من العلوم إضافة لعلوم الاصول والفروع علوم الفقه والكيمياء والفلك، وأغلب العلوم الباطنة والظاهرة ولقد صدق من قال عنه: «كان أعلم أهل عصره». تاريخ العلويين/ ١٤٨.

وذكر الشيخ الشبلنجي: قال ابن قتيبة: كتاب الجفر كتبه الإمام جعفر الصادق عليه السلام وفيه كل ما يحتاج إليه الى يوم القيامة، والى هذا الجفر أشار أبو العلاء المعري:

لقد عجبوا لآل البيت لما أتاهم علمهم في جلدِ جفرِ
ومرأة المنجم وهي صفري تُريه كل عامرة وقفرِ

نور الابصار/ ١٦٠.



كرمه وسخاؤه

لكنه كان إذا حلّ المسا وخيم الظلام ثم عسعسا
طاف على أزقة المدينة ليُطعم المسكين والمسكينه
جرابه يُحمّله مملوءاً لثقله أو شك أن ينوءاً
يأمر أهله بدفع الصدقه لم يترك الفقير حتى يرزقه^(١)

* * *

(١) تواترت الاخبار عن كرم الإمام الصادق عليه السلام وسخائه فقد عُرف عنه إطعامه المساكين سرّاً وجهراً، وكان يحملُ صدقاته بنفسه على من يعوله، وكان يأمر أهله وأولاده وتلاميذه بالصدقة والإطعام ويحثُ عليها، وذكر الراوي: كان الإمام الصادق عليه السلام يحمل الخبزَ للفقراء والغرباء الذين يبيتون ليلاً ويمكثون نهاراً في ظلّة بني ساعدة في المدينة، وكان يقول لمرافقه المعلّى بن خنيس: لو قدرنا لواسيناهم حتى بالملح. ثواب الاعمال / ١٤٤، للشيخ الصدوق.

من وصية له عليه السلام لتلميذه عبد الله بن جُنْدَب الكوفي: يا ابن جُنْدَب: لا تتصدق على أعين الناس ليزكوك، فإنك إن فعلت ذلك فقد أستوفيت أجرك، ولكن اذا أعطيت يمينك فلا تُطلع عليه شمالك لأن الذي تتصدق لاجله سرّاً يُجزيك علانية.

وقال عليه السلام: لا يكون الجواد جواداً إلا بثلاثة: أن يكون سخياً بماله على حال اليسر والعسر، وأن يبذله لمستحقه، وأن يرى أن الذي أخذه من شكر من أعطاه أكثر مما أعطاه.

وقال عليه السلام: لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال: تعجيله، وستره، وترك الامتنان به.

وقال: الاخوان ثلاثة: مواس بنفسه، ومواس بماله، وهما الصادقان في الاخاء، وآخر يأخذ منك البلغة لينال بعض اللذة فلا تعدّه من أهل الثقة.

وكان عليه السلام ممن أفضى العطاء والتصدق سرّاً وجهراً، حتى أنتشر صيته ولكثرة ما عُرف عنه بكفالاته للمساكين والفقراء، كان يسمى بـ«الكافل».



قصة الطفل والجارية

وقد روى سفيان الثوريُّ
يأمر أهله بأن لا يصعدوا
وذا ليلةٍ رأتهُ جارِيه
تحمّل في أحضانها صبيا
فارتعدت لما رأته قادمة
فمات من ساعته الصغيرُ
مذ شاهد الإمامُ تلك البره
وقال كان الصادقُ التقيُّ
سطحاً ولا يُفتح بابٌ موصداً
وهي على بعض السطوح ماشيه
من ولده محبباً وضيا
وأسقطت ذاك الصبي النائم
وأصبحت مرعوبةً تدورُ
قال لوجه الله أنتِ حره^(١)

* * *

(١) قصة غزيرة المحتوى أوردتها كتب التاريخ، واليك ما ذكره ابن شهر آشوب قال:
قال سفيان الثوري: دخلت على الإمام الصادق عليه السلام فرأيتُه متغير اللون فسألته عن ذلك
فقال عليه السلام كنتُ قد نهيت في البيت عن الصعود الى سطح الدار فجاءت جارية ممن ترّبي
بعض ولدي فصعدت السلم والصبي معها، فلما بصرتُ بيّ فزعت وأرتعدت فسقط
الصبي الى الارض ومات، والله ما تغير لوني لموت الصبي وإنما تغير لما أدخلتُ عليها من
الرعب، وما كنتُ أظن أنّ أحداً يخاف غير الله سبحانه ولأجل هذا قلت لها: لا بأس
عليك إذ هي فانت حرة لوجه الله. المناقب ٤/٢٧٤.

سلام الله عليك من إمام ما أحلمك وما اخوفك من الله سبحانه.



قصة ظريفة

كما روى عنه أبو حنيفة قال رأيتُ جعفرًا يسيرُ فقلتُ لم تمشِ بكِ الأعوامُ قال نعم لكن أردتُ فيها فهي له ورثتها بحقٍ فهُرِعَ النعمانُ ثم قبلاً وحسر الإمام عن ذراعه وابتسم الصادقُ بافتخارٍ إن شئتَ قبله ودع هذي العصا

حكايبةً بليغةً ظريفه على عصا كأنه كبيرُ فأنتَ بعدُ ذا الفتى الهمامُ ذكرى النبيِّ للورى أزجيتها كما ورثتُ علمه بصدقٍ تلك العصا وشمها وابتهالاً فانبهرَ النعمانُ من شعاعه هذا ذراعُ أحمدِ المختارِ فمن يجد عن نهجنا فقد عصا^(١)

* * *

(١) قصة نفيسة جاءت في معرض الموعظة وإلقاء الحجّة، وفيها نتلمس سرعة بديهة الإمام عليه السلام وحضور الجواب المفحم المسكت، وهذه القصة نقلتها الكتب المعتمدة القديمة، فقد نقلها ابن شهر آشوب، وإليك ملخصها:

جاء أبو حنيفة النعمان بن ثابت صاحب المذهب المشهور قاصداً الإمام الصادق عليه السلام ليسمع منه ويأخذ عنه فخرج عليه الإمام عليه السلام وهو يتوكأ على عصا فقال له أبو حنيفة: يا ابن رسول الله ما بلغت من السنّ ما تحتاج معه الى عصا، فقال الصادق عليه السلام هو كذلك ولكنها عصا رسول الله صلى الله عليه وآله أردت التبرك بها، وسريعاً ما وثب أبو حنيفة يريد تقبيل العصا، فحسر الإمام الصادق عليه السلام عن ذراعه وقال له: لِمَ تقبل عصا رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا هو لحمه وشعره ودمه فهو أحقُّ بالتقبيل من هذه العصا، ونحنُ ابناؤه، وورثت،ه ومن حاد عن ذلك لم يؤمن به فقد خرج عن نهج رسول الله صلى الله عليه وآله. المناقب ٤/٢٤٨.



رواية مالك

وكان مالكٌ يقولُ فيه قد ورث العلومَ عن أبيه
قد اختلفتُ نحوه زماناً أنهلُ من حديثه الإيماناً
فكنت لا أراهُ إلا صائماً أو قارئاً مرتلاً أو قائماً
ولم يحدث بحديثِ المصطفى إلا على طهارةٍ قد عُرفا
ما سمعتُ مثل الإمامِ أذني ولا رأيتُ كابنِ البتولِ عيني
هذا ولم يخطر على قلبِ بشر أفضلُ منه في حديثٍ أو خبر^(١)

* * *

(١) شهادة اعترف بها إمام المذهب المالكي مالك بن انس بن مالك الاصبحي، وهو ممن روى وأخذ عن الإمام الصادق عليه السلام وقد أثبت له عدة روايات في كتابه «الموطأ» وفيها نرى القول الحق والمنطق الصدق لرجل كبير المنزلة عند جمهور المسلمين، مثل مالك وهو يُثني بأجلال على أستاذه الإمام الصادق عليه السلام ويكشف بالحق وبلا مؤاربة عن صفاتٍ عالية عُرف بها الإمام الصادق، وكانت من مختصاته عليه السلام وهذه الرواية التي جاءت بها هذه الشهادة القيِّمة أوردها الشيخ الصدوق حيث قال:

قال مالك بن انس فقيه أهل المدينة وإمام أهل السنة: كنتُ اختلفُ على الإمام جعفر بن محمد الصادق لأسمع منه، فكان يقدمُ لي مَحْدَةً ويعرف لي قدراً، فكان حينما اختلف اليه إجدته في إحدى ثلاث خصال: إما صائماً، وإما قائماً، وإما ذاكراً، وكان من عظماء العباد، وكبار الزهاد الذين يخشون الله عز وجل، وكان كثير الفوائد وما حدثني بحديث جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله إلا كان على وضوءٍ، فوالله ما سمعتُ بمثل حديثه ولا رأيتُ مثله.

الخصال/ ١٦٧.



الحوار مع الزنادقة

في عصره شاع حديثُ الزندقة
قد زلزلوا عقيدةَ الضعافِ
فأنكروا التوحيدَ والمعادا
وعقدوا مجالساً للجدلِ
لكنهُ حاورهم بصدقٍ
مبيناً أدلةَ الوجودِ
حتى غدوا أضحوكةَ الزمانِ
قد خالفوا طبيعةَ الانسانِ
فيالهم من عصبيةٍ مغروره
قد حذر الإمامُ منهم صحبه
مستمعين وعظهُ بالاي
امامهم قد اسكت الزنادقه
فخضعت له الرقابُ طوعا
من خشيةِ الرحمنِ والجبارِ

تنشُرهُ أهلُ الهوى والفسقه
وطرحوا مسائلَ الخلافِ
وخادعوا الرحمنَ والعبادا
مع الإمامِ الصادقِ المبجلِ
وردّهم بحكمةٍ ورفقٍ
ومثبتاً حقيقةَ التوحيدِ
وعبرة القاصي ودرس الداني
كابن أبي العوجاءِ والديصاني
تشوّهت أرواحهم والصوره
ففتح الكلُّ اليه قلبه
مستلهمين حكمةً في الراي
وعجزت بالفكرِ ان تلاحقه
وامتلأت تلك العيونُ دمعا
وآمنت بسادس الأَطهار^(١)

(١) شاعت في أيام إمامة الصادق عليه السلام مقولات الزنادقة، والوثنيين، وأهل الزيغ من مختلف الديانات والملل الأخرى، مستغلين فسح المجال لهم من قبل السلطات الجائرة آنذاك، فكثرت هذه المقولات، وكثر أهل التعطيل والزندقة من أمثال عبد الكريم بن أبي العوجاء



⇒ وأبي شاعر الديصاني، وابن المقفع الفارسي، وأهل التنجيم والفلك ممن مُسختُ نفوسهم.

وقد تصدّى إمامنا الصادق عليه السلام ومجموعة من خالص صحابته ممن عُرف بالجدل، وعلم الكلام، والفلسفة، وقوة المنطق، كهشام بن الحكم وغيره، وقد أوردت جملة من المصادر المُعتبرة الشيء الكثير من هذه المقولات، والمجادلات، والاحتجاجات التي نافع فيها الإمام عليه السلام وتلاميذه عن عقيدة التوحيد واصلول الدين كالمعاد وبعض القضايا الشائكة كقضية التناسخ، والكثير من مجالس الرد على أهل الفلك والتنجيم.

وكان عليه السلام يتمتع بأدب الحوار والحكمة في الجدل والصبر على جهل الجاهل، وينقل عن أحد الملحدين انه قال للمفضل بن عمر بعد ان رأى منه حدة في الكلام:

يا هذا إن كنت من اهل الكلام كلمناك، فإن ثبتت لك حجة تبعناك، وان لم تكن منهم فلا كلام لك، وإن كنت من اصحاب جعفر بن محمد فما كان هكذا يخاطبنا، ولا بمثل دليلك يجادل فينا، ولقد سمع من كلامنا أكثر مما سمعت، فما أفحش في خطابنا، ولا تعدى في جوابنا، وأنه للحليم الرزين، العاقل، الرصين، لا يعتريه خرق، ولا طيش ولا نزق، يسمع كلامنا، ويصغي الينا، ويتعرف حجتنا، حتى اذا استفرغنا ما عندنا وظننا اننا قطعناه، أدحض حجّتنا في كلام يسير، وخطاب قصير يُلزمنا به الحجة، ويقطع العذر ولا نستطيع لجوابه رداً، فان كنت من اصحابه فخاطبنا بمثل خطابه. الطبرسي، الاحتجاج ٢/٦٩.



المعتزلة والاشاعرة

وكثر في عهده الآراء
فمنهم من قال باعتزال
وبعضهم قد أول الكتاب
وجادلت في عصره الاشاعرة
قد اغلقوا العقول والافهاما
فيا لها من فتنه مخوفه
وقد تحدى الصادق الافكارا
واتبعت بذلك الاهواء
وممنهم أرجأ بالأفعال
مرتكباً في نهجه مرتابا
مقلدين للنصوص الظاهره
واتعبوا في ذلك الإماما
من يثرب تمتد حتى الكوفه
وردها بحكمة مرارا^(١)

* * *

(١) وكما ذكرنا من قبل، فقد شاعت في عهد الإمام الصادق عليه السلام وربما هذا كيد عملته السلطة الحاكمة لأضعاف مدرسة أهل البيت عليهم السلام مقالات المعتزلة التي لا تعترف سوى بإمامة العقل رغم قصره ومحدوديته، والذين عطلوا أصل العدل، وكذلك مقالات أهل الأرجاء وشيوع مذهب الاشاعرة الذين يعملون بظاهر النصوص ولا يؤمنون بتطور العقول، ثم اغلقوا باب الاجتهاد، كما كُتبت مقالات التشبيه، والتعطيل، مما أدى الى خلق فتنة أثرت على ذوي العقول الضعيفة، وبسطاء الناس، ولهذا شرع الإمام الصادق عليه السلام للتصدي لهذه المقالات وأربابها بعد شيوع وانتشار مقالاتهم في المدينة، والعراق، وسائر الامصار الاسلامية، واستطاع ببرهانه النير، وقوة جدله من إفحام الخصوم، وإعلاء كلمة التوحيد.



عصر الإمام الصادق عليه السلام

وعاش عصرَ جعفرِ المنصورِ
الظلمُ فيه معلَمُ الخِلافِ
كم ظلمت فيه من العبادِ
فيه بنو الزهراءِ ظلماً شردوا
وهدمت بيوتهم بظلمِ
ومنعوا من حقهم إجحافاً
والصادقُ الإمامُ كان ينظرُ
فقال فيه الظالم المنصورُ
لكنه أعلمُ أهلِ العصرِ
وراح يحتالُ له بمكرِ
محاولاً تخليدهُ في السجنِ
يرسلُ خلفَ داره العيوننا
علَّ يرى من الإمامِ زلَّه
فكان وعدُ الله خيرَ حامِي
من زمرةٍ تكيدُ ما تكيدُ
لكنه كان يقولُ ديني
فحارت العقولُ في أوصافه

وهو لعمرى سُبَّةُ العصورِ
والعدلُ في أكنافه مخافه
وانهدمت دعائمُ الرشادِ
وعذبوا أو سجنوا واستشهدوا
وسفكت دماؤهم بجرمِ
وولغوا في دمهم إسرافاً
لما جرى لأهله ويصبرُ
هذا الشجى والعقمُ المريرُ
بحكمةٍ موروثيةٍ وفكرِ
بجيلةٍ ممزوجةٍ بغدرِ
فسامه ظلماً بألفِ لونِ
متابعاً لخطوه سنينا
فيستبيحُ سجنه وقتله
لشعبةِ الحق وللامامِ
قلوبها حاقدةٌ وسودُ
تقيةً من العدى تقيني
وحارت القلوب في أطفاه



وكيف لا وهو ابنُ خيرِ الرُّسلِ وكيف لا وهو ربيبُ الفضلِ^(١)

* * *

(١) تواترت أخبار دولة بني العباس، ولاسيما أيام المنصور العباسي فيما فعلته بالناس من الظلم، والجور، والقتل، والتشريد، ولاسيما في حق آل أبي طالب عليهم السلام فقد ذكر السيوطي في ترجمة المنصور: وكان المنصور فحلُّ بني العباس وفيه طغيان وجبروت حيث قتل خلقاً كثيراً حتى استقام ملكه. تاريخ الخلفاء/ ٢٥٩.

وأخرج السيوطي أيضاً عن عبد الصمد بن علي أنه قال: قلت للمنصور: لقد هجمت على آل أبي طالب كأنك لم تسمع بالعفو وصلة الرحم! فقال لي: إن آل أبي طالب لم تُغمد سيوفهم طوال الدهر، وقد رأونا بالامس سوقة واليوم خلفاء، فلا تتمهد هيتنا في صدورهم ويستقيم سلطاننا إلا باستعمال العقوبة معهم. تاريخ الخلفاء/ ٢٦٧.

وذكر الشيخ عباس القمي: وإجمالاً فقد كان المنصور رجلاً دمويّاً فتاكاً نصب للإمام الصادق عليه السلام أشدَّ العداوة حتى استدعاه مراراً ليطش به أو كاد، وأخيراً دس له السم ومضى عليه السلام شهيداً مظلوماً.

وخير ما تتمم به حديثنا في هذا المجال ما ذكره د. حسن فاضل العاني: لقد خلف المنصور لولده المهدي من بعده خزانة مملوءة من رؤوس العلويين. سياسية أبي جعفر المنصور/ ٢٩.

وكم عانى أماننا من ظلم هذه الطاغية وكثرة مراقبته له، والتشديد عليه من قبل جلاوزته، حتى كان عليه السلام يعمل هو وأصحابه بمبدأ التقية، وهو القائل: «التقية ديني ودين آبائي» والتقية استعمال الحكمة في مواجهة الإخطار حفظاً للنفس الحاملة للعقيدة والمبدأ، وكان عليه السلام قد نجا مراراً من بطشه بفضل لطف الله سبحانه، وهكذا وبعد أن حمله مكرهاً من بلد آبائه وأجداده إلى بغداد، وبعد عذابات القتل والتشريد التي رآها الإمام عليه السلام في أهل بيته وبنائه عمومته سقط عليه السلام تحت رحمة هذا الطاغية لئيسقيه سماً زعاقاً ليلتحق بعد ذلك بآبائه وأجداده شهيداً مظلوماً.



شعر السيد الحميري

فالحميريُّ قالَ فيه شعرا كأنه قلَّدَ فيه الدُّرا
فقال كالسحابِ كان جعفرُ وكفه تعجزُ عنها الأبحرُ
الأرضُ ميراثٌ له والناسُ وعزمه وعلمه والبأسُ
فيه الخلاصُ من عذابِ النارِ ويوم يُدعى الناسُ للجبارِ
إنِّي تجعفرتُ وذاك فخرُ فهو امام ملهمٌ وحرُّ^(١)

(١) السيد الحميري هو اسماعيل بن محمد بن زيد بن ربيعة من حمير، ومن قبيلة قحطانية، وبهذا لم يكن هذا الشاعر سيداً علوياً ولا هاشمياً وإنما هو لقبٌ أطلق عليه لأنه سيد شعراء أهل البيت عليه السلام بعد الكُميت ودعبل، لقد تعرض هذا الرجل الجليل لحملة شعواء قديماً وحديثاً، حيث نسبت إليه ظلماً تهمة شرب الخمر، وتهمة اعتناقه عقيدة باطلة وغير ذلك، وقد تصدى جملة من كبار علمائنا للدفاع عنه بأعتبره صوتاً علوياً يريدون إخماده كما فعلوا ذلك مع غيره

قال السيد حسن الصدر: .. وقد أكثر الناس الوضع والكذب عليه ونسبوه الى الفسوق، والوجه الظاهر عندي أنه كان أول أمره كيسانياً ثم استبصر على يد الإمام الصادق عليه السلام وهو القائل:

تجعفرتُ بأسم الله والله أكبرُ وأيقنتُ أن الله يعفو ويغفرُ
ودنتُ بدينٍ غير ما كنتُ رائيماً هداني اليه سيدُ الناس جعفرُ

وقال الشيخ المفيد: وقد رجع السيد الحميري عن القول بمذهب الكيسانية لما بلغه إنكار الإمام الصادق عليه السلام مقاله ودعا له بالهداية فقال حينئذ:





أيا راكباً نحو المدينة جسرةً
إذا - ما هداك الله - عاينتَ جعفرأ
إليك رددت الأمر غيرَ مُخالِفٍ
سوى ما تراه يابن بنتِ محمدٍ
غذافرةٌ تُهدي بها كل سببٍ
فقل يا أمينَ الله وابنَ المهذبِ
وفئت الى الرحمن من كل مذهب
فان بها عهدي وزُلفى تقربي

الى أن قال:

وأشهد ربي أن قولك حجةٌ
على الخلق طراً من مطيعٍ ومذنبٍ

الارشاد/ ٢٨٣.

وقال السيد ابن معصوم : كما نسبوا للسيد الحميري أنه كان كيسانياً فقد نسبوا نفس القول الى كثيرٍ ونسبوا له ابياتاً في هذا الغرض، وأغلبُ الظن أنهما رجعا عن ذلك وتابا. الدرجات الرفيعة/ ٥٨٩.

وقد حضر الصادق عليه السلام وفاته وبشره بالجنة. وينسب إليه هذا القول في حق السيد الحميري: دعوه فإنه إن زلت له قدم ثبتت له أخرى.



تدوين العلوم

وقد مضى الصادقُ يُوصي صحبه ان يحفظوا حديثه وكتبه
يقول لا بدَّ بأن تُدونا علومكم كي تتحدى الزمناء
ونسبت كتبُ اليه جمه فهو لعمرى وارثُ الائمة
فجفره الاحمرُ والمصباحُ وجعفریات الهدى الصحاحُ
وغيرها من كتبِ المعارفِ وخطه لالاي والمصاحف^(١)

* * *

(١) نصت كتب السير والتاريخ على اسماء ثلة من خواص اصحاب الإمام الصادق عليه السلام ممن عايشوه وسمعوا منه، ودونوا حديثه ووصاياه، وكان عليه السلام يأمرهم بالتفقه بالدين، وتدوين الحديث خوفاً من الاندثار، والضياع، والتشويه، وبحكم كونه عليه السلام وارث علم الائمة من آبائه وأجداده وهو القائل: إن عندنا الجفر الأحمر، والجفر الأبيض، ومصحف فاطمة، وإن عندنا الجامعة فيها جميع ما يحتاج الناس اليه الى يوم القيامة.

وفي هذا الباب أورد الشيخ البهائي قال: قال صاحب شرح المواقف: الجفر والجامعة كتابان للإمام علي ذكر فيهما على طريقة علم الحروف الحوادث التي تحدث الى انقراض العالم وكان الائمة من ولده يعرفونهما ويتوارثونهما. الكشكول ١٨١/٢.

قال الأستاذ محمد أمين غالب الطويل: كان الإمام علي عليه السلام قد وضع علماً غامضاً سماه الجفر ثم وضع ولده الصادق عليه السلام جفراً آخر مستقلاً وسماه «جفر جعفر» فأصبح أحد الجفرين يسمّى الجفر الأبيض والثاني الجفر الأحمر ومعنى الجفر الجلد الذي يكتب فيه. تاريخ العلويين / ١٤٨.

ثم قال: وقد جمع جميع مؤلفات الإمام الصادق عليه السلام تلميذه جابر بن حيان الكوفي، وهنا يُشير الى اكثر من ٥٠٠ رسالة جمعها الكوفي في اسرار الكيمياء وطُبعت باسم «كتاب الخواص الكبير».

ومن الجدير ذكره هنا أنه كثيراً ما حصل اضطراب، وتشويش، وتشويه في قضية الجفر حتى وضعت الكثير من الاساطير في هذا الباب.



ثورة زيد بن علي

وفي ليالي الظلم قام زيدُ
لما رأى الفساد والتحريفا
فطلب الاصلاح والرشادا
فقال لو وصلت للثريا
فقد رأيت من هشام عجا
ثم يسب جدي النبي
ما كره المؤمن حرَّ السيفِ
بائع زيدا عدة آلاف
مؤججا لثورة التحدي
حتى أطل ثالث من صفر
فانفضت الجيوش عن قائدها
حتى أصيب جسمه بجرح
لكنه كان أصاب مقتلا
حتى قضى مضرجا بالنزفِ
فدفنوه في مياه النهرِ
لكنما هشام قد تجرا
وأمر الطاغى بزيدٍ يُصلبُ
وظل في الصلب سنياً عده

بثورةٍ يُكسرُ فيها القيْدُ
ولم يجد خليفةً عفيفا
لينهي الجورَ والاستبدادا
ثم سقطت لاحتقرت الغيا
كان فتى له يسبُ العربا
معانداً مكابراً عصيا
الاهوى مطوقا بالحيفِ
تحوطها الرماحُ والاسيافُ
وقائداً بنفسه للجندي
على فتى لولا القضا لم يقهرِ
مذعورةً تلوذُ عن رائدها
فعالج الجرح بقلب سمح
منه فلن يدرك زيداً أملا
في مشهد يعجز عنه وصفي
من خشية الحرق بغير قبرِ
واخرج الجثمان حين اصفرا
وهو فتى فاطمة المقربُ
شيعةً كانت تذوق الشده



وبعدھا أحرق بالنيران
وذرّ بعدُ ذلك الرمادُ
وما دروا أن به شفءا
فهو ابن طه وسليل حيدر
ونكب الإمام في المصاب
وقال قد كان الشهيد عارفا
وهو لعمرى أظھر الجثمان
في النھر كي تشربه العبادُ
لكل قلب يستضيف الداء
والاطھر ابن الاطھر ابن الاطھر
وذرف الدموع للاحباب
ولو أتاه النصر يوماً لوفى^(١)

(١) الشهيد زيد بن علي بن الحسين عليه السلام أشهر من نار على علم، ترجم له الكثير من أرباب السير والتاريخ وأثنوا عليه، وأقر له الكثير بفضلته وهنا نورد ثنفاً من شهاداتٍ تقديرية في حق هذا الإمام الثائر الشهيد:

- جاء في نور الابصار عن ابن الصباغ في الفصول المهمة: كان زيد بن علي رجلاً دينياً شجاعاً ناسكاً وكان من أحسن بني هاشم عبادةً وأجلهم سيادةً.
- قال أبو إسحاق السبيعي: رايتُ زيداً فلم أر مثله ولا أعلم منه، وكان أفصح الناس لساناً، وأكثرهم زهداً.
- وقال الشعبي: والله ما ولدت النساء أفضل من زيدٍ فقهاً وشجاعةً وزهداً وكان يُسمى حليف القرآن.
- ومدحه النعمان بن ثابت ابو حنيفة فقال: شاهدتُ زيداً فما رأيتُ في زمانه أفقه وأبين قولاً منه، لقد كان منقطع الدين لاند له.
- واليك ملخصُ ثورته واستشهاده كما نقلتها كتبُ التاريخ: في أيام حكم الاموي هشام بن عبد الملك انتشر الظلم والفساد، وأندثرت معالم الشريعة، حينئذ أنبرى رجلٌ علويٌّ، عالي الهمة، أبي النفس، لا يرضي أن يرى صور الظلم والإذلال خاصةً على آل ابي طالب، وهنا كانت ثورة الإمام زيد بن علي بن الحسين قرة عين السجادة عليه السلام بعد أخيه الباقر عليه السلام وكان شعاره: ما كره قومٌ حرّ السيوف إلا ذلوا. فأعلن ثورته في الكوفة بعد أن نهاه أخوه الباقر عليه السلام لما رأى من صعوبة الظرف، ونصحه بعدم الخروج، لكن زيداً لم يعدّ يحتمل ما يراه من الظلم، فثار مع عصاة مؤمنة بلغت ٤٠٠٠ رجل.
- وفي الأول من صفر، عام ١٢١هـ أعلن الإمام زيد بن علي عليه السلام ثورته، وفي اثناء القتال



⇒ أصيب بسهم لكنّ المنية المحتومة عاجلته فذهب شهيداً الى ربه، وخوفاً على جثته من بني امية عمد بعض من ثبت معه في القتال بعد تفرّق الباقيين من اصحابه الى دفنه في نهر يقع الآن قرب الحلة، وبعد وشاية وصلت الى هشام بموضع قبره في النهر أمر الطاغية هشام لعينه يوسف الثقفي بنش قبره ثم صلبه عياناً أمام الناس وهو عريان قرابة اربعة سنوات. وقد نقل الشبلنجي في نور الابصار عن تاريخ بن عساكر: إن العنكبوت نسجت على عورة زيد لما صُلب عرياناً وأقام مصلوباً أربع سنين.

وبعدها أنزلوه ثم حرقوا جثته وذروها في الهواء. وقد ذكرت المصادر التاريخية أن الإمام الباقر عليه السلام بكى عليه كثيراً وترحم عليه، وكذلك إمامنا الصادق عليه السلام وكان ما يقول عليه السلام: «رحم الله عمي زيدا» ويكثر عليه البكاء. بل ذكر الشيخ الصدوق: لما بلغ الإمام الصادق عليه السلام خبر استشهاده بكى عليه وقال: «إنا لله وإنا اليه راجعون، عند الله أحسب عمي زيدا، مضى والله عمي شهيداً. عيون أخبار الرضا ٢/١. لما وصل الى الشام خبر استشهاده وصلبه أنشد الحكم بن العباس الكلبي هذه الايات يُشمت بها ببني هاشم:

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة ولم نر مهدياً على الجذع يُصلبُ
وقستمُ بعثمانِ علياً سفاهة وعثمانُ خيرٌ من عليٍّ وأطيبُ

فلما سمع الإمام الصادق عليه السلام بهذه الايات قال: «اللهم إن كان كاذباً فسَلِّطْ عليه كلباً» واثناء توجه الشاعر الى الكوفة أفترسه سبعٌ في الطريق فلما بلغ الصادق عليه السلام ذلك حمد الله وقال: «الحمد لله الذي أنجز لنا ما وعدنا».

ونقل الشيخ المفيد: لما بلغ الإمام الصادق عليه السلام خبر قتل زيد حزن حزناً شديداً وفرق من ماله في عيال من أصيب معه في القتال. وكان مقتله لليلتين خلت من صفر سنة ١٢٠هـ وقيل ١٢١هـ وكان عمره يومذاك ٤٢ سنة وخلف زيد بعد استشهاده أربعة أولاد ذكور ومن أبرزهم ولده الشهيد يحيى بن زيد.

وهكذا مضى هذا الثائر العظيم كأبائه وأجداده شهيداً رافضياً للظلم والذلّ وهذا هو ديدن آل محمد عليهم السلام عبر العصور، وكثيراً ما كان الائمة عليهم السلام كالباقر، والصادق، والكاظم، والرضا عليهم السلام يترحمون عليه ويصفونه بالشهيد المظلوم، فسلامٌ عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.



ثورة يحيى بن زيد

وبعدهُ قام ابنهُ يحيى الفتى
فترك الكوفةَ ذاتَ ليله
فحط في «سرخس» ثم نادا
حتى أتى «بلخا» مع الثوارِ
فجاءهُ «نصر بن سيار» بما
عشرةَ الاف من الفرسانِ
فاصطدم الجيشانِ عند «بلخ»
فسيفُ يحيى مثلُ سيفِ حيدرهِ
وقد غدوا جرحى بها وقتلى
فقد تهاوى ابن زرارة عمر
وجاء جيشٌ للقتالِ ثانِ
فاشتعلت معركةٌ رهيبه
أصيب يحيى عندها بسهمٍ
وقتل الجميعُ من اصحابه
وسلب القميصُ من جثمانهِ
وبعثوا برأسه لأمه
فصرخت شردتموه عني
فلعنةُ الله على الوليدِ
وقد أتى بمثل ما زيدُ أتى
الى خراسانَ يجرُ خيله
بأنهُ لثورةٍ قد قادا
سبعين كانوا مثلما الأعمارِ
حشدهُ جيشاً غداً عرمرما
تسوقهم حميةُ الطغيانِ
فمسخَ الأعداءِ أي مسخِ
وجيشُ «نصر» مثل جيش الكفرهِ
و ازداد يحيى شرفاً ونبلًا
قائد جيش نصر الذي انكسر
فأدركوا يحيى بجوزجانِ
في ساعةٍ مخوفةٍ عصبه
في وجهه فخرٌ دامى الجسمِ
وفجع الصادقُ في مصابه
فسالت الجراحُ من أردانه
معفراً مخضباً بدمه
ثم دنا وهو قتيلاً مني
ولعنةُ الله على يزيدِ



اذ صلب الجثمان في وديان بلخ وفي هضبة جوزجان
ولم يزل معلقاً مصلوباً سبع سنين يُقرحُ القلوباً^(١)

(١) وهكذا فعل يحيى بن زيد «رحمه الله» فبعد شهادة ابيه زيد بن علي عليه السلام قام ابنه يحيى بدفنه، ثم انتقلت السلطة الجائرة الى الفاسق الفاجر الوليد بن يزيد بن عبد الملك. ذكر الشيخ المحقق عباس القمي: كان الوليد بن يزيد رجلاً فاسد السيرة ملحداً سيئ السلوك معروفاً بالفسق والفجور مُشتغلاً بالغناء واللهو والطرب، وهكذا لما أدخرت الأيام الشهيد زيد بن علي عليه السلام للثورة على الفاسق الجائر هشام بن عبد الملك، عادت الأيام لتهدى ولده يحيى للثورة على هذا الفاسد الفاسق. تمت المنتهى في تواريخ الخلفاء/ ١٣٧.

واليك ملخص قصة ثورته واستشهاده حسب ما وردت في المصادر التاريخية:
لما استشهد زيد بن علي عليه السلام في الكوفة سنة ١٢١هـ في أيام هشام بن عبد الملك فرغ ابنه يحيى من دفن أبيه، ولما لم يجد هناك أعواناً معه خرج الى نينوى، ثم الى المدائن فطُورِدَ هناك فأُتِجِهَ الى الري أولاً ثم الى سرخس وبقي هناك ٦ أشهر، وخلالها تعرّض الى السجن لمدة محدودة ثم أُطلق سراحه، وهناك وجد أكثر من سبعين رجلاً عاهدوه على الجهاد ضد أعدائه، وسرعان ما حارب بهم جيشاً جاء للقبض عليه فانتصر عليهم وغنم ما كان معهم، ثم رحل الى هرات ثم الى جوزجان وهي مدينة تقع بين مرو وبلخ من بلاد خراسان، وهناك قويت شوكته مما جعلهم يرسلون له جيشاً عرمرماً تعداده عشرة آلاف فارس من الشام وغيرهم من المدن الأخرى يقوده اللعين سلم بن الاحور الذي أرسله نصر بن سيار بأمر من الوليد بن يزيد، وهناك التقوا في معركة ضارية استمرت ثلاثة أيام حتى أضمحل جيش يحيى وأصيب بسهم أرداه شهيداً وبعد قتله فصلوا رأسه ثم بعثوه الى نصر بن سيار، ثم الى الوليد ثم الى أمه التي بكته كثيراً ودعت على قاتليه، واما جسده الشريف فصُلِبَ عند بوابة جوزجان وبقي هناك مصلوباً سبع سنوات حتى مجيء دولة بني العباس، وكان استشهاده رحمه الله سنة ١٢٥هـ وحيث قبره هناك، وللشهيد يحيى بن زيد فضلٌ كبير في حفظ السند الاصيلي لصحيفة جده السجاد عليه السلام والمعروفة بـ «الصحيفة السجادية» حيث سلّمها الى المتوكل بن هارون راوي الصحيفة لما أعلم يحيى بن زيد عن طريق الإمام الصادق عليه السلام أنه كآبيه زيد بن علي عليه السلام ماله الشهادة مما جعله يخاف من ضياع تراث آل محمد عليهم السلام.

فسلامٌ على شهداء آل محمد عليهم السلام في الأولين والآخرين.



صبر الإمام الصادق عليه السلام

وكلُّ ذا كان بعينِ جعفرِ
يعطيه درساً للذين بعده
يرعى يتامى ونساء من قُتلا
فقلبه الحاني على الجميع
كأنه أبٌ لكل الخلقِ
كنزاً من الصبرِ كصبرِ حيدرِ
متبعاً أباءه وجمده
سراً لكي يبعثَ فيها الأمل
من شيبة الشيخِ الى الرضيعِ
يمدُّهم بالحبِّ قبل الرزقِ^(١)

* * *

(١) لما استشهد زيد بن علي عليه السلام وابنه يحيى فقد توالى المحن والشدائد على إمامنا الصادق عليه السلام حيث رأى بأم عينه يتامى وأرامل من قُتلوا مع عمه زيد وابن عمه يحيى. قال الشيخ المفيد في الارشاد: لما بلغ الإمام الصادق عليه السلام خبر شهادة عمه زيد حزن لذلك حزناً عظيماً حتى بان عليه ثم فرّق شيئاً من ماله في عيال من أصيب معه من أصحابه. وجاء في كتب السير والتاريخ: لما بلغ الإمام الصادق عليه السلام خبر مقتل زيد بكى وقال: إنا لله وانا اليه راجعون، عند الله احتسب عمي زيدا، ثم فرّق شيئاً من ماله على يتامى وأرامل الشهداء.

ولما كان له عليه السلام في آباءه وأجداده قدوة حسنة في التأسي بهم والسير على نهجهم، فقد تدرع الإمام بالجلد والصبر، كما صبر جده الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام لما أصيب بخواص أصحابه كمالك وعمار وغيرهم.

ومن أقواله في هذا المجال ما ورد في إثبات الوصية للمسعودي:
«إني لاستغفر لمذنبى شيعتنا في اليوم واللييلة مائة مرة لأننا نصبر على ما نعلم وهم يصبرون على ما لا يعلمون».



رواية حميدة

فقد روت في فضله «حميده»
قالت: قيل أن يموت جعفرُ
قال : اجمعولي الان كل أهلي
شفاعتي والله لا أعطيها
وبالصلاة بعدها أوصانا
رواية غريبة فريده
سيدنا وهو الإمام المفخرُ
وليسمعوا وصيتي وقولي
من يستخفُ بالصلاة تيهها
ثم بكى وعندها أبكنا^(١)

* * *

(١) نقل الشيخ الصدوق، عن ابي البصير في ثواب الاعمال: قال ابو بصير: دخلتُ على أم حميدة -وقيل حميدة- أعزيتها بالإمام الصادق عليه السلام فبكتُ وبكيتُ لبكائها ثم قالت: يا ابا محمد لو رأيتَ ابا عبد الله الصادق حين الموت لرأيتَ عجباً حين فتح عينيه ثم قال: اجمعوا لي كل من بيني وبينه قرابة. قالت: فلم نترك احداً إلا جمعناه فنظر الينا ثم قال: «إنَّ شفاعتنا أهل البيت لا تنال مستخفاً بالصلاة»

ولما كانت الصلاة عماد الدين، وعروة اليقين، ومعراج المؤمن الى ربه، فقد اكثر الإمام الصادق عليه السلام من الوصية بها، فقد نقل ابن شعبة الحراني في تحف العقول مقطوعاً من وصية طويلة له عليه السلام الى شيعته وأصحابه جاء فيها: وعليكم بالمحافظة على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين كما أمركم الله في كتابه.

كما نُقل أيضاً من وصيته لصاحبه عبد الله بن جندب ومنها: وأعلم أنّ من شبك الشيطان النوم عن الصلاة التي فرضها الله، فويلٌ للساهين عن الصلوات.

ومما نقله ابن شهر آشوب عن عائذ بن نباته الاحمسي قال: قال لي الصادق عليه السلام: من أتى الله بالصلوات الخمس المفروضات لم يُسئل عمّا سوى ذلك. المنقب ٤/٢٢٥.



وصية الإمام الصادق عليه السلام

وقال: أوصيكم بوصلِ الرحمِ
وصيةٌ كبيرةٌ المعاني
من سمّه المخفي في الطعامِ
أوصى لخمسةٍ من الرجالِ
منهم أبو جعفر المنصورُ
لكنما كان الوصيُّ موسى
فإنّ قطعها حلّولُ النقمِ
قد قالها وقد غدا يُعاني
ومن ضياعِ أمةِ الإسلامِ
وذاك من حكمةِ بيتِ الآلِ
حيث غدا من حقه يفورُ
وغيره اضحى بها ميؤوساً^(١)

(١) وصية عظيمة غزيرة المعاني ألقاها إمامنا العظيم وهو يودّع الدنيا شهيداً ملتحقاً بأبائه وأجداده، فقد ذكر الكليني: عن سائلة مولاة إمامنا الصادق عليه السلام قالت: لما حضرت مولاي الصادق عليه السلام الوفاة أغمي عليه فلما أفاق قال: اعطوا الحسن بن علي بن الحسين - يقصد الافطس - سبعين ديناراً، واعطوا فلاناً كذا، وفلاناً كذا، فقلتُ له: مولاي أتعطي رجلاً حمل عليك بالشفرة؟ فقال عليه السلام ويحك! أما تقرئين القرآن؟! قلت: بلى، قال عليه السلام: أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾ الرعد: ٢١.

يا سائلة، أن الله تبارك وتعالى خلق الجنة وطيبها وطيب ريحها وان ريحها لتوجد من مسيرة ألفي عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم. الكافي ٥٥/٧.

ومن وصية له عليه السلام لجماعة من شيعته:

أوصيكم بتقوى الله، والورع في دينكم، والاجتهاد كله بطول السجود، وأداء الأمانة، وحسن الجوار، وصدق الحديث، وصلة الأرحام، فإن بهذا بُعث محمد عليه السلام.

وهكذا ولما أحس الإمام الصادق عليه السلام بدنوّ أجله وسرعة لحوقه بربه بسبب السمّ الخفي الذي دسه اللعين الدوانيقي أسرع عليه السلام بالوصية لخمسة من الرجال عاملاً بالتقية التي عمل بها، ودعا إليها طيلة حياته، وحفاظاً على ولده الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وعلى الصفوة



⇒ من بقية خواصه، رغم أنه قد أعلم القاصي، والداني، القريب، والبعيد، مراراً عديدة وطيلة حياته مشافهةً ومصارحةً بين آونةٍ وأخرى أن وصيه الشرعي هو ولده موسى بن جعفر عليه السلام.

وبهذا الخصوص أورد القطب الراوندي: لما سمع ابو حمزة الثمالي وكان يومئذٍ في الكوفة مع جمعٍ من الشيعة خبر وفاة الإمام الصادق عليه السلام وهو في المدينة قال لمن أتاه بالخبر: هل سمعتُ للإمام الصادق عليه السلام بوصية؟ قال الرجل: إنه أوصى الى ابنه عبد الله وابنه موسى والى المنصور، فقال ابو حمزة: الحمد لله الذي لم يضلنا دلّ على الصغير ومنّ على الكبير وستر الامر العظيم. الخرائج والجرائح ١/٣٢٨.

ونقل الشيخ الكليني، والطوسي، وابن شهر آشوب، عن ابي أيوب النحوي قال: بعث اليّ المنصور في جوف الليل وأخبرني بموت جعفر بن محمد عليه السلام ثم قال لي: انظر إن كان أوصى الى رجلٍ واحدٍ بعينه فقدمه واضربْ عنقه. قال أبو ايوب: فلما أرجعت اليه الجواب أنه قد أوصى الى خمسةٍ منهم أنت، ومحمد بن سليمان، وولديه؛ عبد الله، وموسى، وحميدة.

قال المجلسي وهو يُعلقُ على ذلك بقوله: إن الإمام الصادق عليه السلام كان يُعلم بعلم الإمامة الخفيّ أن المنصور سيقتلُ وصيه فأشرك هؤلاء نفر ظاهراً سترأ عليه فكتب اسم المنصور أولاً ولكن الإمام عليه السلام كان قد أعلم الناس أن ولده موسى عليه السلام هو الذي كان مخصوصاً بالوصية والإمامة من بعده دون البقية، وكان أهل العلم يعرفون ذلك. جلاء العيون/ ٥٢٣.



شهادته

ثم قضى معذباً شهيداً مجدداً دين الهدى تجديداً
 وحمل الجثمان للبقيع مجلاً بالحزن والدموع
 فصادق القول غداً مفقوداً وصار قلب أحمد مكموداً
 عليه من آبائه السلام فقد بكاه الحل والاحرام
 وقد بكاه العلم والقرآن والحجر والمطاف والاركان
 وصار موسى بعده الإماما ليحفظ الأمة والاسلاماً^(١)

(١) وهكذا رحل هذا الإمام الصابر شهيداً، مسموماً بسم دسه له المنصور الدوانيقي بعد عذابٍ طويل من المضايقة والتشديد، وبعدهما لاقى ما لاقى من هذا الطاغية الذي حاول مراراً قتله فأنقذه الله منه بلطفه. رحل هذا الإمام وهو يحملُ عذاباتٍ سنين طويلة، وهو يرى مصائب أهل بيته، وأولاد عمومته، وصفوة أصحابه على يد هذا الطاغية.

نقل الشيخ الشبلنجي في نور الابصار عن ابن الصباغ المالكي قال: مات الإمام الصادق عليه السلام مسموماً في سنة ١٤٨ هـ، وله من العمر ٦٨ سنة ودُفن في البقيع في القبر الذي دُفن فيه أبوه وجدّه وعمّ جدّه، فله درّه من قبر ما أكرمه وأشرفه.

وذكر الشيخ عباس القمي: توفي الإمام الصادق عليه السلام في شهر شوال سنة ١٤٨ هـ بالعنب المسموم الذي أطعمه به المنصور وكان عمره الشريف آنذاك ٦٥ سنة. انتهى الآمال ٢٤١/٢. وعندما رُفِع جثمانه الشريف وأُخرج الى البقيع رثاه الشاعر أبو هريرة العجلي:

أقول وقد راحوا به يحملونه علي كاهل من حامله وعاتق
 أتدرون من ذا تحملون الى الثرى ثبيراً ثوى من رأس علياء شاهق
 غداة حثا الحاثون فوق ضريحه تراباً وأولى كان فوق المفارق



أقول وقد راحوا به يحملونه
أتدرون من ذا تحملون إلى الثرى
غداة حثا الحاثون فوق ضريحه
أيا صادق ابن الصادقين إليه
لحقاً بكم ذو العرش أقسم في الورى
نجوم هي اثنا عشرة كنّ سبعا

علي كاهل من حامليه وعاتق
ثبيراً ثوى من رأس علياء شاهق
تراباً وأولى كان فوق المفاقر
بآبائك الأطهار حلفة صادق
فقال تعالى الله رب المشارق
إلى الله في علم من الله سابق

منتهى الآمال ٢/٢٤٥.

وباستشهاده عليه السلام انتقلت الإمامة العظيمة إلى ولده الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بوصية منه إليه.

والحمد لله رب العالمين.





الجزء التاسع

الامام موسى بن جعفر
الكاظم عليه السلام





الأهـداء

أقدم هذا الجزء من ملحمة قوافل النور ..
الى اعتاب جدي الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام ..
راجياً له ان يقبل سلاسل القيود في يديه ..
وتمتعات الرفض والاصرار في شفـتيه ..
وهو يحول عتمة السجن الى نافذة مشرعة
بالنور ، والخشوع ، والامل.





اضاءة

مازال مشروع ملحمة قوافل النور يتواصل عبر محطات حياة الائمة الاطهار وحرکتهم الدائبة وعطائهم الفذ الذي لا ينضب، فهم معدن الرسالة، وعدل القرآن، وخلفاء الرسول وامناء الامة، وحفظة التراث الاصيل الخالد.

وان الشعر في هذه الملحمة ليزداد اشراقاً، وعظمة، وهو يسطر مواقف وبطولات اولئك العظام، ويتواصل مع عشاقهم رغم ما اراده الطغاة من تعميم وطمس لمعانيهم المشرفة وحياتهم وبطولاتهم التي لا تحجبها بوابات الزنازين، ولا جدران السجون المظلمة، ولا عيون الرقباء والمنافقين فيها هي «قوافل النور» في حلقتها التاسعة من السلسلة الذهبية التي ابتدأت بالنبي المصطفى ﷺ مروراً بعلي وفاطمة، والحسين، والسجاد، والباقر، والصادق ﷺ لتتصل بحلقات سجن موسى بن جعفر وتابوته المثقل بالحديد والاقفال، وجسده النحيل الذي لا يكاد المرء ان يميزه عن ثوبه.

ان ثقل الامامة وتحمل اعباء الرسالة اعظم بكثير من ثقل أوزان القصائد والملاحم.

وأنى لحروف موزونة ان تحتوي ذلك العالم الفسيح المترع بالنور والقدااسة والشهادة.. لكن لا بد للملحمة من ان تتواصل شعراً، وادباً، وتاريخاً حتى تستطيع الاجيال ان تحفظ مقاطعها كشعارات يومية تصاغ من خلالها شخصياتهم، وتبلور ذواتهم، وفق منهج رباني سليم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

نسأل الله تعالى ان يوفق الجميع لخدمة اوليائه، وان يسدد خطانا على طريق مرضاته، وان يحفظ العراق وأهله من كيد الاعداء انه سميع مجيب.

﴿ربنا اجعل هذا بلداً آمناً وارزق اهله من الثمرات﴾

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.





المولد المبارك

في موسمٍ للحج والعبادة
الصادقُ الامامُ كان فيها
ومعه «حميدة» التقيه
كان يقولُ دائماً في وصفها
«حميدةٌ سبيكة من ذهب»
بعيدةٌ عن كلِ نقصٍ يُعرفُ
علمها الصادقُ من هُداة
في قافلاتِ الحج عادت معه
ضمت قوافلُ الحجيج الساده^(١)
مبرزاً مقدماً وجيهاً
زوجته العفيفة النقيه^(٢)
مؤكداً على سجايا عطفها
مذخورةً من زمنِ لابن النبي
قد طهرت ثوباً وطاب الشرفُ
فكرُمت وزانها ثقاهُ
تحملُ في أحشائها مطعمه

(١) ذكرت المصادر المعتبرة على ان الامام الكاظم عليه السلام ولد في موسم الحج، وكان آنذاك والده الامام الصادق عليه السلام برفقة أصحابه قاصداً بيت الله الحرام فوضعت أمه يوم الاحد السابع من شهر صفر سنة ١٢٨ هـ بمنطقة الابواء بين مكة والمدينة، وهو مكان مبارك دُفنت فيه آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٢) هي حميدة بنت صاعد الاندلسي، ويقال عنها انها من بيت يوحى بالعز والمجد والكرامة، ويظهر من بعض الروايات ان الامام الصادق عليه السلام كان يأمر النساء بأخذ الاحكام منها، ومن جملة تصريحات الامام الصادق عليه السلام يظهر لنا انها سيدة طاهرة، جليلة القدر، تقية، مطهرة، معروفة بالصلاح والعفاف.

قال عنها الامام الصادق عليه السلام: حميدة مصفاة من الادناس كسبيكة الذهب مازالت الاملاك «الملائكة» تحرسها حتى أدت الي كرامة من الله وللحجة من بعدي.

وروي عن الامام الباقر عليه السلام أنه قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول لها: أنت حميدة في الدنيا محمودة وفي الآخرة. الكافي/١/٤٧٧.



فجاءها المخاضُ في «الأبواء»
فوضعت وليدَها المباركَ
بإدارة الإمامِ بالأذانِ
تغمرةُ الفرحةِ والسعادةِ
قال الإمام حامداً مُصلياً
قد وهبَ اللهُ لنا غلاماً
وظهرت ارادةُ السماءِ^(١)
مُصلياً مسبحاً وما بكى
إنشودةً على مدى الزمانِ
مذ طَبَّقَ اليشُرُ بها ميلادهِ
هذا الذي يغدو خليفةً ليّاً
يُصبحُ بعدي لكمُ إماماً

(١) وامتد الزمن بعد زواج الامام جعفر الصادق بـ(حميدة المصفاة) وسافر الى بيت الله الحرام لاداء فريضة الحج، فحملها معه، وبعدي الانتهاء من مراسيمه قفلوا راجعين الى المدينة، فلما انتهوا الى (الابواء) احست حميدة بالطلق، فارسلت خلف الامام تخبره بالامر، لانه قد عهد اليها ان لا تسبقه بشأن وليده، وكان ابو عبد الله ﷺ يتناول الطعام مع جماعة من اصحابه، فلما وافاه النبا المسرّ قام مبادراً من ائمة أهل البيت ﷺ.

لقد اشرفت الدنيا بهذا المولد المبارك الذي ما ولد - في عصره - أيمن، ولا أكثر عائدة ولطفاً على الاسلام منه.

لد ولد أبر الناس، وأعطفهم على الفقراء، وأكثرهم عناداً ومحنة في سبيل الله، واعظمهم عبادة وخوفاً من الله.

وبادرة الامام ابو عبد الله عائداً الى اصحابه، وقد علت على ثغره ابتسامة فبادره اصحابه قائلين:

اسرك الله، وجعلنا فداك، يا سيدنا ما فعلت حميدة؟
فبشرهم بمولده المبارك، وعرفهم عظيم أمره قائلاً: قد وهب الله لي غلاماً، وهو خير من برأ الله.

أجل انه خير من برأ الله علماً، وتقوى، وصلاحاً، وتحرّجاً في الدين، وأحاط الامام اصحابه علماً بأن وليده من أئمة أهل البيت ﷺ الذين فرض الله طاعتهم على عباده قائلاً:
فدونكم، فوالله هو صاحبكم. بحار الانوار ٢/٨.

وكان ذلك في ايام حكم عبد الملك بن مروان.



حتى إذا ما اقتربَ الحجيجُ مستقبلين الصادقَ الامينا بالبشرِ والسلامِ والتحيه ثلاثهً قد أو لم الامام سماهُ «موسى» وكفى بذاكا سميُّ من كلمه الرحمن «الصابر» الصبورُ في محتته والعابدُ الصالحُ في تقاهُ والسيدُ «الشريفُ» في الأئمة وهو «الوفي» «والامين» «الكاظم»

من «يثرب» وقد علا الضجيجُ^(١) وشبَّله المطهرَ الميمونا قد أقبلت شيعتهُ الوفيه في فرحٍ قد بُذل الطعامُ^(٢) فخراً بأن قد بلغَ الافلاكِ ومن له عصاته تُعبانُ^(٣) «والزاهر» الانوار في جبهته وفي جهاده وفي هُداه ومن له دانت خيارُ الأمة برغم ما جار عليه الظالمُ

(١) يعتبر الحجُّ من العبادات المهمة ذات المضامين العبادية، والاجتماعية، والسياسية، والثقافية، وهو دورة تربوية عظيمة لبناء الانسان الفرد والمجتمع.

(٢) كم استبشر الإمام الصادق عليه السلام لما ولد ولده موسى عليه السلام وعمه فرح شديد وبذلك بشر اصحابه وأولم الولاثم لهم.

فقد ذكر البرقي عن منهل القصاب: خرجت من مكة وانا اريد المدينة فمررتُ بالابواء وقد ولد لأبي عبد الله الصادق عليه السلام ولده عليه السلام فرأيتُه وقد اطعم الناس ثلاثاً. المحاسن/٤١٨

ونقل الشيخ عباس القمي عن أبي البصير انه قال: لما بُشر ابو عبد الله الصادق عليه السلام بولده موسى عليه السلام قام فرحاً مسروراً، ضاحكاً سنه وقال عليه السلام: وهب الله لي غلاماً وهو خير من برأ الله ثم وضع الغداء فأكلنا. بصائر الدرجات/٩/٤٦٠

(٣) سمي الامام جعفر الصادق عليه السلام ولده - ابا الحسن - بأسم (موسى) سميّ كلیم الله النبي موسى عليه السلام الذي اخبرنا الله تعالى عنه بمواضع متعددة في القرآن الكريم، وقد أكرمه معجزة العصا، قال تعالى:

﴿وما تلك بيمينك يا موسى * قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى * قال القها يا موسى * فلقاها فاذا هي حية تسعى﴾ طه ١٧-٢٠.

وقال تعالى: ﴿فلقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين﴾ الاعراف ١٠٧.



«ونفسه الزكية» الحليمه باب الحوائج الذي قد فتحا يُفَرِّجُ اللهُ بِهِ الكروبَا كنيته معروفةٌ أبو الحسن لم يستجر في قبره المقدس فذا «ابو علي الخلال» يقول: ما أهمني من خطرٍ فسَهَّلَ اللهُ تعالى أمري ومرة قال: الإمام الشافعي قبرُ ابنِ جعفرِ هو «الترياق» وروحه الأيية الكريمة لكل مذنّبٍ عصا واجترحا ويُفَرِّحُ الحزين والمكروبَا وهو الإمام الهاشمي المؤمن إلا وقد صار شفاء الأنفسِ الحنبلي العالم المفضالُ إلا قصدتُ تربةَ ابنِ جعفرِ فقبرُ موسى في الدعاءِ ذخري لكل ناطقٍ وكل سامعٍ مجربٌ يؤمُّهُ المشتاقُ^(١)

(١) قال كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي:

هو الامام الكبير القدر، العظيم الشأن الكبير المجتهد، الجاد في الاجتهاد، المشهور بالعبادة، المواظب على الطاعات المشهور بالكرامات، يبيت الليل ساجداً وقائماً، ويقطع النهار متصدقا وصائماً، ولفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه دعي (كاظماً) كان يجازي المسيء باحسانه اليه، ويقابل الجاني بعفوه عنه، ولكثرة عبادته كان يسمى (العبد الصالح) ويعرف في العراق بـ(باب الحوائج) لنجح مطالب المتوسلين الى الله تعالى به كرامته تحار من العقول وتقضي بان له عند الله قدم صدق لا تزال ولا تزول. مطالب السؤال/٨٣.

- اما القابه فتدل على بعض مظاهر شخصيته، وجملة من جوانب عظمته وهي كما يلي:
- الصابر: لانه صبر على الآلام والخطوب التي تلقاها من حكام الجور، الذين قابلوه بجميع الوان الاساءة والمكروه.
- الزاهر: لانه زاهر بأخلاقه الشريفة وكرمه المضيء الذي مثل به خلق جده الرسول ﷺ.
- العبد الصالح: لكثرة عبادته واجتهاده في الطاعة، حتى صار مضرب المثل في عبادته،

←



وعاش موسى في هدى النبوه وشبَّ في مواطنِ الفتوه
 ينهلُ من منابع المعارفِ ما بان من أسرارها وما خفي
 قد أتقن الحكمة والتأويلا وعلم الآيات والتزيلا^(١)

- ⇒
 وقد عرف بهذا اللقب عند رواة الحديث فكان الراوي عنه يقول: حدثني العبد الصالح.
- السيد: لانه من سادات المسلمين، وأمام من أمتهم.
 - الوفي: لانه كان وفياً، باراً بأخوانه وشيعته، وباراً حتى بأعدائه والحاقدين عليه.
 - الامين: لقد مثل هذا اللقب كما مثله جده الرسول الاعظم ﷺ فقد كان أميناً على شؤون الدين واحكامه، وأميناً على أمور المسلمين.
 - الكاظم: لما كظمه من الغيظ عما فعل به الظالمون من التنكيل والارهاق، حتى قضى شهيداً، مسموماً، لم يبد لاحد الآمه وأشجانه، بل تلقى ذلك بالشكر لله والثناء عليه.
 - ذو النفس الزكية: وذلك لصفاء ذاته التي لم تتلوث بمآثم الحياة ولا بأقذار المادة حتى سمت وزكت.
 - باب الحوائج: وهذا اكثر ألقابه ذكراً وأشهرها ذيوماً وانتشاراً، انه ما قصده مكروب او حزين الا فرج الله الآمه وأحزانه. اعلام الهداية ٩ / ٤٤-٤٥.
- (١) عاش الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بين كنف ابيه في مدينة جده المصطفى حيث عبق النبوة ومواطن الفتوة والشرف والسؤدد، واخذ يزق العلم زقاً على يد والده عليه السلام فنهل منه الاسرار والعلوم والمعارف حتى لحظته العيون بالحكمة وفصل الخطاب، وكان عليه السلام اعلم اهل زمانه بالقرآن والتزويل وسائر الكتب المقدسة.
- حيث قال الشيخ المفيد: كان ابو الحسن موسى عليه السلام افقه اهل زمانه.
- وقال ايضاً: وقد روى عنه عليه السلام الناس كثيراً، وكان افقه الناس، واحفظهم لكتاب الله واعلم بما فيه، واحسنهم له تلاوة وصوتاً. الارشاد / ٢٩٦-٢٩٨.
- وذكر الطبرسي: كان ابو الحسن موسى عليه السلام أجلاً ولد الصادق عليه السلام شأناً، واعلاهم في الدين مكاناً، وأعلمهم وأفقههم وأكرمهم. اعلام الوري ٢ / ٢٥.
- وقد اتفق المؤرخون انه عليه السلام تتلمذ على يد ابيه الصادق عليه السلام ودرج في مدرسته الكبرى فورث علوم آباءه واجداده عليه السلام وتشبع من اخلاقهم ومعارفهم، ولما كان عصره زاخراً



⇒
بالمدارس الفكرية والتيارات العلمية المختلفة وعلى الرغم من حراجه موقفه السياسي الا انه تصدىق عليه مع جملة من خيرة تلاميذه لكل هذه التيارات الالحادية والزائفة، كما فعل ابوه عليه من قبل واعطى لمدرسة اهل البيت زخماً فكرياً واسعاً في الحديث والرواية والتفسير.

وقد ذكرت له كتب الرجال والتراجم أن له اكثر من ثلاثمائة راوياً وتلميذاً ممن وُصفوا بالعلم، والفضل، والصلاح، وكلهم قد اخذوا من علمه وفقهه بما زقه له أبوه الصادق من العلوم والمعارف.

وقد عرف عن الامام الكاظم انه أعلم زمانه، لما يتمتع به من سعة العلوم والمعارف، وقوة الجدل والاحتجاج، وبلاغة المنطق، وحسن الدليل في القول والبرهان.



حكاية ابي حنيفة

و ذات يومٍ قصدَ المدينة
فجاء بيت الصادق المصدق
فوجد الكاظم عند الباب
وهو صبيٌّ بعدُ لم يشباً
فقال : أين يضعُ الغريبُ ؟
وعندما كررها النعمانُ
جوابه مؤدباً مكملاً
قال : توقّ الماء والأنهارا
ثم توار من وراء الجدر
وبعدها ضع أين شئت الحاجه
فبهت النعمان للجواب
ما اسمك ؟ قال : قد دعيتُ موسى
أنا ابن جعفر حفيد الباقر
وجدي السبط الشهيد الظامي
وابن ابي طالب المحامي
وجدي فاطمة الزهراء
هذا جوابه لتلك المسألة

أبو حنيفة يريدُ دينه
يسأل عن حكم بأجلى منطق
أندى من الأمطارِ في السحابِ
لكن علمه يُصبُ صبا
فالتفت الصبيُّ لا يُجيبُ
جاء من الكاظم ما يُزانُ
فاطرق النعمانُ لما سألَا
واجتنب الشارع والثمارا
وحَد عن القبلة لا تستدبر
وحاذر العناد واللجاجه
وقال يا ابن خيرة الاطيابِ
بذكر جدي نرفعُ الرؤوسا
وجدي السجادِ ذي المفاخرِ
وابن علي سيد الكرامِ
عن النبي سيد الأنامِ
البرة النقية الغراءُ
وطالما كان يحلُ المعضله^(١)

(١) قصة ذات عبرة، أوردتها المصادر المعتمدة، وفيها زيادات وذيول لم تذكر في المصادر الأخرى، وهذه مجمل القصة مع زياداتها الواردة في المصادر:



⇒ قال أبو حنيفة: حججتُ في أيام أبي عبد الله الصادق عليه السلام.. قيل كان معه عبد الله بن مسلم فلما أتيت المدينة قصدتُ دار الصادق عليه السلام لآخذ منه علماً.. قيل أشار عليه بذلك عبد الله بن مسلم، فجلست انتظر الدخول عليه، قيل لأن جمعاً من الشيعة كانوا عنده، فبينما أنا كذلك إذ خرج صبي يدرجُ فقام الناس هيبة له فقلتُ: يا أبا مسلم: من هذا الصبي فقال لي: انه موسى ولده. قال أبو حنيفة: فقلتُ في نفسي والله لأخرسه بين الناس بسؤال، فقلت له: يا غلام: أين يضعُ الغريب الغائط إذا كان عندكم؟! فقال الصبي: على رسلك، يتوقُّ شطوطَ الأنهار، ومساقط الثمار، وافنية المساجد، وقارعة الطريق، ويتوارى خلف جدار، ثم يرفع ثوبه ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها، ثم يضع حيث يشاء.

قال أبو حنيفة: فلما سمعت قوله عظم في عيني، فقلتُ له: جعلتُ فداك ما اسمك؟ فقال: أنا موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وجدتي فاطمة الزهراء بنت رسول الله.

قال أبو حنيفة: ثم قلت له: يا غلام وممن المعصية، فنظر اليّ ثم قال: اجلس حتى أخبرك فجلست، فقال لي: إن المعصية لا تخلو من إحدى ثلاث، أما من الله - وليست منه - فهو اعدل وانصف من أن يُعذب عبداً على ما لا يرتكب واما من العبد - وهي منه - فإن عفا سبحانه فبكرمه ووجوده وان عاقب فبعده وسلطانه فله حق العقاب والثواب وإن كانت من الاثنين - وليس كذلك - فهما شريكان فلا ينبغي للشريك القوي أن يظلم الضعيف. قال أبو مسلم: فأصابت ابو حنيفة سكتةً كأنما ألجم حجراً فقلتُ له: ألم اقل لك لا تتعرض لأولاد رسول الله.

قال ابو حنيفة: فإنصرفت ولم ألق الصادق عليه السلام مُستغنياً بما سمعت. اعلام الوری ۲/۲۹ وقد ذكر الكراجكي ان أحد الشعراء نظم ذلك في ابيات:

لم تخلُ افعالنا اللاتي نُدّمُ بها	احدى ثلاثٍ خلال حين نأتيها
اما تفرّدُ بارينا بصنعتها	فيسقط اللوم عنا حين نُنشئها
او كان يشركنا فيه فيلحقه	ما سوف يلحقنا من لائم فيها
او لم يكن لأهلي في جنائتها	ذنبٌ فما الذنبُ ألا ذنبُ جانيتها

كنز الفوائد: ۱/۳۶۶



⇒
ولابي حنيفة غير هذا الموقف مع الإمام الكاظم عليه السلام كما ذكر ابن شهر آشوب قال:
دخل ابو حنيفة على الإمام الصادق عليه السلام وكان ابنه موسى عليه السلام صغيراً، فقال ابو حنيفة: يا
ابا عبد الله رأيت ابنك موسى يصلي والناس يمرون بين يديه فقال الصادق عليه السلام: ادعوا لي
ولدي موسى فلما دُعي اخبره بكلام ابي حنيفة فقال الإمام موسى عليه السلام: نعم يا ابيه إن
الذي اصلي له اقرب اليّ منهم حيث يقول الله تعالى: ﴿ونحن اقرب إليه من حبل الوريد﴾
فضمه والده الصادق عليه السلام الى نفسه ثم قال عليه السلام: بأبي أنت وامي يا مستودع الأسرار.
سلام الله عليك من إمام ما اعظمك. المناقب ١١/٤



إمامته وفضله

وبات في ظل أبيه يغرفُ
حتى اذا الصادق طال عمره
وقد دنا عمراً من السبعين
وصية النص على الامامه
بايعه شيعته بفخر
يعلم تأويلات آي المصحف
سُمي «بالعالم» في الرواة
كان مثالاً للتقى والزهد
يصوم يومه ويقضي السحرا
يحج للكعبة دوماً ماشياً
نجائب تقاد في يديه
كنوز علم ثرة لا تنزفُ
وصار ينأى للغروب بدره
أوصى لموسى الكاظم الامين
والسيف والكتاب والعمامه
كهالة حفت بنور البدر
يروى أحاديث النبي الاشرف
والسيد القائم في الدعوة^(١)
وكان للرحمن أنقى عبد
مصلياً مسبحاً مفكراً
يظل فيها طائفاً وساعياً
والرمل أضنى تعباً رجليه

(١) عن يزيد بن سليط قال: سألت الصادق عليه السلام عن القائم من بعده؟ فقال وهو يشير الى ولده موسى عليه السلام:

انه هو عنده علم الحكمة، والفهم، والمعرفة بما يحتاج اليه الناس فيما اختلفوا فيه من امر دينهم وهو باب من ابواب الله. عيون اخبار الرضا عليه السلام ٢٣/١
لقد عاش الامام موسى الكاظم ثلاث عقود من عمره المبارك، وقد سار على منهاج جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وآبائه المعصومين عليهم السلام في الاهتمام بشؤون الرسالة الالهية وصيانتها من الضياع والتحريف، والجد في صيانة الامة من الانهيار والاضمحلال، ومقارعة الظالمين وتأيد الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر للصد من تمادي الحكام في الظلم والاستبداد. وقد كانت مدرسته العلمية الزاخرة بالعلماء وطلاب المعرفة تشكل تحدياً اسلامياً، حضارياً، وتقف امام تراث كل الحضارات الوافدة، وتربي فطاحل من العلماء والمجتهدين وتبلور المنهج المعرفي للعلوم الاسلامية والانسانية معاً. اعلام الهداية ١٨/٩



حج بأهله سنيناً أربعاً ما مثله راءٍ رأى أو سمعا
يتلو بحزنٍ سُورَ القرآنِ فيخشعُ السامعُ للمعاني
وطالما يبكي مع الخشوعِ ووجهه يُتبلُّ بالدموعِ
وزهدُه يعرفُه الزهاد فذكرُه طعامُه والزادُ
فبيتهُ حصيرةٌ ومصحفُ وهو الذي يعنو لديه الشرفُ^(١)

(١) نشأ الامام موسى الكاظم عليه السلام في بيت الهدى والتقوى، وترعرع في مدارج النور والعبادة، والطاعة، بالاضافة الى انه قد ورث من آبائه حب الله والانقطاع اليه. لقد رأى الامام عليه السلام جميع صور التقوى ماثلة في بيته، فصارت تلك المعاني من مقومات ذاته ومن عناصر شخصيته، حتى حدث المؤرخون أنه كان أعبد أهل زمانه عليه السلام. قال الشبلنجي: هو الإمام الكبير الساهر ليله قائماً والقاطع نهاره صائماً والمسمى لفرط حلمه عن المعتدين كاظماً. نور الابصار/١٦٤

قال محمد بن طلحة الشافعي: موسى بن جعفر عليه السلام إمام جليل القدر، عظيم الشأن، مجتهدٌ جاد الاجتهاد، مشهورٌ بالعبادة، مواظب على الطاعات، مشهور بالكرامات، يبيت الليل ساجداً وقائماً، ويقطع نهاره متصدقاً صائماً كان يجازي المسيء بإحسانه، ويقابل الجاني بعفوه عنه وكراماته تحار منها العقول. مطالب السؤل/٨٣

وقال الطبرسي: كان احفظ الناس لكتاب الله واحسنهم صوتاً به وكان اذا قرأه بحزنٍ يبكي السامعين وكان الناس في المدينة يسمونه زين المجتهدين. اعلام الوری/٢٩٨
وقال الكليني: وكان عليه السلام لشدة علاقته بالله تعالى يسعى الى رضاه وقد حجَّ الى بيته مشياً على قدميه وقيل انه حجَّ اربع مرات ماشياً على قدميه. الكافي/٢/٩٨

وقال الشيخ المفيد: وكان عليه السلام يبكي من خشية الله حتى تخضل لحيته من دموعه، وكان اوصل للناس بالبر لأهله ورحمه، وكان يتفقد فقراء المدينة ليلاً ونهاراً. الإرشاد/٢٩٩
كان الإمام موسى بن جعفر عليه السلام اعبد اهل زمانه وافقههم واسخاهم، وكان كثير السجود طويلاً في سجده، وكان كثيراً ما يقول في سجوده: اللهم اني اسألك الراحة عند الموت والعفو عند الحساب، وكان من دعائه عليه السلام قوله: الهي عظم الذنب من عبدك فليحسن العفو من عندك. منتهى الآمال/٢/٢١٩



كرمه وعطاؤه

في غلسِ الليلِ يزورُ الفقرا ثم يعودُ باسمًا مبتشرا
قد أوصلَ الصرارَ للمسكينِ بكفه المطهرِ الامينِ
حتى لقد جاءَ بذاك الخبرُ من زاره موسى فلا يفتقرُ^(١)

* * *

(١) لقد تجلى الكرم الواقعي، والسخاء الحقيقي في الامام فكان مضرب المثل في الكرم والجود، فقد فزع اليه البائسون والمحرومون لينقذهم من كابوس الفقر وجحيم البؤس. وقد اجمع المؤرخون انه انفق جميع ما عنده عليهم، كل ذلك في سبيل الله لم يبتغ من أحد جزاءً أو شكوراً، وكان في صلواته يتطلب الكتمان وعدم الذبوع لئلا يشاهد على الآخذ ذلة الحاجة، وكان يلتمس في ذلك وجه الله ورضاه، ولهذا كان يخرج في غلس الليل البهيم فيصل الطبقة الضعيفة ببرّه وإحسانه وهي لا تعلم من أية جهة تصلها تلك المبرات وكان يوصلهم بصراره التي تتراوح ما بين المائتي دينار الى الاربعمئة دينار. تاريخ بغداد ٢٨/١٣ وكان يضرب به المثل بتلك الصرار، فكان أهله يقولون: عجباً لمن جاءته صرار موسى وهو يشتكي القلة والفقر!! عمدة الطالب/١٨٥



حكاية بشر الحافي

وذات يومٍ كان في الطريقِ
فمرَّ في دارٍ بها غناءُ
فقال: من صاحبُ هذي الدارِ
فقالَت الجاريةُ الصبية:
فقال: قد صدقتِ فيه قولاً
فهرعت تمشي لـ«بشر الحافي»
واخبرته بالذي قد كانا
وراح يمضي خلفه مهرولاً
وصار من اعظام الزهادِ
حتى غدا من أوثق الرواةِ

يمشي بلا فتى ولا صديقِ
في بابها جاريةٌ حسناءُ
هل هو عبدٌ أم من الأحرارِ؟
بل هو حرٌّ دونما مريه
لو كان ذا عبداً لخاف المولى
والسكر في عينيه غير خافِ
فبان من توبته ما بانا
بيكي على أفعاله مولولاً
وأكبر التقاة في بغدادِ
وناقِل الحديث للثقة^(١)

(١) الحرية الحقة الا تكون عبداً لغير الله سبحانه حينئذ ترفض عبودية الاشياء عليك من مال، او جاه، او شهوات، فتكون عبداً لله وحده هو مولاك وعليه معتمدك دون سواه وفي هذه الحكاية نرى صورة واقعية لهذه الفكرة السامية، وفيها نلمس ايضاً مدى تأثير الإمام عليه السلام على مجتمعه وكيف كان عليه السلام يمارس الارشاد الفعلي والموعظة الحسنة في توجيه الناس وارشادهم الى الخير والصلاح، كما نرى في الموعظة البذرة الصالحة اذا وجدت ارضاً خصبة صالحة، وهو الانسان الصالح فإنها تزهر وتأتي بكل زوج بهيج، وهكذا الموعظة اذا لقيت أذناً صاغية، وقلباً طاهراً، اثمرت وآتت أكلها كما نقل لنا التاريخ من امثال «بشر الحافي».

حيث ينقل العلامة الحلي:

ومن الذين تابوا على يد الإمام ابي الحسن موسى عليه السلام بشر الحافي، حيث اجتاز الإمام عليه السلام منفرداً بداره ببغداد، فسمع الملاهي واصوات الغناء تخرج من تلك الدار، فخرجت جارية



⇒
 ويدها قمامة تريد رميها فرمتُ بها في الطريق فقال لها الإمام عليه السلام: يا جارية أصحاب
 هذه الدار حرٌّ ام عبد؟ فقالت: بل حرٌّ - وتريد بها الحرية الظاهرية - فقال عليه السلام:
 صدقت فلو كان عبداً لله لخاف من مولاه.
 فأسرعتُ الجارية واخبرت مولاهما بشر وكان على مائدة السكر فخرج حافياً مُسرِعاً
 حتى لقي الإمام الكاظم عليه السلام وتاب على يديه. منهاج الكرامة ٣٢
 قال الشيخ عباس القمي: سُمي بشر الحافي لأنه كان دائماً حافياً، وقيل لأنه هرول وراء
 الإمام الكاظم عليه السلام حافياً حتى صارت صفةً له، وعلى اثر ذلك نال السعادة العظمية.
 وكانت له ثلاث اخوات سلكن مسلكه في الزهد والعبادة، وكان من اعلام المتصوفة،
 ونُقل عنه انه سُئل عن سبب حفاه فقال: ان الله تعالى جعل الارض بساطاً فهي فراشه
 سبحانه وليس من الادب المشي على فراش الملوك بالنعال. منتهى الآمال ٢٩٩/٢
 ثم قرأ قوله تعالى ﴿والله جعل لكم الارض بساطاً﴾ نوح: ١٩
 توفي سنة ٢٢٦هـ بعد ان صار ولياً صالحاً مُلتماً للتقوى والخير راوياً لحديث استاذه
 الكاظم عليه السلام ناقلاً اخباره.



كلماته ومواعظه

وهكذا ظل الامام الكاظم وقال فيما قال من كلامه
تنهل من علومه الاعاظم «من لم يحاسب نفسه» قد خسرا
ما يشبه الربيع في أيامه والمؤمنون كفتا ميزان
وقد فنت أعماله وما درى وقال يوماً والرواة يروون
تملاً بالبلاء والايمان «من استوى يومه فهو مغبون»^(١)

(١) من مواعظ وحكم الإمام الكاظم عليه السلام: روي عنه انه قال: «صلاة النوافل قربان الى الله لكل مؤمن» و«الحج جهاد كل ضعيف» و«لكل شيء زكاة وزكاة الجسد صيام النوافل» و«من دعا قبل الثناء على الله والصلاة على النبي عليه السلام كان كمن رمى بسهم بلا وتر» و«التودد الى الناس نصف العقل» و«كثرة الهم يورث الهرم، والعجلة هي الخرق» و«قلة العيال أحد اليسارين» و«من أحزن والديه فقد عقهما» و«الصنيعة لا تكون الا عند ذي دين او حسب» و«الله ينزل المعونة على قدر المؤونة، وينزل الصبر على قدر المصيبة» و«من اقتصد وقنع بقيت عليه النعمة، ومن بذر وأسرف زالت النعمة» و«أداء الأمانة والصدق يجلبان الرزق، والخيانة والكذب يجلبان الفقر والنفاق» و«ليس منا من لم يحاسب نفسه اليوم والليلة» و«الصنيعة لا تتم صنيحة عند المؤمن لصاحبها إلا بثلاثة أشياء: تصغيرها، وسترها، وتعجيلها، فمن صغر الصنيعة عند المؤمن فقد عظم أخاه، ومن عظم الصنية عنده فقد صغر أخاه، ومن كتم ما أولاه من صنيحة فقد كرم فعاله» و«قل الحق وان كان فيه هلاكك فان فيه نجاتك، ودع الباطل وان كان فيه نجاتك فان فيه هلاكك» و«ينبغي لمن عقل عن الله ان لا يستبطئه في رزقه ولا يتهمه في قضائه».

وقال رجل: سألته عن اليقين؟ فقال: «يتوكل على الله، ويسلم لله، ويرضى بقضاء الله، ويفوض الى الله» وسأله رجل عن الجواد؟ فقال عليه السلام: «إن لكلامك وجهين، فإن كنت تسأل عن المخلوقين، فإن الجواد الذي يؤدي ما افترض الله عليه، والبخيل من بخل بما افترض الله، وإن كنت تعني الخالق فهو الجواد إن اعطى، وهو الجواد إن منع، لأنه إن اعطاك؛ اعطاك ما ليس لك، وإن منعك؛ منعك ما ليس لك» اعلام الهداية ٩/٢٣٤-٢٣٦



رواته وتلامذته

وابن ابي البلاد ذلك الجلي
وابن نعيم ذلك الكريم
ومثله بشير الدهان
ثم ابن يقطين الفتى الهمام
وابن نعيم الغامدي العالم
وبكر بن صالح الضعيف
فاق الجميع في الروايات عدد
ذاك الذي عند الرجال ثقة
وبعده رفاعه بن موسى
وبعده الفذ أبو جرير
وابن عميرة الفقيه النخعي
قد وثقته زمرة الأوائل
من وردت بمدحه الاقوال
ذاك الذي ضعفه «النجاشي»
الثقة المبرز المزان
والختعمي الوثيق المقال
وقيس الموثق الساباطي
يعرف في الاصحاب بالتقي
في حب أهل البيت كالمجنون
رووا عن الكاظم اسنى الدرر

ومن رواته أبان الجلي
وابن ابي بكر وابراهيم
ثم ابن يوسف الفتى الطحان
ثم ابو اسامة الشحام
وبعده اسباط بن سالم
وابن ابي جهيم الحصيف
ثم جميل بن دراج وقد
والحسن بن الجهم وابن صدقه
وبعده حماد بن عيسى
ثم «دُرست» بن ابي منصور
ثم سعيد بن يسار الضبعي
وصالح بن خالد المحاملي
وبعدهم صفوان الجمال
وبعده يأتي فتى «خداش»
وابن طريف ذلك الخزان
والحضرمي الكاذب المغالي!!
وصندل بن الحسن الخياط
وابن ابي عمير الازدي
وهو الذي عانى من السجون
واخرون من رواة الخبر



واعتقدوا بصحة الامامه الى الرضا من بعده علامه^(١)

* * *

(١) كرس الإمام الكاظم عليه السلام جهده لإكمال بناء الجماعة الصالحة التي يهدف من خلالها الى الحفاظ على الشريعة من الضياع ويطرح النموذج الصالح الذي يتولى عملية التغيير والبناء في الامة، حيث مارس الإمام عليه السلام تحركاً مشهوداً في هذا المجال وقدم للامة النموذج الصالح الذي صنعه مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

ركز الامام الكاظم عليه السلام في تربيته للجماعة الصالحة على ضرورة الانتماء الفكري والمعرفي لمدرسة اهل البيت عليهم السلام وتحرك الامام عليه السلام بهذا الاتجاه مستغلاً للنهضة الفكرية التي حققها الإمام الصادق عليه السلام من قبل فقام باكمال عمل ابيه في بناء الكادر المتخصص فامتدت قواعده من هذا النوع حتى ذكر له (٣١٩) صحابياً.

كل منهم تلقى العلم والمعرفة من الامام الكاظم عليه السلام وقد خضعت هذه الجماعة بأنتمائها الفكري الى برجة متقنة يمكنها مواجهة التحديات الثقافية والفقهية والابداع في ميدانها الخاص. الامام موسى الكاظم عليه السلام لباقر شريف القرشي ٢٢٣/٢.

قام الإمام موسى الكاظم عليه السلام بإعداد نخبة من الفقهاء ورواة الحديث تقدّر كما ذكرنا بثلاثمائة وتسعة عشر شخصاً لكن قد تميز من بين أصحابه ستة بالصدق والأمانة وأجمع الرواة على تصديقهم فيما يروونه عن الأئمة عليهم السلام على انه اشتهر بين المحدثين ثمانية عشر فقيهاً ومحدثاً من اصحاب الأئمة الثلاثة:

الباقر، والصادق، والكاظم عليهم السلام وهم المعروفون باصحاب الاجماع، ستة من اصحاب الامام أبي جعفر الباقر عليه السلام وستة من اصحاب الامام أبي عبدالله الصادق عليه السلام، وستة من اصحاب الامام ابي الحسن الكاظم عليه السلام وهم:

يونس بن عبد الرحمن، وصفوان بن يحيى بياح السابري، ومحمد بن أبي عمير، وعبد الله بن المغيرة، والحسن ابن محبوب السراد، وأحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي.

هذا في المجال الفقهي أما الميادين الفكرية الأخرى مثل الكلام والقرآن واللغة، وما شاكل ذلك فلها أيضاً رجال متخصصة فيها. اعلام الهداية ١١٠/٩.



انحراف الواقعة

لكن بعضهم بذلك وقفوا
أغررتهم الاموال والرئاسه
قد حسبوا ان غياب موسى
ويا لها من فكرة وفتنه
وبعضهم عاد الى الامام
وقد غدا في صحبنا مضعفا
واستغفلوا في النهج والسياسه
كغيبه الكلیم أو كعیسی
ما عرفت في آیه أو سنه
معتذراً بالفعل والكلام^(١)

(١) قال النوبختي: لما توفي الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بالمدينة افرقت شيعته من بعده ست فرق:

١- فرقة تمسكت بإمامته وقالت انه حي لم يموت وسوف يظهر وانه المهدي وهذه الفرقة تُسمى «الناوسية» ورئيسهم من اهل البصرة اسمه «عجلان بن ناوس» وقال الشهرستاني في الملل والنحل «بل هو ناوس» وقيل تُسبوا الى قرية «ناوسا».

٢- فرقة زعمت ان الإمام بعد جعفر الصادق عليه السلام هو ابنه الكبير اسماعيل، وانكرت موته في حياة ابيه رغم تأكيد الإمام الصادق عليه السلام على موته، وكانوا يقولون بذلك من جهة التلبیس عليهم كونهم يعتقدون ان اباه الصادق عليه السلام غيبه عنهم، وانه سيظهر كما ظهر نبي الله موسى بعد غيبته وذهابه لميقات ربه، وهذه الفرقة هي الاسماعيلية. ونقول: لا زالت منها بقية في الجزيرة العربية، والهند، وباكستان، وشمال افريقيا.

٣- فرقة زعمت ان الإمام بعد الامام الصادق عليه السلام هو محمد بن اسماعيل حفيد الامام الصادق عليه السلام وانه قام بالامامة في حياة الصادق عليه السلام بعد وفاة ابيه اسماعيل ابن الصادق وهم المسمون بـ«المباركية» كان رئيسهم «مبارك» وهو كوفي.

٤- فرقة زعمت ان الامامة بعد جعفر الصادق عليه السلام في ابنه عبد الله بن جعفر الابطح وهم «الفتحية».



⇒

٥- فرقة افتردت من الفرق السابقة وتزعمها رجل اسمه «الخطاب» فصارت الفرقة باسم «الخطابية». وقد انقرضت هذه الفرق ماعدا بقايا الاسماعيلية واقربهم الى الامامية جماعة الشيعة البهرة.

٦- الفرقة السادسة وهي الفرقة الامامية التي ثبتت على امامة موسى بن جعفر عليه السلام وهكذا تكون جميع الفرق الخمس السابقة تُسمى بـ «الواقفية» لأنهم توقفوا عن الاعتقاد بامامة موسى بن جعفر عليه السلام. فرق الشيعة / ٧٨.

ثم قال النوبختي بعد عده لهذه الفرق: وفرقة الامامية هي الفرقة الحققة الماثورة عن الصادقين عليهم السلام وذلك لصحة مخرجها وقوة براهينها وجودة اسانيدھا. المصدر السابق. اما الشيخ المفيد فقد ذكر: وكان اسماعيل اكبر اولاد ابي عبدالله الصادق عليه السلام وكان شديد المحبة له والاشفاق عليه، حتى كان قوم من الشيعة يظنون انه القائم بعد ابيه والخليفة له لميل ابيه اليه واکرامه، فمات في حياة ابيه، فحمل على رقاب الرجال ودُفن بالبقيع، وكان الإمام الصادق عليه السلام يتقدم نعشه في تشيعه وكان كثيراً ما يكشف عن وجهه ويريد بذلك تحقيق موته عند شيعته او الظانين خلافته بعد ابيه، وازالة الشبهة عنهم فيما بعد.

وبعد موت اسماعيل انصرف الشيعة عن القول بامامته بعد ابيه، ولكن اقام على ذلك جماعة قليلة لم تكن من خاصة ابيه ولا من اوثق رواته، بل كانوا من الابعاد والاطراف، وبعد وفاة الإمام الصادق عليه السلام انتقل الشيعة الى القول بامامة ولده موسى بن جعفر عليه السلام وافترق الباقيون فريقين فريق منهم ثبت على امامة اسماعيل وهم اليوم قليلون لا يشكلون ثقلًا في ميزان الشيعة، وفريق منهم رجع عن القول بامامة اسماعيل وقالوا بامامة ولده «محمد بن اسماعيل» لظنهم ان الامامة كانت لأبيه ثم انتقلت الى ابنه وان الابن احق بمقام الامامة من الاخ.

وهذان الفريقان هما «الاسماعيلية». الارشاد/ ٢٨٤-٢٨٥

ومجمل القول ان الامامة ثابتة للإمام موسى بن جعفر عليه السلام بنص ابيه وتأكيدہ عليه السلام مراراً على ذلك خلاف ما يدعي الاسماعيلية.



جرائم المنصور

وحاولت ظلماً بنو العباس
وضايقوا الكاظم بل ناووه
ولاقت الشيعة في أيامه
بالسجن والتعذيب والمنافي
وامتلأت بالشيعة السجون
فمنهم من دُس في الجدار
ومنهم من قطعوا يديه
وبعضهم من مات بالقيود
حتى غدت أرواحهم مباحه
مشاهدت أدمت فؤاد الكاظم
يكظم حزنه بصبر الاوصيا
فطالما تابعه المنصور
يُحصى على ابن جعفر أنفاسه
يسأل عن اخباره وفعله
لعله يأخذه بتهمه
لكنه قد خاب في مسعاه
فعاجلته أسهم المنية
وقد قضى في سفرة للحرم

إغفال ذكره بقلب قاسي
بكل اسراف وقد آذوه
كل صنوف الموت واصطلامه
ومقتل الاباء والاشراف
فللعذاب فوقهم فنون
ومنهم علق بالأسوار
وسلوا ببغيتهم عينيه
وبعضهم يحرق بالحديد
في كل يوم صلبوا بساحة
وهو يرى الشيعة في المظالم
وحلمه صار كحلم الأنبيا
بألف عين خلفه تدور
يرسل عند بابه حراسه
ويرصد الزوار في منزله
إذ أصبحت شيعة موسى هممه
ولم ينل موسى ومبتغاه
ووقعت بالظالم الرزية
في «بئر ميمون» بليل الظلم^(١)

(١) تعد فترة الحكم العباسي المقيت فترة مظلمة على الصعيد السياسي، والاجتماعي



⇒

والاخلاقي، فعلى الصعيد السياسي انتشر الارهاب والقتل على الظنة والتهمة وخاصة على رجالات الشيعة وقادتهم، حتى صار السجن، والقتل، والتشريد، والارهاب لأتفه الاسباب أمراً عادياً، اما على الصعيد الاخلاقي فقد انشغل الحكام والامراء باقتناء الجواري، والاقبال على اللهو، واللذة، والترف، وبناء القصور، واتفوا اموال الناس، وصادروا اموال المساكين والفقراء، والمحكوم عليهم بالقتل والسجن، وقد استفاضت روايات المصادر المعتبرة بنقل صور المطاردة والشدة التي لاقاها الامام وشيعته بحيث تتبعوهم في كل ناحية ومصر وجندوا الاموال والرجال لغرض استئصالهم. وكانت ظروف الامام الكاظم عليه السلام السياسية صعبة للغاية حيث، حُوصِر وضيق عليه في حله وترحاله، وكذلك بالرعيّل الاول ممن رباه من خلص تلاميذه واصحابه، وتشير المصادر الى ان الامام الكاظم عليه السلام قد تحمل اعباء الامامة من سنة ١٤٨ هـ الى سنة ١٨٣ هـ وقد شملت هذه الفترة حكم اربعة من طغاة بني العباسي، وهم المنصور، والمهدي والهادي، وهارون.

ففي ايام المنصور العباسي عانى الامام الكاظم ووالده الصادق عليهما السلام وخلص اصحابه وتلاميذه اشد المعاناة من ظلم و قتل وارهاب وتشريد.. ونقلت المصادر ان المنصور صادر اموالهم وادخلهم السجون والمعتقلات وطاردهم تحت كل حجر ومدبر، وبالغ في تعذيبهم وتفنن، في اساليب قتلهم، فمرة يبني عليهم الاسطوانات وهم احياء، ومرة يمنع عنهم الطعام والشراب حتى يموتوا جوعاً في اعماق سجونهم المظلمة ومرة يثقلهم بالضرب، والحديد حتى يموتوا، وهكذا عانى الامام عليه السلام ما عانى حتى اراح الله العباد والبلاد من هذا الطاغية بعد ان خلف لولده المهدي خزانه مملوءة برؤوس العلويين.

ويذكر السيوطي: في سنة ١٤٥ هـ خرج الاخوان محمد، وابراهيم، ولدا عبد الله بن الحسن المثنى على المنصور فظفر بهما وقتلها مع جماعة كثيرة من آل البيت، فإننا لله وانا اليه راجعون.

وقال: قتل المنصور خلقاً كثيراً حتى استقام ملكه وهو الذي ضرب ابا حنيفة لأنه رفض القضاء ثم سجنه، فمات بعد ايام وقيل، قتله بالسم لكونه افتى الناس بالخروج عليه. وقال: وكان المنصور في غاية الحرص والبخل حتى لقب بالدوانيقي.



⇒ وقال: آذى المنصور جمعاً من العلماء والفقهاء ممن خرج عليه او افتى بالخروج عليه قتلاً وضرباً وتضييقاً منهم ابو عبد الله الصادق، وابو حنيفة، وابن عجلان، ومالك بن انس. وأخيراً قال:

وفي سنة ١٥٨هـ امر المنصور نائب مكة بجبس سفيان الثوري وعباد بن كثير، وتخوف الناس ان يقتلها اذا ورد الحج، فلم يوصله الله سالماً وكفاهما الله شره اذ عاجله داء البطن في شهر ذي الحجة وهلك فدُفن بين الحجون وبئر ميمون. تاريخ الخطباء / ٥٩-٦٢. ومما ذكره اليعقوبي: واخذ المنصور اموال الناس عنده واستصفاها له، وكان يقول -أي المنصور-: مَنْ قَلَّ ماله قَلَّ رجاله وَمَنْ قَلَّ رجاله قوي عدوه عليه وَمَنْ قوي عدوه عليه ذهب ملكه وَمَنْ ذهب ملكه استبيح جماه. تواريخ الخلفاء/ ١٨٦. بينما يذكر القمي: واجملاً فقد كان المنصور رجلاً دمويّاً، سفاكاً نصب للإمام الصادق وولده من بعده ولجماعة الشيعة اشد العداوة، وفي السنة العاشرة، من حكمه دسّ للإمام الصادق عليه السلام سنة ١٤٨هـ كما مر ذكره. التمه في تواريخ الخلفاء/ ١٨٦.



عهد المهدي

وبعدما توفي المنصورُ وانتقل العهد الى المهديِّ فلم يكن بقسوة المنصورِ وهو الذي قد أطلق الرجالا مقرباً منه جوارى الغنا ولم يرث من شرف الاسلافِ

تغيّرت من بعده الامورُ خليفةً بحكمه الغويِّ ولم يكن يبخله المشهورِ من سجنه وأرجع الاموالا ومبعداً عنه التقى المؤمنا سوى هوى الحقد على الأشرافِ^(١)

(١) لم يطرأ على سياسة الخلفة العباسي المهدي أي تغيير يعول عليه، التزم بالنهج العباسي كخط ثابت واستوحى منه ما يجب أن يعمل من تفاصيل قد تستحدث أثناء سلطته، وسار على ما سار عليه الخلفاء العباسيون من قبله، نعم طرأ بعض التغيير لصالح العلويين بعد ذلك التضييق الشديد من المنصور على العلويين فكانت مصلحة الحكم تقتضي شيئاً من المرونة، الأمر الذي دعا الامام عليه السلام أن يستغل هذه المرونة التي اتخذها المهدي العباسي لصالح اتباعه وتوسعة نشاطه ومحاور تحرّكه.

بعد هلاك المنصور عام ١٤٨ هـ بويح لولده محمد المهدي وامتدت خلافته عشر سنوات وقليل، وفور تسلمه الحكم حاول ان يخفف عن كاهل الرعية في مطلع حكمه فأطلق سراح السجناء، وردّ ما صادره ابوه المنصور من اموالهم وقد شمل هذا القرار جماعة من آل ابي طالب وبعض شيعتهم وكان الإمام الكاظم عليه السلام احد من ردت اموال ابيه اليه. وهنا يذكر اليعقوبي: وحال اخذه الحكم امر بأخراج من في المحابس من العلويين وغيرهم من سائر الناس وامر لهم بجوائز وصلات. تاريخ اليعقوبي ٣٩٤/٢.

وقال السيوطي: وكان ابو محمد بن المنصور جواداً محبباً الى الرعية، ولما صارت خزائن الدولة بيده اخذ في ردّ المظالم. تاريخ الخلفاء ٢٧١-٢٧٢.

ويبدو من خلال استقراء الروايات انها ضرب من السياسة الماكرة قام بها الخليفة لتهدئة الوضع السياسي المضطرب والظلم الفاحش ايام حكم ابيه، فحاول فعل هذا السلوك من



وفرح الناس بعهد «المهدي»
 لكنه اسرف في المجون
 ولم يكن لنفسه من هم
 فخمرة من منزل لمنزل
 ونجلى الفاجر «ابراهيم»
 «وجوهر» جارية الغناء
 كؤوسه من فضة أو ذهب
 قد عبثت في عهد النساء
 فالخيزران تحكم الامورا
 تمدحه كما يريد الشعرا
 وهو يصب المال دون خوف
 واستبشروا بعوده والسعد
 واللهو والعيدان واللحون
 سوى ملذات الهوى والنوم
 يرقصه في الليل صوت «الموصلي»
 وبتنه «عليه» تهيم
 تسقيه من خمر ومن صهباء
 مخالف في ذاك سنة النبي
 تفعل «بالمهدي» ما تشاء
 حتى غدا خليفة مأمورا
 في كذب مزيف وفي افترا
 الى قصيد ضم كل زيف^(١)

⇒
 ارجاع اموال الناس واطلاق سراح السجناء انما هو لعبة سياسية فعلها هو وغيره لجلب
 التأيد الى حكمه ونيل محبة الناس له.

(١) ومن سمات حكم محمد بن المنصور المهدي انتشار اللهو والمجون.
 قال الشيخ محمد فاضل المسعودي: ويُعتبر محمد المنصور اول خليفة عباسي اسس اللهو
 والمجون في دولة بني العباس حيث قرب المغنين والفساق واهل اللهو كابراهيم الموصلي
 وغيره. العبد الصالح/ ١٦٧

ومن سمات حكمه سيطرة النساء والجواري على مقاليد الحكم والامور العامة، فكان
 للخيزران زوجته مرتبة عالية في الحكم، وكانت تفتي وتأخذ بأوامرها.
 وهكذا انتشر الفساد والمجون في ايامه وعم الاسراف والبذخ في مدة حكمه، ورغم ان
 المهدي احسن الى العلويين في بداية حكمه كما ينقل المؤرخون، غير أن المهدي شجع
 الوضّاعين في زمنه، فقام هؤلاء بدور إعلامي تضليلي فأحاطوا السلاطين بهالة من
 التقديس وأبرزوهم في المجتمع على أنهم يمثلون ارادة الله في الارض، وأن الخطأ لا يمسه



⇒
فمثل غياث بن ابراهيم الذي عرف هوى المهدي في الحمام وعشقه لها، فحدثه على ابي هريرة أنه قال: لا سبق إلا في حافر أو نصل - وزاد فيه - أو جناح.
فأمر له المهدي عوض افتعاله للحديث بعشرة آلاف درهم، ولما ولى عنه قال لجلسائه:
أشهد أنه كذب على رسول الله ﷺ ما قال رسول الله ذلك ولكنه أراد أن يتقرب اليّ.

تاريخ بغداد ١٩٣/٢.

وأسرف المهدي في صرف الاموال الضخمة من أجل انتقاص العلويين والخط من شأنهم فتحرك الشعراء والمنتفعون، وأخذوا يلفقون الأكاذيب في هجاء العلويين ومن جملة هؤلاء مروان بن أبي حفصة الذي دخل على المهدي ذات يوم وأنشد قائلاً:

يا ابن الذي ورث النبي محمداً دون الأقارب من ذوي الأرحام
الوحي بين بني البنات وبينكم قطع الخصام فلات حين خصام
ما للنساء مع الرجال فريضة نزلت بذلك سورة الانعام
أنى يكون وليس ذاك بكائن لسبي البنات وراثه الأعمام
فأجازه المهدي على ذلك بسبعين ألف درهم تشجيعاً له ولغيره على انتقاص أهل البيت عليه السلام.



اعتقال الإمام

في كل هذا أصبح الأمام
يُحذّرُ الناس من الأهواءِ
فخاف من موقفه المهدي
فاعتقل الإمام في المدينة
لكنه أطلقه اذ عانا
حيث رأى بنومه «عليا»
يقرأ آيات من القرآن
فارتعب المهدي في المنام
ومكرماً إياه بالاموال
وبعد حين هلك المهدي
لم ييكنه من أمة الإسلام

محتته .. الأمة والإسلام
والفتنة العمياء والبلاء
وهو غلام طائش غوي
وصار في محبسه رهينه
لما رأى من ربه برهاناً
محدراً مُقطباً المحيياً
تلهج بالارحام والاخوان
مسارعاً لحضرة الأمام
ومرجعاً إياه للعيال
يجره شيطانه الغوي
سوى جوارِ صرن كالايتام^(١)

(١) ان هاجس الخوف من العلويين وبالذات من الإمام الكاظم عليه السلام لم يدع المهدي مرتاحاً
اضافة، الى وجود اهل الحقد والنفاق والوشاية الذين يحثونه على اعتقال الإمام وانصاره،
لا سيما وان الإمام عليه السلام وانصاره كانوا يحدّرون الناس من هذا اللهو والفساد والمجون،
ويقفون ضد توجه السلطان واتباعه في السير على هذا النهج.
وقد نشط الإمام الكاظم عليه السلام مستغلاً هذه الفرصة المحدودة فكان برنامجه يتوزع على
خطين:

خط التحرك العام في دائرة الامة والانفتاح عليها بهدف إصلاحها ضمن صيغ وأساليب
سياسية وتربوية من شأنها إعادة الامة الى وعيها الإسلامي وقيمها الرسالية.



⇒ وخط بناء الجماعة الصالحة وتأصيل الامتداد الاسلامي الشيعي فتوجّه خلال هذه الفترة القصيرة بكل قوة نحو هذا الخط حتى جاء دور الرشيد فضيق على الإمام عليه السلام وسجنه ثم قام بتصفية نشاطه وحياته عليه السلام.

وهكذا اوعز ابن المنصور الى واليه على المدينة ان يعتقل الإمام الكاظم وان يُرسله الى بغداد وحالما وصل الإمام عليه السلام الى بغداد زجّه في سجن رهيب، لكن حصول كرامة غيبية أدت الى اطلاق سراحه.

فقد نقل ابن خلكان: ان الخليفة العباسي المهدي رأى امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في المنام وهو يقول له: يا محمد، هل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم، ففزع المهدي واستدعى حاجبه الربيع واطلق سراح الإمام عليه السلام واکرمه واعاده الى مدينة جده. وفيات الاعيان ٣٠٨/٥

وبعد حكم دام عشر سنوات عُرف بالنساء واللّهو والمجون وتسلب النساء والجواري وكثرة الترف والخلاعة، إضافة الى قتل العلماء والصلحاء بتهمة الزندقة، هلك محمد بن المنصور بعد ان جمع به جواد فسقط منه فأصطدم بباب خرابة فهلك وكان خارجاً آنذاك الى الصيد واللّهو، وقيل هلك بسم دسته له احدى الجواري بسبب ضربة لها اتخذها المهدي. تمة اخبار الخلفاء/ ٢١٢.



عهد موسى الهادي

وبايع الطغاة «موسى الهادي» بالجهل والاطماع والأحقاد
وكان ذا لهوٍ وذا مجنونٍ منغمساً بخمرة الفتون
عداؤه للعلويين غدا شعاره الباقي على طول المدى
فلم يروا كمثلته عنيدا مخالفاتنا المجيذا
اذ قطع الارزاق والعطاء وصبّ فوق الأمة البلاء^(١)

(١) بعد هلاك محمد بن المنصور المهدي اخذ ولده هارون البيعة لأخيه موسى الهادي وذلك في عام ١٦٩هـ وكان آنذاك الهادي صغيراً عمره ٢٦ سنة كما نقل السيوطي عن الخطيب البغدادي في تاريخه قوله: لم يل الخلافة قبله احد بمثل صغر عمره. تاريخ الخلفاء/ ٢٧٩ وقد حكم سنة وبضعة شهور، وبحكم كونه صبياً وذا نزعات شريرة عدوانية، فقد اتسم زمنه بالقسوة، والخوف، والارهاب، وخاصة على العلويين، حيث اعاد فترة حكم جده المنصور في المطاردة والقتل.

قال اليعقوبي:

والح الهادي في طلب العلويين واخافهم خوفاً شديداً وقطع عنهم ما اجراه ابوه المهدي من الارزاق والصلوات وكتب الى الافاق في طلبهم وجلبهم وحبسهم. تاريخ اليعقوبي ٤٠٤/٢. وقد عُرف بالسكر والمجون وحب الغناء كأبيه من قبل وكان مُقبلاً على شرب الخمر حتى وصفه الجاحظ بقوله: كان موسى الهادي شقي الاخلاق سيئ الظن مقبلاً على اللهو والمجون والسكر. اخلاق الملوك/ ٣٥

ونقل السيوطي عن الذهبي قوله: كان يتناول المسكر ويلعب ويمرح ولا يقيم للخلافة قدراً وعنده سطوة وكبرياء. كان جباراً وقد اشاع حمل السلاح بين يديه. تاريخ الملوك/ ٢٧٩.



⇒ وتشير جملة المصادر المعتبرة انه بالغ كثيراً في ايداء العلويين والتنكيل بهم وبعد بلائٍ وعناءٍ شديدين داما اكثر من سنة اراح الله منه الامة بدعاء الإمام الكاظم عليه السلام كما سيأتي بيانه لاحقاً.

قال السيوطي: مات الهادي في سنة ١٧٠ هـ واختلف في سبب موته فقيل انه مازح نديماً له فدفعه على اصول قصب قد قطع فتعلق به النديم فدخلت قصبه في منخره فماتا جميعاً، وقيل اصابته قرحة في جوفه - كما حصل للمنصور من قبل - وقيل سُمته امه الخيزران لما عزم على ابعاد الرشيد - هارون - عن ولاية العهد ليعهد بها الى ولده. تاريخ الخلفاء/ ٢٨٠



ثورة فخر

فانطلقت قوافل الثوار
رائدهم كان الحسين بن علي
فجده بالمكرمات يُعنى
وهو ابن سبط المصطفى العظيم
وأمه زينب بنت الحسن
ثرقص ابنها الحسين قائله
«كم لك بالبطحاء من معد
شبَّ الحسين بالتقى والكرم
يقول: ان الذهب المصفي
على صدور الغيد والثياب
وجلجلت انشودة الأحرار
ذو النسب الطاهر والفخر الجلي
مشتهر بالحسن المثني
الحسن المطهر الكريم
أكرم بها من مرأة لم تهن
وهي به للمجد أضحت نائله
من خال صدق ماجد وجد»
وصار في البطحاء مثل العلم
والفضة البيضاء حين تُصفي
عندي تساوي قيمة التراب^(١)

* * *

(١) تواترت كتب التاريخ والسير بنقل واقعة فخر المأساوية وسيرة قائدها الشهيد الحسين بن علي عليه السلام فقد سردها الطبري :

لما وصل الحكم الى الهادي العباسي عمد الى مضايقة العلويين، والتنكيل بهم وزجهم في السجون، وقتل اشرافهم مما حفز العلويين الى الثورة ضده، فكانت هذه الثورة المأساوية، وهي من ابرز ثورات العلويين واكثرها لوعة بعد ثورة السبط الحسين عليه السلام واستشهاده يوم كربلاء، حيث ضاهت ثورة فخر ثورة السبط الحسين عليه السلام في الطيف سواء في اهدافها او في نتائجها او في لوعتها حتى قال الإمام الجواد عليه السلام:

لم يكن لنا بعد الطيف مصرع اعظم من فخر. تاريخ الطبري ٤١٠/٦



موقف النبي في فخ

وفيه ما عن الرسول أثرا
فأوقف الأصحاب للصلاة
وقال: ها هنا رجال تقتل
يُحنطون بحنوط الجنه
أرواحهم تطيرُ للسماءِ
أجرُ شهيدين لمن يقضي معه
في انه اجتاز بـ«فخ» سحرا
ودمعت عيناه في أناة
من أهل بيتي وعليهم رجلُ
أكفانهم يا ويلي الأسنه
قبل جسومِ عُدن في العراءِ
ومن يموت في ضراب المعمة (١)

* * *

(١) وقد نقلت جملة من المصادر ان رسول الله قد اشار الى واقعة فخ في ايامه فقد نقل القمي بسندٍ الى ابي جعفر الباقر عليه السلام انه قال: مرَّ النبي بفخ فصلى ركعتين وبكى فلما سُئل قال: نزل عليَّ جبرائيل عليه السلام وقال: يا محمد ان رجلاً من ولدك يُقتل في هذا المكان واجر الشهيد معه اجر شهيدين. ونُقل ايضاً عن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام انه لما مرَّ بفخ توضأ وصلى ثم قال عليه السلام: يُقتل ها هنا رجلٌ من اهل بيتي في عصابة تسبق ارواحهم اجسادهم الى الجنة. منتهى الآمال ١/٤٨٨.

ويبدو من سياق ماتقدم انها ثورة عقائدية رائدة قامت لإحياء دين الله وسنة رسوله ضد الظلم والطغيان والفساد، وقد تواترت الروايات بخصوص قائدها وهو الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام وقالت المصادر انه كان، يُكنى بـ«ابي عبد الله» امه زينب بنت عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب، وكانت امه زينب وابوه علي بن الحسين يُسميان بالصالحين لعبادتهما، وكان المنصور العباسي قد قتل اباها، واخاها، وبنيتها، وعمومتها، وزوجها من قبل، وكانت طالما تدعو على المنصور وهي نادبة باكية حتى لحقت بربها سبحانه.

وكان صاحب فخ الحسين بن علي ذا جلالٍ وفضلٍ وسؤددٍ قلّ نظيره، وقد وصفه الواصفون بأنه جليل القدر، سخي الطبع، وسيد ذو شجاعة، وحمية أحييت ذكر سبط الرسول الإمام الحسين ايام كربلاء.



سببُ الثورة

واجمعَ المؤرخون قاطبة سببها ظلم «بني الخطّاب» اذ قبضت شرطة موسى الهادي وضربتهم بالسياط ظلما فامتألت شوارعُ المدينة وازدادت الرهبةُ بعد المحنِ يوم تواری عن عيون الشرطة فهدد الوالي بحبس يحيى أو يأتياني بالذي قد اختفى وقال ان لم تظهر الحقيقة فأحرق البيوت والمزارعا واخذ العهد من الأشراف

بأنّ ثورة الحسين الغاضبة حين أهينت خيرة الأطيابِ على رجال هاشم الاجوادِ وكبّلتهم بالحبال جرّما بالغضب المكبوت والضعينة عند اختفاء «الحسن بن الحسن» وهو تحدّ لرجال السلطة ثم الحسين ان أراد البقيا بعد ثلاثٍ فهمُ أهل الوفا أهجمُ بالنار على «سويقه» وادفن الأنهار والمشارعا إما الوفا أو شفرة السياف^(١)

(١) والاسباب التي أدت الى الثورة عديدة، نذكر منها سببين:

الأول: الاضطهاد والاذلال الذي مارسه الخلفاء العباسيون ضد العلويين واستبداد موسى الهادي على وجه الخصوص.

الثاني: الولاة الذين عينهم موسى الهادي على المدينة مثل تعيينه اسحاق بن عيسى بن علي الذي استخلف عليها رجلاً من ولد عمر بن الخطاب يعرف بعبد العزيز.

وقد بالغ هذا الأثيم في اذلال العلويين وظلمهم فالزمهم بالمثل عند كل يوم، وفرض عليهم الرقابة الشخصية فجعل كل واحد منهم يكفل صاحبه بالحضور، وقبضت شرطته على كل من الحسين بن محمد بن عبد الله بن الحسن، ومسلم بن جندب وعمر بن سلام، وادعت الشرطة انها وجدتهم على شراب فأمر بضربهم، وجعل في أعناقهم حبلاً، وأمر أن يطاف بهم في الشوارع ليفضحهم.



بيعة صاحب فخر

فاجتمع الثوار آل طالب
فذكروا ما كان عند الوالي
واقسموا أن يصبحوا بالوادي
فبايعوا الحسين إلا «الكاظم»
وقال للحسين يا ابن عمي
فأحسنوا الضراب والقتالا
فالقوم فساق بلا إيمان
فخطب الحسين عند المسجد
وقال: يا ناس أنا ابن المصطفى
وقد عرفتم أمي الزهراء
أتطلبون بعض آثار النبي
بايعتكم على كتاب ربي
وإنني أدعوكم الى الرضا
أدعوكم للعدل في الرعية
وان تقيموا معنا الجهادا
أوفوا لنا اذا وفينا لكم

ليلاً بدار الحسين الغالي
فاهتزت السيوف للأبطال
حرباً على كل ولاة الهادي
وهو لعمرى بالمصير عالم
إنك مقتول وذاك غمي
وحسبكم من عصابة أبطالا
ويضمرون الشر للقرآن
مصلياً على النبي أحمد
وقد عرفتم جدي المشرفا
والمرتضى علياً الوضياء
وتتركون نسلة للكرب
وسنة المطهر المحب
ولأتباع سنة لمن مضى
وقسمة الأموال بالسوية
وتصلحوا العباد والبلادا
وتلك بيعة لنا عليكم^(١)

(١) ان صاحب الثورة الحسين بن علي، قد شبَّ في طفولته في احضان امه وابه الصالحين حتى نشأ على التقوى والكرم فعرفه الناس بالسخاء والجود وكان أبي النفس لا يقبل الذل



⇒
والضيم شأنه شأن ابائه واجداده من اهل البيت عليهم السلام ولما نهض بثورته المباركة نهض معه اخوته واهل بيته وثلة سالحة من اصحابه ذكر منهم الاصفهاني في مقاتله: يحيى بن عبد الله بن الحسن المحض، وادريس بن علي بن الحسن المحض، وسليمان بن عبد الله بن الحسن المحض، وقد أسر ثم قُتل فيما بعد، وعلي بن ابراهيم بن الحسن، وابراهيم بن اسماعيل بن طباطبا، الحسن بن محمد بن عبد الله بن اسحاق بن ابراهيم بن الحسن المثنى، وقد أسر ثم قُتل فيما بعد، وعبد الله بن اسحاق بن ابراهيم بن الحسن المثنى.
وذكر المسعودي: لما قُتل الحسين بن علي صاحب فخ والكثير ممن كان معه من اهل بيته واصحابه قُطعت رؤوسهم ثم تركوا ثلاثة ايام لم يواروا الثرى حتى اكلتهم السباع ووحوش الطير. المروج ٣/٣٧٢.



معركة فخ

وحشدوا جنودهم للثورة
وهرب الوالي بغير حرب
وخرج الحسين نحو الكعبه
ثم استعد الجنود للقراع
وجد بالمسير حتى وصلا
فأرسل (الهادي) جيوشاً ترا
يقودها في سعيها العباس
واشتعلت معركة مدوية
فطارت الرؤوس والرقاب
وصارت السهام مثل المطر
وطاول الحسين سهم الغي
واستشهد الثوار بعد صبر
وترك الحسين في العراء
ملقى بلا غسل ولا تكفين
وأرسلت رؤوسهم للهادي
وامر الطاغى بقتل الاسرى
وصلبوا على جدار الحبس
وحزن الإمام موسى الكاظم

واصبحت «يثرب» بعد حرة
سوى رجال قتلوا بالضرب
وهو يناجي في الخفاء ربه
ويثرب وال بها «الخزاعي»
«فخاً» فحط عندها مبتهلاً
لعلها تظفر بابن الزهرا
وبعد موسى وجر الناس
حيث التقى الجيشان يوم التروية
وانثلمت بضربها الحراب
وسالت الأرض بسيل أحمر
يطلق من «حماد التركي»
وامعنت فيهم رماح الغدر
مضمخاً بأطهر الدماء
مضرحاً كجده للدين
وشمتت في ذلك الاعادي
فقتلوا مقيدين صبرا
من الصباح لمغيب الشمس
ونكست من هاشم العمائم^(١)

(١) واما كيفية الثورة وباديتها حسب ما اورده المصادر الآتفة الذكر:



⇒

لما هلك المهدي العباسي كان يلي حكم المدينة اسحاق بن عيسى ولما ولي موسى الهادي امر الخلافة خرج اسحاق لاستقباله وتهنئته في بغداد، ثم طلب منه اعفائه من امارة المدينة لما يتوجس من احتمال ثورة العلويين، فاستجاب الهادي لطلبه، وعين عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، فأتابع هذا الوالي الجديد سياسة الاضطهاد والارهاب ضد العلويين، وافرط في التحامل عليهم، وامرهم ان يكونوا دوماً تحت عينه ورقابته، وكانت للوالي الخطابي ضغينة وحقد على الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن، فطلب حضوره يوماً تحت عينه، ثم طلب منه كفالة وضمانة، فكفله الحسين بن علي صاحب فخ، ويحيى بن عبد الله، ولكن سرعان ما أتهمه وجماعة من الشيعة من صحابته بشرب الخمر ظلماً وبهتاناً، ثم جلدتهم وفضحهم تحت نظر الناس، ثم اودعهم السجن، وسرعان ما خرج الحسين بن علي صاحب فخ وجماعة من العلويين بالاحتجاج على الوالي، وبعد الحاح شديد وهياج تم اطلاق سراحهم بكفالة.

ولكن الوالي الخطابي قد عهد الى ابي بكر بن عيسى الحائك مسؤولة مراقبة الحسن بن محمد المتهم سابقاً، حيث طلب منه الحضور، يوماً الى المسجد وحدث ان تغيب المذكور اعلاه عن الحضور بسبب زواج له، مما دعى ابن الحائك الى سجن جماعة من العلويين لأجله حين احضار الغائب، فحصل إشتباك بسيط بين العلويين وجماعة شرطة الوالي، مما ادى الى استدعاء الكفيلين الحسين ويحيى وهددهما ووبخهما، واقسم ان لم يجلبا الغائب ان يحرق دار الحسين بن علي - صاحب فخ - ويضربه ألف سوط، وبعد خروج الكفيلين التقى صاحب فخ بالغائب محمد بن الحسن، وطلب منه الاختفاء عن عين الوالي، ولكن الثاني رفض وطلب لقاء الوالي.

ومن هنا اندلعت الثورة حيث تجمع العلويون في دار الحسين بن علي - صاحب فخ - وعددهم ٢٦ رجلاً من آل علي بن ابي طالب، وثلة صالحه من الشيعة، ممن جاءوا الى الحج فاشتعلت الثورة وشرارتها، حيث هاجم العلويون دار الامارة، حيث فر الوالي واعوانه، بعد ذلك خرج الثوار يقودهم الحسين بن علي الى المسجد وهم ينادون بالتوحيد وجعلوا الأذان بـ«حي على خير العمل»، وكان قائدهم صاحب فخ قد جلس على المنبر وعلى رأسه عمامة بيضاء، وبايعوه على القتال والجهاد للرضا من آل محمد، ثم خطبهم الحسين قائلاً: انا ابن رسول الله وعلى منبر رسول الله وفي حرم رسول الله ادعوكم الى

⇐



⇒

احياء سنته، وهكذا توحدت كلمتهم وبايعوه بيعة رجل واحد، وهنا جاءت نجدة عسكرية لاعادة النظام الى المدينة حينئذ ظهر الوالي الهارب ابن الخطاب، واستقبلهم ثم اتجهوا الى المسجد لقتال العلويين ودارت هناك معركة اسفرت عن فرار جيش الوالي وسيطرة الثوار العلويين على الامور، حيث كسبوا عدة غنائم مادية ومعنوية.

وبعد اعداد العلويين انفسهم جيداً للقتال في المدينة، حيث مكثوا، هناك احد عشر يوماً ثم رحلوا الى مكة سنة ١٦٩ هـ وكان عددهم قد تكامل ٣٠٠ رجل.

وبعد وصول الخبر الى الخليفة العباسي الهادي في بغداد كتب الى محمد بن سليمان بالقضاء على هذه الثورة ورجالها، ثم امدهم بجيش يقوده موسى بن علي بن موسى، و العباس بن محمد بن سليمان، وهكذا نظم العباسيون جيشهم وصار عددهم ٤٠٠ فارساً حتى التقى الطرفان عند فخ، وهي مدينة تقع على بعد ست اميال من مكة.

وسرعان ما دارت معركة ضارية بين الطرفين «كواقعة كربلاء» حيث قاتل الحسين بن علي صاحب فخ واصحابه قتالاً رائعاً حتى استشهدوا جميعاً الا من نجا منهم وكان الحسين بن علي قد جاءه سهم ملعون اطلقه اللعين حماد التركي وكان رامياً مشهوراً فأصاب صاحب فخ حينئذ وهب محمد بن سليمان مائة الف درهم لحماد التركي جزاءً له على رميته وبعد ذلك احتزَّ العباسيون رؤوس القتلى وكان عددها ١٠٠ رأساً وتركوا الجثث ثلاثة ايام دون مواراة، حتى نهشتها الحيوانات الضارية على حد قول الرواة.

واما الاسرى والذين ورد ذكرهم فيما سبق فقد قُتلوا بعد ذلك سواء ممن قتل في المدينة او ممن جُلب الى بغداد وقُتل هناك.

واما بيان موقف الإمام الكاظم عليه السلام من هذه الثورة فإننا نجد ان هذه الثورة قد شابته وناظرت ثورة الشهيد زيد بن علي بن الحسين عليه السلام فيما سبق ذكره، وان موقف الإمام الكاظم عليه السلام كموقف جده الامام الباقر عليه السلام حينئذ من ثورة زيد «رض» حيث رأينا فيما سبق ان الامام الباقر عليه السلام قد باركها سراً.

واما في هذه الثورة «فخ» فقد نقل الاصفهاني في مقاتله:

ان صاحب فخ قد عرض فكرة الثورة على الإمام موسى ابي الحسن عليه السلام فأجابه الإمام عليه السلام: انك مقتول فأحد الضراب فإن القوم فساق يضمرون ايماناً ويبطنون نفاقاً وشركاً فإننا لله وانا اليه راجعون وعند الله احتسبكم من عصابة.



⇒
ومن خلال هذا النص نستفيد ان الإمام الكاظم عليه السلام كجده الباقر عليه السلام كان يرى ان الثورة غير مناسبة في هذه الظروف لعدم الاعداد لها، ولأنها معلومة النتائج رغم انها مشروعة في وجه الظلم والطغيان، ومن خلال هذا النص وغيره يتضح لنا ان الإمام الكاظم عليه السلام ومن قبله الباقر عليه السلام كان يؤيد هذه الثورة سرّاً ويدعو لها في الباطن، والدليل على ذلك ما اورده صاحب المقاتل الاصفهاني حيث ذكر انه:

لما جيء برؤوس الشهداء الثائرين - صاحب فخ واصحابه - الى الخليفة العباسي الهادي كان الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حاضراً فتهجم الخليفة على الشهيد صاحب فخ، ونال منه فأجابه الإمام عليه السلام بقوله: بل مضى والله مسلماً صالحاً صواماً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ما كان في اهل بيته مثله، وكان الإمام الكاظم عليه السلام كثيراً ما يبكيه ويترحم عليه. وهكذا نالت هذه الثورة المباركة المأساوية كثورة كربلاء، و ثورة زيد ثناء القاصي والداني، ومنهم جلّ المؤرخين على اختلاف احوالهم، واصحاب السير والادباء والشعراء ودخلت التاريخ بصفحاتها المشرقة بالبطولة والفداء من اجل الكرامة والقيم الانسانية.



تنبؤ الامام بمقتل موسى الهادي

وهدد الهادي بقتل الطاهر
 متهماً إياه في تهديد
 فخاف منه شيعة الإمام
 فابتسم الإمام ثم حوقلا
 وراح يدعو الله ان يقيه
 يارب أنت قادر لا تغلب
 وقال: لا يأتيكم من خبر
 إلا وفيه موت موسى الهادي
 فقد قضى اليوم وجبار السما
 ووصل البريد بعد فترة
 ان هلك الفاجر موسى الهادي

موسى بن جعفر الإمام الصابر
 بدعمه «الحسين» بالتأييد
 من انه يسعى الى انتقام
 وقال فيه سوف ينزل البلا
 شر خليفة الهوى السفية
 وان وهبت نعمة لا تُسلب
 من العراق في الضحى والسحر
 مقترناً بفرحة العباد
 والله إنه لحق مثلما !!^(١)
 وقد أشاع في البلاد سره
 وعمت الفرحة في بغداد^(٢)

(١) اشارة الى قوله تعالى ﴿ انه لحق مثلما إنكم تنطقون ﴾.

(٢) قال علي بن يقطين وهو من اصحاب الإمام الكاظم عليه السلام: لما علم الهادي العباسي بثورة الحسين بن علي صاحب فخ، ثم مقتلهم فيما بعد اخذ ينال من العلويين وخاصة من الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وقال: والله ما خرج صاحب فخ الا عن امره وعلمه لأنه صاحب الوصية في اهل هذا البيت. ثم حلف بقتله -أي الكاظم عليه السلام- وسرعان ما انتهى هذا الخبر الى الإمام عليه السلام وعنده جماعة من اهل بيته فقال عليه السلام لهم: بم تُشيرون علي؟ قالوا: غيب شخصك عنه وتبسم عليه السلام ثم انشد:

زعمت سخينة ان ستغلب ربها ولتغلبن مغالب الغلاب

ثم دخل ورفع يديه الى السماء وقال: «الهي كم من عدو انتضى علي سيف عداوته»
 الدعاء المشهور بأسم الجوشن الصغير والمثبت في كتب الادعية، ثم تفرق القوم فما
 اجتمعوا الا لقراءة الكتاب الوارد بموت موسى الهادي العباسي. المناقب ٢/٣٠٦-٣٠٧.



عهد الرشيد

وبعدُه بويَعَ للرشيدِ
بأنه يبَطش بالمخالفِ
وقلّد الامر ليحيى البرمكي
وقال: قد أخرجت هذا الامرا
فاستعمل العمال كيف شئتُ
فأني مسلّم اليك
وانصرف الرشيدُ للذاتِ
في العزف والغناء والتندرِ
فابتدأ البيعة بالوعيد
ويذل الثروة للموالفِ
يسنده لكن عليه يتكي
من عنقي اليك فيما يطرا
واعزل من العمال من كرهتا
معتمدٌ في سلطتي عليك
مستأنساً في مُتَع الحياةِ
ومجلسِ البغي بلا تستر^(١)

(١) بويع هارون الرشيد بعد هلاك اخيه موسى الهادي عام ١٧٠هـ بمؤامرة دبرتها أمه الخيزران ويحيى البرمكي لكي يصل هارون الى الحكم، وفور استلامه الخلافة أشاع سياسة الترغيب والترهيب لتوطيد حكمه معتمداً على يحيى البرمكي الذي عينه رئيساً للوزراء وفوض اليه امر الخلافة مُصرفاً هو الى اللهو واللذات.

ويذكر الطبري: قال هارون ليحيى البرمكي: انت اجلستني هذا المجلس ببركة رأيك وحسن تدبيرك وقد قلدتك امر الرعية واخرجته اليك من عنقي فأحكم بما ترى واستعمل من شئت واعزل من رأيت فإني غير محاسبك في شيء.

فكان يحيى البرمكي يُدير الأمور كما شاء ودون علم هارون. تاريخ الطبري ٩٠٣/٣
قال السيوطي: كثيراً ما كان هارون يبكي على ذنوبه وإسرافه في نفسه وكان يحب الإطراء والمديح ويُجيز الأموال دون حساب.

ونقل كذلك عن الذهبي قال: وله اخبار في اللهو واللذات المحظورة والغناء الفاحش.
ونقل عن محمد الخرساني قال: هارون العباسي اول خليفة لعب بالصولجان والكرة ورمي الشباب في لهوه واول خليفة لعب الشطرنج من بني العباس.

ونقل عن الصولي قال: هارون اول خليفة من بني العباس جعل للمغنين مراتب وطبقات واغدق عليهم الاموال. تاريخ الخلفاء/ ٢٤٨-٢٩٥.



⇒ ولو اردنا ان نعرض الحقيقة دون لبس او تحريف فإن هذا الرجل هارون من اولئك القلائد الذين خدمهم التاريخ اكثر مما يستحقون فأطراهم الآخرون زيفاً وبهتاناً كما فعل اكثر المؤرخين.

قال الاستاذ علي الطنطاوي المصري: هارون الرشيد هو اول حاكم استبدادي مطلق، كان يحكم وحده الامور اكثر من عشرين عاماً، انه الحاكم الذي جعله الحظ اشهر ملوك الاسلام، وما كان له دهاء معاوية، ولاشدة عبد الملك بن مروان، ولكنه جاء والزمان مقبل عليه فإنخدع به، وله مؤرخ ثقة كابن خلدون حتى كذب اخبار لهوه، ان الرشيد صورة من صور عصره، حيث الشر، والفسوق، واللهو، والمجون، والشعر، والغناء، والجواري، يتلوها صور الفقر الفاحش، والشطار القتل، ثم عالم عجيب يناقض مما سبق، حيث بناء القصور الفارحة كقصره قصر الخلد ففيه ما لا يستطيع ان يوصف لا ببيان ولا بلسان. رجال من التاريخ / ٨٤

ومما ذكره الاستاذ كامل سليمان: لم يكن هذا الخليفة رشيداً في تفكيره الاخروي ولا سديداً في تقديره الدنيوي بل عمل بجاهلية حمقاء وبعصبية رعناء جعلتاه لا يتورع عن ارتكاب كبائر المحرمات واقبح الممارسات كالمحدد بالله الكافر برسوله الذي لا تربطه بالاسلام ادنى رابطة، وعندما درست اعماله لا سيما مع الإمام الكاظم عليه السلام رأيتة يعمل أعمال رجل باع آخرته بدنياه وتصرف تصرف عات متعنت. موسى بن جعفر عليه السلام / ١٧٣

وخلاصة ما ورد في المصادر التاريخية: إن السمات اللازمة لهذا الخليفة هي: نفوذه وتسلطه على المسلمين، وضحامة بذخه واسرافه باموال الناس، وخاصة على الطرب، واللهو، والشعراء الماجورين في بلاطه، كما عُرف شربه للخمور، وهتكه محارم الاسلام من استمتاعه بالنساء والجواري.



بغدادُ في عصر الرشيد

وازدهرت بغدادُ بالعمران
وشيدت الجسور والقناطرُ
وقد علت بالترفِ القصورُ
وشيد قصرُ «الخلد» للخليفة
وكثر الغلمان والجواري
وحتى غدت ليس لها من ثانٍ
وازدهت الساحات والمعابرُ
وشعشع الضوء بها والنورُ
وأسدلت أستاره الشفيفة
وانتشر الخمر لدى الفجار^(١)

* * *

(١) ليس من المبالغة اذا قلنا ان بغداد اعظم مدينة ازدهرت في ايام هارون، حتى صارت عروس الدنيا وقطب العالم، وتؤكد جلّ المصادر وكتب التاريخ ان يحيى البرمكي هو صاحب الفضل الاوفر في الاهتمام ببغداد واعلاء شأنها من الناحية العمرانية، والفكرية، والحضارية، حيث عمل على تطوير هذه المدينة، وصرف الاموال في عمرانها من قصور وجسور، وحدائق، حتى صارت هذه المدينة نزهة للدنيا مما شجعت العلماء والادباء الى ان يقصدوها لما توافر فيها من وسائل الحضارة، والترف، والفكر. وفي هذا المجال نقل السيوطي قال: كانت ايام هارون كأنها من حسناتها اعراس. تاريخ الخلفاء/ ٢٨٦.

وخلاصة القول انها مدينة الترف، والبذخ، والعظمة، والكبرياء، فمن جمال القصور الى بهاء القباب الى سحر الحدائق والبساتين، مما صيرها قبلة لأهل اللهو والمجون واهل الفاحشة والغناء، انها كذلك مدينة العلم، والفن، والادب، والنبوغ، وعلى حد قول بعضهم: بغداد مدينة الخير والشر والفسوق والدين.



محنة أهل البيت عليهم السلام

وظل كلُّ الناسِ في رخاءٍ سوى التقاة من بني الزهراءِ
يكابدون الفقر والحرامانا ويحلمون أن يروا أمانا
قد صُب جور الحقد والبلاءِ على رجاهم بلا استثناءِ
لم يرقبوا فيهم وصية النبي ولا قرابة له بالنسبِ
يقطع عنهم يد العطاء حتى يعيشوا الهَمَّ في ضراءِ
لكنما الرشيد في قصوره يستمع الغناء في فجوره^(١)

(١) هناك من المؤرخين من كان يوصف أيام الرشيد بأنها كانت أيام كلها خير. نعم انها خير وبركة وسرور للذين ساروا في ركابه، وباعوا ذمهم وضمايرهم اليه ، ممن عُرِفوا بالفجور والفسوق واللغو والكذب والانحلال، ومن الذين باعوا اقلامهم الباطلة فسخروها في خدمة السلطان الجائر.

فقد نقل السيوطي عن المؤرخ نبطويه قال: اجاز الرشيد اسحاق الموصلبي مرة ٢٠٠ الف درهم، واجاز مروان بن ابي حفصة مرة على قصيدة خمسة الآف دينار وخلعة وفرس وعشرة من رقيق الروم، واجاز الاصمعي خمسة الآف دينار مرة. ولما ولي الرشيد واستوزر يحيى البرمكي قال ابراهيم الموصلبي:

ألم تر أن الشمسَ كانت مريضةً فلما اتى هارون اشرق نورها
تلبست الدنيا جمالاً بملكه فهارون واليها ويحيى وزيرها

أعطاه هارون ١٠٠ الف درهم، ويحيى ٥٠ الف درهم.

واجاز منصور النمري الشاعر على بيت من الشعر بـ ١٠٠ الف درهم. تاريخ الخلفاء / ٨٥
وهلم جراً، فهؤلاء المزيفون من المداحين والجهلة واهل الفسق والمجون يسرحون ويمرحون تحت ظل الخليفة، لكن ابناء رسول الله وشيعتهم ومواليهم كانت تُصب عليهم صنوف



⇒ العذاب، وقد نقل لنا التاريخ صوراً سوداء في هذا المجال، وقد افاضت المصادر التاريخية ان العلويين ومواليهم كانوا يكابدون المحنة والفقر والحصار والمسكنة، ولم يكن من حقهم غير القتل والتشريد والارهاب.

ودونوا المؤرخون في كتبهم صفحات سوداء اليمّة لما فعله هارون وسلطته الجائرة بالعلويين، خاصةً فقد قتل جمعاً كبيراً منهم سواء بالسيف، او بالسجن، او بالسم، ومن ابرزهم:

الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وقد سجنه مراراً حتى تخلص أخيراً منه بالسم. وإدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى والمعروف بـ«صاحب المغرب» وقد دسّ إليه السم. ويحيى بن عبد الله بن الحسن المثنى وقد قتله. ومحمد بن يحيى بن عبد الله بن الحسن المثنى وقد سجنه حتى مات. والحسين بن عبد الله بن اسماعيل بن جعفر بن ابي طالب، جلده بالسياط حتى مات. والعباس بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب، ضربه الرشيد بهراوة حتى قتله. واسحاق بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن ابي طالب، مات في سجنه. وعبد الله بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين المعروف بـ«الافطس» شدّد عليه بالسجن مراراً ثم ضرب عنقه.

هذا غيضٌ من فيض، حيث تنقل المصادر التاريخية جملة من اصحاب الامام الكاظم عليه السلام ومن شيعته تعرضوا الى الحبس والتعذيب نذكر منهم: محمد بن عمير الازدي، فقد حبسه هارون لمدة سبعة عشر سنة، وكان من انسك واروع وأعبد الناس، ومن الذين سجنهم من اصحاب الامام عليه السلام في سجن المطبق: علي بن هاشم، عبد الله بن علقمة، مخول بن ابراهيم السعدي، وهؤلاء بقوا في هذا السجن الرهيب ١٢ سنة متواصلة.



دور البرامكة

اعدى على الرعية البرامكة
قصورهم قد اتخمت بغدادا
فجعفر قد ملك «الضبياعا»
حتى غدا العراق ملكاً لهم
وكان في ذاك الامام الكاظم
يحذرُ الناس وقوع الفتنة
حتى غدت منهم تئناً هالكة
وأورثت في الامة الاحقادا
واستأثر القصور والمتاعا
وضجت العباد ظلماً منهم
يراقب الامور وهو العالم
يدعوهم الى اتباع السنه^(١)

(١) فور استلام هارون مقاليد الحكم عام ١٧٠هـ وكان ذلك بفضل امه الخيزران، ويحيى البرمكي عهد الى يحيى رئاسة الوزراء، وكان يُناديه «يا ابي» وفور استلام يحيى البرمكي مقاليد الامور قرب البرامكة واعطاهم الوظائف المهمة، ثم شرع باعطاء الهبات وتبذير الاموال، حتى مدحه الشعراء واشادوا بكرمه وكرم البرامكة. وتولى الفضل بن يحيى إمارة خراسان، ولما خالفه اهل طالقان فتحها، ثم زحف نحو صاحب الترك واستباحه وغنم امواله.

ولما تسلّم هارون الخلافة بوأ البرامكة مكانة رفيعة، فأوكل اليهم امر الوزارة، وفوض اليهم امر المملكة والرعية، فصارت سلطتهم دون حد. وهكذا عاث البرامكة - يحيى والفضل بن يحيى، وجعفر بن يحيى، وموسى بن يحيى - في امور الخلافة فساداً واغدقوا الاموال على من يحبونه ممن يُطريهم و يمدحهم، حتى قيل عنهم «إن أيامهم عروس الايام» فبنوا القصور وشيدوا اماكن اللهو، وامتلكوا الضياع والحدائق والبساتين، ومن خلاهم شاع اللهو والفساد، وظهر التمايز الطبقي بين الناس، فصنف محروم وصنف متخوم، واحداً يشكو دنياه واخرٌ يلهو ويلعب، اما الشرفاء

←



⇒ والعليون فأخذوا يكون لدينهم، بينما اصحاب السلطان والبرامكة فقد اطلقوا لأنفسهم العنان في اللذات، ورغم ذلك فقد كان هارون يراقب اعمالهم ويتجسس على نواياهم. ولما علم هارون ان الفضل بن يحيى البرمكي خفف عن الإمام الكاظم عليه السلام في سجنه استدعاه وجرده من ثيابه وضربه في مجلس عام، ونقل الامام عليه السلام الى سجن آخر. وهكذا كثر الظلم والفساد وعمت الشكوى من الرشيد والبرامكة، حتى القى الله سبحانه بأسهم بينهم سرعان ما اوقع بهم هارون وقعة منكرة فأبادهم حتى كأن الشمس لم تشرق عليهم ابداً.

قال القمي: صحيح ان قضية العباسية اخت الرشيد سبب ظاهري للايقاع بالبرامكة، لكن السبب الحقيقي هو الانتقام الالهي منهم لما فعلوه بالامام الكاظم عليه السلام. اخبار الخلفاء / ٢٩٤
ومن جميل ما ورد في كتب التاريخ، التي تنقل ما فيه صورة من صور العبرة والموعظة من التاريخ ان احد الوعاظ دخل على احد الخلفاء بعد انقضاء عصر هارون، فطلب هذا الخليفة من الواعظ ان يعظه فقال له: يا أمير المؤمنين أعظك بما سمعتُ او بما رأيتُ؟ فقال الخليفة: بل بما رأيتُ، فقال الواعظ كنت يوماً أتصفح سجل الخلافة الكبير في ايام هارون فرأيت في اول صفحاته:

امر امير المؤمنين هارون بأعطاء يحيى البرمكي ١٠٠ الف دينار.
ثم اخذت اقلبُ صفحاته فوجدتُ:

امر امير المؤمنين هارون بأعطاء الفضل بن يحيى ١٠٠ الف دينار.
ثم قلبتُ فوجدتُ:

امر امير المؤمنين هارون بأعطاء ١٠٠ الف دينار ليحيى، ومثلها للفضل، ومثلها لجعفر.
ثم اخذت اقلبُ حتى وصلت الى ورقة فوجدت فيها:

امر المؤمنين هارون بصرف ١٠٠ دينار فقط لجلب نפט وقصب لخرق جثث البرامكة.
فسبحان الله مُغير الاحوال.



موقفُ الامام وحديثُ صفوان الجمال

يقول لو أسقطُ من شواهيقِ
اهون من ان اتولى عملاً
وقال مرةً الى صفوان
لكن فيك خصلةٌ معيبةٌ
كراؤك الجمال هذا الطاغية
وقال من أحبّ منهم احداً
لا تركزوا للظلم والاشرارِ
وظل هارون يكيّد الكيدا
على أكفٍ من بني الزهراءِ
يقولُ والله لا قتلّـنهم
ثم لأنفي بعضهم ليثربِ
في ذمة الله الذي عانوه
مقطّع الاوصالَ بالبوارقِ
في حكم هارون وأن أو كلاً
انت جميل حسن المعاني
احسبها عن نهجنا غريبة
والسير في قوافل الزبانيه
فإنه منهم على طول المدى
فتصبحوا أذلة في النارِ
يستعمل السيف ويطوي القيدا
طاهرة تقيّة ببيضاءِ
واسـجنتهم وأصلـبـنهم
بالخوف والارعاب والترقب
من قسوة الرجس وما لاقوه^(١)

(١) صفوان الجمال، هو صفوان من بني كاهل كوفي كنيته ابو محمد الجمال، ثقة.

وقصته مع الإمام الكاظم عليه السلام ينقلها الشيخ الطوسي حيث قال:

قال صفوان الجمال: دخلتُ علي ابي الحسن موسى عليه السلام فقال لي:

ياصفوان: كل شيءٍ منك حسنٌ جميل ما خلا شيئاً واحداً.

قلتُ: جعلتُ فداك، أي شيء؟ قال عليه السلام: إكراؤك جمالك لهذا الرجل - يقصد هارون -

فقلت: يا مولاي ما أكريته أشراً أو بطراً ولا لصيداً أو هوى، ولكن أكريته في طريق مكة

ولا أتولاه بنفسي بل ابعت غلماني. قال عليه السلام: هل تاخذ أجره كرائك منهم؟

قلتُ: نعم



⇒ قال عليه السلام: أتحبُّ بقاءهم حتى تستوفي إجرتك؟. قلتُ: نعم
 قال عليه السلام: مَنْ أحبَّ بقاءهم فهو منهم وَمَنْ كان منهم فهو في النار
 قال صفوان: فذهبت وبعثتُ جمالي عن آخرها. اختيار معرفة الرجال ٧٤٠/٥.
 انها موعظة ارشادية بثَّها الإمام عليه السلام صوتاً يدوي في اسماع كل من يركن للظلم والظالمين
 او يعمل معهم ولهم، لكن الإمام عليه السلام في حديثٍ، آخر يضع لنا ضابطة مهمة للعمل مع
 السلطان اذا وقع تحت حرجٍ او اكراه، وهذه الضابطة جاءت في سياق خبرٍ اورده جملة
 من المصادر: قال علي بن يقطين - وهو من اصحاب الإمام - دخلت على ابي الحسن
 موسى عليه السلام واعلمته اني راغبٌ في ترك عملي مع هارون فلم يأذن لي.
 وقال عليه السلام: لا تفعل فإن لنا بك أنساً ولأخوانك بك عزاً وعسى ان يجبر الله بك كسراً
 ويكسر بك نائرة المخالفين عن اوليائه. ثم قال عليه السلام: يا علي كفارة اعمالكم للسلطان
 الإحسان الى الاخوان.
 ويريد الإمام عليه السلام بذلك مساعدة المؤمنين اثناء العمل مع السلطان وجبر مصائب المحتاجين
 وإضعاف قدرة هذا السلطان واعوانه عن الاستمرار في هضم حقوق الناس.
 وتُشير الروايات الى ان هارون قد علم فيما بعد بكلام الإمام عليه السلام مع صفوان وكان هارون
 قد أسر ايضاً غير ذلك في نفسه على الإمام عليه السلام حينئذ توعد هارون الإمام عليه السلام وشيعته شراً
 واقسم على استئصالهم.
 وقد تواترت المصادر في ذكر الرشيد وعمله الظالم مع آل ابي طالب عليه السلام حيث ينقل ابي
 الفرج الاصفهاني:
 قال الرشيد: حتى متى اصبرُ على آل ابي طالب، والله لأقتلنهم ولأقتلنَّ شيعتهم لأفعلنَّ
 وافعلنَّ. الاغانى ٢٥٥/٥.
 ونقل ابن الاثير: عندما تولى الرشيد أمر الخلافة سعى لإخراج الطالبين وشيعتهم جميعاً
 من بغداد الى يثرب كرها لهم ومقتاً. الكامل ٨٥/٥.
 وما كانت خاتمة هذا الظالم في افعاله تلك مع آل ابي طالب الا كما روى ابن الاثير
 حيث ذكر: عندما دنت الوفاة من هارون أخذ يردّد: واسوأته من رسول الله ماذا فعلتُ
 بذريته. الكامل ١٣٠/٥.

وكان الجواب من الله العظيم: ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون﴾.



الاعلام المزيف

حتى هجاهم بعض من تملقا
والشاعر «النمري» حين سبّا
حتى غدا ذكر فضائل النبي
وفضل أهل البيت ليس يروى
فأمن اليهود والنصارى
لكن آل المصطفى في خوف
كمثل «مروان» الذي تزندقا
آل عليّ كي ينال قربي
كتهمة تندر عند العرب
ومن روى فالقتل فيه فتوى
واصبحوا في أمرهم احرارا
يولغ في رقابهم بالسيف^(١)

(١) يتفق أكثر المؤرخين على أنّ الدولة العباسية وسابقتها الاموية سعت بكل قواها وعن طريق الاعلام المزيف، وعبر الاقلام الباطلة، والالسن الكاذبة، والنفوس المريضة، واهل التملق والدجل ممن باع ضميره لهم للقيام بهذه المهمة القذرة بعد ان اغدقوا عليهم الاموال الطائلة، وتشير المصادر الى جملة من هؤلاء ومنهم مروان بن ابي حفصة، ومنصور النمري، والاصمعي، وابراهيم الموصلي، وسلم الخاسر، واسحاق الموصلي، وابو الشيص وغيرهم حيث قام هؤلاء بأضفاء مناقب مزورة، وفضائل مزعومة لبني العباس، وغيرهم ثم طمس معالم وفضائل اهل البيت عليهم السلام وعدم ذكر أي شيء لهم، فذكرهم محرّم يستوجب القتل.

لذا حاول هارون طمس اخبار الإمام عليه السلام وشيعته قدر المستطاع، وكانهم يهود او نصارى، رغم ان هؤلاء آمنون على حد تعبير منصور النمري السابق الذكر في قصيدته المنصفة التي حاول هارون قتله عليها.

وتشير المصادر التاريخية ان الفضل بن يحيى البرمكي، لما عاد من خراسان الى بغداد سأله هارون: هل ابقيت هناك لآل ابي طالب من احدٍ او تركت له ذكر؟

فقلت: لا والله يامولاي لقد جهدتُ فما ذكر لي منهم من باقية. اعيان الشيعة ٤/١٠٨.



حكاية حميد بن قحطبة

فقد روى حميد بن قحطبه قال دعاني مرة هارون فجئت في الليل اليه خائفا فقال خذ سيفاً وسر أمامي الى بيوت رثية مغلقة ستون شخصاً من بني الزهراء شيخ، وكهل، وصغير كانوا قال لي اقتلهم بلا تأخير فاسرع السيف الى الرقاب ثم رميت بالرؤوس الطاهره فهل ترى يغفر لي الرحمن وراح هارون يصب الظلما فما اكتفى بغيلة الاحياء لكن تعدى ظلمه وزادا

وهو الذي حوى أخس مثله وهو لعمرى ثمل مجنون ولم اكن بما يريد عارفا فسرت خائفا بلا كلام لكنها بنورهم مؤتلقه وجوههم تطفح بالضياء وهم لأمة الهدى عنوان حتى أريح بالدماء ضميري إذ صبروا لميتة الأطياب في حفرة لتدفن المؤامره كلا ولا فحفرتي نيران فالقتل والتعذيب كان هماً ولا بقتل عترة الزهراء وحيث عادى سفهاً من عادى^(١)

(١) انها فعلة شنيعة يقشعر منها البدن، وترتجف منها القلوب فعلها احد جلاوزة هارون وبأمره شخصياً تكاد عند ذكرها ان تنهد الارض والجبال، ندغ صاحبها اللعين يتحدث بها كما رواها شيخنا الصدوق «قدس»:

قال حميد بن قحطبة الطائي: دخل علي عبيد الله البزاز النيسابوري، وكان صاحباً له في شهر رمضان، فلما قدمت له مائدة الطعام امسك وقال: ايها الامير لعلك لك علة توجب افطارك اما انا فصائم.



⇒
 فقلت - أي حميد- وقد دمعت عينايا: لا والله مابي من علة توجب افطاري.
 فقال صاحبي : إذن فعلام إفطارك وهذا شهر رمضان ايها الامير؟
 قلت: أنفذ اليّ هارون ليلة، وكنتُ في طوس، وبعد اخذٍ وردٍ يطول سرده.
 قال لي هارون: خُذ هذا السيف وامثل لأمر هذا الخادم الذي هو معك، فجاء بيّ الخادم
 الى بيتٍ مُغلق ففتحه لي فإذا بثلاث غرف مغلقة في كل غرفة عشرون نفساً من شيخٍ
 وكهلٍ وصغير، فقال لي الخادم: يأمرك امير المؤمنين بقتل هؤلاء، وكانوا كلهم علويين من
 نسل علي وفاطمة، فجعل يخرج لي واحداً بعد واحدٍ فأضرب عنقه، حتى اتيت علي
 اخرهم، وهكذا فعلت بالموجودين في الغرف الاخرى، حتى اتيت علي ستين واحداً منهم
 وألقيت بجثثهم في بئرٍ كانت هناك!! قل لي يا عبيد الله: ماذا ينفعني بعد ذلك صومي
 وصلاتي، وانا لا اشكُ اني مُخلدٌ في نار جهنم!!؟. عيون اخبار الرضا ١٠٠/١
 قال الصدوق «قدس» وهو يُعلق علي ما سبق: وللمنصور العباسي مثل هذه الفعلة في ذرية
 رسول الله ﷺ. عيون اخبار الرضا ١٠٢/١
 انها صفحة سوداء قائمة يرسمها التاريخ لأناس قيل عنهم إنهم ظلّ الله في الارض، وهم
 خلفاء الامة، وانهم امراء المؤمنين.
 والله در ذلك المستشرق الالماني الذي عندما عرف هذه الفعلة وغيرها كتب كتاباً مشهوراً
 «ملوك ومهازل وسخافات».



هدمُ قبر الامام الحسين عليه السلام

فهدمُ قبر السبط عند الطفِ كان له حلماً حقوداً مخفي
اذ هدم القبر على زواره كي يختفي البريق من ستاره
وقطع السدرة عند الحائرِ فياله من مستبدٍ جائرِ
وصدق الرسولُ حين لعنا قاطعها المسخ الزنيم الأرعنا
ذاك الذي قد قتل الأبرارا وطارد الاخيार والاحرارا
كمثل عبد الله وابن الحسنِ ومثل ادريس الفتى المؤمنِ
وبعدهُ يحيى بن عبد الله فقتلُهُ من أعظم الدواهي
وأعظم الفجائع المستنكره قتل ابن جعفرِ امام البره^(١)

* * *

(١) وعندما رأى هارون الرشيد جماهير غفيرة من الامة الإسلامية تتهافت على زيارة مرقد الامام الحسين قام بهدم الدور المجاورة له، واقتلاع السدرة التي كانت الى جانب القبر الشريف.

كما أمر بجرث أرض كربلاء ليمحو بذلك كل أثر للقبر المطهر، وقد انتقم الله منه فإنه لم يدُر عليه الحول حتى هلك في خرسان. تاريخ كربلاء ١٩٨/٥.



رسالة الرشيد

في قصة رهيبة الفصول
أولها رسالة الرشيد
أرسلها الى الامام الكاظم
متهماً إياه بالخصومة
فردده الامام في حكمته
مبيناً بانه ابن طه
وانه نجل علي المرتضى
وخاطب الرشيد بالارحام
بان ما يسمعه مكذوب
فليس في نيته ان يخرج
مكتفياً بالعلم والرواية
فهدأ الرشيد من كلامه
وقبل الامام في عينيه

يذكرها التاريخ في ذهول
وما بها من سرف الجحود
مليئة بالحقد والشتم
وبافتعال فتنة مزعومة
مبدداً للشك في تهمة
بالبضعة الزهراء قد تباهى
وابن الحسين وهو راض بالقضا
وامة القرآن والاسلام
وان من يثيرة مغلوب
او ان يسلس سيفه او يسرجا
وما لديه دون ذاك غاية
معتذراً إياه في إنعامه
وضمه بلهفة اليه^(١)

(١) هذا نص الرواية كما جاءت عن الشيخ المفيد، عن محمد الدامغاني، والصدوق، عن هاني بن محمد، عن ابيه قال: دخلتُ على ابي الحسن موسى عليه السلام يوم امر الرشيد باعتقاله فسلمت عليه وطلب مني عليه السلام ان اقرأ بطومار كتاب طويل فيه مذاهب وشنعة وافتراء نسبت اليه عليه السلام فلما قرأته قال موسى عليه السلام: لما أدخلتُ على هارون قال لي: يا موسى خليفتان يُجبي اليهما الخراج! تكلم بحجتك يا موسى! قلتُ -اي الإمام عليه السلام-: أعيذك بالله تعالى أن تبوء باثمي، وتقبل الباطل من اعدائنا علينا، ونحن اهل بيتٍ مُنينا بالتقول علينا، وقد كُذّب علينا منذ قبض رسول الله، والذي بعث محمداً بالنبوة ما حُمِلَ اليّ قطُّ من درهم ولا دينارٍ من طريق الخراج.



⇒ فلما تمَّ كلامي سكت هارون ثم قلتُ: أتأذن لي بحديثٍ عن رسول الله. فقال: قل فإنه مأذونٌ لك قلت: حدثني ابي، عن جدي عن رسول الله انه قال: انَّ الرَّحْمَ اذا مسَّتْ تحركت واضطربت فإن رأيت ان تناولني يدك، فأخذ بيدي وجذبني اليه وعانقني طويلاً ثم دمعت عيناه ثم قال هارون: اجلس يا موسى فليس عليك بأس. الاختصاص / ٤٥.

وينبغي ان نفرق بين الاسباب الواقعية، وبين الاسباب التي كان يتذرع بها الرشيد لتبرير سلوكه العدائي مع الإمام عليه السلام.

لقد اصبح الامام بعد عقد من حكم الرشيد وجوداً ثقيلاً على هارون لقوة تأثيره في الامة واتساع الامتداد الشيعي، حتى وجدناه يقدر المتطوعين في جيش الإمام بمائة ألف سيف. من هنا ضاق صدره وازعجه انتشار صيت الإمام عليه السلام لان الناس غدت تتناقل مآثر الإمام وعلمه، وأخلاقه. اعلام الهداية ٩/٩٥.



حكايةُ المأمون

وقال لابنيه تعالوا سلموا
واستفسر المأمون باستغرابٍ
فقال يا بني هذا موسى
هو الامام الحق والوليُّ
انا الامام عنوةً وهذا
والله إنه أحقُّ مني
فالملك ذا يا ولدي عقيمٌ
والله لو نازعتني بالعرش
خلال ذاك سعت السعاةُ
بأنه قد جمع الاموالا
وانه يهيم بالخلافة
وانه وارثُ علم المصطفى
على الامام عمكم وعظموا
من الذي شيعته للباب
أضحى لطفه جذره مغروسا
والطاهر المطهر التقىُّ
صار لكل أمةٍ ملاذا
بالامر أن يقوم فيه عني
لعدت مذبوحةً بغير نعشٍ
ولا يُهابُ الملك الرحيمُ
ووشيت بالكاظم الوشاةُ
وعبأ الجنودَ والرجالا
وكاتمأ في سره أهدافه
وانه دبر أمراً في الخفا^(١)

(١) انها قصة روتها كتب الاقدمين، وقد وردت على صورتين:
الصورة الاولى: عن سفيان بن نزار قال: كنت يوماً عند رأس المأمون ابن هارون فقال
وهو يتحدث جمعاً من الحاضرين: أتدرون من علمني التشيع؟
فقال القوم جميعاً: لا والله ما نعلمُ
فقال المأمون: علمنيه والدي الرشيد
قلنا له: وكيف ذلك والرشيد يقتل اهل هذا البيت؟!
قال: كان يقتلهم على الملك لأن الملك عقيم، ثم قال:



⇒ حججتُ يوماً مع ابي هارون فلما وصل الى المدينة، ثم اذ دخلَ علينا شيخٌ قد انهكته العبادة كأنه شنُّ بال، فلما رآه ابي ترجلَ من حماره، واجلسه على بساطه، فنظرنا اليه بالاجلال والاعظام، فأقبل والذي يحدثُه ويُقبل بوجهه عليه، فما اسرع الشيخ الى ان نهض فنادانا ابي هارون انا واخي الامين واخي المؤمن: يا عبد الله، يا محمد، يا ابراهيم قدموا بين يدي عمكم وسيدكم خذوا بركابه، وسووا عليه ثيابه، وشيعوه الى منزله، فلما خلا المجلس قلتُ لأبي هارون: يا امير المؤمنين، مَنْ هذا الرجل الذي عظمتُه واجللتُه؟ فقال لي: هذا إمام الناس وحجّة الله على خلقه وخليفته على عباده، فقلتُ: يا امير المؤمنين اوليست هذه الصفات كلها لك وفيك؟!

فقال: انا إمام الجماعة في الظاهر والغلبة والقهر وهذا موسى بن جعفر إمام حق والله يا بني انه لأحقُّ بمقام رسول الله هذا مني ومن الخلق جميعا والله لو نازعتني انت على هذا الامر لأخذت الذي فيه عيناك فإن الملك عقيم. الاحتجاج ١٦٥/٢.

الصورة الثانية: عن الريان بن شبيب حيث قال:

قال المأمون: دخل الناس على ابي هارون فكان آخر من اذن له موسى بن جعفر عليه السلام فلما نظر اليه نهض له وقرب منه وجثا على ركبتيه وعانقه ثم اخذ يسأله عن احواله فلما نهض موسى عانقه ابي وودعه..

قال المأمون: فقلتُ: يا امير المؤمنين، رأيتك قد عملتَ لهذا الرجل شيئاً ما عملته مع احدٍ قط، فمن هذا الرجل؟

فقال هارون: يا بُني هذا وارث علم النبيين هذا موسى بن جعفر ان اردت العلم الصحيح فعند هذا.

قال المأمون: عند ذلك انغرس حبه في قلبي وحبّ اهل بيته. حلية الابرار ٢٦٩/٢.



الرشيد يزور قبر النبي ﷺ

و ذات يوم قصد الرشيدُ
ذكرى رسول الله والصحابة
مسلماً وكلُّهُ احتشامُ
فبادر الامام ثم قاما
قال سلام الله يا جداهُ
فغضب الرشيد من خطابه
فقال هل انت قريب منه
فابتسم الامام ثم قال
نحن بنوه دون كل الناسِ
مدينة الرسول يستعيدُ
وقبة قدسية مهابة
عليك يا ابن عمنا السلامُ
ليرفع التبجيل والسلاما
يا ابتي وانهمرت عيناه
وقد تواري الرشد من صوابه
اكثر منا ام بعيدٌ عنه؟
بكلمة توضحُ السؤالا
وانتم الاعمام بالعباس^(١)

* * *

(١) نقلت المصادر التاريخية ان هارون اعتمر في شهر رمضان عام ١٧٩هـ فلما عاد الى المدينة دخل الى قبر النبي ليزوره مع الناس فلما وصل الى القبر وقف وقال: السلام عليك يا رسول الله يا ابن العم، حينئذ دنا ابو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام من القبر ثم قال: السلام عليك يا أبة، فتغير وجه هارون ثم قال والحقدُ يملأ قلبه: هذا هو الفخرُ يا ابا الحسن، ثم سكت هارون لبرهة بعدها اضاف قائلاً له: لِمَ صرت اقرب الى رسول الله منّا؟! فأجابه الإمام عليه السلام: لو بُعث رسول الله حياً وخطب منك كرىمك هل كنت مُجيبه الى ذلك؟ فلم يتفوه هارون بكلام.

كانت حادثة زياة هارون لقبر الرسول ﷺ ولقاء الإمام به بحيث أغضب الرشيد حتى قال بعدها مخاطباً الرسول: بأبي أنت وامي إنني أعتذر اليك من أمر عزمت عليه، اني اريد ان آخذ موسى بن جعفر فأحبسه لأنني قد خشيت أن يلقي بين امتك حرباً يسفك بها دماءهم. الغيبة للطوسي / ٢٨.



حدود فدك

وذات يوم سأل الرشيدُ
قال نعم فحدّها من عدن
ثم الى الجبال من أفريقية
فغضب الرشيد باصفرار
وظل في أحقادها يفورُ
فاضمر الرشيدُ أمر سجنه
وضاق صدره بأمر الكاظم
عن (فدك) وهل لها حدودُ
الى سمرقند وتلك المدن
وحد سيف البحر من أرمينية
وقال قد ذهبت بالامصار
مفكراً في أمره يدورُ
ولم يمر النوم فوق جفنه
فقرر الولوغ في المآثم^(١)

* * *

(١) تشير المصادر ان هارون قال للإمام ابي الحسن عليه السلام: حدّد «فدك» حتى اردها عليك؟ فقال عليه السلام: الحدّ الاول عدن، والحدّ الثاني سمرقند، والحدّ الثالث افريقية، والحدّ الرابع سيف البحر ممايلي ارمينية.

فقال هارون: لم يبق لنا شيء؟ انها الدنيا كلّها. مقتبس من المناقب ٤/٣٢٠-٣٢١
اشار الامام الكاظم عليه السلام في جوابه هذا الى اغتصاب الخلافة من خلال ارض فدك التي تصادرت من الامام علي لثلاث تكون له مصدراً اقتصادياً يقف بطريقهم.
والمصادر تُشير كذلك ان الرشيد يومها عزم على قتل الإمام عليه السلام وقالوا: ان هذه القضية احد الاسباب المهمة التي اعجلت الرشيد لزوج الإمام عليه السلام في السجن او التخلص منه.
ومن المفيد ذكره هنا ان قضية فدك في التاريخ الاسلامي شهدت حالات مدّ وجزر بين هذا الخليفة او ذاك، وعلى طول التاريخ فهذا يغتصبها سرعان مايردّها غيره، كما فعل عمر بن عبد العزيز الاموي عندما ارجعها الى العلويين، لكن سرعان ما اغتصبت ثانية بعد موته.

أجل انها لم تكن قطعة ارض بل رمز لكل الكيان الاسلامي المغتصب.



اعتقالُ الامام عليّ عليه السلام

فبعث السجان والازلاما في الليل كي يعتقل الاماما
فقطعوا صلاته عليه ووضعوا القيودَ في يديه
وسار فيه الركبُ نحو البصرة ويشرب ملاًى بألف حسرة
يسوقهم «حسان» وهو «السروي» وهو لعمرى مجرم وملتوي^(١)

* * *

(١) وبعد زيارة الرشيد لقبر الرسول ﷺ ولقائه بالإمام أمر الطاغية هارون باعتقال الإمام عليه السلام وفعلاً القي القبض على الإمام عليه السلام وهو قائم يصلي عند رأس جدّه النبي ﷺ ولم يمهلوه لإيماهم.

فحمل وقيد فشكى الإمام لجدّه الرسول قائلاً: اليك اشكو يا رسول الله.
وبعد اعتقال الامام غدت الناس تتحدث فيما بينها باستنكار هذا الحدث المهم فتألمت
الامة كثيراً فلم يبق قلب الا وتصدّع من الأسى والحزن فخافت السلطات أن يكون
اعتقال محفزاً للثورة عليها، فحمل جملين، واحداً الى البصرة، وهو يحمل الامام عليه السلام وكان
قائد ركب الشرطة اسمه حسان السروي، والجمل الثاني الى الكوفة لغرض الايهام على
الناس، لئلا يعرف محل حمل الإمام عليه السلام في أيهما. اعلام الهداية ١٦٢/٩.



سجن البصرة

وصار في البصرة أمر موسى لابن ابي جعفر وهو عيسى
مضيقاً عليه في محبسه اذ صار فيه يومه كأمسه
وأقبل الامام في العبادة والصوم اذ أضحى لديه عادة^(١)

* * *

(١) وهكذا اصبح الإمام عليه السلام حبيس سجن البصرة عند عيسى ابن المنصور ومكث عنده سنة من الضيق والتشديد حيث لا يفتح له الباب الا للوضوء وادخال الطعام فصار عليه السلام يقضي ساعات سجنه بين الصلاة والصوم وقراءة القرآن والتضرع الى الله بمناجاته سبحانه حتى عُرف عنه بانه صاحب السجدة الطويلة والمناجاة الخاشعة وكثيراً ما كان يحمد الله ويشكره على هذا التفرغ لعبادته بقوله عليه السلام:

اللهم إنك تعلم اني كنت سألتك أن تفرغني لعبادتك وها أنت قد فعلت فلك الحمد.

المنقب ٣٤٣/٤.



من السجن ينشرُ علومه

ورغم سجنه وما يقاسي من ظلم سجان بني العباس
قد واصل الرواة بالحديث سرّاً بسعي مجهدٍ حثيثٍ
فمنهم ياسينُ الزياتي روى وكان أوثق الرواةِ
وانتشرت أخبار سجن الكاظم واصبحت حديث كل العالمِ
وخاف هارون حدوث الفتنة وكاد ان يطفى ضياء السنة
فاصدر الامر بقتل موسى لما غدا في سجنه محبوساً^(١)

* * *

(١) ففي اثناء حبسه عليه السلام عرف بالعبادة، وبثّ الحديث، ونشر مكارم الاخلاق، وكان يكتب ويراسل بعض ثقاته من اصحابه.

ولما شاع خبر اعتقال الإمام في البصرة وعلم الناس بمكانه هبّت اليه العلماء وغيرهم لغرض الاتصال به من طريق خفيّ فاتصل به ياسين الزيات الضرير البصري وروى عنه.

النجاشي/ ٤٥٣.

لقد قهر الإمام عليه السلام بصبره وعبادته وثقته بالله سبحانه كل وسائل الجور وشدائد الحبس، ففي اثناء حبسه عُرف بالعبادة وبثّ الحديث ونشر مكارم الاخلاق، وكان يُكتب ويراسل بعض ثقاته من اصحابه، بل تؤكد المصادر انه عليه السلام اخذ يؤثر بعبادته وتقواه حتى على اعوان هارون، ولاسيما سجانة عيسى بن المنصور الذي اخبر الرشيد بضرورة نقل الإمام عليه السلام من سجنه لكونه لم يرَ منه شيئاً سوى العبادة والخير الكثير، وهذا مما افزع هارون خصوصاً بعد شيوع خبر سجنه بين الناس، فأستشعر هارون حدوث امر لا تحمد عقباه مما جعله يفكر ويسرع في التخلص منه، وكذلك تشير المصادر انه عليه السلام قد اثر ايضاً على الفضل بن يحيى لما نُقل الى سجنه مما جعله يرأف بحال الإمام عليه السلام ويخفف عنه مما ادى الى عقوبة الفضل من قبل هارون وبالتالي نقل الإمام الى سجنٍ آخر.



موقفُ عيسى

فرد عيسى رغبة الامير
وليس فيه مطمع الولاية
ولا دعا قط على الرشيد
فاطلب العفو من الامير
أو انني أبعثه اليه
بأن موسى ليس بالشرير
ولا الخروج كان منه غاية
وليس بالحقود والعنيد
عن قتله وأمره الخطير
أو اطلق الحديد من يديه^(١)

* * *

(١) واوعز الرشيد الى عيسى يطلب منه فوراً القيام باغتيال الإمام عليه السلام لكن لما وصلت أوامر الرشيد لعيسى باغتياله الإمام ثقل عليه الأمر، وجمع خواصه وثقته فرض عليهم الأمر فأشاروا عليه بالتحذير من ارتكاب الجريمة فاستصوب رأيهم، وكتب الى الرشيد رسالة يطلب فيها اعفائه عن ذلك. اعلام الهداية ١٦٣/٩.



سجنُ الفضل في بغداد

وبعد عامٍ كاملٍ في السجنِ سار لبغداد بكل حزنٍ
وسجن الإمام عند الفضل ينوء في الحبس بكل ثقل
لكنه يلهجُ بالقرآن تلاوةً قدسيةً الاحسان
ويكثر الصلاة والصياما ويعشق السجود والقياماً
قد عجب السجنان من عبادته واهتزت الجدران من تلاوته
بجسمه المعذب النحيل وصبره المجرب الطويل^(١)

* * *

(١) استجاب الرشيد لطلب عيسى وخاف من عدم تنفيذه لطلبه أن يساهم في إطلاق سراح الإمام عليه السلام ويخلي سبيله، فأمره بحمله الى بغداد، وفرح عيسى بذلك، ولما وصل الإمام عليه السلام الى بغداد أمر الرشيد باعتقاله عند الفضل، فأخذه وحبسه في بيته. وأشرف هارون على سجن الإمام إذ كان يتوجس في نفسه الخوف من الإمام فلم يثق بالعيون التي وضعها عليه في سجنه. اعلام الهداية ٩/١٦٣-١٦٤.



روايةُ القزويني

فقد روى عن فضله القزويني
قال: دخلتُ مرةً للفضل
فقال لي يا صاحبي ادنُ مني
ماذا ترى في البيت يا صديقي
قال تأمل لتراتاه واضحا
فقال: هل تعرفه فقلت: لا
رايتهُ في الليل والنهار
عبادة ما مثلها عبادة
يعرفه الليل بطول السهر
وهو لعمرى رجل ذو دين
في داره جئت لبعض شغل
وانظر من الدار بعيداً عني
قلت كثوب أسودٍ رقيق
فقلتُ عبداً ساجداً مسبحاً
فقال ذا مولاك قد تكبلا
في سجدةٍ تطول للاسحار
وسيد ليس كباقي السادة
والفجر مفتونٌ بطول السور^(١)

* * *

(١) عن المولى التقي احمد بن عبد الله القزويني عن ابيه قال: دخلت على الفضل بن الربيع وهو على سطح فلما حاذيته قال لي: اشرف على الدار وانظر! قلت: ارى ثوباً مطروحاً فلما تأملته فإذا هو رجلٌ ساجد فقال لي: اتعرفه؟ فقلت: لا

قال: هذا مولاك ابو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام والله اني اتفقده في الليل والنهار فلم اجده الا ساجداً هكذا وهكذا دأبه في الليل والنهار منذ ان حوّل اليّ. فقال القزويني فقلتُ له: اتق الله يا فضل فيه ولا تحدث له حدثاً يكون فيه زوال نعمتك. فقال الفضل: قد ارسلوا لي غير مرة كي اقتله فلم اجبهم الى ذلك ولو قتلوني ما اجبتهم الى ما سألوني. المناقب ٣١٨/٢.



دعاء الامام بالفرج

حتى اذا قد ضاق صدره بما
يا مخرج النار من الحديد
ومخرج الحليب من فرث ودم
يارب خلصني من «الرشيد»
وقد أجيت دعوة المكروب
فغادر السجن مع التكريم
فكل اسبوع يراه مره
كان يقاسي فدعا رب السما
ومخرج الزرع برمل البيد
ومخرج الجنين من جوف الرحم
والقييد والظلام والحديد
ودعوة المعذب الغريب
في وجل الطاغية اللثيم
كي لا يجني عنه موسى سره^(١)

* * *

(١) كان الإمام عليه السلام قد اتخذ من هذه السجون محاريب للعبادة وقراءة القرآن، وكان الجميع يسمعون منه دعاءه: الهي قبح الذنب من عبدك فليحسن العفو من عندك. ولما طالت مدة الحبس على الإمام عليه السلام وهو رهين السجون، قام في غلس الليل البهيم فجدد طهوره وصلى لربه أربع ركعات وأخذ يدعو بهذا الدعاء: (يا سيدي نجني من حبس هارون، وخلصني من يده، يا مخلص الشجر من بين رمل وطين، ويا مخلص النار من بين الحديد والحجر، ويا مخلص اللبن من بين فرث ودم، ويا مخلص الولد من بين مشيمة ورحم، ويا مخلص الروح من بيت الاحشاء والامعاء، خلصني من يد هارون).

واستجاب الله دعاء العبد الصالح عليه السلام فأنقذه من سجن الطاغية هارون وأطلقه في غلس الليل. لقد مكث الإمام عليه السلام في سجن الفضل مدة طويلة من الزمن لم يعينها لنا التاريخ. وبقي عليه السلام بعد إطلاق سراحه في بغداد لم يخرج منها الى يثرب، وكان يدخل على الرشيد في كل اسبوع مرة يوم الخميس. اعلام الهداية ١٦٤/٩.



الاعتقال مرة اخرى

ورغب الامام بالزيارته
واهله والصحب والعيالا
لكنه أرجعه للسجن
لكنما الفضل بن يحيى اكرمه
فوصل الامر لسمع الطاغية
اذ أمر الرشيد باعتقاله
ليثرب لكي يرى انصاره
من سفر عند الرشيد طالاً^(١)
عند ابن يحيى في أذى وحزن
وفك من قيوده ونعمه
فالت الفضل بن يحيى الداهية
لما انتهى اليه من فعاله

* * *

(١) ولما شاع ذكر الإمام وانتشرت فضائله ومآثره في بغداد، ضاق الرشيد من ذلك ذرعاً، وخاف منه فاعتقله ثانية فاودعه في بيت الفضل بن يحيى.

ولما رأى الفضل عبادة الإمام واقباله على الله انشغاله بذكره أكبر الإمام، ولم يضيق عليه وكان في كل يوم يبعث اليه بمائدة فاخرة من الطعام، وقد رأى من السعة في سجن الفضل ما لم يرها في بقية السجون.

ولما أوعز الرشيد للفضل باغتيال الإمام امتنع ولم يجبه الى ذلك وخاف من الله لأنه كان ممن يذهب الى الإمامة ويدين بها، وهذا هو الذي سبب تنكيل الرشيد بالفضل واتهام البرامكة بالتشيع. مقاتل الطالبين/ ٥٠٣-٥٠٤.



سجنُ السندي بن شاهك

وبعدُها أرجعهُ للقيود
مضيقاً عليه بالقيود
وهو برغم ذَا من العبادِ
قد حوّل الحبس الى محرابِ
يُكاتبُ الامصار من زناناته
ويبعثُ المقربين الوكلا
وطالت المدة في المظمورة
وقد أبى ان يسأل الرشيدا
في موقف كموقف الرسولِ
فقد أبى ان ينحني للظالمِ

وكان حبسهُ بدار «السندي»
ومثقالاً إيّاه بالحديدِ
أهل التقى وخيرة الزهادِ
بالرغم من قساوة العذابِ
يوزع الاموال من خزائنه
بأمره وعلمه الى الملا
وهي لعمرى قصة مشهورة
فكاكه ويكسر القيودا
وغضبة كغضبة البتولِ
فكان حقاً وصفه بالكاظم^(١)

* * *

(١) لما ضاقت السبلُ بهارون في كيفية التخلص من الإمام عليه السلام ولما استطاع الإمام عليه السلام بصبره وتقواه وإيمانه على تحطيم سلاسل سجون هارون من ضيقٍ وتشديد وارهاب، واستطاع الإمام عليه السلام سواء بالعبادة أو بتأثيره على سجانیه كعيسى بن المنصور، والفضل ابن يحيى، والفضل بن الربيع، أخيراً قرر هارون تسليمه الى مدير شرطته السندي ابن شاهك، وكان رجلاً، فظاً، قاسياً، خبيث الاصل، حيث ضيق على الإمام كثيراً واثقله بالقيود، لكن الإمام عليه السلام استمرّ على ديدنه في العبادة، والخشوع لله، وقراءة القرآن، حتى حول زناناته الى محراب كبير للعبادة وكان عليه السلام وهو في هذا المكان يث علومه ويوزع صدقاته عن طريق الثقات من وكلائه المقربين.



رسالة الامام علي عليه السلام

وفي رسالة الى الرشيد واضحة البيان بالوعيد
يقول : ما ان ينقضي يومٌ عنا
عني الا ينقضي يومٌ هنا
عنك الى ان نغدي جميعاً
لساعة لا تقبلُ الرجوعاً
يخسرُ فيها المبتلون رغماً
محملين ظلمهم والأثماً^(١)

* * *

(١) ولما احس الإمام عليه السلام ان هارون عازمٌ على قتله لا محالة ولأثبات الحجة عليه وبموقفٍ قل نظيره كتب اليه عليه السلام وهو في سجنه، وهو على يقين من استشهاده ورحيله قريباً.
عن محمد بن اسماعيل قال: بعث موسى بن جعفر الى الرشيد من الحبس رسالة كانت:
انه لي ينقضي عني يوم من البلاء إلا انقضى عنك معه يوم من الرخاء، حتى نقضي جميعاً الى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبتلون.
وبعد ما مكث الامام زمناً طويلاً في سجن هارون تكلم معه جماعة من خواص شيعته فطلبوا منه ان يتكلم مع بعض الشخصيات المقربة عند الرشيد ليتوسط في اطلاق سراحه، فامتنع وترفع عن ذلك وقال لهم:
حدثني أبي عن آباءه أن الله عزّ وجلّ أوحى الى داود، يا داود إنه ما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي دوني، وعرفت ذلك منه الا قطعت عنه أسباب السماء، وأسخت الأرض من تحته. تاريخ يعقوبي ٣٦١/٢.



اغتيالُ الامام عليّ عليه السلام

فقرر الرشيدُ أن يغتاله
فدس سُماً ناقعاً في الرُطبِ
وكان امرُ الله فيه قد مضى
فارتجت السماء والكون انتحب
بخطبةٍ لثيمةٍ محتاله
من أجل فتكٍ آثمٍ بابن النبي
وهو شهيد في السجون قد قضى
لخمسةٍ بقين من شهر رجب^(١)

(١) هنا بلغت المؤامرة فصلها الاخير، اذ قررّ هارون التخلص من الإمام عليّ بعد ان يأس من يقوم بهذه المهمة، وبعد فشل محاولاته للتخلص منه اثناء سجنه .

فبعدهما عصى الفضل بن يحيى الرشيد في قتله الإمام عليّ امر الرشيد بتسليم الإمام عليّ الى السندي بن شاهك، ثم جلس مجلساً حافلاً ثم قال: ايها الناس ان الفضل بن يحيى قد عصاني وخالف طاعتي فالعنوه، فلعنه الناس من كل ناحية، فلما بلغ يحيى بن خالد والد الفضل الخبر ركب الى الرشيد ودخل عليه وقال له: يا امير المؤمنين ان الفضل حدث وانا اكفيك ما تريد، فإنطلق وجه هارون سروراً ثم خرج يحيى حتى بلغ بغداد، ثم دعا السندي وامره بقتل الإمام عليّ فأمثل السندي لامره وسمّ الإمام عليّ في طعام قدمه اليه، وقيل انه جعله في رطبٍ اكل منه الإمام عليّ فأحسّ بالسم ولبث بعده موعوكاً ثلاثة ايام ومات عليّ في اليوم الثالث. اعلام الوري ٣٣/٢-٣٤.

كانت وفاة الإمام سنة ١٤٣ هـ لخمس بقين من شهر رجب. الطبري ٧٠/١٠.

وحيث ان الامامة خط موصول فلم ينقطع بموت الامام موسى بن جعفر عليّ فقد اكدت المصادر التاريخية بان الامام الكاظم عليّ أوصى بالامامة الى ولده الامام أبي الحسن علي الرضا عليّ ومن هذه المصادر: عن سليمان بن المروزي قال: دخلت على أبي الحسن موسى بن جعفر وأنا اريد أن أسأله عن الحجة عن الناس بعده فلما نظر إلي ابتدأني وقال: يا سليمان إن علياً ابني ووصيي والحجة على الناس بعدي، وهذا افضل ولدي فإن بقيت بعدي فأشهد له بذلك عند شيعتي وأهل ولايتي المستخبرين عن خليفتي من بعدي.

وعن دواد الرقي قال: قلت لأبي لموسى عليّ: أني قد كبرت سني ودقّ عظمي واني سألت

أباك فأخبرني بك، فأخبرني من بعدك؟ فقال: هذا ابو الحسن الرضا. الكافي ٣١٢/١-٣١٣.

وهذا غيظ من فيض في النصوص الدالة على امامة الرضا عليّ بعد أبيه الامام الكاظم عليّ.



على الجسر ببغداد

وحمل الامامُ نحو الجسرِ سراً ببغداد بُعيدَ الفجرِ
يحملُهُ أربعةُ رجالٍ وهو الذي ناءت به الجبالُ
قد رفعوا اصواتهم بصيحة لم تخل من شفاهم بفرحة
قد صرخوا في الناس في بغدادِ هذا ابو الرافضة المعادي
قد مات حتف أنفه في الحبسِ هارون باقٍ وهو ميت يُمسي^(١)

* * *

(١) وحسب الأوامر المعدة سلفاً من قبل هارون كما تدل عليها القرائن، لاجل أن يتنصل عن قتله للإمام، ليس أمام الشيعة فحسب وإنما أمام الأمة الإسلامية كلها، وأن تكون طريقة التخلي من مسؤولية الحادث بأن يستبطن أن المقتول ما هو إلا رجل عادي لا وزن له، فعلام هذا التضخيم والتهويل والتشكيك؟

فتخطى السندي بن شاهك بالاسلوب التالي: حيث وضع الإمام على جسر الرصافة وهو ميت ينظر إليه القريب والبعيد وتتفرج عليه المارة قد أحاطت بجثمانه المقدسة شرطة الطاغية القاتل وكشفت وجهه للناس قاصدين بذلك انتهاك حرمة والحط من كرامته والتشهير به.

وقد أمر السندي جلاوزته أن ينادوا على جثمان الإمام بذلك النداء المؤلم الذي تذهب النفوس لهوله أسى وحسرة: هذا إمام الرافضة فاعرفوه.

هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة أنه لا يموت فانظروا إليه ميتاً.
متى قالت الشيعة إن الإمام موسى لا يموت؟

نعم قالت الواقفية بذلك والشيعة منهم براء وهارون وجلاوزته أعلم من غيرهم بهذه الحقيقة. لكنه وسيلة من وسائل التشهير وإصاق التهم بالشيعة بسبب أن الواقفية تذهب إلى أن الإمام موسى حي لم يموت وأنه رفع إلى السماء كما رفع المسيح عيسى بن مريم.
اعلام الهداية ١٧٩/٩.



موقفُ سليمان

فهرعت شيعته اليه
وارسل الغلمان للجموع
ففرقوا الحُرَّاس في شجاعة
ورفعوا قبل أذان المغرب
فخرجت بغداد بالاحزان
نادبةً إمامها العظيم
فياله من موكب فجيح
حتى سليمان بكى عليه
ليأخذوا التابوت في خشوع
ولم تخفهم تلكم الجماعة
جنازةً للطيب ابن الطيب
تبكي على الاسلام والقرآن
لتستعيد حزنها القديم
سار وراء ذلك التشيع^(١)

* * *

(١) نقل الطبري: ان سليمان بن ابي جعفر المنصور عم هارون اخذه مع اتباعه بالقوة من شرطة هارون ثم تولى تغسيله عليه السلام وتكفينه ومشى في جنازته حافياً الى مقابر قریش فدفنه هناك.

كان سليمان بن ابي جعفر المنصور رجلاً محنكاً وذا عقل متزن. وقد رأى أن الاعمال التي قام بها هارون ما هي إلا لطمخة سوداء في جبين العباسيين؛ فإن هارون لم يكتف باغتيال الإمام ودس السم إليه بل ارتكب جملة من الأعمال الوحشية التي تدل على أنه لا عهد له بالشرف والنبيل والمعروف والانسانية من هنا بادر سليمان حين سمع نبأ اخراج جنازة الإمام الى الجسر والنداء الفظيع على جثمانه الطاهر، وحاول ان يتلافى الموقف بالتى هي احسن. وانطلق أبناء سليمان وغلمانه الى الشرطة فأخذوا جثمان الإمام عليه السلام منهم، ولم تبد الشرطة معهم أية معارضة، فسليمان عم الخليفة وأهم شخصية لامعة في الاسر العباسية وأمره مطاع عند الجميع، وحمل الغلمان نعش الإمام عليه السلام فجاءوا به الى سليمان فأمر في الوقت ان ينادى في شوارع بغداد: ألا من أراد ان يحضر جنازة الطيب بن الطيب موسى بن جعفر فاليحضر. عيون الاخبار ١/٩٩.



في ذمة الخلود

ودفن الامام في مرقده
وصار معلماً مدى الايام
ألف سلام عابقٍ معطرٍ
سلام عاشقٍ حزينٍ دام
وارتفع الضياء من مشهده
يروى صمود الكاظم الامام
يغدو على الكاظم حتى المحشر
على ضياع امة الاسلام^(١)

* * *

(١) وقام سليمان بتجهيز الإمام فغسله، وكفنه، ولّفه بحبرة قد كتب عليها القرآن الكريم بأسره كلفته الفين وخمسمائة دينار. كمال الدين/ ٣٦.

وهكذا جرى القضاء على الإمام عليه السلام وفق العلم الالهي ليمضي عليه السلام الى ربه شهيداً، مظلوماً، صابراً، مسموماً، ليصبح فيما بعد رمزاً لتحدي الطغاة والمصاعب والسجون، وليصبح معلماً يعرفه اهل الشرق والغرب، يمثل حلقةً من سلسلة طويلة لرجال من اهل هذا البيت العظيم مضوا سراً الى ربهم بعد ان قارعوا الظلم والظالمين، وفي نهاية المطاف ليكون بقعة مقدسة تُرفع عندها الصلوات وتقضى عندها الحاجات.

قال ابن خلكان في وفيات الاعيان: وقبر الإمام موسى بن جعفر هناك مشهور معروف يُزار وعليه مشهدٌ عظيم تعلوه قناديل الذهب والفضة وفيه انواع الفرش ما لا تُحَدّ.

وقال ابن بطوطة الاندلسي في رحلته الى بغداد عام ٧٢٧هـ:

وفي الجانب الغربي من بغداد قبر موسى الكاظم عليه السلام والى جانبه قبر الجواد ابن ابنه وعلى مرقده نرى الخشب الملبس بالذهب والفضة.

فسلام عليك يا ابن رسول الله يوم ولدت، ويوم استشهدت، ويم تبعث حياً

وسلام عليك في الاولين والآخرين

ورحمة الله وبركاته.



الجزء العاشر

الامام علي بن موسى
الرضا عليه السلام





الأهّاء

اليك سيدي أيها الرضا

يا من واصلت طريق الحق والهدى

رغم عذابات الغربة ومعاناتها

ويا من فتحت نوافذ النور لمحبيك

رغم سطوة الظلام من حولك

ويا من وهبت الصبر معاني اخرى

لم تكن في مفردات المعاجم

اليك أهدي هذا الجزء من (قوافل النور)

علّها تكشف بعض خطى مسيرتك الواثقة..

وتتوشح بشيءٍ من عطائك الذي لا ينضب ..

ونورك الذي لا ينطفىء.





اضاءة

واذ تواصل ملحمة قوافل النور مسيرتها المتألأة بانوار الائمة الاطهار عليهم السلام وتسלט الضوء على معاناتهم, وصبرهم, وبطولاتهم, وتفوقهم على الجهل والتخلف والانحراف, تتوقف في محطة اخرى من محطات الامامة وهي فترة امامة الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام. تلك الفترة التي مازالت مستعصية على تحليل المؤرخين, وتقدير الباحثين بالرغم من توفر الوثائق والمستندات التاريخية عنها, لانها تنطوي على احداث خفية ومؤامرات شائكة, وتلون في المواقف, والمتبنيات.

والشعر الذي يرى ان من مهامه ان يوصل سامعيه الى الحقيقة, ويأخذ بيد قارئه الى الواقع كما هو, وهذه مهمة ليست باليسيرة, اذ تحتاج الى عينين صادقتين وأذنين صاغيتين وفهم لا ينطق إلا بالحق بعيدا عن الافتراء والظنون والمبالغة.

وهكذا ترتسم صورة ذلك العصر بجميع شخوصه واحداثه وابعاده الخفية من خلال ملحمة «قوافل النور» المعطرة بانفاس علي بن موسى الرضا عليه السلام وهو يدرج في المدينة المنورة صبياً، قرب قبر جده رسول الله صلى الله عليه وآله ثم وهو شاب ينهل من منابع الرسالة و النبوة, وبعدها الحديث عن قصة رحلته من المدينة الى طوس, وهو يطوي الصحارى المتعطشة الى ظلاله وصوت تراتيله الملهمه، ثم وهو مطوق بالمؤامرات في احد قصور المأمون العباسي, وما اكتنف ذلك من غموض في بيعته، وضبابية في شهادته، ويا لها من حياة مليئة بالعطاء والحركة من اجل الا تضيع مفاهيم الاصاله التي صنعتها دماء آباءه الشهداء الطاهرين, ومن اجل حماية الامه من حماة المسخ والقمع والتشويه.

أسأل الله سبحانه وتعالى ان يجعله في ذخيرة اعماله يوم القاه انه ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.





المولد المبارك

رواية جاءت رواها الكاظم «بأنه يولدُ مني عالمٌ»
وغير مرة يقول الصادقُ يا ليتني الى الرضا أعانقُ
فهو سميّ جدنا الفخر علي وهو وريث الطاهرين الأول^(١)

* * *

(١) تضافرت الروايات على عظمة قدر الامام الرضا عليه السلام وانه كان محل عناية آباءه واجداده المعصومين عليهم السلام وانهم كانوا يبشرون بولادته.

وقد ذكر الطبرسي بسند متصل الى الامام الكاظم عليه السلام انه كان يقول لبنيه:
هذا اخوكم علي الرضا عالم آل محمد صلى الله عليه وآله فأسألوه عن اديانكم، واحفظوا ما يقول لكم
فاني سمعت ابي يقول لي غير مرة: ان عالم آل محمد لفي صلبك، وليتني ادركته سميّ
جدنا امير المؤمنين علي عليه السلام. اعلام الوری ٦٥/٢.

وذكر القمي كذلك بسند متصل الى علي بن عبد الله الهاشمي قال:
كنا عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله نحو من سبعين رجلاً من موالينا اذ اقبل ابو ابراهيم موسى بن
جعفر عليه السلام ويد علي الرضا ابنه في يده فوقف وقال: اشهدوا انه وكيلي في حياتي، ووصي
بعد مماتي. كفاية الأثر/ ٢٦٧.



الوالدة الطاهرة

وجاء ان ام موسى البيرة
جارية من خير اهل العجم
من أفضل النساء دينا وهدى
قد وهبتها مرة لموسى
فحملت حملاً خفيفاً طيباً
ووضعتهُ بالعلی والیمن
فهو علیّ ذو الندی والفضل
بخرقة بیضاء قد لفته
جاءت به تحمله لموسى
فضمه بالحلب والحنان
حنكه بجرعة الفرات
طوبى لمن صدقه وأیده

قد اشترت يوماً فتاة حرة
كانت تسمى عندهم «بتکتّم»
كریمة وكفها كف الندى
فاصبحت لابن التقى عروسا
وشرفت بابن النبیّ نسبا
یخجلُ حسنه جنان عدن
شبلٌ حوى مفاخرًا من شبل
وبحلیب طاهرٍ سقته
غرساً باحضان التقى مغروسا
وجال في أذنيه بالأذان
وقال ذا بقیة الهداة
وألف ویل للذي قد جحدته^(١)

(١) ذكر المؤرخون ان السيدة «حميدة» والدة امامنا الكاظم عليه السلام اشترت جارية اختلفت المصادر التاريخية في تحديد اسمها، وكانت الجوارى في ذلك العصر تُعرف بكثرة الاسماء والطفها، فقيل انها «تكتّم» وقيل «نجمة» وقيل «سوسن» وقيل «صقيل» والمشهور «تكتّم» وهي عربية مغربية، وقد اطبقت المصادر على طهرها، وعفتها، وسلامة دينها، وسعة كرمها وسرعان ما رأت السيدة حميدة رؤيا يأمرها رسول الله صلى الله عليه وآله ان تهديها زوجة لولده موسى بن جعفر عليه السلام لكي تنجب منه عالم آل محمد صلى الله عليه وآله وسرعان ما وهبتها للكاظم عليه السلام فانجب منها ولده الرضا عليه السلام فسماه بـ«عليّ» سمي جده امير المؤمنين عليه السلام علي بن ابي



⇒ طالب، وسرعان ما حملته امه «تكتم» الى والده الكاظم عليه السلام ليجري عليه سنة جده عليه السلام مما يحتاج اليه المولود الجديد.

وعن مراسيم هذا المولد المبارك قال الشيخ الصدوق: واخذ الكاظم عليه السلام وليده المبارك وقد لفّ في خرقة بيضاء واجرى عليه المراسم الشرعية فأذن في اذنه اليمنى واقام في اليسرى وحنكه بماء الفرات ثم رده الى امه قائلاً لها: خُذيه فإنه بقية الله في ارضه، ثم سماه بأسم جده امير المؤمنين علي عليه السلام تبركاً بهذا الاسم العظيم. عيون اخبار الرضا ١/١٨.

وقد ذكر كذلك الطبرسي بسند متصل الى علي بن ميثم قال: اشترت «حميدة المصفاة» جارية اسمها «تكتم» وكانت من افضل النساء في عقلها، ودينها، ثم قالت حميدة لابنها موسى عليه السلام: يا بني ان تكتم جارية مارأيت قط افضل منها، ولست اشك ان الله سبحانه سيظهر نسلها وقد وهبتها لك فاستوص بها خيراً. اعلام الوری ٢/٤٠.

وهنا نود الاشارة الى الاختلاف في تحديد ميلاد الامام الرضا عليه السلام فقد حصل بين المؤرخين تضارب في تحديد ولادته، ولكن المشهور انه ولد في المدينة في الحادي عشر من ذي القعدة عام ١٤٨هـ.



كنيته وألقابه

كنيته قد عرفت «ابو الحسن»
ألقابه الصابر والرضي
وهو سراج الله بل غيظ العدى
واجمل الألقاب عنده الرضا
قد رضي المخالف الحقود
جاءته فخراً عن ابيه المؤمن
والضامن الفاضل والوفي
وقرة الأعين بل نور الهدى
وهو رضى منه بما جاء القضا
بنهجه والمؤمن الودود^(١)

* * *

(١) من المؤكد ان الامام الكاظم عليه السلام قد كنى ولده علي الرضا عليه السلام بـ«ابي الحسن» وهي ايضاً كنية ابيه الكاظم عليه السلام وجده امير المؤمنين علي عليه السلام وكنية الامام علي الهادي عليه السلام. وقد ذكر العلامة المجلسي عن الامام الكاظم عليه السلام قال: قال الامام الكاظم عليه السلام لعلي بن يقطين: هذا ابني و اشار الى الرضا عليه السلام سيد ولدي وقد نخلته كنيتي. بحار الانوار ٣/١٢. ولما كان الامام الكاظم عليه السلام يُكنى بـ«ابي الحسن» وهذه ايضاً كنية ولده «علي الرضا» فقد قيل للامام الكاظم بـ«ابي الحسن الماضي، او الاول» وقيل للرضا بـ«ابي الحسن الثاني» للتمايز بين الاثنين، ومن المفيد ذكره هنا ان الامام علي الهادي عليه السلام يُكنى بـ«ابي الحسن الثالث».

والقابه كثيرة منها: سراج الله، نور الهدى، قرة عين المؤمنين، الفاضل، الصابر، الوفي، الصديق، الرضا؛ وهو اشهرها.

وبالاجمال فقد اتفق المؤرخون على الألقاب التالية:

الرضا: لأنه كان رضى الله عز وجل في ارضه ورضى لرسوله والائمة من بعده، قيل سُمي بذلك لأنه رضى به المخالفون من اعدائه كما رضى به الموافقون من اوليائه، ولم يكن ذلك لأحد من آبائه، وقيل لأنه رضى بما جاء به القدر.

الصابر: وذلك لشدة صبره على المحن. والزكي: لأنه من اذكىاء البشر. والولي: لعموم ولايته. والوفي: لوفائه لربه وللناس. والسراج: لأنه يُهتدى به. الفاضل: لأشتهاره بالفضل. والصديق: لأنه كالصديق نبي الله يوسف عليه السلام لحصول الولاية له من قبل حاكم عصره.



إمامته

نصبه الكاظم للإمامه بنصبه معظماً مقامه
فقد روى نص الإمام فيه جماعة تنقل عن أبيه
منهم حسين وهو ابن المختار ومنهم «محمد بن عمار»
ومنهم «زياد بن مروان» وثم داود فتى سليمان
قالوا: فمن بعدك فينا يهدي؟ فقال: ذا صاحبكم من بعدي
فهو أحب أهل بيتي عندي وهو وصيي وكبير ولدي^(١)

(١) تعتقد الامامية، مدرسة أهل البيت عليهم السلام: ان الامامة منصب آلهي، وقيادة عامة للمجتمع، وفق احكام الشرع لا يتسنى لأحد ان ينهاها بأختيار شخصي، وهي نص واصطفاء ونصب من الله سبحانه، وعلى هذا الاساس كان تنصيب الامام للذي يلي بعده من الائمة ضرورياً للكشف عن مصاديق هذا الاصطفاء الآلهي والاختيار الرباني.

وقد تظافرت الروايات على تنصيب الامام الرضا عليه السلام قبل ولادته وبعدها بحيث ورد بعضها عن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله بواسطة بعض الصحابة، وبعضها ورد عن طريق آبائه الكرام عليهم السلام ولاسيما جده الامام الصادق عليه السلام وابيه الكاظم عليه السلام.

ومن روى النص على الامام الرضا عليه السلام من ابيه الكاظم عليه السلام جماعة من خاصته وأهل ثقاته محمد بن اسحاق بن عمار، و الحسين بن المختار، وزياد بن مروان النقدي الواقفي، وداود بن سليمان، و محمد بن سنان، وعلي بن يقطين، وتماماً للفائدة نقل هنا اربعة من هذه النصوص الدالة على الوصية بأمامته عليه السلام:

ذكر الطبرسي بسند متصل الى داود بن سليمان قال: قلت لأبي ابراهيم - يقصد الكاظم عليه السلام: اني اخاف ان يحدث حدث ولا القاك فأخبرني من الامام بعدك؟ فقال عليه السلام: ابني علي الرضا عليه السلام. اعلام الوري ٤٦/٢.



⇒
وذكر الطبرسي ثانية بسند متصل الى الحسين بن المختار قال: خرجت الينا الواح من ابي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام وهو في حبس هارون يقول فيها: عهدي الى اكبر ولدي ان يفعل كذا وكذا.

وذكر الطبرسي ايضاً بسند متصل الى محمد بن اسحاق بن عمار قال: قلت لأبي الحسن الاول - يقصد الكاظم عليه السلام - الا تدلني على مَنْ اخذ عنه ديني من بعدك؟ فقال عليه السلام: هذا ابني علي الرضا.

وذكر الطبرسي كذلك بسند متصل الى زياد بن مروان القندي، وكان من الواقعة قال: دخلت على ابي ابراهيم الكاظم عليه السلام وعنده ابو الحسن علي ابنه عليه السلام فقال: يا زياد هذا ابني كتابه كتابي وكلامه كلامي ورسوله رسولي وما قال فالقول فيه.



أخلاقه وعبادته وعلومه

وهو الذي ينشر علم الدين
يبكي لدى المحراب حتى الفجر
وزهده تعرفه الزهّادُ
وكفه أندى من الغمامِ
«الجفر» من علومه الخفيه
دانت له الأمة بالولاءِ
ويبذل الاموال للمسكينِ
وصبره ما مثله من صبر
وذكره تعرفه العبادُ
تمطرُ بالحب على الانامِ
والطبُّ من أسراره المطوية
والحب والتبجيل والثناء^(١)

(١) إطبق اهل التراجم والسير على عظمة الامام الرضا عليه السلام وسموه، وعلو اخلاقه، وكمال صفاته، وشهرة فضائله، فقد عُرف بالزهد، وسعة الصبر، وطول العبادة، وكثرة العطاء. وفي هذا المجال تواترت الروايات في اثبات جملة من فضائل اخلاقه، ونشر إضمامة طيبة من عطر سلوكه واخلاقياته، ومن هذا القبيل ما نقله الشيخ باقر شريف القرشي، عن ابراهيم بن العباس الصولي قوله عن شخصية الامام الرضا عليه السلام: مارأيت ولا سمعت بأحدٍ افضل من ابي الحسن الرضا عليه السلام ماجفا احداً قط ولا قطع على احدٍ كلامه ولا رد احداً عن حاجةٍ وكان يحي اكثر لياليه بالمعروف والصدقة والعبادة. حياة الامام الرضا عليه السلام ٧١/١. وقد تظافرت الاخبار بأن النبي صلى الله عليه وآله املى على الامام علي عليه السلام كتابي الجفر والجامعة وان فيهما علم ما كان وما يكون الى يوم القيامة، ونقل الكليني ان هذين الكتابين وصلا الى الامام الصادق عليه السلام ثم اورثهما الى ولده يتوارثونهما واحداً بعد واحد. سفينة البحار ٤١٠/١ وقال المحقق الشريف في كتابه شرح المواقف: الجفر والجامعة كتابان لعلي عليه السلام ذكر فيهما على طريق علم الحروف الحوادث التي تحدث حتى انقرض الدنيا وكان الائمة من ولده يعرفونهما ويحكمون بهما.



⇒
وقد نقل المفيد بسند متصل الى نعيم القابوسي قال: سمعت ابا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام يقول: ان ابني علي اكبر ولدي، واثرم عندي، وهو ينظر معي في الجفر، ولم ينظر فيه الا نبي او وصي. الارشاد/ ٣٠٥

اما بخصوص علم الامام الرضا عليه السلام بالطب فقد اقر الجمهور له بذلك، فقد املى الامام الرضا عليه السلام للخليفة العباسي المأمون رسالته الشهيرة في الطب «الرسالة الذهبية» والتي منحها المأمون وساماً عظيماً تداولها بين الاطباء، ومنحه عليها لقب «الطبيب» بل صارت محل اعتناء القدامى والمحدثين، والذين تداولوها بالتقدير والتبجيل والثناء والشرح والاطراء.



الواقفة

الا قليلاً منهم توقفا
فشاع أنهم رجال «الواقفة»
فمنهم القندي وابن مروان
وممنهم «علي البطائني»
وابن أبي بشر هو السراج
قد نازعتهم أنفس طمّاعه
لكنما الرضا بما قد وهبا
لم يتزلزل منهجا وموقفا
فقال عنهم قولة موافقه
قد انكروا امامة الرضي
ومن له كل المعالي تشهد
مكارم الاخلاق من عاداته

بالجهل في أمر الرضا ما اعترفا
وهم لعمري قلة مخالفة
ثم الرواسي ابن عيسى عثمان
حيث غدا في ماله كالحائني
ومن له عن الهدى إعوجاج
ان يخرجوا عن منهج الجماعة
من عصمة نيطت على اهل العبا
ولم يعر بالامن قد وقفا
«عاشوا حيارى ومضوا زنادقه»
وهو ابن موسى المبتلى علي
ونحوه خير السجايا تقصد
حتى غدا الزمان من رواته⁽¹⁾

(1) انتقلت الامامة بعد استشهاد الامام الكاظم عليه السلام لولده الكبير علي الرضا عليه السلام وقد دانت له عموم الشيعة بالولاء والطاعة والقبول، لكنه عليه السلام واجه مشكلة خطيرة، وهي توقف جماعة من شيعته في امامته طمعا واخلادا الى الدنيا وابتزازا لما في ايديهم من اموال ابيه الكاظم عليه السلام.

ومن الاحداث التي جرت في عصر الامام الرضا عليه السلام وازعجته الى حد بعيد هي انتشار مذهب «الواقفة» بين صفوف الشيعة، فقد ذهب هؤلاء الى ان الامام الكاظم عليه السلام حي لم يموت والسبب في ذلك ان الامام الكاظم عليه السلام عندما كان في سجن هارون العباسي قد



⇒
نصب وكلاء له لجمع الاموال من الحقوق الشرعية، وقد اجتمعت عند هؤلاء اموال طائفة، فلما استشهد الامام عليه السلام جحدوا موته واشتروا بتلك الاموال ضياعاً، ودوراً، ورفضوا تسليمها الى الامام من بعده ولده الرضا عليه السلام وقام هؤلاء ببث الدعايات، وشراء الضمائر، واضلال الناس.. لكن الامام الرضا عليه السلام تصدى لهؤلاء بمختلف الوسائل حتى انقطع زيفهم وظهر بطلان دعواهم، بل ورجع بعضهم الى الاقرار بأمامته، وفي هذا المجال كتب الامام الرضا عليه السلام عنهم: الواقف حائد عن الحق، مُقيم على السيئة، وان مات كانت جهنم مأواه وبئس المصير. وقال عنهم ايضاً: انهم زنادقة وكفار مشركون ومن ابرزهم الحسن بن مهران، وزيايد بن مروان القندي، وغيرهم.



موقف المأمون

ميراثه من احمد هداه
فعن «أبي الصلت» أتت رواية
إنَّ له المأمون قال مرة
فضلك والعلمُ مع العباده
اراك أنت الكفاء للخلافة
قال الرضا أفخر بالتعبدِ
عن المحارم إرتديت الورعا
ومن علي المرتضى علاه
وياسر الخادم ذي الدراية
وقد بدت في وجهه المسرة
والورعُ الخالصُ والزهاده
بروحك الرقيقة الشفافة
واكتسي بالزهد والتجردِ
للفوز في دنياي والاخرى معا^(١)

* * *

(١) أن اخلاق الامام الرضا عليه السلام وكمالاته قد اعترف بها البعيد والقريب والعدو والصديق ولعل في هذا الاعتراف الصادر من المأمون العباسي ما يدل على عظمة الامام عليه السلام وهذا الاعتراف جاء ضمن مجلس عقده المأمون حيث اكره الامام عليه السلام على القبول بولاية العهد. وقد اشار الى ذلك الشيخ الصدوق حيث نقل لنا بسند متصل الى ابي الصلت الهروي قال: قال المأمون العباسي للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله قد عرفتُ فضلك، وعلمك، وزهدك، وورعك، وعبادتك، وارك احق مني بالخلافة، فقال الرضا عليه السلام: بالعبودية لله عز وجل افتخر، وبالزهدُ بالدنيا ارجو النجاة من شرها، وبالورع عن المحارم ارجو الفوز بالمغائم، وبالتواضع في الدنيا ارجو الرفعة عند الله عز وجل. عيون اخبار الرضا ١/١٥١.



صفاته وسجاياه

وبالتواضع ارتفعتُ شأنًا
ما ردّ يوماً أحداً عن حاجه
ولم يخاصم أحداً أو يعتدي
وعلمه أعظم من أن يخفى
وزدتُ بالقربى ندى وحسنى
ولم يعاند قطُّ في لجاجه
وبالسلام في الطريقِ بيتدي^(١)
قد بلغ الرواةُ عنه ألفاً

* * *

(١) كان الامام الرضا عليه السلام على درجة عالية من الادب، والتواضع، ومكارم، الاخلاق، وكيف لا يكون كذلك وهو سليل النبوة وخلاصة الامامة، ولهذا اقرّ الجميع بفضله وتواضعه وسعة علمه وعظم عبادته وشهرته في الجود والعطاء، وقد اورد المؤرخون في كتبهم المزيد من محاسن اخلاقه، وجلائل فضائله، في جميع مكارم الاخلاق مما يجعل الاعناق خاضعة لعلو مقامه وجميل صفاته.



إحتجاجاته

حاججه الجالوت والروميّ والهريذ الاكبر والصببيّ
لكنه أفحمهم بالحجج وخاض بالعلوم خوض اللجج
وهو ابن نيفٍ وعشرين سنة يروى أحاديث النبي المتقنه
وبعدا يركن للعباده فهي بعنق المتقي قلاده
يُطيلُ في صلاته السجودا ويكثر القيام والقعودا^(١)

* * *

(١) فمن الاحتجاجات ما رووه المؤرخون: من ان المأمون امر الفضل بن سهل أن يجمع له علماء الاديان والفرق والمتكلمين، فجمعهم وأدخلهم على المأمون بأمره، ثم قال لهم المأمون: إنما جمعتمكم لخير واحببت ان تناظروا ابن عمي هذا المدني، القادم عليّ، فإذا كان بكرة فاغدوا عليّ ولا يتخلف منكم احد.

قام الإمام عليه السلام بالرد على جميع ألوان الانحراف الفكري من أجل اضعاف جبهة الانحراف والمنحرفين، وكان يستهدف الافكار، والاقوال تارة، كما يستهدف الواضعين لها، والمتأثرين بها تارة أخرى.

ففي رده على المشبهة قال عليه السلام: الهي بدت قدرتك، ولم تبدِ واهية فجهلوك، وقدروك والتقدير على غير ما به، وصفوك واني بريء يا الهى من الذين بالتشبيه طلبوك ليس كمثلك شيء.

وفي رده على المجبرة والمفوضة قال عليه السلام: من زعم ان الله يفعل افعالنا ثم يعذبنا عليها، فقد قال بالجبر، ومن زعم ان الله عزوجل فوض أمر الخلق والرزق الى حججه عليهم السلام، فقد قال بالتفويض، والقائل بالجبر كافر، والقائل بالتفويض مشرك.

وله ردود عديدة على الغلاة والمجسّمة واصحاب التفسير بالرأي والقياس، كما ان له ردوداً على الفرق غير الاسلامية كالزنادقة واليهود والنصارى والصابئة وغيرهم.



كرمه وسخاؤه

ويكثر الأذكار والتلاوة
مقدم بالجوود والسخاء
فقد أجاز «دعبل الخزاعي»
اعطى «أبا نؤاس» ما اعطاه
ومعتقاً الفأ من الرقيق
يدعو مواليه الى الطعام
وعندهم يجلس في تواضع
ويكرم الاضياف في حفاوة
والعطف والاكرام والعطاء
بستمائة كما الشعاع
ما انقطعت من الندى يده
في زمن العسرة أو في الضيق
بالحب والرحمة والاكرام
يتلو من الآيات والشرائع^(١)

(١) ان الشعر العقائدي يُعطي للعقيدة زخماً وطاقة للثبات والتحدي والانتشار ومن هذا المنطلق سعى الامام الرضا عليه السلام لأكرام الشعراء ذوي العقيدة الخالصة والمباديء الحقّة ولعل من ابرزهم دعبل الخزاعي، صاحب القصائد الفاخرة في حضرة الامام عليه السلام ولاسيما «تائيته» ذائعة الصيت وكذلك ابو نؤاس صاحب المقطوعات الفاخرة في مدح الامام الرضا عليه السلام وكذلك الصولي وغيرهم، وقد وذكر المؤرخون صوراً رائعة لموقف هؤلاء الشعراء في حضرة الامام عليه السلام ولاسيما دعبل الخزاعي، حيث انشد تائيته العصماء في حضرة الامام عليه السلام وابكاه مما ادى بالامام الى اكرامه بـ ٦٠٠ درهم وجبة من الخبز، وكذلك اكرام ابي نؤاس صاحب المقطوعة الهائية الشهيرة، وسنشير الى المزيد من ذلك لاحقاً. ومن المفيد ذكره هنا هو الخلط والاشتباه في الشاعر ابي نؤاس الذي نقصده في اكرام الرضا عليه السلام له، فقد يتوهم البعض انه هو ابو نؤاس المشهور صاحب الديوان وممن مدح هارون العباسي وعُرف بالخمور والفجور والخلاعة والذي يُعرف عند الائمة عليه السلام بأسم «ابو نؤاس الباطل».



⇒ فالشاعر ابو نؤاس المقصود اولاً والذي اكرمه الامام الرضا عليه السلام وهو صاحب الهائية المشهورة هو سهل بن يعقوب بن اسحاق الامامي الشيعي، وهو ممن اختص بالامام الصادق والكاظم، والرضا، والهادي عليهم السلام وكان يتشيع، وقد اشار اليه الشيخ الطوسي في كتابه الرجال وكان الامام الرضا عليه السلام وقيل الامام الهادي عليه السلام قد قال له: انت نؤاس الحق ومن تقدمك الباطل.

وهو صاحب هذه الابيات الطائرة في الآفاق في حق الرضا عليه السلام:

قيل لي انت اوجدُ الناس طُراً	في فنون من الكلام النبيه
لك من جوهر الكلام بديع	يثمر الدرّ في يدي مجتنيه
فعلام تركت مدح ابن موسى	والخصال التي تجمعنّ فيه
قلت لا اهتدي لمُدح امام	كان جبريل خادماً لأبيه

وقد اورد هذه الابيات الشيخ الصدوق في عيون اخبار الرضا، وكان الشيخ المحقق عباس القمي هو اول مَنْ نَبّه على هذا الخلط والاشتباه في كتابه الكنى واللقاب، و اشار الى وجود اثنين من الشعراء بأسم «ابو نؤاس» وان «ابو نؤاس الباطل» هو المشهور في عهد هارون وكان معروفاً بالفجور، والخمر، وان صاحبنا شاعر الرضا عليه السلام هو «ابو نؤاس الحق» وهو صاحب الهائية انفة الذكر.

ونود هنا ان نشير الى اننا سنشير في هذه التعليقات في غير هذا المكان لما يقع فيه الخلط والاشتباه مما له علاقة بالامام الرضا عليه السلام وخاصة عندما نتطرق لما يُعرف بـ «سليمان المروزي» وكذلك معروف الكرخي.



زهدُ الواعي

يجلسُ في الصيفِ على حصيرٍ وزادهُ قرصٌ من الشعيرِ
يلبسُ تحت ثوبه المسوحا بذاك كان الزاهدُ الممدوحا
وحين حاججته أهلُ النقدِ معترضين نهجه في الزهدِ
قال: انظروا يوسفَ من فرعونِ منعماً غداً بكل لونِ
لكنه يحكم بالعدل وما يخاف بالحكم سوى ربّ السما
مَنْ حرّم الزينة للعباد والطيبات من لذيذ الزاد
فالطيبُ لا يَخْدشُ بالتواضع وهو الذي أُستحبَ في الشرائع
والاصلُ في الزهد عفافُ النفسِ لا الرث في «الزي» ولا في اللبسِ^(١)

* * *

(١) ومن صفات الامام الرضا عليه السلام الزهد في الدنيا، والاعراض عن مباحجها وزينتها، وقد تحدث عن زهده محمد بن عباد حيث قال: كان جلوس الرضا عليه السلام على حصيرة في الصيف، وعلى مسح في الشتاء، ولباسه الغليظ من الثياب حتى إذا برز للناس تزيًا. والمسح: هو الكساء من الشعر.

والتقى به سفيان الثوري، وكان الإمام عليه السلام قد لبس من خز، فأنكر عليه ذلك وقال له: لو لبست ثوباً أدنى من هذا. فاخذ الإمام عليه السلام يده برفق، وأدخلها في كُمه فإذا تحت ذلك الثوب مسح، ثم قال له: يا سفيان! الخز للخلق، والمسح للحق...

وحيثما تقلد ولاية العهد لم يحفل بأي مظهر من مظاهر السلطة، ولم يقيم لها أي وزن، ولم يرغب في أي موكب رسمي، حتى لقد كره مظاهر العظمة التي كان يقيمها الناس لملوكهم ولم يكن شيء في الدنيا أحب إلى الإمام الرضا من الإحسان إلى الناس، والبر بالفقراء والمساكين. وقد ذكرت بوادر كثيرة من جوده وإحسانه. اعلام الهداية ١٠/٢٧-٢٨.



مناظراته العلمية

وكان في مناظرات العلماء
فذا سليمان المروزي وقد
فقال قد عجبت من علي
يفند الخصوم والمخالفات
ينشر نهج الحق في حكيمته
ويقرأ الانجيل والزبور
يحاجج اليهود والنصارى
ثم غدا حوارهم ايماناً
قد استطال رأيه وحجته
قوية حجتة مقدمات
أهاله الذي رأى وما شهد
وانه أعلم هاشمي
وينصر المؤمن والمؤلفات
وينقذ المهوف في دعوته
ويعرف الخفي والمستورا
حتى غدا عنادهم حواراً
مذ عرفوا الايات والقرآناً
وكان إن دعا أستجيب دعوته^(١)

(١) نقلت المصادر المعتبرة ان المأمون العباسي قد جمع الامام الرضا عليه السلام مع كبراء اهل العلم والفن لغرض تعجيزه واظهار فشله امامهم، وقطع حجته في العلم ولكن الامام عليه السلام تصدى لهؤلاء جميعاً، حتى اظهر الحق، ودحض حججهم وافشل مسعى المأمون في ذلك. ونقل المؤرخون: ان سليمان المروزي، هذا هو من كبار علماء خراسان في الفلسفة والمباحث الكلامية، وقد استقدمه المأمون لقطع حجة الامام الرضا عليه السلام وسرعان ما اقر سليمان بالعجز والخذلان امام ادلة الامام عليه السلام وقوة علمه، وصواب اجوبته، مما جعله يعترف بأعلمية الامام عليه السلام والاشارة به حين التفت الى المأمون قائلاً له: والله ما رأيت عالماً في بني هاشم مثله.

وقد ايده المأمون على ذلك بقوله: يا سليمان هذا اعلم هاشمي.



⇒ وكما اشرنا من قبل بخصوص دفع الخلط والاشتباه مما نبهنا عليه، نوذّ الاشارة هنا الى ان سليمان المروزي، هذا الذي ناظر الامام عليه السلام هو سليمان بن صالح المروزي المتكلم الخراساني، الذي روى عنه البخاري، والنسائي في صحيحهما، كما قال بذلك الشيخ النمازي في مستدرك سفينة البحار، والدليل على ذلك ما نقله الذهبي في كتابه سير اعلام النبلاء حيث جاء قال:

سليمان بن صالح الليثي المروزي، الحافظ، المعمر، عاش مائة سنة، وكذلك ما نقله ابن حجر، في كتابه تهذيب التهذيب انه قال: سليمان بن صالح الليثي المروزي، وجاوز عمره مائة سنة.

وقد اشرنا الى ذلك للتمييز بينه وبين «سليمان بن حفص المروزي» الشيعي الذي ورد في بعض كتب المؤرخين والفقهاء، مثل كامل الزيارات لابن قولويه، وكتاب الكافي للكليني، وكتاب عيون اخبار الرضا للصدوق وغيرها..

كما ويوجد هناك صاحبان شيعيان بهذا الاسم، وكانا معاصرين للكاظم، والرضا، والهادي عليهم السلام وهما سليمان بن جعفر المروزي، و سليمان بن داود المروزي. لذا ذكرنا من ذكرنا هنا، لغرض التوضيح ودفع الخلط والاشتباه.



صلاة الاستسقاء

وذاث يوم شحّت السماءُ
وجفت الضروع والانهارُ
ففرع الناسُ الى ابن موسى
يدعون يا ابن المصطفى وابن علي
جننا وفينا حاجةً للمطرِ
وما سواك شافع مشفعُ
صلّ بنا صلاة الاستسقاء
فاليوم يوم الجمعة المباركه
فقال: في الاثنين سوف نخرجُ
فانتظر الجمعُ لذاك اليومِ
وخرج الناس الى الصلاةِ
مدّ يديه للدها وقالا
وانت عظمت لنا الحقوقا
وهولاء أمة عطاءشى
توقعوا نعلمك الوفيره
يا رب فاسقمهم بغيثِ هاطلِ
بقطرها وانقطع الرجاءُ
وعطش الصغار والكبارُ
تهطع عند بابهِ الرؤوسا
وابن الهدى وابن الكرام الأولِ
جننا الى الاطهر وابن الاطهرِ
وما سواك ملجا ومفزع
واخرج بنا اليوم الى الصحراء
لأمة كادت تضيع هالكه
وبالدها والذكر سوف نلهجُ
ما بين صبر صادق ولومِ
وقام فيهم سيد الهداه
يا ربّ انت تسمع المقالا
وانت أوضحت لنا الطريقا
قد فقدوا يا ربي المعاشا
والخير من سمائك المطيره
فانت من اعطيت كل سائلِ



وراح يدعو الله في خشوع
 فلم تمرَّ غيرُ بضعِ ساعه
 واجتمع الغيمُ وطَبَّقَ السما
 وانفتحت سحائبُ الامطارِ
 وامتئت شواطئُ الغدرانِ
 حتى تنادى الناس هذا الكرمُ
 كرامة ليس لها مثيلُ

وامتئت خداهُ بالدموعِ
 حتى بدت في الأفقِ التماعه
 وما رميتَ انما الله رمى
 تهطل بالماء على البراري
 وفاضت الانهارُ في الوديانِ
 هذا ابن موسى الطاهرُ المقدمُ
 الا الذي قام به الرسولُ^(١)

* * *

(١) ان قضية حبس السماء مطرها لذنوب اجترحتها العباد، انما وقعت مرات عديدة في تاريخ الاسلام الطويل، فقد حصلت ايام الخليفة الثاني فاستسقى العباس عم النبي ﷺ فجادت السماء بمطرها، وحصلت ايضاً ايام رسول الله ﷺ عندما كان واقفاً بعرفات وهو يهم السير نحو مزدلفة، وهناك دعا رسول الله ﷺ بدعاء الاستسقاء حتى انفرجت السماء بماء منهمر، وحصلت ايضاً ايام الامام الرضا ﷺ حيث ورد في المصادر التاريخية ان السماء حبست مطرها ايام تولية الرضا ﷺ لولاية العهد، مما جعل بعض ضعاف النفوس يرجعون ذلك الى تولية الرضا ﷺ وانه السبب في ذلك، فأشار عليه المأمون ان يخرج يوم الجمعة للاستسقاء، لكن الامام الرضا ﷺ اصر على يوم الاثنين مؤكداً للمأمون انها سنة عمل بها جده رسول الله ﷺ وامير المؤمنين علي ﷺ وفعلاً خرج ﷺ وهناك دعا بدعاءً عظيم استهلته به السماء وابل مطرها، وانفرجت ابواب السماء بماءٍ منهمر حتى عُدت هذه من كرامات الامام المشهورة.



دعاؤه في عرفات

وكان يوماً واقفاً في عرفه
فقام يدعو والدموعُ تهطلُ
طأطأ رأسه حياءً وبكى
ثم دعا بدعوة النبيّ
مردداً أضحّت وربّي هالكه
قد استجاب الله في دعائي
قال: الرواة ثم لم نلبث سوى
وهكذا كان دعاء البرره
ينوي بأن يسيرَ للمزدلفه
يُمجّدُ الله ومنه يسألُ
ومدّ كفاً للسماء واشتكى
وبدعاء المرتضى عليّ
فقبل مَنْ فتمتم «البرامكه»
فاصبحوا في الحبس والبلاء
يومين حتى مجدهم قد انطوى
إذا دعوا على الطغاة الفجره^(١)

(١) إشرنا في القسم التاسع من حياة الامام الكاظم عليه السلام ضمن هذه الملحمة المباركة الى دور البرامكة السليبي تجاه الامام الكاظم عليه السلام سابقاً، وتجاه ولده الرضا عليه السلام فيما بعد، وقد عُرف هؤلاء بالحق، والعداوة لأهل البيت عليهم السلام وكان الامام الرضا عليه السلام كثيراً ما يدعو عليهم حتى استجاب الله سبحانه دعائه، فطوي مجدهم، ومسحت آثارهم، ومزقهم كل ممزق بين قتل، وسجن، وبلاء، وتعذيب، وهذا يشير الى الحكمة القرآنية في قوله تعالى ﴿والعاقبة للمتقين﴾ إضافة الى اللطف الالهي في استجابته تعالى لدعاء الامام الرضا عليه السلام عليهم، حيث ذكر الشيخ الصدوق: بسند متصل الى مسافر قال: كنت مع ابي الحسن الرضا عليه السلام بمغنى، فمرّ يحيى بن خالد البرمكي، مع جماعة من قومه، فقال الرضا عليه السلام مساكين هؤلاء لا يدرون ما يحل بهم هذه السنة، ثم قال: واعجب من هذا انا وهارون كهاتين، رضم اصبعيه. قال مسافر: فوالله ما عرفت معنى حديثه حتى دُفن هو وهارون سوية.

ينقل كذلك الشيخ الصدوق بسند متصل الى محمد بن الفضيل قال: كان ابو الحسن الرضا عليه السلام واقفاً بعرفة يدعو ثم طأطأ رأسه فلما سُئل عن السبب قال: كنت ادعو الله على البرامكة بما فعلوا بأبي الكاظم عليه السلام فأستجاب الله لي اليوم فيهم فما انصرف الا ليلاً حتى بطش هارون بآل برمك مبتدأ بجعفر بن يحيى وحبس اباه ونزل بهم ما نزل.

عيون اخبار الرضا ٢/٢٤٠.



حكام عصره

وحيثُ عاصر الرضا هارونا
وكان عانى منهم ما عانى
وتابعته أعين الطغاة
فقد شكاه الحاقد «الزيري»
قد كاتب الرشيد يشتكيه
قد فتح الابواب للثوار
وقد شكته زمرة البرامكة
أفضعهم يحيى هو ابن خالد
وكان مبغضاً لأهل البيت
يسعّر الحرب على ابن موسى
وعاصر الأمين والمأمونا
وكابد الهموم والاحزاننا
بالظن والتهمة والسُعاة
وهو الذي ليس به من خير
ان الرضا على خطى أبيه
ثم ادعى لنفسه بالثار
وهي التي درب الضلال سالكه
وكان فيه خلق المعاند
يمزج نار حقه بالزيت
وبالشكوك يُوغر النفوسا^(١)

(١) عاصر الامام الرضا عليه السلام بقية حكم هارون، وحكم الامين، وحكم المأمون، وقد لاقى الامام عليه السلام ما لاقى من العنت، والاذى، والمراقبة الشيء الكثير من هؤلاء الحكام، وقد جعلوا عليه، ولا سيما من هارون السعاة، والعيون، لمراقبة تحركاته وافعاله، وقد نقل أهل السير والتاريخ الافعال الشنيعة لجماعة من هؤلاء السعاة، ومنهم يحيى البرمكي، وبكار الزيري، وغيرهم. وفي هذا المجال ينقل الصدوق: ان بكار الزيري قد ظلم الامام الرضا عليه السلام في شيء، فدعا عليه الامام عليه السلام فسقط عليه حجر من القصر فقتله، وكذلك حصل لابيه عبد الله بن مصعب الزيري، حينما قال لهارون ان الرضا عليه السلام يريد الخروج عليك لكن الله سبحانه عاجله بالعقوبة فحم من وقته، ومات بعد ثلاثة ايام، وحُسف قبره مرات كثيرة. عيون اخبار الرضا ٢/٢٤٣.



⇒ كما ذكر ايضاً الشيخ الصدوق بسند متصل الى جعفر بن يحيى البرمكي قال: سمعتُ يحيى بن جعفر يقول لهارون حينما توجه من الرقة الى مكة: اتذكر يمينك التي حلفت بها في آل ابي طالب فأنتك حلفت ان ادعى احدٌ بعد موسى بن جعفر عليه السلام الامامة ضربت عنقه وهذا علي الرضا ابنه يدعي هذا الامر، فنظر اليه هارون مغضباً وقال له: وما ترى اتريد ان اقتلهم جميعاً؟ قال موسى بن مهران: فلما سمعت ذلك صرتُ الى الرضا عليه السلام واخبرتهُ بذلك فقال عليه السلام: مالي وماهم لا يقدرون على ذلك ابداً. عيون اخبار الرضا ٢/٢٤٦



نبوءة الرضا عليه السلام

فأقسم الرشيدُ أن يقتلهُ وفي حياضٍ حتفه يُنزله
ووصل التهديدُ للإمامِ فأبسمَ الطاهرُ للكلامِ
وقال: ليس ذاك له يكونُ تدركهُ من قبلي المنونُ
وجنبهُ والله سوف أُدفنُ وذاك والله لسرٍّ مُعلنُ^(١)

* * *

(١) وكان الامام الرضا عليه السلام يُعلن مراراً ان هارون سيموت قبله وسيُدفن معه وهذا ما حصل بالفعل، وهذا من كراماته الظاهرة، وفي هذا المجال اورد الصدوق بسند الى موسى بن مهران قال: رأيت علي بن موسى الرضا عليه السلام في مسجد المدينة وهارون يخطب فقال عليه السلام اتروني واياه سُنُدفن في بيت واحد؟. عيون اخبار الرضا عليه السلام ٢/٢٤٧.

وفي ذات مرة، خرج هارون من المسجد الحرام من باب، وخرج الإمام عليه السلام من باب آخر فقال عليه السلام: يا بعد الدار وقرب الملتقى ان طوس ستجمعني واياه. عيون اخبار الرضا عليه السلام ٢/٢١٦.
وقال ابن حجر: اخبر بأنه يموت قبل المأمون، وأنه يدفن قرب الرشيد فكان كما أخير.
عيون اخبار الرضا عليه السلام ٢/٢١٦.



ثورة محمد بن جعفر الصادق عليه السلام

و حين قامت ثورة ابن جعفر
فأرسل الرشيد جيشا ظالما
وقتل الثائر فيها صبورا
ونهبته دور لآل هاشم
ووصل النهب الى دار الرضا
فوقف الامام عند الباب
وقال: هيهات تمّد كف
فدون ذاك مهجة لا تأبي
ثم مضى يجمع الحلياً
ثم وأعطى كل ما في الدار
سوى ثياب خلقات عدّه
عانى بها الامام كل هول
محمد ابن الطاهر المطهر
ليحصد الرقاب والجماجم
وراح لله شهيداً حرا
والسادة الاطايب الاعظام
وذاك أنكى ما جرى فيه القضا
يذود عن حرائر الاطياب
الى بنات أحمد أو سيف
بأن تراق بالسيوف ضربا
يشبه صبوراً جده عليا
ولم يدع شيئاً على الجواري
وياله من محنة وشده
بعزة تفوق كل قول^(١)

(١) شهدت اواخر ايام خلافة هارون، واوائل خلافة المأمون؛ قيام عدة ثورات علوية ضد الظلم والفساد في ذلك الزمان، فقد ذكرت المصادر التاريخية: ان محمد بن الامام الصادق عليه السلام كان رجلاً، فاضلاً، سخيّاً، عابداً، عالماً، راوياً للحديث، اضافة الى شجاعته، وقد بايعه اثناء ثورته جماعة من آل ابي طالب بالمدينة على امارة المؤمنين، وكان يُلقب «بالديباج» لحسنه، وجماله، وقد توجه ايام ثورته الى مكة، ومعه جماعة من العلويين، واشتبكوا بقتال مع واليها هارون بن المسيب، وقيل بل مع عيسى بن يزيد الجلودي، وكبدوا جيشه الكثير من القتلى، وسرعان ما طلب الجلودي من الامام الرضا عليه السلام وهو في



⇒ المدينة ان يكتب بكتاب الى محمد بن الصادق عليه السلام يعرض عليه الصلح، لكن محمد رفض ذلك، وسرعان ما ارسل مدد جديد للجلودي، حيث حوصر الثائر محمد، وانصاره في جبل كان هناك، ودام الحصار ثلاثة ايام سرعان ما نفذ ما معهم من المؤن، وبدأ اصحابه يذهبون هنا وهناك مما حدى به الى عقد صلح امان مع الجلودي، وقد قام هذا الاخير بأخذهم اسارى الى المأمون، وكان والياً في خراسان، وهناك مات هذا الثائر صبراً، وهو حرّ، وقد شيعة المأمون اثناء دفنه، وكان هارون العباسي قد ابلغ الجلودي ان يهاجم دور آل ابي طالب بالمدينة، وان يسلب نسائهم، ففعل الجلودي ذلك.

وحين توجه الى دار ابي الحسن الرضا عليه السلام وهجم على البيت فتصدى له الامام عليه السلام وامره بالبقاء خارج البيت على ان يعطيه ما يريد، وفعلاً سلمه الامام عليه السلام كل الحلي والثياب التي بحوزة العلويات، ولم يترك سوى شيئاً يسيراً، وهو يتجلد صبراً بما فعل الظالمون، وكم عانى الامام الرضا عليه السلام من هذه الحادثة، واصابته الآلام على اثرها، لكن الله سبحانه كان بالمرصاد للظالمين، اذ سرعان ما وصلت ولاية العهد للامام الرضا عليه السلام وكان المأمون آنذاك غاضباً على الجلودي لأمر ما، فأدخل الجلودي على المأمون، وكان الرضا عليه السلام جالساً، ولما كان اهل البيت عليهم السلام اهل عفو وتسامح، وهذا هو ديدنهم، فقد همس الامام بأذن المأمون بالعفو عنه، فظن الجلودي ان الامام يُشير على المأمون بقتله، فقال الجلودي للمأمون: بالله عليك لا تسمع كلامه، وهنا قال المأمون: والله سوف لا اسمع كلامه اذ امرني بالعفو عنك، وسرعان ما قتله ﴿وما كان ربك بظلام للعبيد﴾.

مقاتل الطالبين / ٣٥٣، تاريخ يعقوبي ٤٤٨/٢.



نهاية هارون وصراع الأخوة

و حين هارون طوى أسيافه
في الشام والعراق حتى المغرب
ثم الى المأمون بعد النزق
فأشتعلت بالفتنة النفوس
فجهزت بغداد جيشاً غاضبا
وجّهزت فارس جيشاً ثان
فأنهزم الامين في بغدادا
وشاهدت بغداد يوماً أسودا
فالقتل والسلب غدا شعارا
ثم إنتهى الحصار بالقبض على
وزج في السجن بغير رحمه
وبعدھا ذات مساء قتلا

أوصى الى الامين بالخلافه
فأرتجفت خوفاً وجوه العرب
من همدان الفرس حتى المشرق
وأوقدتھا العُربُ والمجوسُ
تطمحُ ان ترى الامين غالباً
لعلھا تغلبُ بالطعان
مُحاصراً قد ترك الجلادا
وهامت الناس على غير هدى
لألف سيفٍ ينشرُ الدمارا
خليفة ما طاب يوماً عملاً
من فتنةٍ ضيع فيها الامه
ورأسه الى أخيه حملاً^(١)

(١) نقل اهل السير والتاريخ ان هارون العباسي، وقد عهد بولاية العهد لابنه محمد الامين، وكان آنذاك في بغداد، ثم للمأمون، وكان آنذاك والياً على خراسان، وكان الامين ثاني خليفة هاشمي من الهاشمين بعد الامام علي بن أبي طالب إذ كانت امه «زبيدة» علوية، وقد وصفه السيوطي بأنه كان شاباً قوي الساعد، وكان سيء التدبير في امور الخلافة، كثير التبذير، ارعن، ضعيف الرأي في امور السياسة، اذ سرعان ما قام بعزل اخيه القاسم



⇒ عما كان ولاه ابوه من قبل، ثم خلع اخاه المأمون من ولاية العهد، وعين ولده موسى بدلاً عنه عملاً باغراءات جماعة من العرب والمجوس، ثم اقدم بجيش يقوده طاهر بن الحسين، فكانت الغلبة لجيش المأمون الذي دخل بعد ذلك الى بغداد، واعمل فيها القتل، والفساد، وحوصرت خمسة عشر شهراً، وبعد ان علم الامين بأنهيأ جيشه، وهروب اعوانه ركب قارباً مع جماعة، وهرب ولكن قبض عليه فيما بعد، وحُبس عند جماعة من الملاحين ليلتين، ثم دخل عليه جماعة من الاعاجم فضربوه بالسيف، ثم ذبحوه، واخذ رأسه الى اخيه المأمون، ثم جُرت جثته بجبل، وكانت نهاية الامر ان يبيع للمأمون بالخلافة.

وكانت مدة خلافة الامين حسب رواية اليعقوبي في تاريخه اربع سنين وسبعة اشهر وعدة ايام، وكان عمره يوم مقتله ٢٧ سنة، لكن الشيخ عباس القمي يقول في كتابه تنمة تواريخ الخلفاء: وكانت مدة حكمه حتى يوم مقتله ما يقرب من خمس سنوات وكان سنه ٣٣ سنة قضاها باللهو واللعب والطرب.

ونقل السيوطي قول هارون في ولده الامين: اني لأعلم انه - اي الامين - منقاد الى هواه مبذر لما حواه ويشاركة في رأيه النساء والاماء. تاريخ الخلفاء / ٣٠٧.



بيعة المأمون

وبايع الناس الى المأمون بالخوف والاغراء والظنون^(١)

* * *

(١) استلم المأمون زمام الحكم بعد حرب دامية استمرت خمس سنين قتل فيها آلاف القادة والجنود، وحدث تفتت في التحالف العباسي وانقسم الى قسمين، مؤيدين، ومعارضين لحكم المأمون الذي قد حدث فيه انفراج سياسي للإمام الرضا عليه السلام ولاهل بيته بعد اربع سنين، فكان الإمام عليه السلام يتحدث بحرية تامة، ويتحرك في دائرة أوسع من قبل، وهي دائرة البلاط الحاكم لاتصاله بالوزراء، والقادة مباشرة.

والمأمون كوارث لأبيه وأجداده لم يستطع ان يخرج عن النهج السياسي السابق إلا في حدود ضيقة، وكان كسابقه يوطر حكمه باطار شرعي مقدس، وهذا يظهر من الكتب والمخاطبات التي وجهت إليه، ومنها ما كتبه اليه طاهر ابن الحسين، قائد الجيش الذي قتل أخاه الأمين حيث جاء فيه:

قد قتل الله المخلوع، واسلمه بغدره ونكته، واحصد لأمير المؤمنين أمره، وانجز له ما كان ينتظره من سابق وعده، والحمد لله الراجع الى امير المؤمنين حقه، الكائد له فيمن خان عهده، ونقض عقده، حتى ردّ به الالفه بعد فرقتها، وجمع له الامة بعد شتاتها، فأحيا به اعلام الدين بعد دثور سرائرها. اعلام الهداية ١٠/١١٨.



انتفاضات الاقاليم

وانتفض الثوارُ في الأفاقِ
نصر بن سيارٍ بأرض الشامِ
وفي الحجازِ ثار ابراهيمُ
وزيدُ النارِ بأرضِ البصره
فارتعدت قوائم الخلافه
أن يذهب السلطانُ من يديه
فراح يقضي الليل بالتفكيرِ
وحوله جمعٌ من الرجالِ
فشيعه العراقِ في وثوبِ
وثورة الاطرافِ ليست تنطفي
وصار في غمِ بنو العباسِ

في الشام والحجازِ والعراقِ
وأبن طباطبا من الاعلامِ
وهو ابن موسى والفتى الحكيمِ
وخلفهم من الرجالِ كثره
واصبح المأمونُ في مخافه
وأن يعودَ حسرةً عليه
خوفاً على نهايةِ المصيرِ
يقلبون الأمرَ بالاقوالِ
وشيعه الحجازِ في حروبِ
والضعف صار ليس بالامرِ الخفي
وأبتعدت عنهم وجوه الناسِ^(١)

(١) ذكر اهل التراجم والسير ورواة التاريخ سمات عصر المأمون العباسي الايجابية، لكنهم تغاضوا، او تكتموا نوعاً ما عن افعاله السلبية سواء على الصعيد السياسي، او الاقتصادي، او الاخلاقي، وربما كانت هذه الافعال هي الدافع الاساسي لقيام جملة من الثورات في جميع نواحي العالم الاسلامي آنذاك ضد سلطته الجائرة، واجمالاً يمكن تسجيل عدة سمات صبغت حكم المأمون، وأدت الى قيام هذه الثورات:

أولاً: عُرف المأمون بالغدر، ولا سيما مع الامام الرضا عليه السلام وجميع خصومه السياسيين كأخيه الامين، و عبد الله بن موسى الهادي، واسحاق بن موسى، وحميد الطوسي ووزيره الفضل بن سهل.



⇒ ثانياً: ميله الى الدنيا، واللهو، والولع بالشطرنج، وبالموسيقى، وشرب الخمر، وكان يقيم في قصره مجالس الغناء، والطرب، وهو القائل: «الذ الغناء ما اطرب السامع» اضافة الى منادته للسُّفَل، والساقطين، كما فعل لما اتخذ القاضي يحيى بن اكثم قاضي الخلافة العباسي نديماً له بعد عزله عن قضاء البصرة، وكان هذا معروفاً بالفجور.

ثالثاً: تظاهره أمام العلويين بالتشيع، حتى انطلقى هذا الامر على بعض من المؤرخين.
رابعاً: استعماله القسوة المفرطة ضد خصومه، ومنهم أخوه الامين، وجماعة من آل ابي طالب المعارضين لسلطانه.

خامساً: الفساد الاقتصادي الذي كان سائداً آنذاك حيث قال السيوطي في تاريخه، انه نذر كثيراً من اموال الخلافة على اللهو، ومتع الدنيا.

سادساً: انتشار الفقر والعوز بين الناس في عهد خلافته، واندمار الشريحة في المجتمع لاهمال مقصود، وشيوع الجور والظلم في بعض مناطق العلويين، كما حصل في الكوفة وجور واليهما.

سابعاً: غلبة الدهاء والحيلة على سلوكه وتصرفاته مما جعله غير مأمون الجانب، خاصة من لذين يعرفونه، ولعل هذا الامر يبدو ايضا عندما بدأ بتصفية خصومه، ومنهم الامام لرضاء عليه السلام والفضل بن سهل وزيره.

كل هذه الامور وغيرها ادت الى ان تتعرض سلطته لهزات عنيفة هنا وهناك قام بها ثوار بالاخص العلويين، ولعل منهم ابو السرايا، وكان رجلاً شجاعاً خرج في الكوفة سنة ١٩٠هـ ودعا الناس الى بيعة محمد بن ابراهيم بن اسماعيل طباطبا، وواكب ثورته تلك ورة محمد بن الامام جعفر الصادق عليه السلام بالمدينة، وفي الحجاز ثار ابراهيم بن الامام موسى كاظم عليه السلام في حين ثار بالبصرة زيد بن الامام موسى الكاظم عليه السلام وقام بأحراق دور بني عباس، لذا لقب بـ«زيد النار» ويكنى بأبي الفضل، وله مرقد ومزار كبير في محافظة ديوانية، وقد عفا عنه المأمون بشفاعة الامام الرضا عليه السلام الذي أنبه كثيراً على افعاله، كل هذه الثورات وغيرها جعلت المأمون في غم وتفكير خوفاً من انهيار سلطانه.



بيعة الرضا عليه السلام

ولم تكن من حيلةٍ مخيفه
وقُطع الأمرُ بأشخاص الرضا
فكتب المأمون يستدعيه
فاعتذر الامام أي عذرٍ
حتى اذا أيقن لن يكفاه
فحمل الأمام بالنفائسِ
مودعاً قبر النبي المصطفى
وجاد في اهليه بالاموال
غير اختيارٍ للرضا خليفه
الى خراسان بأمرٍ قد قضى
وبارتقاء عرشه يُغريه
كي يتقي منه وجوه الشرِ
أجابته لما يريدُ عسفاً
على طريق بصرةٍ وفارس
وأهله المستكملين الشرفا
يقول لن أعود للعيال^(١)

(١) لقد حصل في عهد خلافة المنصور اضطراب في الوضع السياسي، حيث انه عاش صراعاً مريراً للقضاء على اخيه الامين، وما نتج عن ذلك من استياء بقية انصار الامين من العباسيين، لكنه سرعان ما فوجئ بعدة ثورات وحركات مسلحة علوية في جميع الامصار الاسلامية، مما جعل المأمون يفكر في مشروع سياسي ينطوي على دهاء بعيد يستهدف اولاً حركة الامام الرضا عليه السلام وتطويقه، وثانياً كسب ودّ العلويين، ولا سيما الثائرين منهم وتثبيط عزائمهم، وامتصاص نقمة الكثيرين منهم، اضافة الى التشبّه بالعدل و اشاعة السلام، فعمد الى فكرة ولاية العهد، او اشراك الامام الرضا عليه السلام بالسلطة العباسية عكس ما فعل اجداده من قبل.

وعلى العموم يمكن اجمال اهم الاسباب التي ينطوي عليها هذا الفعل السياسي.
أولاً: الايحاء لجماعات الشيعة ولا سيما الثائرة منها ان الخلافة قد رجعت اليهم عن طريق اشراك كبيرهم الامام الرضا عليه السلام بعد سنوات من الغصب، والقتل، والابعاد، وبالتالي فلا حاجة للثورة ضده، وفي نهاية المطاف يكون قد انتهى اقوى معارضة سياسة لسلطانه.



ثانياً: محاصرة الامام الرضا عليه السلام في البلاط، وبالتالي تحجيم دوره العلمي، والديني، والسياسي، ومعرفة قواعده، وانصاره، وتحركاته.

ثالثاً: التمويه على الناس ان المأمون العباسي شيعي الهوى والتوجه، ومحباً لأهل البيت عليهم السلام اضافة الى ما رافق هذا من اعلام مضلل عملت سلطته آنذاك على نشره بين الناس.

رابعاً: اعادة السيطرة والقوة لسلطته المهتزة وبالتالي انهاء خصومه من غير العلويين.

خامساً: تشويه سمعة الامام الرضا عليه السلام من اشراكه بالسلطة، وانه رجل دنيوي راغب فيها، بدليل قبولها على حساب ما اشيع عنه وعن اهل البيت عليهم السلام كونهم زاهدين بالدنيا، اضافة الى ان تواجد الامام عليه السلام تحت نظر السلطة مما يعطيه فرصة في اي لحظة للقضاء عليه متى شاء.

كل هذه العوامل هي التي اوحى للمأمون اسناد ولاية العهد للامام عليه السلام لا ما يقوله الآخرون، ومنهم السيوطي حيث يقول:

وفي سنة ٢٠١ هـ خلع المأمون اخاه من ولاية العهد وجعلها لعلي الرضا، وقد حمله على ذلك افراطه في التشيع وميله لأهل البيت. تاريخ الخلفاء / ٣٠٧.

او كما قال ابن الاثير في الكامل: وكان المأمون شديد الميل للعلويين، والاحسان اليهم، ومنها اسناد ولاية العهد لكبيرهم الامام الرضا عليه السلام وكان قد فعل ذلك طبعاً لا تكلفاً.

وقد ذكر المستشرق النمساوي دونالدسون، حول غاية استمالة الخليفة المأمون من الامام عليه السلام حيث يقول: كان الخليفة العباسي غير واثق من ميل الناس له في العراق، وخاصة العلويين، ففكر في ان يتقرب من الفئات الشيعية الكثيرة، ولاسيما الشائرة منها بتعيين الامام علي الرضا عليه السلام خلفاً له في الخلافة.

وقال ايضاً: «جاهد الامام الرضا في تفهيم الناس بان ولاية العهد لم تكن تتفق مع رغبته وانما كان يفعل ذلك بموجب ما دعي اليه وأكره عليه». عقيدة الشيعة / ١٦١.

ومما يؤكد ذلك أن المتأمل في سلوك المأمون باسناد ولاية العهد للامام الرضا عليه السلام فهل من العقل ما يستوجب التصديق ان المأمون المحب لدنياه الذي قتل اخاه الامين أشد قتلة، والمنعمر هو في طلب الرئاسة، وحب الدنيا والجاه، ان يدعو مثل هذا المأمون من خلع نفسه وابنه من الخلافة، واسنادها الى الامام الرضا عليه السلام.

فالمسألة اذاً مسألة سياسية، والمأزق الذي كان يعانيه المأمون مأزق فكري سياسي، وكان لا بد له من معالجته بأدوات فكرية سياسية، وهذا الذي حدث.



الرحيلُ الى خراسان

في مأتين مضت للهجره
لم يدخل الكوفة في مسيره
سار الى الاهواز غير شاك
حتى اذا بلغوا «لأربق»
والنوفلي جعفرُ مذ رآه
وقال ان الناس يزعمونا
ولم يزل حياً فأضحى غائباً
ردّ الرضا قد كذبوا علينا
وقسّمت أمواله لأهله
ثم مضى الى طريق الصحرا
توجه الامام نحو البصره
كأنه يمشي الى مصيره
مع «الرجاء بن ابي الضحاك»
أوقف في الشاطي ركب الأينق
بلهفة وعبرة حياهُ
ان أباك عبر المنونا
يجمعُ الجيوش والكتائبنا
فأنه قد مات في يدنا
والارثُ بين زوجته ونجله
يُوصلُ في ليل المسير الفجرا^(١)

(١) تشير المصادر التاريخية الى أن المأمون قد اكره الامام الرضا عليه السلام للقدوم الى خراسان لتولي ولاية العهد، وقد دامت بينهم الرسائل، والمكاتبات قرابة شهرين، حيث اشارت الى ذلك وفصلت رحلته من المدينة الى خراسان، وهذا مجمل ما ذكره المؤرخون:

لما اراد الامام الرضا عليه السلام الخروج من المدينة الى خراسان جمع عياله وبكوا جميعاً وبكى معهم، ثم فرق بينهم اثني عشر الف دينار، واعلمهم انه غير راجع اليهم، ثم عدل الى قبر جده رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه ولده ابو جعفر الجواد عليه السلام واستودعه عند جده رسول الله صلى الله عليه وآله اياه في المدينة، ثم توجه من هناك عام ٢٠٠ هـ الى خراسان سالكاً طريق البصرة، ولم يدخل الكوفة متوجهاً الى بغداد، ومن ثم الى قم، برفقة المتولي على شؤون رحلته رجاء ابن ابي



⇒

الضحاك؛ عم الفضل بن سهل، وقيل المتولي شؤون الرحلة هو الجلودي.

الارشاد/٣٠٩، مقاتل الطالبين/٣٦٩.

وقد ذكرت المصادر التاريخية ان الامام الرضا اثناء مسيره نحو خراسان اخذ الطريق الصحراوي مبتعداً عن الكوفة بأمر المأمون خوفاً من اجتماع شيعة الكوفة معه، وان المأمون كتب الى الرضا عليه السلام ان لا تأخذ طريق الجبل وخذ طريق الاهواز وفارس. وان المأمون اشخصه من المدينة الى \leftarrow البصرة \leftarrow الاهواز \leftarrow فارس \leftarrow نيسابور \leftarrow مرو، حيث عاصمة الخلافة هناك.



حديث السلسلة

حتى أتوا صباحاً «لنيسابور»
فيهم أبو زرعة الرازي
ومعه محمد بن أسلم
ومعهم كانت وجوه الشيعة
وطلبوا ان يسمعوا روايته
فاستوقف البغلة ثم قال
يروى عن الصادق عن ابيه
عن الحسين السبط عن علي
عن جبرائيل الملك الامين
قال: الذي قد احسن المقالا
من قال: لا اله الا الله
ومن اتى حصني فلن أعذبا
وانني والله من شروطها
فياله من سندٍ قد شفى
قال ابن حنبلٍ اذا ما قرءا

فاستوقفوا بغلته في السور
الثقة المحدث القوي
راوية في الناس مثل العلم
وكلها مصغية سمعته
صحيحة أوثق من درايه
سمعت من موسى أبي مقالا
وعن علي الساجد الفقيه
عن النبي الطاهر الأمي
عن خالق السماء والتكوين
رب السما سبحانه تعالى
صار بحصني حافظاً إياه
لكن شرطها ولاء النجبا
فأستمسكوا بالحق من خيوطها
كأنه من ذهب مصفى
هذا على المجنون الأبرء^(١)

(١) عند رحلة الامام الرضا عليه السلام مرّ اثناء مسيره بمدينة نيسابور، فلبث فيها يسيراً، وعندما همّ بالمسير الى خراسان اجتمع عنده العلماء واصحاب الحديث، وطلبوا منه حديثاً عن جده رسول الله ﷺ وكان الامام آنذاك في هودج على ناقة له فأخرج عليه رأسه وقال لهم:



⇒ سمعت ابي موسى بن جعفر الكاظم يقول؛ سمعت ابي جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول؛ سمعت ابي محمد بن علي الباقر يقول؛ سمعت ابي علي بن الحسين السجاد يقول؛ سمعت ابي الحسين بن علي الشهيد يقول؛ سمعت ابي امير المؤمنين علي بن ابي طالب يقول؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول؛ سمعت جبرائيل يقول؛ سمعت الله عزوجل يقول: كلمة لا اله الا الله حصني فمن دخل حصني آمن عذابي، ثم سار عليه السلام بضع خطوات وأخرج رأسه ثانية وقال: بشرطها وشروطها وانا من شروطها، فدوت العلماء واهل الحديث هذا الخبر العظيم وسمي فيما بعد بـ«الحديث ذي السلسلة الذهبية» وهذه القضية ذات الحديث الذهبي اشار اليها العلماء واثنوا عليها. المنتظم لان الجوزي ٦٧/١٠، الصواعق لابن حجر/ ٣١٠.

وسمي هذا الحديث بـ«سلسلة الذهب» لان سلسلة رواته كلهم معصومون، ومن المفيد ذكره هنا ان لهذا الحديث عدة شروح، وعليه عدة تعليقات، وقد اخرج له الشيخ الصدوق عدة طرق في رواتها، وكذلك من المفيد ذكره ان هذا الحديث الذهبي قد تضمن جملة حقائق من الممكن الاشارة الى بعض منها:

١- سند الحديث الضبط والاثبات والقدسية والوضوح بحيث اشتهر بحديث السلسلة الذهبية.

٢- مضمونه المشتمل على ادق قضايا الايمان الا وهو التوحيد الذي وجب على كل انسان بحكم العقل الاعتقاد به فضلا عن النطق به.

٣- الاشارة الى ان الاعتقاد بالنبوة ومكملاتها من الامامة باهل البيت عليهم السلام الواجب على اهل التوحيد شرط اساسي من شروط قبول عقيدة التوحيد، بل اشار الامام الرضا عليه السلام ان الاعتقاد بالامامة المعصومة شرط من شروط هذا التوحيد، وهذا امر في غاية الاهمية، حتى ان البعض ومنهم الصدوق في «عيون اخبار الرضا» ذكر نصاً اخر للحديث بطريق آخر مفاده: «ولاية علي بن ابي طالب حصني فمن دخل حصني آمن عذابي» ولا منافاة بين الحديثين كون ان احدهما يؤدي الى الاخر.

٤- الدخول في حصن التوحيد الذي من شروطه النبوة والامامة دليل على النجاة والحفظ سواء كان دنيوياً او اخروياً.



الوصول الى طوس

ثم أتى للقريّة الحمراء
ثم أتى أرض «ساناباد» الجبل
ثم أتى طوساً مع العناء
ثم دنا لقبر هارون وقد
وقال: هذي تربتي سأدفنُ
وهي مزارُ شيعتي البعيدُ
تنال تحت قبتي الشفاعة
وسار ركب المجد حتى «سرخس»
و«مرو» كانت مركز الخلافة
صلى لرب الأرض والسماءِ
فطبخوا له قليلاً وأكل
حلّ على دار حميد الطائي
خطّ الى جانبه خطاً بيد
فيها وقد مرّ عليّ الزمنُ
يقصده الموفق السديدُ
إن قرنت ولايتي بالطاعة
ثم الى «مرو» أتى في الغلس
حلّ بها باكرم الضيافة^(١)

* * *

(١) حين وصل الامام الرضا عليه السلام وبعد ذلك وصل عليه السلام مدينة «طوس» بعد جهد جهيد، ثم دخل دار «حميد بن قحطبة الطائي» التي فيها نبر «هارون العباسي» فنزل عليه السلام وخط الى جانبه وقال لمن حوله:

«هذه تربتي ومحل دفني، وسيجعل الله هذا المكان مختلفاً لشيعتي، واهل محبتي، والله ما زارني هنا زائر الا غفر الله له».

ثم صلى عليه السلام هناك عدة ركعات وسجد سجدة طويلة.



لقاءُ المأمون

عظّمه المأمون بأحترام
وصار ما بين يديه خاضعا
أفردَ للامام داراً عامره
وأوقد الشموعَ والضياءا
وأمر العبيد ان تطيعا
لكنما الامام ظل صامتا
لما دعاه عنده المأمون
فقال: اني قد نويت أمرا
ان اخلع الامرَ الذي في عنقي
فأنت أهلُّ أنت للخلافة
خذها فأنت صاحب الامر الرضا
فأطرق الامام ثم قال
هذا كلامٌ لم أجدى لأسمعه
فأعرض المأمون ثم ردا
وكن وليّ عهدي المنتجبا
فامتنع الامام باعتذار
فأنني أطلب ان تعفيني
فانتفض المأمون ثم هددا
فلم ير الامام منه بدا

وذاك ما يليقُ بالامام
وراح يجثو عنده مواعدا
زينّها بالغرفات الباهره
وعطر الابهاء والارجاءا
وان تُلبّي أمره جميعا
يئنُّ في السر أنينا خافتا
وباح سره بما يكون
طويت اضلاعي عليه سرا
اليك يا ابن المصطفى البر التقي
من دونما ريبٍ ولا مخافة
خذها فأنت وارثٌ ممن مضى
عدتك بالله بأن تُطالا
فلستُ ممن يتغنون مطمعه
ان كان لا بد تولّ العهدا
فأنت من أهل الوفاء والأبا
وقال ما يليق بالحوار
واسـتعيذ الله ان تغريني
لا بد أن ترضى وان تقتصدا
حين أجابه لما قد ردا

* * *



شروط البيعة

مَشْتَرطاً عَلَيْهِ أَنْ لَا يَأْمُرُ
وَلَيْسَ أَنْ يَفْتِيَ وَلَا أَنْ يَقْضِيَ
وَلَا يُؤْتِيَ وَالْيَأُ أَوْ يَعْزُلُ
فَقَبْلَ الْمَأْمُونِ مَا أَرَادَا
وَأَوْقَدْتَ بِذَلِكَ الشَّمْعُ
وَوَزَعَ الْمَأْمُونُ مِنْ أَمْوَالِهِ
ثُمَّ عَلَى كُلِّ الْوَلَاةِ فَرْضًا
وَكَانَتْ الْبَيْعَةُ لَمَّا فُرِضَتْ
وَلَبَسَ الْجَمِيعُ ثَوْبًا أَخْضَرًا
أَمْرًا وَلَا يَنْهَى وَلَيْسَ يُنْكَرُ
وَلَا مُغَيَّرًا لِشَيْءٍ يَمْضِي
وَلَا يَحُلُّ عَقْدَةً أَوْ يَفْتُلُ
وَصَارَ لَيْلَ هَمِّهِ أَعْيَادًا
وَاصْبَحَ الْعَطْرُ بِهَا يَضْوَعُ
عَلَى الْجَوَارِي أَوْ عَلَى رِجَالِهِ
أَنْ يُضْرَبَ النِّقْدُ غَدًا بِاسْمِ الرِّضَا
لِخَمْسَةِ مِنْ رَمَضَانَ قَدْ مَضَتْ
وَاسْبِشْرَتْ «هَاشِمٌ» بِالَّذِي جَرَى^(١)

* * *

(١) إثارة مسألة ولاية العهد في حينها الجدل والخلاف بين الشيعة، وكان الامام الرضا عليه السلام يريد بها حقن دماء العلويين وحماية الاسلام من التحريف، والتشويه، وتثبيت دعائم مدرسة أهل البيت عليهم السلام فكان حاله كحال نبي الله يوسف عليه السلام لما حمله طاغية عصره على السلطة.

في حين لم تع الامة تلك الدواعي والغايات وانما فهمت خطأ ان ذلك كان تأييداً لسياسة المؤمنين، ومن الواضح في التاريخ ان المأمون كان يفهم موقع الامام عليه السلام بالامة ويتحسس من وجوده، وقد أراد من ولاية العهد تحسين صورته والتفرد فيما بعد بالسلطة، الا ان الامام عليه السلام كان على حقيقة تامة انه مقتول منذ لحظة خروجه من المدينة الى طوس، وقد امن بهذا القدر، وانه محتوم لا محالة، فما كان عليه سوى قبولها من اجل اجبار المأمون على الاعتراف بأحقية أهل البيت عليهم السلام وفضلهم، وحقن دماء اتباعهم، وحماية ونشر الاحكام والمبادئ الاسلامية بين الناس على نطاق واسع.



الشعراء والقصيدة التاريخية

وقام من بين يديه الشعراء
يروون عن أبائه مآثرا
سنة أباؤهم شمس الناس
وكان شعر دعبل الخزاعي
ينشد شعراً محكم الآيات
قصيدة من أروع القصائد
ينشد فيها دعبل ويكي
ويندب الزهراء والهواشما
يقول يا فاطم لو شهدت
يحملة النبي في يديه
فارتفع النسيج للنساء
أما الرضا فقد علا بكاه
حتى اذا من شعره قد انتهى
أعطاه ستمائة صفراء
فقال: دعبل له مقالا
لكنما حبكم حداني
فياها من جبة موصوفه

مرددین شعرهم مُحَبَّرًا
ويذكرون مجدهم مفاخرا
أين ترى منهم بنو العباس
قلائداً تلوح بالتماع
مطلعه «مدارس الآيات»
تسمو بأبيات العلى الخوالد
قفر بعرضات بيت النسك
ويندب السبط الذي عانى الظمى
مجدلاً من بعد ما عهدته
مقبلاً من حبه عينيه
وعمت البيوت بالبكاء
ودعبل ينشده أساه
قام الرضا لصره فقلها
وجبة فاخرة خضراء
والله لست ابتغي الاموالا
بأن اصوغ هذه المعاني
جرت عليها قصة معروفه^(١)

(١) ومن اجل نشر فضائل اهل البيت عليهم السلام ودورهم الريادي في الامة، وتبيان مظلوميتهم على مر التاريخ؛ شجع الإمام عليه السلام الشعراء على نظم الشعر في هذا الخصوص، لانه خير



⇒ وسيلة اعلامية في ذلك العصر، لسرعة انتشاره وسهولة حفظه وانشاده، فقد دخل عليه الشاعر دعبل الخزاعي وانشده قصيدته التي جاء فيها:

مدارس آيات خلت من تلاوة
ومنزلاً وحي مقفر العرصات
لآل رسول الله بالخيف من منى
وبالبيت والتعريف والجمرات
ديار علي والحسين وجعفر
وحمزة والسجاد ذي الثنات
منازل جبريل الأمين يجلها
من الله بالتسليم والرحمات
ائمة عدل يقتدى بفعالهم
ويؤمن فيهم زلة العثرات
ارى فيئهم في غيرهم متقسماً
وايديهم عن فيئهم صفرات

ثم بدأ بابرار مظلوميتهم وما جرى عليهم من قبل الحكام المتعاقبين على الحكم، ثم ختم القصيدة بخروج الإمام العادل الذي يملأ الارض قسطاً وعدلاً، وهو الإمام المهدي عليه السلام الذي تنتظره الامم الشعوب.

ولما فرغ من انشادها، قام الإمام عليه السلام وانفذ اليه صرة فيها مائة دينار، وقيل ستمائة دينار فردها دعبل وقال: والله ما لهذا جئت وانما جئت للسلام عليه والتبريك بالنظر الى وجهه الميمون، وإنني لفي غنى فإن رأى أن يعطيني شيئاً من ثيابه للترك فهو احب اليّ، فاعطاه الإمام عليه السلام جبة خز وردّ عليه الصرة. اعلام الهداية ١٠/١٥٥-١٥٦.



صلاة العيد

وذاً صبح حين حلّ العيدُ
ينتظرون من وليّ العهدِ
اذ بعث المأمون للامامِ
فاعتذر الامام ما قد كلفاً
فوافق المأمون ثم أمرا
فقعد الناس على الابوابِ
فخرج الامام في هيئتهِ
مكبّراً يسيرٌ وهو حافي
ثمّ عن ثيابه وسارا
وضج ذاك الجمع بالبكاءِ
وأخبر الخليفة الحراسُ
فبعث المأمون من يمنعه
فرجع الامام يخفي همّه

وأصبح القادة والجنودُ
صلاته في بهجة وسعدِ
يدعوه للصلاة بالانام
مشرطاً له صلاة المصطفى
من كل قائد بأن يُكّرا
ينتظرون طلعة الاطيابِ
يذكرُ الناس بأهل بيتهِ
في وجهه الخشوع ليس خافِ
والناس خلفه غدت حيارى
لما رأوه اية السماءِ
قد فتت بابن النبي الناسُ
وللديار خشيةٌ يرجعه
واضطربت بما تراه الأمة^(١)

(١) اورد قصة «صلاة العيد» جمع من المؤرخين واصحاب التراجم والسير، والتي انفضح بها أمر المأمون وانكشف للناس مكان يضمه للامام عليه السلام.

فلما حضر العيد وكانت ولاية العهد قد عهدت للرضا عليه السلام طلب المأمون من الامام بالتوجه لصلاة العيد بالناس والخطبة بهم، لكن الامام اعتذر عن ذلك بما اشترطه على المأمون، فألح عليه المأمون بان ذلك يدعو الى اطمئنان الناس بالامر، اضافة الى انهم



⇒ يعرفون فضلك، وبعد الحاح شديد اشترط الرضا عليه السلام للخروج ان يخرج كهيئة جده رسول الله صلى الله عليه وسلم وجده امير المؤمنين عليه السلام وفعلا امر المأمون بأخراج القادة والاعيان والناس مبكرين للصلاة، وبدأت الجموع تتوافد على الطرق، والوقوف على السطوح لرؤية الامام وطلعته البهية، وسرعان ما خرج الامام كأنه جده رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى راسه عمامة بيضاء من القطن، وهو حافي القدمين، واثناء مسيره عليه السلام كان يكبر والناس تكبر كل ذلك ادى بالوزير «الفضل بن سهل» ان يسرع باخبار المامون بان الامام عليه السلام لو وصل الى مكان الصلاة لفتن به الناس وانقلب سلطان المامون وحكمه فاسرع المامون بارجاع الامام فوراً محتجاً بانه قد اتعب الامام عليه السلام في هذا الامر، وانه قد اناب عنه من يصلي بدله، وهنا طلب الامام عليه السلام خفاً فلبسه ورجع من حيث اتى. الارشاد/ ٣١٢، كشف الغمة ٢/ ٢٧٨.



الزواج السياسي

وقد روى الصدوق في العيون
من أنه قد زوجَ الأماما
وتمَّ سَمَّى للجواد ابنته
ثم مضى الرضا وليَّ عهدٍ
محتسباً لما به وصابرا
مُدافعاً عن الهدى والدين
روايةً جاءت عن المأمون
ام حبيبٍ اخته احتراماً
لكي يمدَّ للرضا لُحمته
يُخفي غداً من سره ويُبدي
لكل مظلومٍ غداً مناصراً
وعن كتاب الحق واليقين^(١)

* * *

(١) ذكر المؤرخون تزويج المأمون اخته ام حبيب الى الامام الرضا عليه السلام وسمى ابنته الاخرى «ام الفضل» لولده الامام محمد الجواد عليه السلام.

وقد ذكر القندوزي الحنفي: لما اراد المأمون ان يتقرب الى الله سبحانه والى الرسول صلى الله عليه وسلم عهد بالبيعة لعلي الرضا عليه السلام وزوجه اخته ام حبيب. ينابيع المودة ٢/٦٧.

وذكر الشيخ الصدوق: وزوجَ المأمون الامام عليه السلام اخته ام حبيب وسمى ابنته «ام الفضل» لولده محمد الجواد عليه السلام وتزوج - المأمون - بوران بنت الحسن بن سهل، في يوم واحد.

ومن المفيد ذكره هنا ما ذكره الشيخ باقر شريف القرشي حيث قال:
ذكر بعض اهل التحليل ان المأمون انما زوج ام حبيب للرضا عليه السلام ليجعلها عيناً - اي

جاسوسة - له على جميع تصرفات الامام عليه السلام وتحركاته:
وقد علق الشيخ حيث قال: ليس هذا ببعيد عن سياسة المأمون ودهائه. حياة الرضا ٢/٢٨٩



الغلاة والزنادقة

في عصره تجرأ الزنادقه
بيغون محو النور بالظلام
لكنما الرضا إنتضى حسامه
فعدت مناظراته عدّه
كالجاثليق أو كراس الجالوت
أو ابن قرة الفتى النصراني
مجالس قد حفلت بالجدل
مجالس يحضرها المأمون
فيها الرضا يجيبُ عما يُسألُ
بالفقه والتفسير والتأويل
وعن أحاديث النبي الهادي
وكان لا يخرج منها أحدُ
وكثير الغلاة والمناطقه
وان تضيع أمة الاسلام
مجدداً بعزمه اسلامه
بين الرضا وبين أهل الردّه
ومن نووا نصرة أهل الطاغوت
والصباثي بعده «عمران»
والفد في مضمارها كان «علي»
والجنّد والحجاب والعيون
علماء بما يعجز عنه الأول
ومحكم القرآن والانجيل
والعدل والتوحيد والمعاد
إلا مضى وهو الفتى الموحد^(١)

(١) تشير المصادر ان الامام الرضا عليه السلام استغل فرصة ولاية العهد في بث العلوم، والمعارف، والدفاع عن عقيدة الاسلام، وذلك عن طريق عقد المحاورات، والمناظرات خصوصاً في القضايا المهمة كعصمة الانبياء، ومعرفة قدر الامامة، واحقية جده امير المؤمنين عليه السلام بالخلافة، اضافة الى اظهار مظلومية جده الحسين عليه السلام وكان يعقد المجالس لهذا الغرض، اضافة الى المناقشة عن بعض العقائد الحقّة، واقحام الخصوم في قضايا الجدل من اهل الاديان الاخرى والملل، واهل المقالات والمناطق، واهل الفلك والتنجيم.



⇒ وبين ايدينا نصوص كثيرة تؤكد انه عليه السلام ناظر الجاثليق وهو كبير علماء النصارى، وكذلك رأس الجالوت وهو كبير علماء اليهود، وكذلك كبير علماء الصابئة، وكبير علماء المجوس الذين يسمونه الهربذ، اضافة الى اهل الجدل من الزرادشتيين، وعلماء الطب، واهل المعرفة في مختلف الاختصاصات.

كما نقلت لنا المصادر عدة محاورات رائعة مع اهل الاسلام ممن عرفوا بأعوجاج العقيدة والزنادقة كالغلاة، والمفوضة، واهل البدع والضلالات.

وله عدة مجالس مع كبار اهل الفلسفة كسليمان المروزي، كبير الفلاسفة في خراسان، وله مجالس مع اهل التوحيد وغيرهم من كل مؤالف ومخالف.

كما نقلت المصادر عدة اجوبة اجاب بها المأمون العباسي، وفي كل هذا نجد له عليه السلام علوماً ومعارف مهمة كالتقية، والعصمة، والامامة، والبداء، وصفات الله.

كما نجد له اجوبة في شؤون العقيدة كالمسائل التي طرحها عليه بعض تلاميذه واصحابه كأبي الصلت الهروي.

وفي كل هذه المناظرات، والمحاورات، والمجالس كانت الغلبة للامام عليه السلام واذعان الجميع له، واعترافهم بالعجز امامه، بل نقلت المصادر التاريخية اسلام غير المسلمين على يديه كعمران

الصابئي، واسلام المتصوف العارف معروف الكرخي الذي كان نصرانيا واسلم على يديه، اضافة الى توبة بعض من ناظره ورجوعه بعد زيغه مسلماً موحداً كما حصل لعلي

بن محمد بن الجهم الذي كان يشك في عصمة الانبياء فتاب على يديه وقال: يا ابن رسول الله انا تائب الى الله عزوجل من ان اقول في انبياء الله بعد يومي هذا. وكذلك توبة عمرو

بن عبيد البصري. عيون اخبار الرضا ٢٥٩/١.



علومه عليه السلام

علم النبي عنده مستودعٌ وعنده علم الكتاب أجمعُ
وعنده كلُّ حديث المصطفى من الهداة الطيبين الشرفا
والطب من علومه المعروفه فيه يداوي العلة المخوفه
فعنه ما قد اخذته الحكماء وعنه ما تروي فحول العلماء
فاوغرت قلوبها الحسادُ واشتعلت بنارها الاحقادُ
وكان من حساده المأمونُ فقد رأى بالعين ما يكونُ
فاضمرت ضلوعه ما أضمرت أمراً له الجبال قد تفتطرت^(١)

(١) كان الامام عليه السلام وبأعتراف الجميع عالماً بكل العلوم، ومطلعاً على الاديان وكتبها، وكان بحراً دافقاً لكل المعارف، حتى الغربية منها كالتنجيم، والفلك، اضافة لما اشتهر عنه تبخره بعلم الطب من خلال رسالته الشهيرة الرسالة الذهبية في الطب. وقد اثبت كتب سيرته المباركة له عليه السلام هذه المؤلفات :

الرسالة الذهبية في الطب. وكتاب «فقه الرضا». وصحيفة الرضا «مسند الامام الرضا». وما كتبه حول الاجوبة مثل جوابه للمأمون حيث جاءت على شكل رسالة تسمى بـ«رسالة جوامع الشريعة». ومجموعة من الحكم، والمواعظ منشورة في كتب متفرقة. وجملة من الاحكام والعلل كتبها لتلميذه «محمد بن سنان». وجملة من علل الاحكام ذكرها «الفضل بن شاذان». وقطع شعرية متفرقة في كتب التراجم والنوادر. ومجموعة من الادعية والعلوم الغربية متفرقة في مضانها مثل «مهج الدعوات» لأبن طاووس الحلبي.

شعر المامون وهو الداهية الذكي ان الامام الرضا عليه السلام بدأ يزاحم سلطانه بسلاح العلم عن طريق المناظرات، وافشاء العقائد الحقّة، ومنها احقية الائمة عليه السلام من أجداده بالخلافة وغيرهم من توعية الناس ونشر صورة الامام العادل، كل هذا اشعر المأمون بان الرضا عليه السلام



⇒ بدأ يهدد سلطانه بسلاح العلم، ومن هنا امتلأ صدره حسداً للامام، وخاصة عندما كان يجلس معه في مجالس العلم والمحاورات والجدل، ويرى تفوق الامام على محاوريه وبراعته في اقحامهم، اضافة الى كون المأمون كان يبطن كراهية الامام والخوف منه وعدم الاطمئنان اليه، وبهذا الصدد ينقل الشيخ المفيد: وكان الرضا عليه السلام يُكثر وعظ المأمون اذا خلا به ويخوفه بالله عزوجل، ويقبح ما يرتكبه المأمون من خلاف مراد الله عزوجل، فكان المأمون يظهر قبول ذلك ظاهراً ويبطن كراهيته لذلك.

وأضاف الشيخ المفيد لذلك: ان الفضل والحسن ولدا سهل كانا من الحساد للامام وكانا يحرضان المأمون عليه عليه السلام. الارشاد/ ٣١٥.

وربما يظهر هذا جلياً من عدم اطمئنان المأمون للامام الرضا عليه السلام والخوف منه عندما إفتتن الناس بالامام عند ذهابه لصلاة العيد - كما مرّ - مما أخاف المأمون، وهيج حسده وغضبه مما ادى الى ارجاع الامام دون صلاة.

وأخيراً ما ذكره الشيخ فاضل الفراتي في هذا الصدد قال:

ان مثل هذه المحاورات التي تجري في البلاط الملكي وامام جمهور العلماء مما يؤدي الى انتشارها في صفوف الناس وبالتالي تصحيح مسار عقائدها كل ذلك مما يوغر صدر المأمون ويثير حسده بل حقه على الامام. حياة الرضا/ ٩.



الاضطرابات السياسية

وكان في عصر الرضا اضطرابٌ
وثار بعض الهاشميين لما
فأبن طباطبالة له لواءُ
جيوشه من الحجاز انطلقت
ثم الى كل قرى العراقِ
اذ أخذت بسطوة المأمونِ
وثار ابراهيم في أرض اليمنِ
وفي الصفا ثار الحسين الأفتسُ
وثار زيد النار عند البصره
احرق أبيات بني العباسِ
فأرسل المأمون جيشاً ضاري
كان علي بن سعيد قائداً
ودارت المعارك المضطرمه
فانكسر الجيش بأسر القائد
وأوصلوه بعد سجن للرضا
ففكه الامام من قيوده
وقال يا أخي كفانا فخرا
لكننا عند قيام الساعه

اذ هاجت الاطراف والأعرابُ
رأوه في عهد الرشيد من دما
وخلفه «السري» والأبناءُ
ثم الى الكوفة قد تدفقت
لكنها لم يبقَ منها باقِ
وانهدمت شوامخ الحصونِ
وهو اخ الرضا الامام المؤمن
يعطي الدم الغالي وليس يأسُ
فياله من ثائرٍ وثوره
معاقباً بالنار بعض الناسِ
يفتك بالثورة والثوارِ
فيه وللرايات كان رائداً
واستعرت ملحمة بملحمه
زيد بن موسى الهاشمي العابدِ
مكبلاً مقيداً منقبضاً
محتسباً ذاك الى جودده
ان لنا أمأ غدت كالزهرا
لم تنفع الانساب دون طاعه



وهكذا ظل يعيش الضنكا وهو يرى أيامه معتركا^(١)

* * *

(١) ذكرنا فيما سبق الفساد الذي عم حكم المأمون مما ادى الى قيام عدة حركات ثورية سواء من العلويين، او غيرهم استشعارا لما نالهم من ظلم بني العباس، وقد اوضحنا هناك بعض هذه الثورات، وقد فصل كل هذه الثورات اليعقوبية في تاريخه والاصفهانى في مقاتله، وفيما يلي جدول اجمالي ببعض هذه الثورات ونتائجها كما نقلتها الكتب التاريخية المعتبرة:

- ١- ثورة العلوي؛ محمد بن ابراهيم الطباطبائي، وقد استمال اليه في ثورته وجوه الناس ومن ابرزهم الزعيم العسكري؛ نصر بن شيث الذي ساعده، كما انضم اليها القائد المحنك؛ ابو السرايا، واسمه؛ السري بن منصور الشيباني، وقد سيطرت هذه الثورة على جملة من الامصار الاسلامية، ومنها الحجاز، ومجموعة من مدن العراق مثل؛ الكوفة، والانبار، ونيوى، وكربلاء، وقد استطاعت هذه الثورة من ابادة جيش العباسيين، وقتل كبار القادة.
- ٢- ثورة ابراهيم بن موسى بن جعفر عليه السلام وقامت في ارض اليمن، وقد تغلب قائدتها على اليمن، ثم توجه الى مكة.
- ٣- ثورة محمد بن جعفر الصادق عليه السلام وقد مر ذكرها في هذا القسم.
- ٤- ثورة ابي الفضل زيد بن موسى بن جعفر عليه السلام وقد تغلب هذا الثائر على البصرة، واحرق دور بني العباس، ولذلك سُمي بـ«زيد النار» ثم اسر فيما بعد، وحُمِل الى المأمون فتشفع فيه الامام الرضا عليه السلام واطلق سراحه.
- ٥- ثورة ابن الافطس، وقد تغلب على «الصفاء» ايام ثورة ابي السرايا.



رواته وتلامذته عليه السلام

ورغم ذلك ينشر الاحكاما يروي عن الهادي النبي أحمدا وقد روى عنه ثقة الناس فمنهم ابن هاشم القمي ثم ابو الفضل الخراساني وأحمد بن عامر الشهيد واحمد بن عمر الخلال وأحمد بن يوسف التيمي ثم ابو يعقوب السكوني والحسن السراذ والوشاء والحسن الخشاب وابن الجهمي ثم ابن يقطين الحسين بن علي وابن المعافى وابن يعلى الاشعري وشاعر القصيدة التائية وزكرياء بن عبد الصمد ثم سعيد بن جناح الأزدي وعنه يروي الثقة العباس وأبن المبارك النهاوندي

يوضّح الحلال والحراما من سنة ومن أحاديث الهدى رغم إباطيل بني العباس وابن أبي بلاد الكوفي ثم أبو جرير القمي في كربلا في الموقف العنيد ثم ابن شاذان الفتى المفضل ويونس بن قيس الدهني ثم ابن مهران فتى المتون والتيملي الزاهد البكاء ثم ابن عثمان الكثير العلم ثم ابن عيسى ذاك حماد الولي ثم ابو هاشم وهو الجعفري دعبل ذو الكرامة المروية ثم ابن يقطين الفقيه الأسدي وهاشم وسعد بن سعد وهو ابن موسى العارف النخاس وأبن هلال الثقة الشبلي



وابن سنان وهو نيسابوري
وابن رباط وابن اسباط علي
والهروي الخادم الموسوم
واخرون قد رووا بكثرة
فانتشر العلم على يديه
اقسامهم قد أصبح المأمون
فاصبح الرضا عليه خطرا
قد سأمت منه بنو العباس
وانتفضت أواصر الخلافة
مفكراً بالامر ليس يهدأ
ثم إستقر رأيه لأمر
فدس للامام سُماً في عنب

والبجليُّ بائعُ السابوري
وابن المغيرة الامام البجلي
وقد روت عن الرضا كلثوم
عن الرضا وآله والعتره
وكترت حساده عليه
ومن لعنه غدا يخون
واصبح العرش عليه منكرا
واختلفت عنه وجوه الناس
واصبح المأمون في مخافة
وبالذي عاهد ليس يعبأ
أهون مافيه ارتكاب الشر
ياويله ياويله لما ارتكب^(١)

(١) يُعد الامام الرضا عليه السلام في زمانه اعلم اهل عصره، وقد اقرّ بفضله جمهور المسلمين، وعلى مختلف مستويات العلم وفنونه، وكان عليه السلام قد اتخذ مسجد جده رسول الله صلى الله عليه وآله نقطة انطلاق، واشعاع لعلومه الزاخرة، وقد ذكرنا في حديث السلسلة الذهبية انه عليه السلام عند قدومه نيسابور التفّ حوله اكثر من عشرين الفاً من اهل العلم ليأخذوا عنه الحديث، وكان عليه السلام يبت في المجتمع احاديث اجداده، وكذلك علوم القرآن كل ذلك تحت عين السلطة وقيودها عليه، ومن المفيد ذكره انه عليه السلام قد ورث من ابيه الكاظم عليه السلام وجده الصادق عليه السلام نخبه صالحة من اهل العلم ممن عُرفوا بالفضل والتقوى وصدق العقيدة، فزادهم الامام الرضا عليه السلام نوراً على نور، وقد افاضت كتب التراجم والسير وكتب الجرح والتعديل بذكر المئات من هؤلاء، وقد ذكر الشيخ باقر شريف القرشي في كتابه حياة الامام الرضا ٣٦٦ عالم وراوي.

وقد اوضحنا سابقاً ان الرضا عليه السلام واصحابه قد اتخذوا من سلاح العلم ونشره وسيلة



⇒

لمواجهة تحديات الواقع الثقافي والسياسي في عصر المأمون، مما حدى به الى التفكير في كيفية التخلص من الامام، لأن وجوده بدأ يضايقه، اضافة الى وشاية الواشين وخبث وسعي العباسيين للتخلص منه، كل هذه العوامل قد خلقت عند المأمون هاجس الخوف من الامام، وبدأ في هذه اللحظات بوضع خطة ذكية للتخلص من الامام وخطره على الخلافة والعباسيين بشكل عام، وفي هذا يقول الشيخ باقر شريف القرشي: لم يمض وقت طويل على تقلد الامام لولاية العهد حتى تنكر له المأمون واضمر له سوء والغدر، واخذ يبغى له الغوائل ففرض عليه الرقابة الشديدة، وحبسه في بيته ومنع العلماء من الاتصال به بل، وتميز عليه غيضاً لما يتمتع به الامام من مكانة عظيمة في نفوس المسلمين، اضافة لما يتمتع به الامام من سعة العلم ومعالي الاخلاق وسمو التقوى. حياة الرضا ٣٦٧/٢.

نص الامام الرضا عليه السلام على امامة ابنه محمد الجواد عليه السلام قبل ان يولد واستمر بالتنصيب عليه رغم السنوات القليلة التي عاشها الجواد عليه السلام مع ابيه الرضا عليه السلام وإليك صورة من تسلسل هذه النصوص وتدرجها بحسب مراحلها الزمنية.

- هذا المولود لم يولد مولود أعظم بركة على شيعتنا منه. الكافي ٣٢١/١.

- عن معمر بن خلاد قال: سمعت الرضا عليه السلام وذكر شيئاً، فقال: ما حاجتكم الى ذلك هذا ابو جعفر قد اجلسته مجلسي وصيرته مكاني إنا أهل بيت يتوارث اصاغرنا عن أكابرنا القذة بالقذة. الكافي ٣٢٠/١.

- وعلى الرغم من ابتعاد الامام الرضا عليه السلام عن المدينة الا انه كان دائم الاتصال بابنه الجواد عليه السلام وكان يخاطبه في رسائله بالتعظيم والتوقير، وما كان يذكر محمد ابنه الا بكنيته فيقول: «كتب اليّ ابو جعفر، وكنت اكتب الى ابي جعفر..» فيخاطبه بالتعظيم، وكانت ترد كتب ابي جعفر في نهاية البلاغة والحسن، ويضيف الراوي؛ ابو الحسن محمد بن ابي عباد انه سمع الرضا عليه السلام يقول: ابو جعفر وصيّي وخليفتي في اهلي من بعدي. الصراط المستقيم ١٦٦/٢.

وكانت النصوص على امام الجواد عليه السلام عديدة ومتظافرة، اختلفت في ظاهرها بسبب اختلاف الظروف السياسية والاجتماعية التي تحيط بالامام الرضا عليه السلام وبابنه الجواد عليه السلام واتباعه وانصاره، وبسبب اختلاف اصحابه في الوعي ودرجة التلقي، وكتمان السر، وقربهم وبعدهم عن الامام عليه السلام من حيث الولاء السياسي والعاطفي.



شهادة الرضا عليه السلام

تناول الامامُ منه حبه
فزلزلَ الكونُ وركنُ الدينِ
هذا الرضا في بيته مُسجى
السُّمُّ في احشائه يقطعُ
وأظهر المأمون كل الجزعِ
جنبَ أيه الهالك المدفونِ
لا ينفعُ الرجسَ اقترابُ الطهرِ
فالكلُ في اعماله مقرونُ
وهكذا ضجّتْ بلادُ طوسِ
ثلاثةً ظلّ الحدادُ قائماً
وبعدّها لبي بشوقٍ ربه
وقد هوت دعائمُ اليقينِ
ليس له أيُّ دواءٍ يُرجى
لكنه محوَقَلٌ مسترجعُ
ثم دعى لدفنه في موضعِ
قاتلِ موسى الصبرِ في السجونِ
منه ولا يضرُّه بشرِ
ما يبغى من رب الرضا هارونُ
تضربُ بالوجوه والرووسِ
والكلُ ظلّ باكياً وناقماً^(١)

(١) ذكر السيد العاملي في اعيان الشيعة قال: والذي يقتضيه ظاهر الاخبار ان المأمون لما رأى اختلال امر السلطنة ببيعة العباسيين ابراهيم بن المهدي - وكان عمه - بسبب تولية الامام الرضا عليه السلام وكان العباسيون ينسبون ذلك الفعل لأغراءات الفضل بن سهل الممهد لهذه التولية حينئذ خاف المأمون من ذهاب ملكه على يد العباسيين فبعث من يقتل الفضل في حمام سرخس ودس السم للامام الرضا عليه السلام وقد ايد هذا الرأي العلامة المجلسي في بحاره، وفي نهاية الكلام نود الاشارة الى قضية السم بالتخلص من الخصوم السياسيين ليست جديدة فقد فعلها الطغاة السابقون مع اجداد الرضا عليه السلام وبعد ذلك مع ابنائه اللاحقين لأنها من احسن واسهل الاسلحة ووسائل القتل وكان معاوية الاموي قد فعل ذلك مع اغلب خصومه ومنهم الامام الحسن عليه السلام .

من الاسباب التي دعت المأمون الى سم الامام عليه السلام انه لم يحصل على ما أراد من توليته للعهد، فقد حدثت له فتنة جديدة وهي تمرد العباسيين عليه، ومحاولتهم القضاء عليه.



قال ابو الصلت رايتُ طفلاً
فقلت مَنْ؟ قال: أنا الجوادُ
وباتت الشيعة في عناءٍ
ولم تنزل تربته منيفه
تقصدها الزوار للدعاء
قال ابن بطوطة حين مرّاً
ولم تنزل للعلم ولأدابٍ
غسله كفته وصلى
قد جئت حين قد هوى العمادُ
مذ غاب عنها قمرُ السماءِ
بقبة سامية شريفه
وكشف ما بها من الضراءِ
رايتُ فيها كم مريضٍ يبرا
منابعاً تجودُ للطلابِ

⇒ إضافة الى ذلك ان بعض وزراء المأمون وقواده كانوا يبغضون الإمام عليه السلام ويحسدونه، فكثرت وشاياتهم على الامام، فأقدم المأمون على سبه.
وبدأت علامات الموت تظهر على الإمام عليه السلام بعد ان اكل الرمان او العنب الذي اطعمه المأمون، وبعد خروج المأمون ازدادت حالته الصحية تدهوراً وكان آخر ما تكلم به: ﴿قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذي كتب عليهم القتل الى مضاجعهم﴾ آل عمران/ ١٥٤.
﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾ الاخزاب/ ٣٨.
ودخل عليه المأمون باكياً، ثم مشى خلف جنازته حافياً، حاسراً يقول: يا اخي لقد ثلم الاسلام بموتك وغلب القدر تقديري فيك. ثم شق لحد هارون ودفنه بجانبه.
وقد رثاه دعبل الخزاعي قائلاً:

ارى امية معذورين ان قتلوا
اربع بطوس على قبر الزكي به
قبران في طوس خير الناس كلهم
ما ينفع الرجس من قرب الزكي وما
ولا لبني العباس من عذر
ان كنت تربع من دين على خطر
وقبر شرهم هذا من العبر
على الزكي بقرب الرجس من ضرر

وكانت شهادة الامام الرضا عليه السلام في آخر صفر سنة ٢٠٣ هـ كما ذكر على ذلك اغلب الرواة والمؤرخين. اعلام الهداية ١٠ / ١٧١.



الف سلام لفتى موسى الرضا يجري على اعتبارها بلا إنقضا^(١)

(١) لما اطعم الامام الرضا^{عليه السلام} العنب المسموم خرج من المأمون ودخل داره مغطى الرأس، قال ابو الصلت: خرج الامام^{عليه السلام} من المأمون مغطى الرأس، وكنت آنذاك في صحن الدار اذ دخل علي شاب حسن الوجه اشبه الناس بالرضا فقلت له من انت؟ فقال: انا حجة الله عليك يا ابا الصلت، انا محمد بن علي «الجواد» ثم مضى نحو ابيه، ثم روى مسألة تفسيله وتكفينه والصلاة عليه. عيون اخبار الرضا ٢/٢٧٢.

لكن الشلبنجي في نور الابصار ينقلها بشكل اخر حيث يقول: قال ابو الصلت: لما امرنا بتجهيز جنازة الامام الرضا^{عليه السلام} وخرجنا بها الى المصلى أخرنا الصلاة عليه قليلاً فاذا برجل عربي وقد اقبل على بعير من جهة الصحراء فنزل، ولم يكلم احداً فصلى عليه فصلى الناس معه، ثم اختفى فسرعان ما أمر المأمون بطلبه، فلم يروا له اثراً، ويقصد الامام الجواد^{عليه السلام}.

وخلاصة القول وايا كان الامر فإن الامام المعصوم اذا مات، او استشهد، او قتل، فغالباً يصلي عليه امام معصوم يخلفه، وهذا ما جرت عليه العادة عند الائمة المعصومين، وأشارت الى ذلك المصادر.

وقد افاضت المصادر كثيراً في وصف استشهاد الامام الرضا^{عليه السلام} وغسله وتكفينه، وما اظهره المأمون تمويهاً من جزع وبكاء على فقده، فقد ذكر الطبرسي في اعلام الورى: لما توفي الرضا^{عليه السلام} انفذ المأمون الى محمد بن جعفر الصادق^{عليه السلام} وجماعة من آل ابي طالب، فلما حضروا نعاها^{عليه السلام} اليهم، واظهر حزناً شديداً، وتوجعاً لفقدانه، ثم قال وهو يخاطب الجثمان الشريف بحضورهم: يعز علي يا اخي ان اراك بهذه الحال وقد كنت آمل ان اقدم قبلك ولكن ابي الله الا ماراد.

ومن المفيد ان نذكره هنا ان الامام الرضا^{عليه السلام} كان كثيراً ما يصرح انه سيدفن جنب هارون العباسي كما اشرنا سابقاً.

وعموت الرضا^{عليه السلام} ضجت مدينة طوس وضربت رؤوسها وصدورها عليه، واقام المأمون تمويهاً الحداد عليه ثلاثة ايام، وبعد دفنه في مكانه في مدينة مشهد المقدسة صار قبره مأوى للمحبين وعشاق اهل البيت^{عليهم السلام} ومهوى القلوب المنكسرة، ومقصداً لأصحاب الآفات والعاهات لغرض الاستشفاء ببركته، وصار المسلمون وغير المسلمين يرتادونه من مشارق



⇒
الارض ومغاربها، وقد اجريت على مكان قبره على طوال السنين عدة مشاريع توسعة
واعمار، حتى صار تحفة زاهية من تحف العالم الاسلامي، ولو راجعت كتاب موسوعة
العتبات المقدسة - قسم خراسان للاستاذ جعفر الخليلي، لوجدت الكثير من هذه
الاشارات لتاريخ الاعمار والصيانة والتوسعة، ومن الجميل ان نذكر كذلك عند هذه
النقطة ابيات للشاعر العراقي المبدع جواد جميل بمناسبة تبديل الشباك - الضريح -
القديم بآخر جديد، وذلك في عام ١٤١٥ هـ مع ملاحظة ان مادة التاريخ في الاصل لأحد
العلماء الادباء في ايران.

هذا عليّ وابن موسى والرضا	ودليل آيات الكتاب المحكم
ورث الفخار عن النبي فحيدر	فعن البتول فإكرم عن أكرم
طافت ملائكة السماء بقبره	ما بين معتمرٍ لديه ومُحرمٍ
هو بابُ حطيةٍ الذي تهفوا له	كلُّ القلوب وفي حماه تحتمي
يا زائراً هذا الثرى طاظاً على	عتباته واسكب دموعك والشم
وإذا سألت عن الخلود فها هنا	أرخ: (وصلّ على الضريح وسلم)

وهكذا رحل هذا الامام العظيم شهيداً مسموماً بسمّ المأمون العباسي اسوة باجداده الذين
مضوا قبله بنفس المصير، واسوة بابناءه عليه السلام الذين سيحل بهم نفس المصير ، رحل هذا
الامام العظيم بعد ان قدّم للاسلام والمسلمين بعلمه وفكره واخلاقه، وبما خلفه من تراث
ضخم، ثم انتقلت الامامة من بعده لولده محمد بن علي الجواد عليه السلام.

فسلام عليه يوم ولد ويوم أستشهد ويوم يبعث حياً.



الجزء الحادى عشر

الامام محمد بن علي

الجواد عليه السلام





الأهـداء

الى سيدي الأمام محمد بن علي الجواد عليه السلام
الذي تحمّل ثقل الامامة ، وهو فتى لم يبلغ الحلم بعد!!
فكان طوداً شامخاً ، وعَلماً متحدياً
في زمنٍ اختلطت فيه المفاهيم ، وتشوهت فيه القيم والافكار ،
وفقد فيه الانسان بعض معانيه .
أقدم هذا الجزء من (قوافل النور)
راجياً ان يكون وثيقة حب ، وولاء ، ومودة ..
وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .





اضاءة

بعد صدور الاجزاء العشرة من ملحمة «قوافل النور» الشعرية ما كنت حسب اني استطيع مواصلة نظم القوافي، والمضي قدما في طريق القوافل لباركة بسبب القلق الامني والاضاع المعقدة التي يعيشها بلدنا الحبيب العراق، ضافة الى انشغالي بكثرة الاعمال وعدم الاستقرار.. والشعر لا يولد الا في اجواء الهادئة، ولكن علاقتي بقوافل النور تعمقت عبر الزمن واصبحت تشكل بي خاطري هاجسا يوقظ في مشاعري حركة النظم، والاهتمام بالشعر التاريخ كلما حاولت الاسترخاء.

وهكذا رغم زحمة الاعمال، وبجوحة الحزن، والسهر، واللقاءات، والسفر دائم وسط الالغام المتفجرة في طريقنا الصعب المتتوي، واصلت بتوفيق الله كمال هذا المشروع فصدر الجزء الخاص بالامام الصادق عليه السلام وهو اول جزء طبع في العراق بعد سقوط النظام البائد، وبعده صدر الجزء المتعلق بالامام وسى بن جعفر الكاظم عليه السلام وهو من اكثر الاجزاء مادة شعرية وتعليقات ادبية تاريخية نافعة والجزء الخاص بالامام علي بن موسى الرضا عليه السلام.

وهذا الجزء الخاص بالامام التاسع من ائمة أهل البيت عليه السلام الامام محمد بن لمي الجواد عليه السلام الذي عاش الظروف الصعبة بعد رحلة ابيه عليه السلام من الحجاز الى خراسان ثم توليه الامامة من بعده في مرحلة معقدة خطيرة على مستوى الفكر كثرة الصراعات السياسية والاجتماعية.



ولكن الامام الجواد؛ وبما اوتي من عصمة وحكمة وكرامات، استطاع ان يوجه اتباع مدرسته بالاتجاه الصحيح، وان يرسم لهم خطوات الطريق نحو بناء قواعد المدرسة الفكرية والسياسية لأهل البيت عليه السلام.

وقد استعرض هذا الجزء ملامح حياة الامام الجواد عليه السلام، وفضائله، ومناقبه، واهم الاحداث والمحطات التاريخية في حياته الشريفة بالاستعانة بأهم المصادر التاريخية والادبية التي كتبت عن حياته سواء ما كان منها قديماً او حديثاً.

كما جاءت التعليقات في الهامش وافية تعكس الحياة الحافلة بالبطولة، والبراعة، والمعطيات الفذة للامام الجواد عليه السلام.

وهكذا تبقى ملحمة «قوافل النور» المشروع الادبي والتاريخي الذي افتخر بانتسابي اليه وانسابه لي، وحسبي ان قلبي لامس السطور العطرة التي تعبق بشذا الائمة الطاهرين الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

والحمد لله رب العالمين



المولد المبارك

في رمضان كانت المدينة هادئةً تلفها السكينة
إذ اشرق النور على الأكوان وزفت البشري «لخيزران»
فإنها قد ولدت عظيماً مطهراً مكرماً حلماً
يلوح من جبهته الضياء في وجهه للمصطفى سيماً
فذا عليّ الرضا يتسم وفي سجايا فضله يتمتم^(١)

* * *

(١) اتفق بعض المؤرخين على ولادة الامام الجواد عليه السلام انها كانت في شهر رمضان ام ١٩٥ هـ لكنهم اختلفوا في تحديد يوم الولادة وقد تراوحت اقوالهم بين الخامس خمسة عشر او سبعة عشر او تسعة عشر من رمضان.

نما اشار البعض الاخر من المؤرخين على ان ولادته كانت في العاشر من شهر رجب اء على التوقيع الصادر من الناحية المقدسة في الزيارة المشهورة في رجب وهي:
«اللهم اني اسالك بالمولودين في رجب: محمد بن علي الثاني وابنه علي بن محمد نتجب واتقرب بهما اليك خير القرب»

لعل العاشر من رجب سنة ١٩٥ هـ هو التاريخ المشهور بين الشيعة. امه أم ولد اشتراها الامام الرضا عليه السلام في مكة، وقد أشارت المصادر الى تعدد اسمائها من بيكة، الى سكيئة، الى درة، الى سكن، الى ريجانه، وقد سماها الامام الرضا عليه السلام فيما بعد لخيزران، وكانت نوبية من شمال افريقيا اما من مصر او من المغرب، وقيل هي من نسل رية القبطية، جارية وزوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وأم ولده ابراهيم، وكانت كنيته «ام الحسن» كانت من الجلالة، والشرف، والطهارة أن وردت في حقها عدة نصوص تُشير الى نلها.

اء في كتاب عيون المعجزات للحسين بن عبد الوهاب: لما بُشِّرَ الامام الرضا عليه السلام بولادة ده الجواد عليه السلام قال: قُدِّسَتْ أُمُّ وَلَدَتِهِ قَدْ خُلِقَتْ طَاهِرَةً مَطْهَرَةً.



صفاته والقابه

يقول إنه شبيه موسى وهو بهديه شبيه عيسى
ألقابه الجواد والتقوي والمرضى القانع والرضي
يُعرفُ بالرفق وبالسخاء والبر والرحمة والعطاء
وطالما أطراه جُلُ العلماء مكارم تبلغ في المجد السما
فجبهه فريضة مكتوبه وفي اتباع نهجه مثوبه^(١)

(١) إن قضية تشبيه الائمة عليهم السلام في أخلاقهم وبعض صفاتهم بنخبة معينة من الانبياء عليهم السلام ليست بالامر الجديد في حياة الامام الجواد عليه السلام .

وتذكر المصادر التاريخية ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى آدَمَ فِي عِلْمِهِ وَإِلَى نُوحٍ فِي تَقْوَاهُ وَإِلَى إِبْرَاهِيمَ فِي حِلْمِهِ وَإِلَى مُوسَى فِي هَيْبَتِهِ وَإِلَى عِيسَى فِي عِبَادَتِهِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ».

وهكذا بعض الائمة في احوالهم كالامام الحسين عليه السلام وشبهه بنبي الله يحيى عليه السلام وكُنَّا قَدْ تَطَرَّقْنَا إِلَى ذَلِكَ فِي حَيَاةِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عليه السلام وَالْإِمَامِ الْكَاسِمِ عليه السلام وَشَرَحْنَا الشَّبْهَ بِلِ الْخِصَالِ الَّتِي تَجْمَعُهُمْ مَعَ بَعْضِ الْإِنْبِيَاءِ عليهم السلام .

وهكذا هو الحال مع الامام الجواد عليه السلام الذي وردت فيه نصوص تفيد ان له شبه بأثنين من انبياء أولي العزم وهم: موسى، وعيسى عليه السلام إضافة الى نبي الله يحيى عليه السلام وهذا الشبه نابع من خصلة، او خصال لازمت حياة هؤلاء الانبياء عليهم السلام واتسم بها الامام الجواد عليه السلام ومن هنا حصلت الملازمة.

وينقل لنا الطبرسي بسند متصل الى صفوان بن يحيى قال: قلتُ للإمام الرضا عليه السلام: إن كان كون فالي مَنْ؟ - يقصد الى مَنْ نرجع بعدك - فأشار الإمام الرضا عليه السلام الى ولده أبي جعفر الجواد عليه السلام وهو قائم بين يديه، فقلتُ له: جعلتُ فداك هذا ابن ثلاث سنين فقال عليه السلام: ما يضره من ذلك، وقد قام عيسى بن مريم بالحجة، وهو ابن أقل من ثلاث سنين. واعلام الورى ٩٣/٢.



⇒ كما نقل الكليني ايضاً بسند متصل الى علي بن اسباط قال:
خرج عليّ ابو جعفر الجواد عليه السلام بعد موت ابيه الرضا عليه السلام فنظرت الى صغر قامته فقال لي:
يا علي ان الله تعالى احتج في الأمامة بمثل ما احتج بيحيى في النبوة فقال: «وآتيناه
الحكم صبياً» مريم/١٢، الكافي ٤١٣/١.

وقد تواترت كتب التراجم والسير إن القاب الامام الجواد عليه السلام كانت تنشق من افعاله
واخلاقه ومن عمق معارفه، وعلومه، حيث يستشف منها عظم شخصيته المباركة ومنها:
الجواد: وهو من اشهر القابه التي عرف بها لانه اكثر أهل زمانه جوداً، وسخاءً، وعطاءً،
حتى غلب هذا اللقب على جده الامام موسى بن جعفر عليه السلام المدفون معه فقيل «الجوادين»
من باب التغليب المعروف في اللغة: المنتخب، المنتخب، المختار: كون ان الله سبحانه قد
انتخبه، وانتجبه، واختاره للامامة الحققة رغم صغر سنه.

الزكي: وذلك لطهارته عن كل رذيلة او رجس.

العالم: وذلك لعظم علومه واتساعها.

التقي: وذلك لانه اتقى اهل زمانه واشدهم خوفاً من الله سبحانه.

باب المراد: وهو من القابه السارية التي لهج بها القريب والبعيد لانه مقصد حاجات
الطالبين.

كل هذه الالقاب والصفات تدل على شرف المسمى، وفيما يلي مقاطع من الارجوزة
الشيخ محمد حسين الاصفهاني - قدس - المتوفي سنة ١٣٦١هـ قالها في حق الائمة عليهم السلام
ومنهم الامام الجواد عليه السلام والقابه وصفاته ولا سيما لقبه الجواد :

هو الجواد لا الى نهايه	وجوده غاية كل غايه
وجوده مصباح انوار الهدى	وجوده مفتاح ابواب الندى
له يدُ المعروف بالمعارف	فأنها قرة عين العارف
وباب ابواب المراد بابه	والحرز من كل البلا حجابيه
كهف الورى وغوث كل ملتجي	في الضيق والشدة باب الفرج
هو الجواد لا جواد غيره	لا خير في الوجود الا خيره
وجاء بالتكوين والتشريع	بمقتضى مقامه الرفيع





حتى اذا لم تبق منه باقيه جاد بانفس النفوس الراقيه
جاد بنفسه سميما ظاميا نال من الجود مقاما ساميا
والعروة الوثقى التي لا تنصم تقطعت ظلماً بسم المعتصم
قضى شهيدا وهو في شبابه دس اليه السم في شرابه
تعسا وبؤسا لابنة المأمون من غدرها وحقدها المكنون
سمته غيلة بامر المعتصم والحق داءً هو يُعمي ويصم
قضى شهيداً وبكاه الجود كأنه بنفسه يجود

ومن المفيد ذكره هنا ان للجواد عليه السلام كنيتهين احدهما المشهورة وهي: ابو جعفر الثاني،
تميزاً له عن جده الباقر عليه السلام الذي كنيته ابو جعفر الاول، وله كنية ثانية وهي: ابو علي،
وذلك لما ولد له ولده الامام علي الهادي عليه السلام . اعيان الشيعة ٤/١٦١.



حياته مع ابيه

عاش بأكنافِ الرضا مكرّما
القى الرضا اليه من اسراره
يقصدهُ من يطلب الكمالا
يُشبهه في حديثه النبيّا
يُفسرُ الكتابَ في تدبّر
وخلفه تمشي كبارُ العلما
يروى الحديثَ الصدقَ عن آباءه
ولم ينل علومه من علما
فصار في ذا موضع افتخاره
ومن يريدُ ان يرى الجمالا
يحمل رايات الهدى صبيّا
يرقى به من منبرٍ لمنبر
لأن في منهاجه نهجَ السما
فيرتوي الضمأنُ من روائه^(١)

(١) تشير المصادر الى ان الامام الجواد عليه السلام قد عاش قليلاً في ظل رعاية ابيه الرضا عليه السلام فكان من الطبيعي ان يحفه الوالد الكريم بعواطفه يغمره بالطافه، وفي هذا المجال تشير المصادر الى ان الامام الرضا عليه السلام كان يعامله بكل تعظيم وتسجيل، فلا يخاطبه بأسمه بل بكنيته ابي جعفر امام شيعته ومواليه، وكان الرضا عليه السلام قد حمله معه من المدينة الى مكة ومنها الى خراسان زيادة في اشهار فضله والتهيأة لأمته، وكان والده عليه السلام يعمل بكل جهدٍ لتثبيت قواعد إمامته فكان يقول دائماً: هذا ابو جعفر قد أجلسه مجلسي، وصيرته مكاني، ونحن اهل بيت يتوارث اصاغرنا عن اكابرنا.

وكان الرضا عليه السلام يفيض عليه في هذه المدة القصيرة بغوامض العلوم وأدقها، ويرفع له من إخلاق الانبياء عليهم السلام إعلماً يقتدي بها، فتربى آنذاك تربية الهدى والصلاح، ونهل من علومه وعلوم آباءه واجداده ما نهل حتى استقام عوده، واشتدت عريكته، فصار مرجعاً لأهل زمانه، وقطباً للامامة والبرهان.

وتشير المصادر الى ان الامام الرضا عليه السلام كان يشيد بفضله في كل حلبة وميدان فقد ورد في اثبات الوصية حيث انه عليه السلام قال مرة لصفوان بن يحيى: كان ولدي ابو جعفر محدثاً.

اثبات الوصية ، للمسعودي / ٢١٢



⇒

ويشير المسعودي كذلك في اثبات الوصية ما يدل على انه عليه السلام قد نحله من العلوم والمعارف الشيء الكثير، فبمسند متصل الى كلثم بن عمران قال: لما ولد الجواد عليه السلام كان الرضا طول ليلته يناغيه في مهده، فلما طال ذلك الى عدة ليالي قلت للرضا عليه السلام: جعلت فداك الى متى تعودته؟ فقال عليه السلام: ليس هذا عوذة وانما اغره العلم غرا.

وقد رويت اخبار تشير الى انه عليه السلام قد ارتقى المنابر وهو صغير، واطهر فضله وفضل ابائه، وفي هذا الصدد ذكر البحراني عن حركة الامام الجواد عليه السلام العلمية حيث قال: جيء بأبي جعفر الجواد عليه السلام الى مسجد رسول الله ﷺ بعد شهادة ابيه الرضا عليه السلام وهو طفل، وسرعان ما رقى المنبر ثم نطق فقال: انا محمد بن علي الرضا، انا الجواد، انا والله لولا تظاهر اهل الباطل، ودولة اهل الضلال، ووثوب اهل الشك لقلت قولاً تعجب منه الاولون والآخرين. مستدرك عوالم العلوم ٢٣/١٥٩.

ونقل الطبري الامامي بسند متصل الى زكريا بن ادم قال: اني لعند الرضا عليه السلام اذ جيء بابي جعفر عليه السلام وله من العمر اربع سنين، فضرب بيده الى الارض ورفع رأسه الى السماء وهو يفكر، فقال له الرضا عليه السلام: بنفسي انت لم طال فكرك؟ فقال ابو جعفر عليه السلام: فيما صنع بامي الزهراء، فقبله الرضا عليه السلام بين عينيه ثم قال: بأبي انت وامي انت لها - يعني الامامة من بعده. دلائل امامة/٢١٢.

وهكذا عاش الامام الجواد عليه السلام عزيزاً كريماً في ظل ابيه الرضا عليه السلام ونهل من علومه واخلاقه الشيء الكثير.



شهادة الامام الرضا عليه السلام

و حين حانت للرضا الشهادة
في قصة مؤلمة حزينه
ليحضر التغمسيل والتشييعا
حيث قضى أبوه في غربته
عانقه وضمه طويلا
مودعاً إياه بالدموع
جاء الى «مرو» بغير العاده
مغادراً أهليه في المدينه
وكي يعيش الحادث المريعا
يصارع السموم في أنته
يفضي اليه قوله الثقيل
ورهبه الفراق والخشوع^(١)

(١) ذكرنا ذلك فيما سبق في حياة الامام الرضا عليه السلام وشهادته، وذكرنا ان الامام الجواد عليه السلام قد حضر اباه الرضا عليه السلام قبل وفاته، ثم اشرف بعد ذلك على تغسيله وتكفينه والصلاة عليه، كما عليه الرواية المشهورة، وبهذا الصدد ورد في عيون اخبار الرضا للصدوق بسند متصل الى ابي الصلت الهروي قال:

«لما سم الامام الرضا عليه السلام ودخل داره وهو مغطي الرأس مكثت واقفاً في صحن الدار مهموماً محزوناً، فبينما انا كذلك اذ دخل علي شاب حسن الوجه ققط الشعر أشبه الناس بالرضا عليه السلام فبادرت اليه وقلت له: من اين دخلت والباب مغلق؟ فقال: الذي جاء بي من المدينة في هذا الوقت هو الذي أدخلني الدار والباب مغلق، فقلت له: من أنت؟ فقال لي: انا حجة الله عليك يا ابا الصلت، انا محمد بن علي، ثم مضى نحو ابيه الرضا عليه السلام فدخل وامرني بالدخول معه، فلما نظر اليه الرضا عليه السلام وثب اليه وعانقه وضمه الى صدره وقبله ما بين عينيه ثم سحبه الى فراشه واخذ يساره بشيء لم افهمه، ثم قال ابو الصلت: فلما مضى الرضا - اي توفي - قال ابو جعفر: قم يا ابا الصلت واتني بالمغتسل والماء من الخزانة، فقلت له: ما في الخزانة مغتسل وماء، فقال عليه السلام: انته الى ما امرك به؟

فدخلت الخزانة فاذا فيه مغتسل وماء فاخرجته وشمرت لاغسله معه فقال لي: تنح يا ابا الصلت فان لي من يعني غيرك، فغسله فقال عليه السلام: قم فان في الخزانة تابوتا، فدخلت ووجدت تابوتا لم اره قط، فأتيته به فأخذه عليه السلام ووضع اباه ثم صلى عليه وسرعان ما اختفى عليه السلام. عيون اخبار الرضا ٢/٢٥٣.



امامة الامام الجواد عليه السلام

من بعد أن أوصى الى الجواد
وهو ابنُ تسعٍ لم يصل للعشر
كان ابن داود صبيّاً مثله
ذرية توارثت علومها
توارثوها من علوم طه
ملهمة أسراها خفيه
كان الجواد غصنها الطهورا
ليصبح الامام للعباد
مشيئة لله كانت تجري
وقد غدى «يحيى» نبياً قبله
والكل كان بالهدى موسوما
ومن سجايا حيدر هداها
كدوحة طيبة قدسّيه
في ظلمة الدرب يشع نورا^(١)

- (١) لقد رسخ الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام إمامة ابنه الجواد كما قام بذلك الائمة عليه السلام الذين سبقوه حيث نوهوا باسم من يأتي من بعدهم من أئمة وفي هذا المجال سنعرض المواقف التي تبث بها الإمام الرضا عليه السلام إمامة الجواد ودعا شيعته للاعتصام بها ومن ذلك.
- قال الراوي : سمعت الرضا وذكر شيئاً فقال: ما حاجتكم الى ذلك؟ هذا ابو جعفر قد اجلسته مجلسي وصيرته مكاني، وقال: إنا أهل بيت يتوارث اصاغرنا عن اكابرنا القذة بالقذة. اصول الكافي ٢٥٦/١.
- قال الراوي: قلت للرضا عليه السلام قد كنا نسألك قبل ان يهب الله لك ابا جعفر فكنت تقول: يهب الله لي غلاماً ، فقد وهبه الله لك، فأقر عيوننا، فلا أرانا الله يومك، فأن كان كونٌ فإلى من؟ فأشار بيده الى أبي جعفر عليه السلام وهو قائم بين يديه، فقلت له: جعلت فداك هذا بن ثلاث سنين؟! قال عليه السلام: وما يضره من ذلك، قد قام عيسى بالحجة وهو ابن اقل من ثلاث سنين. اعلام الوري ٩٢/٢.
- قال الراوي، سمعت دعبل بن علي الخزاعي يقول: انشدت مولاي علي ابن موسى الرضا عليه السلام قصيدتي - الى ان قال - : يا دعبل الإمام بعدي محمد ابني وبعد محمد ابنه علي وبعد علي ابنه الحسن وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر.
- متدرك عوالم العلوم: ٧٣/٢٣.



العلاقة مع المأمون

قرببه المأمون في إكرام
وأظهر الإيمان بالامامه
فزوج الجواد «أم الفضل»
وضج اذ ذاك بنو العباس
قالوا نخاف ان يضيع الامر
آل علي وبنو العباس
لكنما المأمون قال قولا
قد قطعوا أرحامهم وسلوا
فلم يكونوا لي يوماً قدوه
هذا أبو جعفر الجواد
وهو وان بدا لهم أعجوبه
رغمأ على الحساد والطغام
سياسة أبقى بها نظامه
مخالفاً في ذاك جلّ الاهل
حيث بدت حمية الأرجاس
وهم قليلون ونحن كثر
خصومة معروفة للناس
لست كمن قد كان مثلي قبلا
سيفاً به لبغيهم محل
وليس لي في الظالمين اسوه
من شهدت بفضله العباد
لكن في اكرامه مثوبه⁽¹⁾

(1) لعل في تقيّد المأمون العباسي لباس التشيع ومولاة أهل البيت عليه السلام والذي أشرنا اليه من قبل انما جاء نتيجة الدهاء الذي عرف به خلاف ما قيل عنه كون ذلك الأمر كان طبعاً لا تطبعاً.

فهذا السلوك انما يصرع اليه الطغام من الناس عسى أن يقيهم تقلبات الدهر، ولا سيما ذوي السلطان منهم، وهكذا فعل المأمون فيما سبق مع الأمام الرضا عليه السلام وفيما بعدم زلده الجواد عليه السلام والذي سرعان ما زوجه ابنته أم الفضل، رغم ان ذلك له ما يبرره كون ما ظهر من الأمام الجواد عليه السلام من الفضائل والمناقب هي التي حملت المأمون على فعله.



⇒ وفي هذا الصدد ينقل الشيخ المفيد انه: كان المامون قد شغف بابي جعفر عليه السلام لما رأى من فضله مع صغر سنه، وبلوغه في العلم، والحكمة، والأدب، وكمال العقل ما لم يساوه فيه أحد من مشايخ أهل الزمان، فزوجه ابنته ام الفضل، وكان مُقبلاً على إكرامه وتفضيله واجلال قدره، اضافة الى ان فعله هذا مع الجواد عليه السلام قد يُخفي ورائه جملة من الأمور منها دفع تهمة اغتيال ابيه الرضا عليه السلام عنه، والأبقاء على كسب ود العلويين، والسيطرة على تمردهم إضافة الى وضع الأمام عليه السلام تحت عينيه خوفاً منه. الارشاد / ٣١٩.

وتشير المصادر ؛ أن المامون قد لاقى من تقريب الجواد عليه السلام وتزويجه اعتراض العباسيين من أقاربه، وخوفهم من قوة شوكة خصومهم العلويين الذين أبعادوا طويلاً عن سدة الحكم، لكن المامون برر فعله هذا لهم بأنه يزيد صلة رحمه، اضافة الى رجاحة عقل المأمون وكونه خلاف مَنْ سبقه من الخلفاء في قطع أرحامهم، والذين اخذوا السلطة بالقهر والأغتصاب وهذا الإمام الجواد عليه السلام اعجوبة عصره في العقل، والكمال من ابناء عمومته، فمَنْ هو أوى بالأكرام والتقديم غيره؟!.



المناظرة المشهورة

من شك في علومه فليات
فاجتمعوا وفيهم «ابن اكثم»
لكنه الجاهلُ والحقودُ
قد سأل الامام أي مسأله
فقال : ما تقول فيمن قتلا
وبعد ان ساءله الامام :
أجاهلاً كان به أم عالماً ؟
هل صاده في الليل أم نهار ؟
ثم مضى الإمام في سؤاله
فبهت ابن اكثم وظلا
ففرح المأمون للمناظره

مناظراً أقواله في بيته
وهو لدى المأمون أقوى عالم
والفاسقُ الخبيثُ والحسودُ
غدت على من سمعها معضله
صيداً وكان محرماً مبتهلاً ؟
أضمه الحل أم الأحرام ؟
غدا مصراً طائشاً أم نادماً ؟
كان صغيراً أم من الكبار ؟
مستفسراً عن فعله وحاله !!
بصمته لا يستطيع قولاً !!
حيث بنو العباس ظلت حائره^(١)

(١) قال الراوي؛ بسند متصل الى الريان بن شبيب - خال المعتصم - قال: لما أراد المأمون أن يزوج ابنته أم الفضل أبا جعفر محمد الجواد عليه السلام بلغ ذلك العباسيين فغلظ عليهم الأمر وأستنكروا منه، وخافوا أن ينتهي الأمر معه الى ما انتهى مع ابيه الرضا عليه السلام فخاضوا في ذلك، فقال لهم المأمون : لقد اخترته لتبريزه على كافة أهل الفضل في العلم، والفضل مع سنة والأعجوبة فيه، وأنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه، فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر، فخرجوا من عنده واجتمع رأيهم على دعوة «يحيى ابن اكثم» وهو يومئذ قاضي الزمان على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها، ووعدوه بأموال نفيسه على ذلك، واجتمعوا في اليوم الذي اتفقوا عليه وحضر معهم يحيى بن اكثم، ثم أمر المأمون إن يفرش لأبي جعفر دست فجاء ابو جعفر عليه السلام وهو



⇒

يومئذ ابن تسع سنين وأشهر، فقال يحيى بن اكرم : أتاذن لي - جعلت فداك - في
مسألة ؟

فقال الجواد عليه السلام : سل ما شئت ؟

فقال يحيى : ما تقول - جعلت فداك - في محرم قتل صيداً ؟

فقال ابو جعفر الجواد عليه السلام : قتله في حل أو حرم عالماً كان بالمحرم إم جهلاً، قتله عمداً
أو خطأ، حرماً كان المحرم أو عبداً، صغيراً كان أو كبيراً، مبتدأ بالقتل أو معيداً، من
ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها، من صغار الصيد أم من كبارها، مُصراً علي ما فعل
أو نادماً، في الليل كان قتله للصيد أم بالنهار، محرماً كان بعمرة إذ قتله أو محرماً بحج؟
فتحير ابن اكرم وبنان في وجهه العجز والأنقطاع وتلجلج، حتى عرف عامة المجلس
عجزه، فلما تفرق الناس وبقي الخاصة، قال المأمون لأبي جعفر عليه السلام : جعلت فداك إن
رأيت أن تذكر وجوه الفقه فيما فصلته من وجوه قتل المحرم لتعلمه ونستفيده؟

فقال ابو جعفر عليه السلام : نعم إن المحرم إذا قتل صيداً في الحل وكان الصيد من ذوات الطير
وكان من كبارها فعليه شاة، وإن اصابه في الحرم فعليه الجزاء مُضاعفاً، وإذا قتل فرضاً
في الحل فعليه حمل قد فطم من اللبن، فإذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ.
فإذا كان من الوحش وكان حمار وحش فعليه بقرة، وإن كان نعامة فعليه بدنه، وإن
كان ظبياً فعليه شاة، فإن كان قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مُضاعفاً هدياً
بالغ الكعبة، وإذا اصاب المحرم ما يجب عليه الهدي وكان إحرامه للحج نحره بمنى، وإن
كان إحرام بعمرة نحره بمكة، وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء وفي العمدة عليه
المأثم، وهو موضوع عنه في الخطأ والكفارة على الحر في نفسه وعلى السيد في عبده
والصغير لا كفارة عليه، وعلى الكبير واجبة، والنادم يسقط ندمه عقاب الآخرة والمصر
يجب عليه العقاب في الآخرة.

فقال المأمون : أحسنت يا أبا جعفر أحسن الله إليك.

ثم طلب المأمون : من الامام ان يسأل يحيى بن اكرم مسألة كما سأله، فقال ابو
جعفر عليه السلام ليحيى : إخبارني عن رجل نظر الى امرأة في أول النهار فكان نظره اليها
حراماً عليه، فلما ارتفع النهار حلت له، فلما زالت الشمس حرمت عليه، فلما كان
وقت العصر حلت له، فلما غربت الشمس حرمت عليه فلما طلع الفجر حلت له،

⇐



⇒
خبرني ما حال هذه المرأة وبماذا حُلت له وحُرمتُ عليه؟
نقال يحيى بن اكرم: والله لا اهتدي الى جواب هذا السؤال، ولا اعرف الوجه فيه فأن
ايت ان تفيدنا؟

قال ابو جعفر عليه السلام: هذه أمة لرجل من الناس نظراً إليها أجنبي في أول النهار فكان
ظره اليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلت له، فلما كان عند
لظهر اعتقها فحرمت عليه، فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له، فلما كان وقت
لمغرب ظاهر منها فحرمت عليه، فلما كان وقت العشاء الآخرة كفر عن الظاهر فحلت
له، فلما كان نصف الليل طلقها طلقاً واحداً فحرمت عليه، فلما كان عند الفجر
اجعها فحلت له.

قال المأمون لمن حضر من أهل بيته من العباسيين: هل فيكم من يجيب عن هذه المسألة
مثل هذا الجواب، أو يعرف فيما تقدم من السؤال؟
من الجدير بالذكر هنا ان ليحيى بن اكرم عدة مسائل اخرى اجاب عنها الامام
لجواد عليه السلام في قضايا حديثة. الاحتجاج ٢/٢٤.



علمه وعطاؤه

ظل الجواد بعدها في طوس
مجادلاً بالحجج القويه
بحجة السنة والقرآن
حتى غدت اخباره معروفه
كيف لا وجدّه النبيُّ
عشرة أعوامٍ وخمسٍ بقيا
يشرق في الظلمة كالشموسِ
خصومه العبيدة العتيه
راح يسوقُ أعظمَ البرهانِ
تُسمعُ من طوسٍ لأرض الكوفه
محمدٌ والمرضى عليُّ
يؤم في طوسٍ جموعَ الاتقيا^(١)

* * *

(١) تشير المصادر ان الامام الجواد عليه السلام بقي بعد وفاة ابيه الرضا عليه السلام ١٧ سنة وانه عليه السلام عاش اطول فترة من حياته خلال حكم المأمون العباسي، وانه لم يكن في ضيق من أمره بحيث استغل هذه الفترة لأداء رسالته، ولا سيما في الجوانب الفكرية والاجتماعية، وفي خلال تلك الفترة اجتمع علماء شيعته على امامته، واخذوا منه، وريت عنه الكثير من الاحاديث في مختلف العلوم والمعارف، وصارت له جمهرة كبيرة من الطلاب الذين نهلوا من علمه، حتى نقلت المصادر شيوع علومه واخباره من طوس الى بغداد الى الكوفة، وحتى المدينة، حيث كان هناك بل اغلب امصار العالم الاسلامي آنذاك، وقد وصلت اليها من علومه شذرات ذهبية في مجال علوم القرآن، والحديث، والفقه، والكثير من علوم الكلام، والنحو .. وغيرها. إضافة الى ما ورد عنه من المحاججات الفاخرة، وقصار الحكم والمواعظ، ومراجعة دقيقة لما تضمنه حلقاته المباركة من افذاذ الرجال ممن نقل تراجمهم الشيخ الطوسي في «الفهرس» بأسماء تلاميذه تتضح عمق هذه الحلقة وسعة علومها.



اصحاب الامام الجواد عليه السلام

من صحبه أحمد البرقي وبعده صالح الهمداني ثم علي بن اسباط ومن والذكر من عبد العظيم يتلى ثم ابو يوسف الأنباري وابن شعيب ذلك البغدادي والفضل من يوصف نيسابوري وغيرهم من الرواة الكرما ثم ابو طالب القمي والثقة المعروف بالصفوان ألف في علومه من كل فن الى الوجيه حمزة بن يعلى والعمرى صاحب الأسرار ومن روى الفقه عن الجواد والبجلي بائع السابوري الفقهاء العارفين العلماء^(١)

(١) احمد البرقي: أبو جعفر بن محمد بن خالد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي البرقي. قد عدّه الشيخ الطوسي في كتاب رجاله تارة من اصحاب الجواد عليه السلام واخرى من اصحاب الهادي عليه السلام ويُعتبر البرقي من أعظم علماء الشيعة، وثقة الامامين الجواد الهادي عليه السلام وللبرقي أثر خالد ذلك هو كتابه «المحاسن» الذي كان مرجعاً لعلماء التاريخ الجغرافيا والتراجم، كما كان مرجعاً لعلماء الحديث.

و طالب القمي: عبد الله بن الصلت مولى بني تيم اللات ابن تغلبة ثقة، مسكون الى وايتة، له كتاب روى عن الرضا عليه السلام، يعرف له كتاب «التفسير» وهو من اصحاب لجواد عليه السلام الا ان الشيخ الطوسي ذكره في اصحاب الرضا عليه السلام.

صالح الهمداني: صالح بن محمد الهمداني من اصحاب الجواد عليه السلام ثقة إلا ان الشيخ طوسي ذكره في اصحاب الهادي عليه السلام.



⇒

الصهبان: محمد بن عبد الجبار، وهو ابن أبي الصهبان، ثقة قمي من اصحاب الجواد عليه السلام وولده وحفيده العسكري عليه السلام.

علي بن أسباط: هو علي بن أسباط بن سالم الكندي، بياع الزطي، كوفي، قال الكشي: انه كان فطحياً، وقال النجاشي: ان كان فطحياً جرى بينه وبين علي بن مهزيار رسائل في ذلك، فرجعوا الى أبي جعفر الثاني الجواد عليه السلام فرجع علي بن أسباط عن ذلك القول والرأي، وقد روى عن الرضا عليه السلام من قبل ذلك، وكان ثقة، أوثق الناس وأصدقهم لهجة، وله أصل وروايات من كتبه: كتاب الدلائل، وكتاب التفسير، وكتاب المزار، وكتاب نوادر مشهور. رجال النجاشي/ ١٩٠.

عبد العظيم: بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام يكنى بابي القاسم، كان عابداً ورعاً من خواص الامام الجواد، وصاحب الامام الهادي، وحفيده العسكري عليه السلام، وقد عدَّ الامام الهادي زيارة قبره كفضل زيارة قبره الحسين عليه السلام وقبره في الري جنوب طهران ويقصده الناس للزيارة.

حمزة بن يعلى: الاشعري القمي، من اصحاب الامام الجواد عليه السلام روى عن الرضا عليه السلام وابي جعفر الثاني، وهو ثقة، ومن وجوه العلماء الرواة. النجاشي/ ١٤١.

ابو يوسف الانباري: يعقوب بن يزيد بن حماد الكاتب ثقة، صدوق، روى عن الامام الجواد عليه السلام وهو من اصحابه، وكان من اصحاب أبيه قبله.

العمري: عثمان بن سعيد، يكنى أبا عمرو والسمان، ويقال له: الزيات الأسدي، ثقة جليل القدر من اصحاب الجواد عليه السلام عاصر الامام العسكري عليه السلام وصار له وكيلاً.

ابن شعيب: نوح بن شعيب البغدادي، كان فقيهاً، عالماً، صالحاً، مرضياً، وقد وثقه الطوسي وهو من اصحاب الجواد عليه السلام.

الفضل النيسابوري: هو ابو محمد الفضل بن شاذان بن الخليل الازدي النيسابوري، كان ثقة جليلاً فقيهاً، متكلماً، ترحم عليه الامام العسكري عليه السلام هو من اصحاب الجواد عليه السلام وقد روى عنه كما روى عن أبيه الرضا عليه السلام من قبل.

البعجلي: ابو محمد صفوان بن يحيى، بياع السابدي، كوفي، ثقة ثقة عين، روى أبوه عن أبي عبد الله عليه السلام وروى عن الرضا عليه السلام وكانت له عنده منزلة شريفة ذكره الكشي في رجال أبي الحسن موسى عليه السلام وقد توكل للرضا وأبي جعفر، وكانت له منزلة من الزهد

⇐



⇒ والعبادة، وكان شريكاً لعبد الله بن جندب، وعلي بن النعمان، وروى انهم تعاقدوا في بيت الله الحرام: انه من مات منهم صلى من بقي صلاته، وصام عنه صومه، وزكى عنه زكاته، فماتا وبقي صفوان، فكان يصلي في يوم مائة وخمسين ركعة، ويصوم في السنة ثلاثة أشهر، ويزكى ثلاث دفعات، وكل ما يتبرع به نفسه ما عدا ما ذكرناه تبرع عنهما ما مثله.

وقد صنف ثلاثين كتاباً كما ذكر اصحابنا منها: كتاب الوضوء، كتاب الصلاة، كتاب الحج، كتاب الزكاة، كتاب النكاح، كتاب الطلاق، كتاب الفرائض، كتاب الوصايا، كتاب الشري والبيع، كتاب العتق والتدبير، كتاب النبارات والنوادر، مات صفوان بن يحيى رحمه الله سنة عشرة ومائتين، وترحم عليه الامام الجواد عليه السلام وشهد له بأنه كان من حزب آبائه الكرام وهو حزب الله المفلحون. الحارثي ١/٤٤٠.

هؤلاء وبعض الفقهاء والرواة من اصحاب الامام الجواد عليه السلام الذين حملوا تراث مدرسة اهل البيت عليهم السلام وأوصلوه الى الاجيال بأمانه وصدق رغم المعاناة والمحن. ونضيف اليهم آخرين بعض الرواة الثقة معتمدين في ذلك على كتاب اعلام الهداية الجزء الخاص بالامام الجواد عليه السلام وهم:

الحسين بن سعيد الاهوازي: ابن حماد الاهوازي ثقة، روى عن الامام الرضا عليه السلام وأبي جعفر الجواد عليه السلام وأبي الحسن الثالث وهو الامام الهادي عليه السلام.

أخوه الحسين بن سعيد الاهوازي: من اصحاب الامام الرضا عليه السلام والامام الجواد عليه السلام يقول الشيخ الطوسي عن الحسين الاهوازي: ثقة، أصله من الكوفة، وانتقل مع أخيه الحسن رحمه الله الى الاهواز، ثم تحول الى قم، وتوفي بقم، له ثلاثون كتاباً.

محمد بن اسماعيل: ابن بزيع، عدّه الشيخ الطوسي من اصحاب الامام الرضا والامام الجواد عليه السلام، وكان من خيار اصحاب الائمة في ورعه وتقواه حتى قال عنه الامام الرضا عليه السلام عندما ذكر عنده عليه السلام: «وددت أن فيكم مثله» ولمحمد بن اسماعيل علاقة خاصة وتمييزة بالامام الجواد عليه السلام وقد روى عنه بعض الاحاديث المتعلقة باحكام الشريعة، ومن الظريف انه سأل الامام يوماً ان يأمر له بقميص من قمصه ليجعلهُ كفنًا، فبعث اليه الامام عليه السلام بذلك وهذا يدل على اتصاليه الوثيق بالامام وعمق صلته الروحية به.

علي بن مهزيار: كان مسيحياً فهداه الله الى الايمان بالاسلام فأسلم، واخلص وهو من



⇒ ابرز أصحاب الامام الجواد عليه السلام ومن مشاهير علماء عصره فضلاً وتقوى، وقد أجمع المترجمون له بالوثاقة في الرواية، فقد قال النجاشي: كان ثقة في روايته لا يطعن عليه كما له مجموعة من المؤلفات تدل على سعة علمه ومصارفه ومن بينها؛ كتاب الوضوء، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والطلاق، والحدود، والتفسير، وكتاب البشارات، ورسائل علي بن أسباط.

وهذه المؤلفات المتنوعة في مجالات الفقه، والعقيدة والتفسير، والاخلاق، تشهد على انه من كبار الفقهاء في الاسلام.

ابراهيم بن أبي محمود الخراساني: من ثقة الرواة عن الامام الجواد عليه السلام كما ذكر الكشي في رجاله، وقد روى عن الامام موسى الكاظم عليه السلام وعلي بن أبي موسى الرضا عليه السلام.
ابراهيم بن محمد الهمداني: من الرجال الاجلاء والثقة، وقد روى عن الامام الجواد، وأبيه الرضا، وولده الهادي عليه السلام.

احمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي الكوفي: كان جليل القدر عظيم المنزلة عند الامام الجواد عليه السلام وأبيه الرضا عليه السلام.

أحمد بن معافي: من أصحاب الامام الجواد عليه السلام.

جعفر بن محمد بن يونس الآحول: من اصحاب الجواد وأبيه وجده عليه السلام.

الحسين بن بشار الدياني: من اصحاب الجواد وأبيه وجده عليه السلام.

الحكم بن علياء الاسدي: من اصحاب الجواد عليه السلام.

داود بن القاسم بن اسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام: يكنى أبا هاشم الجعفري، من أهل بغداد، جليل القدر، عظيم المنزلة عند الائمة عليه السلام صاحب الامام الجواد عليه السلام روى عنه كما روى عن ولده الهادي وحفيده العسكري.

عبد الجبار بن مبارك النهاوندي: من اصحاب الجواد وأبيه عليه السلام.

علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليه السلام: كان شديد الورع، كثير الفضل، جليل، القدر روى كثيراً عن الائمة عليه السلام كان صاحب الامام الجواد عليه السلام، ومن قبله للامام الصادق والكاظم والرضا عليه السلام.

علي بن بلال البغدادي: من أصحاب الجواد عليه السلام فحسب.

ابو علي محمد بن عيسى بن عبد الله بن سعد بن مالك الاشعري: شيخ المقيمين روى عن

←



⇒

الامام الجواد عليه السلام وسمع من الامام الرضا عليه السلام.

ابو يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت: كان عالماً باللغة، من خواص اصحاب الامام الجواد عليه السلام ومقرباً لديه، وكان مقدماً عند الامام الهادي عليه السلام قتله المتوكل العباسي لصلابة ايمانه وتشيعه لأهل البيت عليهم السلام.

ابو الحصين بن الحضيبي: من اصحاب الجواد عليه السلام وولده الهادي عليه السلام.

نكتفي بهذه الثلة الصادقة من تقاة الامام الجواد عليه السلام وقد أحصى الشيخ العطاردي صاحب مسند الامام الجواد مائة وواحداً وعشرين رواياً من رواة أحاديث الامام الجواد عليه السلام. بمن فيهم أصحابه ووكلاؤه وخواصه الذين يمثلون جماعة سالحة من كبار الفقهاء ووجهاء العلماء والادباء.

بينما أحصى السيد محمد كاظم القزويني في كتابه الامام الجواد من المهدي الى اللحد، مائة وخمسة وسبعين شخصاً من الرجال والنساء من اصحاب الامام الجواد عليه السلام.

راجع اعلام الهدى قسم/ الامام الجواد عليه السلام.



خلافة المعتصم

حتى قضى المأمون في همومٍ عند «البدندون» بأقصى الرومِ
ودفنه قد تمَّ في طرطوسي يحمل أياماً على الرؤوسِ
فقام بعده أخوه المعتصم وهو لعمرى مستبداً منتقم
ليس له علم ولا شجاعه ولا حفات القائد المطاعه
كان شغوفاً همه الغلمانُ والعزف والغناء والقيانُ
يثيرُ فتنةً وراء فتنه فأدخل الأمة أي محنه^(١)

(١) ذكر السيوطي: فقد مرض المأمون بالروم، فلما أشد مرضه طلب ابنه العباس ليقدّم عليه وهو يظن انه لا يدركه، فأتاه وهو مجهد، ولكن نفذت الكتب الى البلدان بتولية أخيه «ابو اسحاق المعتصم» بالخلافة من بعده، وقيل ان ذلك وقع بامرّه، وقيل بل كتبوا ذلك وقت غشيانه، ثم مات المأمون يوم الخميس ١٨ رجب سنة ٢١٨ هـ بمنطقة بدندون في أقصى الروم ونقل الى «طرطوس» ودفن بها. تاريخ الخلفاء / ٣١٢-٣١٣
ونقل المسعودي: نزل المأمون على عين ماء في «بدندون» بأقصى الروم، وسرعان ما اخذته رعدة بسبب نضوح الماء عليه، ولما علم دنو اجله اخذ يصيح: يامن لا يزول ملكه أرحم من زال ملكه. مزوج الذهب ٤/ ٣٣.
وفي ذلك قال الثعالبي: لا يعرف اب وابن من الخلفاء ابعد قبراً من هارون والمأمون، حيث دفن هارون في طوس، ودفن المأمون في طرطوس. لطائف المعارف / ١٤٥.
وفي ذلك أنشد ابو سعيد المخزومي:

هل رأيت النجوم أغنت عن المأمون او عن ملكه المأسوسِ
خلفوه بعرضتي طرطوس مثل ما خلفوا اباه بطوسِ



⇒ بعد وفاة المأمون نال الخلافة اخوه ابو اسحاق المعتصم محمد بن هارون الذي ولد سنة ١٨٠ هـ وإمه أم ولد، تركية، اسمها ماردة، وكانت حظية عند هارون. وقد عرف المعتصم بالجهل، وسوء الاخلاق، وبسمات اخرى نذكر منها ما ورد في كتب التاريخ كما في السطور التالية:

- كان عرياً عن العلم والمعرفة، وكانت كتابته ضعيفة، بل قيل كان أمياً، ولكنه كان ذا همّة وشجاعة. وقد عرف بالقسوة وشدة الغضب، وكان أشد الناس بطشاً، وعرف بالتبذير والاسراف في الطعام. السيوطي / ٣٣٤.
- كان معروفاً بالدلع في حب الغلمان، وكان له غلام تركي اسمه «عجيب».
- شهد عصره فتنة «خلق القرآن» جرياً على عادة إبيه المأمون أنه قتل لأجل ذلك خلقاً كثيراً من العلماء، وضرب الامام أحمد بن حنبل لأجل ذلك. المصدر السابق
- أول من أدخل الاتراك في بلاط الخلافة لأنهم إخوانه.
- اتخذ سامراء عاصمة له بدل بغداد ونقل الاتراك إليها.
- أخرج أحمد بن حنبل الذي سجنه أبوه المأمون من قبل بخصوص قضية «خلق القرآن» وأعادة عليه القضية، لكنه لم يقل فضربه ٣٨ سوطاً.
- كان له مجلس إنس وطرب وشرب. تنمة تاريخ الخلافة / ٣٠٨.
- تلطخت يده بالكثير من دماء العلويين وغيرهم، كما فعل في دلف اندي كان معروفاً بالتصلب في مولاة علي بن ابي طالب عليه السلام وكذلك قتل «محمد بن القاسم» الثائر العلوي، وكذلك إقدامه على سَمِّ الامام الجواد عليه السلام كما فعل ابوه المأمون من قبل من سَمِّ الامام الرضا عليه السلام وكما فعل جده هارون من سَمِّ جده الامام الكاظم عليه السلام.
- شهد عصره الكثير من الثورات والاضطرابات، ولا سيما من العلويين، وذلك لكثرة الفساد والظلم والاستبداد، إضافة الى التمايز الطبقي بين الرعية.
- تشير المصادر التاريخية انه قد هلك في نهاية الامر في سامراء بعد ان احتجم، فأصابته الحمى، فمات بعد ان حكم ٨ سنين و ٨ أشهر، ومن الظريف المناسب ذكره هنا هو كدت المصادر التاريخية على ان المعتصم كان ثامن خلفاء بين العباس، وثامن أولاد عباس، وقد انجب ثمانية أولاد، وثمان بنات، ولهذا يعرف بصاحب الثمانية.



الثورات على المعتصم

قد كثرت في عهده الثوراتُ
فالطالقان ثار فيها العلوي
وثورة الزط بارض البصره
وبابك قد ثار وهو الخرمي
وجاءت الرومُ الى «زبطره»
واضطرب الاقليم والاقليمُ
ونسيت في بيته الآياتُ
محمد بن القاسم الفذ القوي
عارمة ويالهها من ثوره
وثورة «المبرقع» المكرم
وغيرها من البلاد كثره
وليس من خليفة يقوم^(١)

(١) تطرقنا فيما سبق الى جملة من سمات عصر المعتصم العباسي، وأشرنا الى جملة من المفاصد التي عمت المجتمع آنذاك، كل تلك العوامل وغيرها ادخلت خلافة المعتصم في الكثير من المشاكل الداخلية والخارجية، حيث قامت الثورات، وشاع التمرد على السلطة، وكثر الطامعون في غزو الخلافة الاسلامية، وهذه ابرز الثورات التي وقعت آنذاك:

ثورة محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين عليه السلام : وأمه صفية بنت موسى بن عمر بن علي بن الحسين عليه السلام وقد خرج اولاً في الكوفة، ثم تنقل بين خراسان ومرو، ثم انتقل الى الطالقان وقد عرض الخلافة انذاك الى حروب ووقائع كثيرة حتى أسرع بخديعة، وقد أختلف في قتله فمن يقول انه قتل سماً في حبسه، ومنهم من يقول انه هرب من حبسه واختفت اخباره، ومنهم من يقول انه امتدت ايامه حتى خلافة المتوكل العباسي حيث مات في حبسه.

وقد وصفه المؤرخون بانه من اهل العبادة، والزهد، والورع، ومن اهل العلم والفقه، وكان ملازماً لمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله حسن السيرة، وللطائفة الزيدية فيه اعتقاد في إمامته.
مقاتل الطالبيين / ٣٧٦.

ثورة الزط في البصرة : وهم جماعة غلبوا على طريق البصرة وعاتوا فساداً واخلفوا السبيل، وكان يقودهم رجل اسمه محمد بن عثمان، ولهم مع المعتصم وقائده عجيف وقائع طويلة حتى سقطوا في الاسر، ثم نقلوا الى خانقين، فأغارت عليهم الروم ولم يفلت.



⇒

ووثب الزط بالبطائح بين البصرة وواسط فقطعوا الطريق فوجه اليهم المعتصم قائده احمد بن سعيد لكنه هزم ثم أرسل اليهم قائده عجيف سنة ٢١٩هـ فطلبوا الامان وساروا على حكم المعتصم، ثم ادخلهم بغداد وبعد ذلك اسكنهم خانقي. تاريخ يعقوبي ٤٧٢/٢.
ثورة بابك الخرمي: وفي سنة ٢٢١هـ خرج بابك الخرمي بعد ان جمع جيشاً كبيراً، وكان طامعاً في انتزاع الخلافة من المعتصم، فأرسل إليه المعتصم جيشاً بقيادة الافشين «حيدر بن كاوس» لمحاربتة، وجرت بينهما معارك شديدة انتهت بهزيمة بابك بعد ان امسكوه في بلاد ارمينية، ثم حمله الافشين الى سامراء مع اخيه عبد الله وهما يركبان فيلين ويرتديان زينة مذهبة، ثم غدر به المعتصم وقطع اعضائه وقتله شر قتلة، وإما اخوه عبد الله فبعثوا به الى بغداد ليفعل به ما فعل ببابك من قبل، وكان بابك اسمه الحسين، وللشعراء فيه اقوال حسنة. تنمة اخبار الخلفاء للقمي / ٣٠٦.

ثورة المبرقع في فلسطين: وفي سنة ٢٢٧هـ خالف على المعتصم ابو حرب المبرقع اليماني في فلسطين، والمبرقع صفة وليست لقباً له لانه البس وجه برقعاً، وكان سبب خروجه أن بعض جند المعتصم اراد دخول داره في غيابه فمنعته احدى نساته فضربها الجندي بسوط ولما رجع ابو حرب المبرقع أخبرته زوجته بذلك، فامتشق سيفه وقتل الجندي ثم هرب بعد ان تبرقع وتحصن في بعض جبال الاردن، حتى استجاب للثورة معه جماعة من الفلاحين في تلك المنطقة، وسرعان ما توسع جيشه ليشمل رؤساء من اهل اليمن ودمشق حتى وصلت اخباره الى المعتصم، وهو مريض فارسل اليه جيشاً بقيادة رجاء بن ايوب في زهاء الف رجل وقيل مائة الف رجل، فلما رأى كثرة جيش المبرقع رجع ولم يحاربه حتى تركه الى انصراف غالبية من كان معه من الفلاحين للحصاد ولأموار الزراعة، وبقي المبرقع في زهاء الف رجل حينئذ هلك المعتصم وتولى الواثق أمره فيما بعد، ثم أسرف في زمن الواثق.

سيطرة الروم على زبطرة: لما ضيق الافشين قائد جيش المعتصم على بابك الخرمي المذكور سابقاً كتب بابك الى ملك الروم «توفيل» يستحثه على المسلمين، ويؤكد له ان جيش المعتصم قليل، حينئذ تحرك ملك الروم سنة ٢٢٣هـ واحتل مدينة زبطرة، وقتل وأسّر وسبى النساء وفعل الافاعيل، وسرعان ما غضب المعتصم ووجه له جيشاً حتى احتل اعظم مدن الروم وهي عمورية بعد حصار شديد، ثم أسر حتى احتل مدينة عظيمة ايضاً في الروم هي باطس، وحدث هناك مجازر من قتل وحرق وسبي.



دور الاتراك

قد حازت المعتصم الاتراكُ
أخواله ومن بهم تقوى
قد أغدق الأموال والضياعا
مما آثار من حفيظة العربُ
فجيشهم وجمعهم فتاكُ
بغير رحمةٍ وغير تقوى
عليهم وأرخص المتاعا
وكرت في أرض بغداد الكُربُ^(١)

(١) لعل من أخس أعمال المعتصم العباسي هو الميل الى أخواله الاتراك وجلبهم الى بغداد وتسليطهم على العرب والفرس، حتى عاثوا هناك فساداً، وقد بلغ عدد الاتراك في زمانه سبعين الف، وتؤكد مصادر التاريخ انه قد صرف عليهم من الاموال الضياع وان تكوين جيش منهم أضاع الشيء الكثير من خزانة الدولة، مما أثر آنذاك على الوضع الاقتصادي للدولة نتيجة هذا التبذير.

في سنة ٢٢٠هـ تحول المعتصم من بغداد حيث بنى سامراء، وذلك لانه إعتنى بأقتناء الاتراك، حيث بعث الى سمرقند وبعض النواحي في شرائهم، وبذل فيهم الاموال وألبسهم مناطق الذهب، فكانوا يطردون خيله في بغداد ويؤذون الناس الى ان ضاقت بهم البلد، وشكى الناس ذلك الى المعتصم وهددوه باللجوء الى الله سبحانه بالدعاء عليه فكان ذلك سبب بنائه سامراء وتحوّله اليها. تاريخ الخلفاء / ٣٣٥.

وبلغت غلماناه من الاتراك بضعة عشر الف، وكان يتشبه بهم في مشيه. نفس المصدر.
وكان شاعر اهل البيت عليه السلام دعبل الخزاعي قد هجاه لاجل ذلك ولما خاف بطشه هرب الى مصر اولاً ثم الى المغرب، ومما هجاه به:

ملوك بني العباس في الكتب سبعة
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة
ولم تأتني في ثامن منهم الكتبُ
غداة ثوروا فيها وثامنهم كلبُ





وإني لأرفع كلبهم عنك رغبةً لأنك ذو ذنبٍ وليس له ذنبُ
قد ضاع امر الناس حيث يسوسهم وصيف واشناس وقد عظم الخطبُ
وهمّك تركي عليه مهانة فأنت له أم وانت له أبُ

وهنا يشير دعبل في «وصيف واشناس» الى اثنين من الاتراك جلبهم المعتصم وقد استبدا
أمر الخلافة دونه، كذلك يشير في البيت الاخير الى غلام تركي اسمه «عجيب» ولع به
لمعتصم كثيرا.

من الجدير ذكره هنا ان الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام قد ذكر في مغيباته
لمعتصم العباسي فيمن يتولى الخلافة في بغداد بقوله عليه السلام: وثامنهم كلبهم.

تمة أخبار الخلفاء / ٣٠١.



محنة الجواد عليه السلام

وخشي المعتصمُ الجوادا فوجه الاضغانَ والاحقادا
واستقدم الامامَ للعراقِ مبيتاً للحقدِ والنفاقِ
اسكنه بغدادَ كي يراقبه وكى يَبْثَ خلفه عقاربه
فحط في بغداد كالأسيرِ بهمه وصبره الكبيرِ
وظل تسعةً من الشهورِ قاسى بها فضائع الامورِ^(١)

* * *

(١) تشير المصادر التاريخية ان الامام الجواد عليه السلام عاد من خراسان الى المدينة مع زوجته بنت المؤمن، وهناك عمل الامام على بث الوعي الديني والافكار العلوية وكون قاعدة شعبية واسعة له، حينئذ شعر المعتصم العباسي ان نشاط الامام الجواد عليه السلام يهدد ملكه لذا قرر استدعائه الى بغداد ليكون على مقربة منه لكي يحمي عليه انفاسه ويراقب حركاته. وبهذا الصدد يقول الطبرسي: لما انصرف ابو جعفر الجواد عليه السلام من عند المأمون ومعه بنت المأمون زوجته الى المدينة، فلم يزل بها حتى اشخصه المعتصم الى بغداد أواخر محرم سنة ٢٢٠هـ فأقام بها حتى استشهاده. اعلام الوری ١٠٥/٢.

وهكذا بقي الامام عليه السلام يعاني الضيق وشدة المراقبة قرابة تسعة أشهر من أوائل صفر حتى إستشهاده في أواخر ذي القعدة عام ٢٢٠هـ.



شهادته عليه السلام

حتى قضى بالسّم في بغدادِ
وصيةً بالعهدِ والامامه
فكفّفوه عند دار الوثائقِ
وحمل الجثمان للمقابرِ
فكان يوماً لم تكن بغدادُ
تزاحم الآلاف في التشيعِ
من بعد ان أوصى الامام الهادي
وبعد أن عرفه مقامه
وهو لعمرى الصادق بن الصادقِ
ما بين محزون وبين حائرِ
تشهدُ مثله ولا البلادُ
واصطخبت مواكبُ الدموع^(١)

(١) إشرنا فيما سبق الى ان السّم هو الوسيلة الناجحة التي يلجأ إليها الطغاة وولاة
السوء للتخلص من خصومهم، وهذا هو ديدن الأئمة المعصومين عليهم السلام ابتداءً من الامام
الحسن المجتبي عليه السلام من طفاة أزمتهم، وهكذا حال امامنا الجواد عليه السلام الذي لاقى ربه شهيداً
مسموماً على يد المعتصم العباسي وقد أقر بذلك جمهور اباب السير والتاريخ.
وهذا ملخص الامر كما أكدته المصادر التي دونت سيرته عليه السلام:

لما أشخص الامام الجواد عليه السلام الى العراق أخذ المعتصم العباسي وجعفر بن المأمون يدبّرون
ويعملون الحيلة في قتله، فقال جعفر لأخته أم الفضل زوجة الامام الجواد عليه السلام وكانت
أخته لأمه وأبيه في ذلك لأنه - جعفر - عرف انحرافها عن الجواد وغيرتها عليه لتفضيله
- أم ابي الحسن الهادي - عليها، ولانها لم ترزق منه بولد فأجابت أخاها على المؤامرة
وجعلوا للأمام عليه السلام سماً في شيء من العنب الرازقي وكان عليه السلام يعجبه فلما أكل منه ندمت

←



⇒ زوجته أم الفضل علي فعلها وجعلت تبكي، فلما سأها عن السبب أخبرته بالامر فقال لها الامام عليه السلام: سألتُ الله تعالى أن يبتليكَ بفقر لا ينجبر وبلاء لا ينستر. وسرعان ما بليت بعلّة في جسمها بحيث أنفقت جميع ما تملك لزوال تلك العلة حتى احتاجت لمعونة الناس، وأما أخوها جعفر الذي اشترك معها في هذا الامر فقد ذكر الرواة انه سقط في بئر وهو سكران ولما اخرجوه وجدوه ميتاً، وهكذا صدقت نبوءة الامام عليه السلام واستجاب الله سبحانه دعائه فيما أراد.

ولما سرى السم في جسد الامام عليه السلام وشعر بدئو أجله نصّ أمام أعيان شيعته على إمامة ولده الامام أبي الحسن علي الهادي عليه السلام وأوصى إليه بالمواريث والسلاح ومضى الى ربه شهيداً مسموماً في سنة ٢٢٠ هـ وعمره آنذاك ٢٥ سنة ودفن في بغداد في تربة جده موسى بن جعفر عليه السلام.

منتهى الآمال ٥٦٤/٢، أثبات الوصية للمسعودي /٢١٩، المناقب لابن شهر آشوب ٤٣٥/٢، تاريخ العلويين / ١٧٤. إن خروج اللالاف من شيعة أهل البيت عليهم السلام الذين خرجوا في تشييع الامام الجواد عليه السلام يدلُّ على اتساع مدرسة أهل البيت عليهم السلام في زمان الامام الجواد عليه السلام والجهد الذي بذله في إنتشاء هذه المدرسة وكثرة إتباعها.

رحل الامام الجواد عليه السلام وقد ترك من الاولاد اربعة، وهؤلاء الاولاد هم:
١. الامام علي الهادي عليه السلام ٢. ابو احمد موسى المبرقع، وللأثنين عقب ٣. ابو احمد الحسين ٤. ابو موسى عمران. وكذلك له اربعة بنات هن:
١. فاطمة ٢. خديجة ٣. ام كلثوم ٤. حكيمة.

وقيل له كذلك: زينب، ام محمد، ميمونة لكن الشيخ المفيد يقول:
وخلف من بعده من الولد: علياً ابنه الامام، وموسى المبرقع، ومن البنات: فاطمة، امامة، ولم يخلف ذكراً غير ما سميّناه، وأيد ذلك الطبرسي في «إعلام الوري» والعاملي في «أعيان الشيعة». الارشاد /٣٢٧.



مرقدُهُ ومشهدُهُ

وصار قبره بجنب الكاظم	علامة تضيء بالمكارم
وقبة مصوغة بالذهب	شبيهة لقبية يثرب
بالطهر والرهبنة والخشوع	صارت محط الخير للجموع
فيها تجاب دعوة المضطر	إذا دعا في عين وسر
تزهو بها بغداد في الأزمان	مفعمة باكمل المعاني
راح عليها يُقرأ السلام	مامرت الايام والاعوام ^(١)

(١) وهكذا هوى من سماء الامامة كوكب ساطع ليحل مدفوناً الى جوار جدّه موسى بن جعفر عليه السلام حيث تسطع أنوار الذهب في قبّتين لامعتين صارت فيما بعد محطاً لبكاء لضارعين، حيث تجاب الدعوات، وتنزل البركات، وتكاد أرض بغداد تشمخ بها فخراً عزاً أبد الدهور، وهذه الملايين من مسلمي الشرق والغرب تتقاطر عليها، حيث تقام لصلوات وتسمع الدعوات، وهكذا انطوت صفحة نيرة من صفحات الامامة الخالدة رحيل ابي جعفر الجواد عليه السلام الى ربه شهيداً مسموماً مظلوماً، وهو صغير العمر، بل اصغر لائمة المعصومين سناً ليتولى الامامة من بعده ولده النقي، التقي الامام علي الهادي عليه السلام.
للشعراء العقائديين باع طويل في رثاء الامام الجواد عليه السلام والثناء عليه وبيان فضائله وفضل رقدته المقدس وما ظهرت هناك من كرامات ومفاخر على مرّ الدهور، وسنورد هنا بعض ما قالوه:

١- قال علي بن عيسى الاربلي صاحب «كشف الغمة»:

إمام هدى له شرف ومجد	أقرّ به الموالي والمعادي
تصوب يده بالجدوى فتغني	عن الانواء في السنة الجماد
بنى في ذروة العلياء مجداً	بعيد الصيت مرتفع العماد





٢- وقال العلامة الشيخ «قاسم محي الدين» :

إذا رمت الشفاعة في المعادِ
شفيحاً للأنامِ وخير غوثِ
به الاملاك قد شرفت وفيه
إمام لو دعي المقدور وافى
مناقبه الثواقب ليس تحصى
بأخمصه رقي أوج المعالي
جواد ما دعي للجود إلا
فلا عجب إذا نعشو إليه
ومن غير الجواد ابي علي
له فضل يفوق الناس فيه

فلذ بحمي محمد الجوادِ
مغيثاً للورى يوم التنادِ
سمت شأواً على السبع الشدادِ
لنا فذ حكمه سلس القيادِ
بها أعترف الموالي والمعادي
وطاول عرشها سامي العمادِ
غدت كفاءه تهمي كالغوادِ
فساطع نوره للخلق هادي
شفيح الخلق في يوم المعادِ
وهل فضل حكي فضل الجوادِ

٣- وقال الاستاذ محمد جواد قسام النجفي:

وإن أنس لا أنسى الجواد محمداً
معاجزه كالنجم لاحت منيرة
أقر بها الحساد بالرغم منهم
لقد أشخصوه عن مدينة جدّه
ودسّوا له سمّاً على يد زوجة
فظلّ يعاني السمّ في الدار وحده

إبا جعفر من فيض أنمله بحر
فليس لها فكر وليس لها حصر
فسل عنها يحيى حين حلّ به الحصر
لبغداد قهراً عندما دبّر الامر
بها من إبيها كامن ذلك الغدر
ثلاثة أيام أما علمت فهر

٤- قال آخر:

لذ إن دهتك الرزايا
بكاظم الغيظ موسى

والدهر عيشك نكد
وبالجواد محمد



⇒
٥- وقال آخر:

يا أبا جعفر يا رمز التقى فيك ارجو الفوز يوم المحشر
أنتم حصني وأنتم عدّتي وبكم نيلُ المنى للمهتدي

٦- وقال آخر:

ما خاب من أمّ جواداً فهل يخيب من أمّ جوادين
فسلام الله على ابي جعفر الجواد وعلى آبائه وأجداده وأبنائه يوم ولد ويوم استشهد ويوم
يبعث حيا.

والحمد لله رب العالمين.





الجزء الثاني عشر

الامام علي بن محمد
الهادي عليه السلام





الأهـداء

الى الامام أبي الحسن

علي بن محمد الهادي عليه السلام

الذي لم يزل يعاني.. وحشة الغربية ، والحصار

أقدم هذا الجزء من (قوافل النور)

موشحاً بالحب ، والدمع ، والوفاء.





اضاءة

هذا هو الجزء الثاني عشر في حياة الامام العاشر من ائمة أهل البيت عليه السلام وهو الامام علي بن محمد الهادي عليه السلام الذي عاش محنة المراقبة والحصار الشديد في سامراء. وواجه حكام عصره بصبرٍ ، وحلمٍ ، وعناء.

فقد عاش الامام الهادي فترة ضعف الدولة العباسية وتفككها، وسيطرة القادة الاتراك على مقاليد الامور فيها، كما عاش مرحلة الصراعات السياسية والفكرية، وظهور الفرق والاتجاهات المنحرفة التي حاولت تشويه الاسلام من داخله، وتحريف المفاهيم والاحكام، وتأويل آيات القرآن الكريم على غير وجهها الصحيح.

فكان للامام الهادي عليه السلام الدور الامثل في مواجهة البدع والاتجاهات الضالة، من خلال إعدادة للجماعة الصالحة التي حملت فكره وتراثه وهداه، وكان دوره جزءاً مكملًا لادوار آباءه الطاهرين الذين أرسوا قواعد مدرسة فكرية راسخة تمثل أصالة الاسلام في عقيدته، وشريعته، وتعاليمه.

إن حياة الامام ابي الحسن الهادي عليه السلام حافلة بالحركة، زاخرة بالعطاء على مختلف الاتجاهات والاصعدة.

وهذا الجزء من ملحمة قوافل النور، يستعرض ضمن سياقه الادبي أهم المحطات في حياته الشريفة، ويرسم الملامح العامة لدوره وحركته على مستوى الفكر والسياسة، والاجتماع الانساني.

كما يقف هذا الجزء من الملحمة عند أهم الاحداث السياسية والاجتماعية التي عاصرها الامام الهادي عليه السلام وكانت لها انعكاسات ايجابية أو سلبية على



حركته ومشاريعه، ولم تغفل «قوافل النور» استعراض أهم تلامذته والرواة عنه، فقد توقفت عند ثلة مباركة من خيرة الفقهاء والمحدثين الذين حملوا تراث الامامة وعبروا به الى الاجيال زاداً طيباً وقبسات من ضياء.

وإخيراً توقفت الملحمة بألم وحسرة عند الحادثة المفجعة التي جرحت قلوب المسلمين عموماً، وقلوب شيعة اهل البيت عليه السلام على وجه الخصوص، ألا وهي حادثة الاعتداء الآثم بتفجير مرقد الشريف وقبته الذهبية المباركة من قبل شذاذ الآفاق، من التكفيريين، وبقايا فلول حزب البعث الكافر.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لخدمة مدرسة أهل البيت عليه السلام ويجعلنا من المتمسكين بهدى الامام الهادي والمدافعين عن خطه ونهجه انه سميع مجيب.

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.



المولد المبارك

في ليلةٍ عظيمة السعادة
يومَ ولادة الامام الهادي
شعّت به مدينة النبيّ
في النصف من ذي الحجة الحرام
في قرية كانت تسمى «صريا»
يا فرحةً قد عمت الاقطارا
فالنور في مرابع النبوه
يملاً بالبهجة كل قلب
تحمله في حضانها «سُمانه»
بشرّ داعي الخير بالولاده
نجل الامام الطاهر الجواد
مشرقةً من وجهه البهيّ
محجةً لأمة الاسلام
قد ملئت نوراً به وهديا
وعمّت الصغار والكبارا
والخير في مواطن الفتوه
ويطلقُ ابْتِسَامَةً بحب
بالطهر والعفة والامانه^(١)

(١) لا يخفى على المتبع الخلاف المؤلف في تحديد ولادة ووفاة رسول الله ﷺ والائمة المعصومين من ذريته ﷺ وقد رأينا ذلك واضحا فيما سبق، ويظهر أن هذا الاختلاف قد وقع هنا في حياة ووفاة إمامنا الهادي ﷺ وقد استفاض الشيخ عباس القمي بيان الاقوال بشأن ولادة الامام الهادي ﷺ واخيراً رجّح ولادته في النصف من ذي الحجة سنة ٢١٢هـ في المدينة المنورة في قرية يُقال لها «صريا» أو «صربا» أو «صرياء» أسسها جده الامام الكاظم ﷺ على بعد ثلاثة أميال من المدينة المنورة. انتهى الآمال ٥٩١/٢.

كذلك اختلف الرواة وأهل التاريخ في تحديد اسم إمامه، وأصلها رغم اتفاقهم على جلالة قدرها وعظم شأنها، فمنهم من يقول أن اسمها «سمانة» وهي مغربية الاصل، بينما يقول النوبختي في فرق الشيعة ان اسمها «سوسن» في حين جمال الدين الشافعي يقول في الدر النظيم أنها «سمانة» وتعرف بالسيدة، وهي مغربية الاصل، كنيته «أم الفضل».



⇒ ويطلع علينا جماعة كالشيخ محمد أمين الطويل، والشيخ عبد الرزاق البدرى في سيرة الهادي، وربما غيرهم من يقول أنها «أم الفضل» بنت المأمون العباسي، بينما تُشير جلّ المصادر القديمة أن هذه المرأة لم تنجب أي ولد للأمام الجواد عليه السلام وأن الامام الهادي عليه السلام ليس منها على الاطلاق.

وقد أتفق كثير من الرواة على جلالة شأن إمامه «سمانة» ونقاء ثوبها وإتصافها بالعفة والطهارة، فقد نقل الشيخ القمي بسندٍ معتبر عن الامام الهادي قوله عليه السلام: إميّ من أهل الجنة لا يقربها ولا يناها كيد جبار عنيد وهي مكلوءة بعين الله التي لا تنام ولا تختلف عن إمهات الصديقين والصالحين. مستدرك السفينة ٦٠٥/٣.

ونقل القمي أنها كانت دائمة الصوم، ولا مثل لها في الزهد والتقوى. منتهى الآمال ٥٩١/٢.



ألقابه وصفاته

قد فرح الجوادُ في لُقياهُ فما له خليفةٌ سواهُ
منوهاً عن فضله ومعلنا فهو سليلُ الاوصياء الامنا
قد عُرفت كنيته ابو الحسن ألقابه الهادي النجيبُ المؤمن
وهو النقيُّ والتقِيُّ المرتضى والعالمُ الفقيه راضٍ بالقضا
وقد يُسمى الطيبُ الامينُ والكلُّ في صفاته مفتونُ
عبادةً مقررونةً بالعلم وسيرةً مشفوعةً بالحلم^(١)

(١) تلقى إمامنا الجواد عليه السلام وليده علي الهادي عليه السلام من يد إمامه الفاضلة «سمانة» حيث شاعت اجواء الفرح، والسرور، والبهجة بهذا المولود الكريم، وتشير الروايات الى أن الامام الجواد عليه السلام ضمّه الى صدره وأجرى المراسم النبوية المترتبة للمولود الجديد، لا سيما وهو وصيه من بعده، ومُبشراً شيعته أنه خليفته من بعده في سلسلة الامامة، ومُعلنًا أمام الملأ جلاله فضله، وكونه سليل الاولياء السابقين من أهل البيت عليهم السلام وقد حرص والده عليه السلام على تغذيته بمكارم الاخلاق والعلم والحكمة، كما وحرص منذ الوهلة الاولى على التركيز على أنه الوصي من بعده، وأخذ يكرّر ذلك في مجالسه الخاصة والعامة وكونه الامام من بعده. عُرف عليه السلام في عصره بكنيته «ابي الحسن» تيمناً بجده أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وجده الرضا عليه السلام حيث كانا يكتبان بهذه الكنية، وللتفريق بينهم يكتبان الامام الهادي عليه السلام بـ «ابي الحسن الثالث».

امام القابه عليه السلام فكثيرة لتعدّد صفاته وإتساع محاسن أخلاقه قال الشيخ القمي: اشهر القابه النقي، والهادي، وربما قيل له النجيب، والمرتضى، والعالم، والفقيه، والناصح، والمؤمن، والطيب، والمتوكل. منتهى الآمال ٥٩١/٢.

وكان عليه السلام يُعرف بـ «المتوكل» لشدة توكله على الله سبحانه، لكنه كان يخفي هذا اللقب



⇒ ويأمر أصحابه بذلك لكونه لقب الخليفة «جعفر» في ذلك الزمان، كما لأنه لكونه عليه السلام سكن محله «عسكر» هو وولده ابا محمد «الحسن عليه السلام» كانا يعرفان به «العسكريين» وقد أستفاضت بين الرواة صفاته، وكان عليه السلام معروفاً آنذاك بجلائل الاخلاق، ومحاسن الصفات. قال ابن شهر آشوب: كان أطيب الناس لهجة، وأصدقهم قولاً، بحيث إذا صمت علتة هيبة الوقار، وإذا تكلم سماه البهاء. المناقب ٥٠٥/٣.

ووصفه الاربلي قال: واما مناقبه فمنها ما حلّ في الآذان محلّ حلاها بأشنانها، وتشهد له أن نفسه موصوفة بنفائس أوصافها، وانها نازلة من الدوحة النبوية من ذرى أشرافها. كشف الغمة ٨٨٤/٢.

وقال ابن حجر: لقد ورث علي النقي من ابيه علماً وكمالاً وسخاءً. الصواعق المحرقة/ ٢٠٦. وهكذا ذكر كل من كتب في سيرته عليه السلام على كمال صفاته، وعلو شأنه، من وقار، وهيبة، وعبادة، وسخاء، وحسن كلام، وفصاحة منطق، وجميل تواضع، وهذا ينمّ عمّا أخذه هذا الامام من ابيه وأجداده عليهم السلام وما توارثه من معالي الصفات، لا سيما وهو وريث الدوحة النبوية التي أذهب الله عنها الرجس وطهرها تطهيراً.



مع ابيه عليه السلام

لم يحظ من والده الجواد
حيث مضى الجواد نحو «مرو»
وترك الوليد في المدينه
غذته من طهارة الانساب
ويالهها من برة وفيه
وقد نما الامام في يديها
الا بعامين على العداد
وركبه يطوي الفلا مايطوي
برفقة الوالدة الحزينه
ومن صفاء الروح واللباب
لدوحة طاهرة قدسيه
يشع من أنواره عليها^(١)

(١) تُشير المصادر الى عدم تمكن الامام الهادي عليه السلام بالتمتع طويلاً في كنف والده الامام الجواد عليه السلام بسبب الظروف السياسية التي لم تدع الامام الجواد للبقاء في مدينة جده عليه السلام وأن المأمون العباسي عندما عزم على تزويج ابنته «أم الفضل» للامام الجواد كان عمر الامام الجواد ٩ سنوات، وبعد إعتراض بني العباس على هذا الزواج دعاه المأمون الى بغداد لغرض المناظرة، وإظهار فضله لكن يبدو من التحقيق أن المأمون عقد للامام الجواد عليه السلام على ابنته بمرو سنة ٢٠٣ هـ وكان عمر الامام ٨ سنوات، ومن خلال التقصي يبدو أن المأمون عندما عزم على التوجه من مرو الى بغداد بصحبة الامام الرضا عليه السلام أستشهد الرضا في قرية من قرى خراسان، ودفن هناك وحين عودة المأمون الى بغداد إعترضه بنو العباس على عقد الزواج هذا «للأمام الجواد» مما دعا المأمون الى استقدمه لغرض المناظرة، وكان ذلك سنة ٢٠٤ هـ وعمر الامام الجواد آنذاك ٩ سنوات، وبعد زواجه هذا طلب الامام من المأمون العودة الى مدينة جده عليه السلام وعند عودته تزوج «سمانة المغربية» وكان عمره ١٦ سنة، وذلك في عام ٢١١ هـ فولد منها الامام الهادي عليه السلام عام ٢١٢ هـ.

إشرنا فيما سبق الى جملة من مواصفات والدة الامام الهادي عليه السلام حيث أفاضت شيئاً من روحها الطاهرة، وصفاء نفسها على ولدها الهادي عليه السلام طالما هي برفقته، وتشير بعض المصادر أن والدته «سمانة» من سلالة «مارية القبطية» إحدى زوجات الرسول عليه السلام وكانت مصر آنذاك تُعدُّ من منطقة المغرب، وقد عرفنا أن «مارية القبطية» مصرية المرجع وأن «سمانة» مغربية الاصل، ولا غرابة في ذلك.



عودة الامام الجواد عليه السلام

حتى غدا في سادس الاعوام مبرزاً في خيرة الاعمام
جاء بشير الخير بالبشاره ان جواد العلم حل داره
فعمت الافراح كل دار لا سيما بداره المختار
وفزع الهادي الى اللقاء بالشوق والدموع والدعاء
معتقاً اباه باشتياق ومطفئاً لحرقة الفراق
وضمّه الجواد في حنان وحيث منه تدمع العينان
ويحمد الله على نعمائه لما رأى وريث اوصيائه^(١)

* * *

(١) تُشير المصادر التاريخية الى أن الامام الجواد عليه السلام بعد زواجه من «أم الفضل» ابنة المأمون العباسي لم يسمح له المأمون بالخروج من بغداد حتى جاءت سنة ٢١٨ هـ حيث قرر المأمون أن يغزو الروم في هذه السنة، حينئذ استأذنه الامام الجواد عليه السلام بالتوجه مع «أم الفضل» الى المدينة، حيث ترك هناك ولده الهادي عليه السلام مع والدته «سمانة» ولما وصلها كان عمر الهادي عليه السلام حوالي ست سنوات.

وكان للأمام الجواد من أبيه الرضا عليه السلام جملة من الاخوان هم أعمام الامام الهادي عليه السلام وكانوا معروفين بالتقوى، والوقار، وشرف النسب، وكانوا مع ابن اخيهم الهادي يجلبونه ويعرفون فضله.

وعلى كل حال فبعودة الامام الجواد عليه السلام الى المدينة عمّت الافراح هناك برجوعه ثانية، حيث عانق ولده الهادي عليه السلام بعد غيبة طويلة، لكن سرعان ما استدعيه طاغية العصر الجديد «المعتصم» الى بغداد، وذلك في أوائل سنة ٢٢٠ هـ وهناك أوصى بالامامة من بعده لولده الهادي، وما أن حلّ آخر ذي العقدة عام ٢٢٠ هـ استشهد الامام الجواد عليه السلام مسموماً على يد المعتصم، وكان الامام الهادي عليه السلام لا يتجاوز العاشرة من عمره الشريف ليتولى منصب الامامة بعد رحيل والده الجواد عليه السلام.



دور الامام الهادي عليه السلام

يغذوه بالفقه وبالمعارفِ
حتى غداً إعجوبة الزمانِ
وإذ رقى المعتصمُ الخلفه
مستقداً إياه «للزوراء»
فظل وحده الامامُ الهادي
لكنه مالان واستكانا
من وحشة وقلية من ناصرِ
وبالهدى من كل علمٍ هادفِ
وسيداً فاق على الاقرانِ
وراقب «الجواد» حيثُ خافه
يسومه بالظلم والبلاءِ
في ارضٍ طيبةٍ بلا عمادِ
رغم الذي عانى به ما عانى
وظلم سلطانٍ لثيمٍ جائرٍ^(١)

* * *

(١) رغم قصر المدة التي قضاها الامام الجواد عليه السلام مع ولده الهادي عليه السلام والتي إمتدت سنتين بعد ولادته، وسنتين بعد رجوعه ثانية الى المدينة، كان الامام الجواد عليه السلام يحرص خلال هذه المدة على إعداد ولده الهادي للامامة العامة، فأخذ يزقه من العلوم والمعارف، وما ورثه من آبائه وأجداده من مكارم الاخلاق، إضافة الى حرصه الشديد على التنويه بالنص عليه من بعده بين أوساط شيعته وجماهير الامة.

ذكرنا فيما سبق خوف الطغاة من وجود الائمة عليهم السلام على طول العصور، وما يشكله هذا الوجود من تهديد لسلطتهم، وذكرنا كذلك كيف كان يخشى طاغية بني العباس «المعتصم» من وجود الامام الجواد عليه السلام في المدينة، وما يشكله من تهديد لسلطته هناك مما دعاه الى استقدامه الى بغداد، حيث ساهم بأنواع الظلم والبلاء من تهوين ومراقبة، حتى دس إليه السم كعادة من سبقه من طغاة بني العباس، وذلك في أواخر ذي العقدة من عام ٢٢٠هـ ودفن جنب جده موسى الكاظم عليه السلام في مقابر قریش، تاركاً ولده الهادي عليه السلام في المدينة ليعاني هو الآخر من ظلم هؤلاء الطغاة ومن ياتي بعدهم.



إمامة الهادي عليه السلام

حتى قضى الجواد في بغداد
وفزع الناس لبيت الهادي
وقيل أن عمره ثمانيه
لكنه قد قام بالامامه
يُجيبُ عن اسئلة العباد
قد عجت من علمه الرواة
تروي الحديث عنه عن ابائه
واصبحت «يثرِبُ» في حداد
وهم يُعزّونَ فتى الجواد
وقيل تسعة بقول راويه
متبعاً اباه بأستقامه
وينشر الاحكام في سداد
واحتشدت في بيته الثقات
عن النبي وهو في عليائه^(١)

* * *

(١) نقل الشيخ المفيد «رحمه الله» في الارشاد أن الامام الجواد عليه السلام كثيراً ما يقول: الامر من بعدي لولدي علي.

وفي ذلك ايضاً يقول الشيخ المفيد: والايثار بشأن أثبات الوصية بأمامته كثيرة جداً، وإن عملنا على إثباتها طال بها الكتاب، ولعل في اجتماع المسلمين على إمامته وعدم مَنْ يدعيها سواه في وقته ما يكفي لأثبات إمامته. الارشاد/ ٣٢٩.

وهكذا لم توضح المصادر الى أن الامام الجواد عليه السلام قد خرج مرتين من المدينة الى بغداد، فقد ورد في «البحار» عن اسماعيل بن مهران أنه قال: لما خرج ابو جعفر «يعني الجواد» من المدينة الى بغداد من المرة الاولى قلت له عند خروجه: جعلت فداك إني أخاف عليك فإلى مَنْ الامر بعدك؟ فتبسم الامام وقال: ليس حيث ظننت في هذه السنة، فلما أستدعي من قبل المعتصم ثانية صرت إليه وقلت له: جعلت فداك هذه المرة لمن الامر بعدك؟ فبكى عليه السلام حتى أخضلت لحيته ثم قال: عند هذه يخاف عليّ، الامر من بعدي لولدي عليّ. وهكذا يتبين أن الامام الجواد عليه السلام قد ترك ولده الهادي عليه السلام وهو لم يتجاوز الثامنة من عمره برفقة والدته الفاضلة «سمانة».



اصحابه ورواته

رواته من اصدق الرواة
أولائي كانوا ينقلون الخبرا
كانوا يعانون من الطغاة
بصبره يرعاهم الامام
منهم ابوشعيب الخياط
والشاعر الفذ ابو الغوث وقد
واحمد بن حمزة القمي
واحمد بن الكاتب السيارى
وابن عبيد جعفر بن عيسى
والحسن الصقيل والصنعاني
ثم الحسين بن عبيد القمي
ثم ابن اسحاق الفتى حمدان
ثم ابن قاسم الجليل الجعفري
والاشعري سعد بن الاحوص
وبعده عبد العظيم الحسيني
وما رواه ابن ابي عتاب
والنوفلي ناقل الاخبار
وبعده قارون ذو الجهاله

يحدث الماضي به للآتي
بصدقهم ويكتبون الأثرا
وقسوة الحكام والعتاة
وباسمه يرتفع الاسلام
وابن رجاء الثقة الخياط
تلاه احمد بن عيسى المعتمد
ثم ابن اسحاق الفتى الرازي
واحمد بن الكاتب الانباري
والثقة المبرقع بن موسى
وجعفر بن نوح الهمداني
ثم ابن جمهور كبير القوم
وخادم أم الواثق «الخيران»
ثم ابو العباس وهو الحميري
وعروة النخاس غير المخلص
ومن روى حديثه في السنن
يملا في الحديث الف باب
ثم علي بن مهزيار
والاشتر الذي جهلنا حاله



وبعدهُ محمدُ بن الفضلِ
ثم ابن اسحاق الفتي يعقوبُ
قد أدب «المعتز» و«المؤيد»
ومرةً بالمتوكل إلّ تقى
فقال من للمجد يُنسبانِ
فقال نعلا قمبر خادهم
فراح في طريقه شهيدا

يروى عن الهادي بأحلى قولٍ
الشاعرُ الكاتبُ والاديبُ
لكنهُ فضلَ عليّ اعتقدا
يسأله عن هاشم اهل التقى
نجلاي هذان ام السبطانِ؟
افضل من زين ومن والدهم
وبات في جنته سعيداً^(١)

(١) بعد استشهاد الامام الجواد عليه السلام عن عمر قصير حيث كان عمره الشريف ٢٥ سنة مسموماً على يد المعتصم العباسي، عمّ الأمة الاسلامية آنذاك الحزن والأسى على فقدانه، وكان عمر الامام الهادي عليه السلام ثمان سنوات حينما قام بأعباء الامامة، وكان آنذاك في المدينة حيث سار بسيرة والده الجواد من التصدي لشؤونها ما يترتب على الامام من الاضطلاع بمسؤوليتها، ومنها نشر الاحكام الاسلامية، والدفاع عن بيضة الدين والمذهب، ورواية الحديث، وبناء الجماعة الصالحة وغير ذلك.

وتشير المصادر الى أن الامام الهادي عليه السلام بدأ ينمي حركة الوعي السياسي والايماي، ويستقطب الناس من حوله، ويمارس دور التربية والتوجيه عن طريق نشر الوعي الاسلامي والمعرفة الصحيحة، والتعريف بمبادئ الاسلام في الحكم والاجتماع والسياسة، ومن هذا المنطلق أخذ يربي جيلاً من العلماء والرواة على أسس متينة من العلم، والتقوى، والورع، والثبات على الحق.

وهكذا أصبح الامام الهادي عليه السلام مرجعاً لأهل العلم، والفقهاء، والتشريع في عصره، بحيث أحصى الشيخ الطوسي في كتابه «الرجال» أكثر من ١٨٥ تلميذاً وراوية رووا عن الامام الهادي عليه السلام.

سأكتفي بترجمة موجزة لأشهر اثنين ممن ورد ذكرهم ضمن هذه الملحمة المباركة.

١- السيد عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن ابي طالب عليه السلام وهو من أكابر المحدثين والعلماء والزهاد، صاحب ورع وتقوى، ومن



⇒

إصحاب الامامين الجواد والهادي عليهما السلام وكان في غاية الانقطاع اليهما، وقد روى عنهما أحاديث كثيرة، وقد ترجمت له كتب الرجال ونقلت اخباره، ومنها خبر دخوله على الامام الهادي عليه السلام عارضاً عليه دينه طالباً منه الدعاء بالثبات على المبدأ فقال له الهادي عليه السلام: يا أبا القاسم هذا والله دين الله الذي أرتضاه لعباده، فأثبت عليه ثبتك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة.

وكان الامام الهادي عليه السلام قد شهد له بالعلم، والتقوى، والورع، وتزوج عبد العظيم الحسيني من بنت عم إبيه «خديجة» بنت القاسم الزاهد بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط عليه السلام ويعرف بـ«شاه عبد العظيم» ويُنقل عنه أنه طورد من قبل سلطات بني العباس، وخصوصاً من المعتز العباسي، وأخذ يتنقل من بلدٍ الى آخر فأراً بدينه، حتى وصل الى «الري» جنوب طهران فوفاه الأجل هناك بين سنة ٢٥٢هـ و ٢٥٥هـ وله هناك مقام مشهور تزوره الناس للتبرك به.

٢- ابن السكيت: هو ابو يوسف يعقوب بن اسحاق والسكيت لقب ابيه «اسحاق» لأنه كان كثير السكوت طويل الصمت، كان اسحاق «والده» من أصحاب الكسائي عالماً بالعربية، واللغة، والشعر، وكان ولده «يعقوب» معه يعلم الصبيان في مدينة السلام، تتلمذ «يعقوب ابن السكيت» في صغره على يد والده، وكذلك على ابي عمرو الشيباني، والفراء، وابن الاعرابي، وغيرهم حتى برع في علوم القرآن، والنحو، واللغة، ووصفه رجال الحديث بكونه ثقة.

قال عنه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: ابن السكيت يعقوب صاحب كتاب «اصلاح المنطق» كان من أهل الفضل والدين موثقاً بروايته.

وقد حصل خلاف كثير في تحديد ولادته ووفاته، ولعل الأرجح بين اقوال المؤرخين: أنه ولد سنة ١٨٦هـ وعاش ٥٨ سنة وبذلك يكون استشهاده سنة ٢٤٤هـ.

وُلد في مدينة «دورق» إحدى مدن «خوزستان»، ثم أنتقل مع ابيه الى بغداد، وكان إمامي المذهب، ويعدُّ ابن السكيت من أعظم الذين واجهوا الموت ببطولة نادرة.

واجمع المؤرخون بقولهم: كان ابن السكيت إمامي المذهب، يميل الى تقديم الامام علي على غيره في العلم والفضل والبطولة، وقد استقدمه المتوكل العباسي لتأديب ولديه «المعتز، والمؤيد» وفي إحدى المرات كان ابن السكيت مع المتوكل إذ جاءه ولداه فقال له المتوكل:

←



⇒
يا يعقوب أيهما أحب إليك انا وولداي هذان، أم علي ابن ابي طالب وولداه الحسن والحسين؟

فقال له ابن السكيت حالاً: إن شسع نعل قنبر «خادم علي» خير منك ومن ولديك، فأمر المتوكل الاتراك أن يسألوا لسانه من قفاه فمات شهيداً.

وهذا لعمرى موقف الاحرار الذين ضربوا بموقفهم ضد الطغاة أروع المواقف وأسمهاها، ويُعبّر هذا عن صدق الولاء لأهل البيت عليهم السلام وصلابة الموقف، وقد خلف من بعده جملة من خيرة المصنفات في اللغة والنحو، ومعاني الشعر وشروح لدواوين العرب، وأشهرها علي الاطلاق كتابه «إصلاح المنطق» الذي مدحه الكثير وعنى بشرحه جماعة شرحاً وأختصاراً وقد طبعت من كتبه: إصلاح المنطق، الاضداد في اللغة، القلب والابدال، الالفاظ. ومن الطريف مما ينقل عنه أنه سقط فيما حذر فيه غيره من زلات اللسان حينما أنشد بيتين من الشعر:

يُصاب الفتى من عشرة بلسانه وليس يُصاب المرء من عشرة الرّجل
فعرثته في القول تذهب رأسه وعرثته في الرّجل تبرأ على مهل
جزاه الله عن الدين والمذهب والائمة خيراً كثيراً لصلابة موقفه ضد الطغاة وحشره الله مع الشهداء وحسن أولئك رفيقا.



الوضع السياسي والاجتماعي

واضطربت في عهده الافاقُ
وقطعوا الطريق والسبيلا
وقُتل «الحجاج» عند الموسم
ووثبت «سليم» بالمدينه
ونهب السراق بيت المال
واخرجت بالجبل الفساقُ
واكثروا الارعاب والتقتيلا
ولم تفدهم نخوة المعتصم
واصبحت أسواقها حزينه
واقترفوا مساويء الافعال^(١)

* * *

(١) كنا قد إشرنا فيما سبق ضمن سرد حياة إمامنا الجواد عليه السلام وفي حلقات هذه الملحمة المباركة شيئاً من صفات المعتصم العباسي، وما يتلوه فيما بعد، وأرتكابه الموبقات وما رافق عصره من حوادث نتيجة إنشغاله باللهو وشدة تعسفه، وقد أشارت جملة من كتب التاريخ الى ابرز هذه الحوادث ومنها:

- خروج جماعة من الفساق يلبسون ملابس حمراء في منطقة الجبل، حيث قتلوا الناس، وقطعوا الطريق، وتعرضوا لحجاج خراسان، وقتلوا منهم جماعة، وقد أرسل إليهم المعتصم قائده «هاشم بن باتيجهور» لكنه لم يفلح في القضاء عليهم، ثم أرسل اليهم بعد ذلك «إسحاق بن ابراهيم» فقاتلهم حتى أبادهم.
- خروج جماعة تُعرف بـ«الزط» بين البصرة وواسط حيث قطعوا الطريق ونهبوا الناس فتوجه إليهم القائد «أحمد بن سعيد الباهلي» حيث هزمهم وحملهم الى بغداد، ثم أسكنهم خانقين تخلصاً من شرهم.
- فساد جماعة من قبيلة «بني سيم» في المدينة المنورة، حيث عاثوا هنالك فساداً حتى استفحل امرهم ووصل الى الحجاز، حيث عاثوا في الاسواق فساداً وقاتلوا القبائل ثم قطعوا طريق الناس، وقد حصل هذا ايام حكم الواثق العباسي سنة ٢٣٠هـ.
- هجوم جماعة من السراق على بيت المال الموجود في قصر الخلافة، وسرقوا مبلغاً كبيراً من المال وقد حصل هذا ايام الواثق سنة ٢٣١هـ.



فتنة خلق القرآن

واحتدمت في تلكم الازمانِ فتنة خلق الله للقرآنِ
وعصفت بالعلماء المحننه ونسيت في المسلمين السنه
وبعضهم قد ادعى النبوه لانه لم يخش أيَّ قوه^(١)

(١) من أشدّ الفتن التي عصفت بالامة الاسلاميه هي فتنة خلق القرآن، حيث ظهرت في منتصف العصر العباسي الاول اشاعة، ومفادها أن القرآن بما أنه كلام الله، فهل هو يقدم الله تعالى ام انه مخلوق وليس قديم؟!.

ذكر الدميري: وفي أيام المأمون العباسي ظهر القول بخلق القرآن، بل قيل أن هذا القول ظهر في أيام هارون العباسي، وكان الناس فيه بين أخذ وترك، حتى زمن المأمون، فحمل الناس والعلماء على القول به، وكل مَنْ لم يقل بذلك عاقبه أشد عقوبة. حياة الحيوان ١/٩٨. وينقل احد المؤرخين: للمأمون محاسن لولا ما أتاه من محنة الناس في القول بخلق القرآن. ويبدو من خلال إستقراء الاحداث أن ظهور مثل هذه الافكار الهدامة، وشيوعها في الاوساط الاسلاميه إنما هي بدع إبتدعها النظام الفاسد لأغراض سياسية، كتصفية العلماء المعارضين للنظام، وإشاعة أفكار فاسدة لضعف الوعي الديني، وإلهاء الناس عن التصدي لفساد الحكم، وإنشغال الحكام آنذاك في شهواتهم، كما يبدو من خلال السرد التاريخي أن أول مَنْ قال بها وأظهرها هو الخليفة هارون الرشيد العباسي، ثم أظهرها بقوة وعمل بها، وحمل الناس والعلماء عليها هو المأمون، وهكذا حتى أشتدت ايام المعتصم والواثق، ثم استمرت بين أخذ وتركٍ الى فترة طويلة، وفيها حمل الناس، والعلماء قسراً على الاعتقاد، والقول بان القرآن شيء مخلوق، وليس هو ذات الله لأن كلامه سبحانه من صفاته، وصفاته عين ذاته.

وقد حُمل كبار العلماء على القول بذلك من أيام الرشيد، وفيما بعد حتى قُتل الكثير منهم، أو عُذب، أو سُجن، أو نفى، ولعل أبرزهم إمام المذهب الحنبلي «أحمد بن حنبل»



⇒ الذي عُذِبَ طويلاً لعدم قوله بذلك في أيام المعتصم العباسي، وكذلك قُتل «أحمد بن نصر الخزاعي» أيام الواثق العباسي لعدم قوله بذلك، إضافة إلى حبس العالم «أبي يعقوب بن يوسف البويطي» من أصحاب الإمام الشافعي، حتى مات في حبسه أيام الواثق، ويبدو أن هذه الفتنة الكبرى قد أستفحلت أيام إمامة الهادي عليه السلام ولقد كان للأمام الهادي دور كبير في التصدي لها، وكشف زيفها بين شيعته وأصحابه، وربطهم بالقرآن والعتره، وأن هذه لعبة سياسية إبتدعتها السلطة، حيث نقل الشيخ الصدوق أن الامام عليه السلام كتب إلى أحد أصحابه بشأن هذه الفتنة:

بسم الله الرحمن الرحيم عصمنا الله وإياك من الفتنة، نحن نرى أن الجدل في القرآن بدعة أشترك فيها السائل والمجيب وليس الخالق إلا الله وما سواه مخلوق والقرآن الكريم كلام الله لا تجعل له إسماً من عندك فتكون من الضالين. منتهى ٤٨٩/١.

وهكذا تصدّى الامام الهادي عليه السلام لهذه الفتنة ليتعاهد بذلك شيعته وأصحابه من التأثر بها وتحصينهم عنها وعن غيرها من البدع والدعوات الضالة.

كما لا بد من الإشارة هنا أن هناك الكثير من البدع والضلالات التي حفلت بها تلك العصور، لا سيما عصر المعتصم والمتوكل، ومنها إدعاء النبوة وجواز رؤية الله بل وإدعاءه.

فقد ذكر الطبري في تاريخه أنه في سنة ٢٣٥هـ ظهر بسامراء رجل يدعى أنه «ذو القرنين» وإنه نبي يوحى إليه، وقد تبعه على ذلك خلق كثير في بغداد.



الغلاة

وظهر الغلاة في البلاد
منهم علي وهو ابن الحسكة
وفارس بن حاتم القزويني
خلال ذلك الامام ينشر
يُطل ما يسمع من مزاعم
يواصل الشيعة بالاموال
ولا يرى الجدل في القرآن
وذاك منه موقف مسدد
وانتسبوا بزعمهم «للهادي»
والحسن بن الباب خاض المعركة
وهو لعمرى خطر في الدين
علومه في خلق ويعمر
ومن غلو بالامام القائم
ويمنع الفقير عن سؤال
الامقال بدعة الشيطان
كأنه يفرغه «محمد»^(١)

(١) إن فكرة «الغلو» فكرة قديمة ظهرت ربما في العصر الاولي للأسلام، ولعل عصر الامام علي عليه السلام كان من ابرز العصور التي ظهرت وترعرعت فيها هذه الفكرة المنحرفة مما دعا الامام علي عليه السلام للتصدي لها والقضاء عليها، بل وحرقت جماعة ممن يقول بها ويعتقدها وبمرور الزمن بدأت هذه الفكرة بين آونة واخرى للظهور أو السبات حسب ضعف الوعي الديني وإنشغال السلطة عنها، بل ربما دعمها في إحايين كثيرة لتشويه المذهب الحق وإخراج الائمة عليهم السلام وإشغال الناس بها.

وتتلخص حيثيات هذه الفكرة بالغلو في الامام ورفع الاله، وإسناد صفات الله وإفعاله إليه، بل وإحياناً إشاعة المحرمات، واستحلال المنكرات، وقد أتخذ الائمة عليهم السلام جميعهم وشيعتهم موقفاً صلباً وصريحاً تجاه هذه الفكرة، ودعاتها والتنديد بها والتبرؤ منها



⇒ بل الاعلان أنها كفر، وخروج عن الدين، وأعلنوا عن قطع أي صلة لهم وشيعتهم بها وبالمنحرفين من دعائها ومحاربتهم، وبهذا الصدد قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: بُني الكفر على اربع دعائم: الفسق، والغلو، والشك، والشبهة.

ونقل الكشي في رجاله أن الامام الصادق عليه السلام قال لأصحابه: قولوا للغلاة توبوا الى الله فإنكم فساق كفار مشركون.

وتشير المصادر الى أن هذه الفكرة ودعاتها قد أستفحلت إيام إمامة الهادي عليه السلام وقد تمكن الامام من التصدي لها مرة بالاستخفاف بها، وأخرى في توهينها، وثالثة بالتبرؤ منها وضرب من يدعونها وقتلهم، وفي هذا المجال ينقل الكشي في رجاله عن أحمد بن محمد بن عيسى قال: كتبتُ الى الامام الهادي في قومٍ يقولون بالغلو فيه وفي آباءه فماذا تقول فيهم؟ فأجابه الامام : ليس هذا من ديننا فأعتزلهم.

وفي روايات أخرى أمر بلعنهم، وفي أخرى بقتل رجل من دعاة هذه الفكرة كان خطراً يُقال له «فارس بن حاتم القزويني» كما وسعى الامام من خلال ابطال هذه الفكرة عن طريق التأكيد على وحدانية الله سبحانه، وأنه هو وحده الخالق المطاع المعبود، إضافة الى كون الائمة عليهم السلام عباد مخلوقين مرزوقين.

وتشير المصادر التاريخية الى ظهور عدة شخصيات وأسماء قالت، وآمنت، ودعت الى الغلو في إيام الامام الهادي عليه السلام ومنهم:

علي بن حسكة [لعنه الامام وتبرأ منه] ، القاسم بن يقطين [لعنه الامام وتبرأ منه] ، الحسن بن الباب ، محمد بن نصير النميري ، فارس بن حاتم القزويني [أمر الامام عليه السلام بقتله فقتل] ، هاشم بن ابي هاشم ، ابن ابي الزرقاء، وغيرهم..

لكن للأسف لا يزال الكثير من بعض المذاهب الاسلامية، ومعهم جماعة من المستشرقين ممن يرمون مذهب أهل البيت عليهم السلام بهذه البدعة وغيرها، ويلصقونها ظلماً وبهتاناً به رغم براءة المذهب منها.

وكان الامام الهادي عليه السلام قد تصدى لهذه البدعة، وغيرها أمثال الجدال في القرآن، وجواز رؤية الله وغيرها، وسعى الى دحضها وإبطالها بكل قوة وحزم، وأعتبرها من بدع الشيطان وتسويلاته لهذه الجماعات الضالة.



حقد المتوكل

وفي زمان «جعفر بن المعتصم»
صَبَّ عَلَى آلِ النَّبِيِّ أَحْمَدُ
قَدْ قَطَعَ الْأَرْزَاقَ وَالْأَمْوَالَ
أَجْرَى عَلَى قَبْرِ الْحُسَيْنِ الْمَاءَ
وَضَمَّ الْمَعَالِمَ الْقُدْسِيَّةَ
وَمَنَعَ الشَّيْعَةَ مِنْ زِيَارَتِهِ
وَوَصَلَ الْحَقْدُ لِقَطْعِ الْأَيْدِي
وِيَاهِهَا مِنْ وَثْبَةِ شَجَاعِهِ
أَعْطَوْا بِهَا الرِّقَابَ وَالْدِمَاءَ
كَانَ عَلَى آلِ عَلِيِّ مُنْتَقِمٍ
مَصَائِباً فِي الْحَقْدِ لَمْ تَعْدِدِ
وَأَرْعَبَ الرِّجَالَ وَالْأَطْفَالَ
مِنْ حَقْدِهِ وَأَطْفَأَ الضِّيَاءَ
فِي قَبْرِ نَجْلِ الْبِضْعَةِ الزَّكِيَّةِ
فَكَانَتْ الْآثَامُ مِنْ تِجَارَتِهِ
مِنْ شَيْعَةٍ تُعْرِفُ بِالتَّحْدِي
مَفْخَرَةٌ حَتَّى قِيَامِ السَّاعَةِ
وَارْخَصُوا الْأَنْفُسَ وَالْأَبْنَاءَ^(١)

(١) يبدو من خلال السرد التاريخي الموثق أن الامام الهادي عليه السلام عايش بقية حكم المعتصم وخمس سنوات وتسعة أشهر من عصر الواثق، و١٤ سنة وعشرة أشهر من ملك المتوكل، وستة أشهر من حكم ولده المنتصر، واربعة سنوات من حكم المستعين، واربعة سنوات واربعة أشهر من حكم المعتز، وفي أواخر حكمه توفي الامام مسموماً. ويذكر التاريخ الى أن جعفر بن محمد بن هارون، الملقب بـ«المتوكل»، قد بويع له بالخلافة في ذي الحجة سنة ٢٣٢هـ. ويذكر المؤرخون جملة من أفعال وحوادث فعلها المتوكل، أو حصلت في أيامه، والتي هي جملة من موبقاته ومساويء حكمه ومنها:



- ⇒
- ١- إستقدام العلماء وأهل الحديث من الامصار الى بغداد وأباح لهم التحدّث الى الناس في صفات الله، وجواز اسنادهم الى العباد، وجواز رؤية الله.
 - ٢- كان منهمكاً في اللذات والشراب وكان في قصره اربعة آلاف امرأة وطأها جميعاً، وهو أقرب الى الخيال.
 - ٣- قتل أو سبب الاذى، والتعذيب، والاهانة لجملة من كبار علماء وشخصيات عصره، كما فعل مع الامام الهادي عليه السلام وقتله لأبن السكيت، وحلقه لحية قاضي القضاة. بمصر ابو بكر محمد بن ابي الليث، وأهانتته وترويعه لذي النون المصري أحد رجال الطريقة العارفين الزهاد وغيرهم.
 - ٤- اشتهاره بالنصب وبغض الامام علي عليه السلام وكثرة الوقعة به والانتقاص من قدره بين الناس، بل والاستخفاف به وبذريته، حتى عرف بالغلو والتمادي في ذلك.
 - ٥- ولعل من إشد منكراته وموبقاته ما قام به من إنتهاك قبر الامام الحسين عليه السلام وهدمه، وإجراء الماء عليه، ومنع الناس قصده، وزيارته، ومعاقتهم بقطع الايدي والارجل، حيث نشر الجواسيس والعيون لأجل ذلك، وبهذا الصدد نقل الشيخ القمي في «تتمه تاريخ الخلفاء» أن المتوكل نبش وهدم قبر الحسين عليه السلام اكثر من ١٧ مرة بين تدمير وتهديم وإجراء الماء عليه.
 - ونقل السيوطي: وفي سنة ٢٣٦هـ أمر المتوكل بهدم قبر الحسين وهدم ما حوله من الدور، ان تُعمل مزاراً، ثم منع الناس من زيارته، وكان معروفاً بالتعصب ضد آل ابي طالب. تاريخ الخلفاء/ ٣٤٧.
 - ورغم هذه الاجراءات التعسفية فلقد أبدى شيعة آل علي ومواليهم صموداً عجيباً، وأرخصوا الانفس والاموال لغرض زيارة الحسين عليه السلام لا لشيء الا لأن الزيارة تعني عندهم الحب، والولاء، والعهد، والتضحية، والوفاء للحسين وأهل بيته، وللمبادئ الحقة التي استشهدوا عليها من أجلها.
 - ٦- محاربه لرجال الشيعة وقتلهم تحت كل حجر ومدر، وعلى كل شبهة كما فعل اسلافه من قبل، ونرى هذا واضحاً مع الامام الهادي عليه السلام والعالم ابن السكيت وغيرهم، حتى خافت الشيعة من بطشه، حيث قطع أرزاقهم، وهدم دورهم، وأشاع بينهم الخوف والرعب، وبهذا الصدد ينقل الشيخ القمي: ان المتوكل كان رجلاً



⇒ خبيثاً، سيء السريرة، يكنّ لآل ابي طالب وشيعتهم أشدّ العدا، ويأخذهم على الظن والشبهة، وينزل بهم الاذى والعذاب، وكذلك كان وزيره التركي الفتح بن خاقان وقد نزل بالعلويين، وآل ابي طالب في عهده من الاذى ما لم ينزل بهم في أي عهد من عهود بني العباس.

٧- مرقباته على الامام الهادي عليه السلام، حيث استقدمه الى سامراء وسامه أشد العذاب، وحطّ من مقامه، وضيقّ عليه في حلّه وترحاله.

٨- تقريبه للأتراك وتسليطهم على الناس، واستهتارهم بمقدورات الامة، إضافة الى اضعافه لنفوذ العرب والمسلمين بهذا العمل.

٩- ولعه الشديد بالترف، والبذخ، والمجون، وصرف أموال الدولة في بناء القصور الفخمة وأماكن اللهو على حساب آلام الناس وفقيرهم.

١٠- شيوع وانتشار الافكار الهدامة، والفرق الضالة، والعقائد الفاسدة، كفكرة الجبر الغلو، والقول بخلق القرآن، وشيوع أفكار بعيدة عن مرتكزات الفكر والمجتمع الاسلامي، كالقول بجواز رؤية الله وإسناد الجوراح إليه.

١١- إنتشار ظاهرة الفساد الخلقي، والتحليل، والتفسخ، وشيوع المجون من لبس الذهب للرجال، وإنتشار الكذابين من القصاصين، إضافة الى ظهور من يدعي النبوة، والألوهية، وإستفحال المؤمرات، والمكائد، والتصفيات السياسية في البلاط والتنافس على الحكم مما أضعف الدولة، وأذهب هيبتها.

ولكثرة هذه الموبقات وشيوع معاصيه، ولشدة تضييقه على الناس عامة والشيعه خاصة، ولسوء عاقبته، ولأنشغاله باللهو هجم عليه ابنه المنتصر مع جماعة من الاتراك وهو في ساعة لهو، وقتلوه مع وزيره الفتح بن خاقان شر قتله.



الهادي عليه السلام في سامراء

وعندها استدعى الطغاة الهادي
ووضع الامام في سامرا
مراقباً من اعين خفيه
مفتشاً في بيته المطهر
وظل في محتفه يعاني
من يثرب الى ذرى بغداد
وسيم من اقصى العذاب المرّ
ومن رجال شرطة غيبه
عما اختفى من مصحف أو اثر
من قسوة الطغاة والطغيان^(١)

(١) بعد إغتيال الامام الجواد عليه السلام سماً بأمر المعتصم العباسي بقي الامام الهادي عليه السلام في المدينة المنورة، وقد حاول المعتصم آنذاك بمراقبته عن طريق واليه هناك، حتى هلك المعتصم وطيلة حكم الواثق بعده، كان الامام الهادي عليه السلام ينشر مبادئه هناك ويربّي شيعته وأصحابه حتى ولي المتوكل، حينئذ بدأت رسائل ولاته، ومرتزقته، تتوالى بخطورة وجود الامام الهادي عليه السلام بالمدينة وإلتفاف الناس حوله، مما دعاه الى استقدامه الى بغداد، ثم الى سامراء لغرض وضعه تحت الرقابة الشديدة، وقد فعل ذلك عن طريق رسالة خادعة يستميل فيها الامام بالقدوم الى سامراء ليوفيه حقه من التقدير والاجلال، وقد أوكل هذه المهمة الى قائده يحيى بن هرثمة، مستخدماً الرفق واللين خوفاً من غضب الناس، ورفض أهل المدينة لعظم شأن الامام هناك، وقد عمد هذا القائد أولاً الى تفتيش بيت الامام مباغتةً، وكبس داره، لكن مساعيه خابت بالفشل بعد أن وجد في داره بالمدينة كتباً في الادعية والقرآن الكريم، وعند وصول الامام الى سامراء استخف المتوكل بمقامه بأن جعل مبيته في خان الصعاليك ومن ثم وضعه تحت الإقامة الجبرية، وممارسة العذاب والتضييق عليه، من استدعاء يومي له، أو كثرة تفتيش بيته وإرعاب أهله.



⇒ وقد ذكر ابن كثير: أن المتوكل أرسل جماعة من الاتراك ليلاً الى دار الامام عليه السلام لتفتيشها بحجة وجود سلاح وأموال تصله، فخاب سعيه، حيث وجدوا الامام يُصلي وعليه مدرعة صوف، وهو يترنم بالقرآن الكريم فحُمِل الى المتوكل، وهو بهذه الهيئة مما جعل المتوكل يعتذر منه ويندم. البداية والنهاية ٥/١١.

ويبدو مما تقدم أن أسباب إشخاص الامام الى سامراء عدة أمور أهمها:

١- كثرة الوشايات بالامام من قبل جلاوزة المتوكل وجواسيسه، ومنهم صاحب الصلاة «بريجة العباسي» ومن هو على شاكلته، حيث شاهدوا كثرة إلتفاف الناس حوله، مما يسبب خطراً على السلطة ومصالحهم معها.

٢- عزل الامام عن شيعته وأصحابه ووضعهم في سامراء تحت رقابة السلطة، ولعل جماعة من المؤرخين أشاروا الى ذلك.

حيث كتب «يزدان» طبيب القصر العباسي آنذاك الى الكاتب «إسماعيل القهقلي» ما يلي: «بلغني ان الخليفة «المتوكل» إستقدم الهادي من الحجاز الى سامراء فرقا منه لئلا ينصرف إليه وجوه الناس فيخرج هذا الامر من بني العباس». بحار الانوار ١٦١/٥٠.



هلاك المتوكل

حتى مضى الطاغية الجبان بقتلة دبرها الغلمان
وقتلوا «الفتح بن خاقان» معه وهو لعمرى تابع وامّعه
والمستعين بعده قد قاما وبعده المعتز قد تعامى^(١)

(١) ولما إستمرت محنة الامام الهادي عليه السلام مع المتوكل وصراعه المرير مع التضيق والمراقبة والاستخفاف به مما حفز الامام عليه السلام للدعاء عليه والتضرع الى الله سبحانه بأهلاكه وسرعان ما أستجاب الله سبحانه لدعاء وليه الهادي عليه السلام فقصر ظهره وأراح البلاد من ظلمه فلم يلبث سوى ثلاثة أيام حتى هجم عليه ابنه المنتصر مع جماعة من الاتراك يتقدمهم غلام تركي مملوك اسمه «باغر» وكان المتوكل سكراناً مشغولاً بلهوه مع وزيره «الفتح بن خاقان» فقتلوهما شر قتلة تقطيعاً بالسيوف، بحيث أختلط لحمهما وبذلك أنطوت صفحة هذا الطاغية المحرم الى الابد. تاريخ السيوطي / ٣٥٠.

وبعد هلاك المتوكل العباسي ووزيره «الفتح بن خاقان» على يد ابنه المنتصر، وجماعة من الاتراك تولى الحكم المنتصر، وإسمه «محمد» وكنيته «ابو جعفر» وهو من أم رومية، وقد نقلت كتب التاريخ انه كان مهاباً، وافر العقل، راغباً في الخير، قليل الظلم مُحسناً الى العلويين، حيث أوصل لهم الخيرات، وأزال عنهم الظلم، ورفع عنهم الخوف، وأباح لهم زيارة الحسين عليه السلام وردّ عليهم حقهم في فدك، وتُشير المصادر التاريخية أنه تولى الحكم في شوال عام ٢٤٧هـ بعد أن خلع أخويه المؤيد، والمعتز من ولاية العهد التي عقدها لهما أبوهما المتوكل، وحينما تولى الحكم أظهر العدل والانصاف في الرعية، وكان كريماً، وحال توليه الحكم تغيّر على الاتراك بسبب كثرة شغبهم عليه، وعلى الخلفاء من قبله وأخيراً تامروا عليه وقتلوه بأن دسوا له السم، فمات عن عمر ٢٦ سنة، ولم يتمتع بالخلافة إلا أقل من ستة أشهر، ثم ولي الخلافة أخو المتوكل احمد بن المعتصم، الملقب بـ«المستعين بالله» لأن الاتراك خافوا من تولية أحد من أولاد المتوكل، وكان عمر المستعين حين ولايته



⇒

٢٨ سنة، فأستمر في حكمه حتى عام ٢٥١هـ حيث قام بقتل جماعة من الاتراك مثل «وصيفا» و«بغا» ونفى قاتل أخيه المتوكل «باغر» مما حفز الاتراك على عداوته، فشعر بذلك فترك سامراء ذاهباً الى بغداد، ورفض الرجوع الى هناك حينئذ عمد الاتراك الى خلعه واخرجوا المعتز بالله العباسي من سجنه وبايعوه خليفةً، وحالاً جهز المعتز بالله جيشاً لمحاربة المستعين في بغداد ودام القتال عدة شهور، حيث حلّ البلاء في بغداد من قتلٍ وقحط وغلاء.

وأخيراً تمّ الصلح بأن خلع المستعين نفسه من الخلافة، ثم إنحدر الى واسط، وحُبس هناك لمدة تسعة أشهر، ثم جلب قسراً الى سامراء، حتى انبرى له رجل اسمه سعيد الحاجب فقتله بأمر المعتز ذبحاً وله من العمر ٣١ سنة.

وقد عُرف المستعين بالبلاغة، والادب، وغرامه بالنساء، وكثرة النكاح، والاسراف في المال، وفي ايامه كثرت ثورات وانتفاضات العلويين عليه في كل مكان، بحيث قتل منهم جماعة كثيرة، كما كثر في عصره الشغب والتمرد.

وبعد تولي المعتز العباسي، وقد بويع له فور خلع المستعين سنة ٢٥٢هـ وله من العمر ١٩ سنة، وقد عُرف بلبس الذهب حال خروجه مع جيشه، وفوراً خلع أخاه المؤيد ثم ضربه حتى مات، وعُرف عنه بسوء السيرة مع العلويين ومع الامام الهادي خاصة، كما كان ابوه المتوكل، وتشير المصادر أنه قد عمد في أوائل حكمه الى قتل كبار رؤساء الاتراك وقطع رواتب آخرين منهم، مما دعاهم الى خلعه ومبايعة محمد بن الواثق بن المعتصم الذي أبعده المعتز الى بغداد، ثم قاموا بعد ذلك بقتل المعتز بالله عطشاً فمات سنة ٢٥٥هـ بعد حكم دام ثلاثة سنوات وسبعة أشهر.

وفي عهده قتل جماعة من ثوار العلويين الذين ثاروا عليه، وفي آخر حكمه وبتاريخ ٢٦ جمادي الثاني عام ٢٥٤هـ عمد المعتز بالله الى قتل الامام الهادي عليه السلام سماً ودفن في داره في سامراء.



سيطرة الاتراك

وكانت الاتراك قد تمادت
فاضطربت بغداد والاقطار
ولم يعد فيها لشخص مأمناً
وقد بغت في اهلها الاتراك
ففي بيوت الخلفا نصارى
خلافه مشغولة بلهوها
«الكرخ» قد عاثت به السراق
وعسكر كان بسامراء
قصر به عاث «وصيف» و«بغا»
و«واجن» و«باغر» و«يربد»
بغداد أضحت مسرحاً للعب
ظل يعاني حسرة خفيه

في سلطنة على البلاد سادت
واحتكر الباعة والتجار
ليس بها الا ضعيف موهن
والكل منهم طائش سفاك
تدير أمر الامة اختيارا
وثلة مغرورة بزهوها
وفي الرصافة الدما تراق
يعبث في سطوته ما شاء
فيه خليفة كمثل البيغا
وخلفهم «سعلفة» يعربد
لكنها سجن على نجل النبي
واجهها بروحه القدسيه^(١)

(١) لما ولي المعتصم الخلافة جلب الاتراك أولاً الى بغداد، ثم نقلهم الى سامراء وسلطهم على الناس وساروا على هذا الامر فيما بعد، وتشير المصادر الى قوة نفوذهم وتسلطهم على أمور الخلافة، بحيث ذهبت هيبة العرب والمسلمين، وتشوهت سمعة الخلافة الاسلامية، بحيث أخذوا يتدخلون في شؤون الدولة ويديرونها داخلياً وخارجياً، وعمدوا بين فترة واخرى الى قتل هذا الخليفة، وتعيين غيره، او خلع ذلك، وجلب غيره. وتشير المصادر أن بسبب تسلطهم وطول نفوذهم عمّت الفوضى واضطربت الخلافة، حيث كثر القتل، واحتكرت الاموال، وانتشر القحط والغلاء، بينما كان الخلفاء ومن سار في ركبهم مشغولين باللهو والترف وبناء القصور، وتركوا هؤلاء الاتراك يعبثون بأمر الرعية من سرقة اموالهم وقتلهم، وقد شاع آنذاك في الكرخ والرصافة من بغداد لكثرة





السرقه وشيوع أراقة الدماء.

ولعلّ المصادر القديمة قد كفتنا مؤونة البحث بحيث ذكرت تسلّط جماعة من الاتراك على المتوكل في ايام حكمه، ومن ثم قتلوه ومنهم «بغا الصغير» و«وصيف» و«باغر» و«كنداش» بينما الغالب على المعتصم في ايام حكمه «الافشين» و«سيما الدمشقي» وهكذا المستعين العباسي حيث يبرز أسم «أوتامش» وأستمرت هذه الحالة مدة حكمهم وبعدهم بقليل، إما بخصوص موقف الامام الهادي عليه السلام اتجاه الاتراك فيتضح من خلال السرد التاريخي للعصور التي تسلّط فيها الاتراك ايام إمامته عليه السلام أن هؤلاء الاتراك لم يكونوا من مواليه ولا من شيعته، والاتراك هؤلاء إمّا من القادة والامراء وأصحاب النفوذ ممن قهروا الناس وأستباحوا أموالهم، فقد كان الامام الهادي عليه السلام يرفض تصرفاتهم ويستخدم الاسلوب الحكيم الواعي في تحاشي شرهم وأحياناً تقريبتهم للتأثير بهم.

وكان بغا الكبير التركي من المتسلطين في حكم المتوكل، كان كثير التعطف والاحسان على العلويين بفضل سياسة الامام الهادي عليه السلام معه، إما بقية القوم والبسطاء من الاتراك فقد كان موقف الامام منهم هو إسباغ العطف عليهم والترحمّ عليهم، بل وهدايتهم كما حصل لأحد الاتراك الذي قبل حافر دابة الامام عليه السلام لما عرف فضله. المناقب ٥١٢/٣.

في فترات انغماس السلطات العباسية طيلة العصور في حياة اللهو والجحون، واباحة العيب لأتباعها والمغفلين من عوام الناس للعيش بحرية ودون قيود. كان الائمة عليهم السلام وأتباعهم وشيعتهم يعانون أصناف البلاء والعذاب، والتشريد والقتل، والسجون.

وتشير المصادر الى أن حياة الامام الهادي عليه السلام قد حفلت بالمعاناة كونه قد عايش خمسة من حكام بني العباس، وقاسى منهم العنت والضيق والاضطهاد، وراى محنة العلويين وشيعة أهل البيت عليهم السلام على أيديهم، حيث عملت تلك السلطات المتعاقبة على سجن الامام عليه السلام أو فرض الإقامة الجبرية عليه، ومطاردته، وسجن كبار رجالات الشيعة، بل وتهجيرهم مما أضطر الامام عليه السلام الى أن يجعل لنفسه وكلاء للاتصال به، أو عبر المراسلة أو اللقاءات السرية، وفي هذا المجال عملت هذه السلطات على وضع الامام عليه السلام تحت الرقابة المستمرة، ومن ثم عزله عن قاعدته الشعبية الشيعية من خلال مطارتهم والتنكيل بهم.

ولو أردنا إلتقاط جملة نقاط مختصرة مما ورد في المصادر التاريخية لما مرّ به الامام الهادي عليه السلام وشيعته خلال فترة إمامته لرأينا ما يلي:



- ⇒ - من يدرس حياة الامام الهادي عليه السلام منذ وفاة ابيه الجواد عليه السلام وتحمله مهام الامامة، والى وفاته يجدها حياة مليئة بالتحديات والصبر والثبات، لأنه أبتلي بحكام نواصب حاقدين على آل ابي طالب وشيعتهم، حيث أبتدأ هذه الحياة في أواخر حكم المعتصم العباسي الذي أستخدم كل وسائل العنف ضده، وضد ابيه الجواد عليه السلام ومن شايعهم، ومنها إقدامه على قتل الامام الجواد عليه السلام سماً ومن ثم هلك هذا الطاغية ليتولى من بعده الواثق الذي سار على نهج ابيه في تلك السياسة الظالمة رغم قلة شدتها وخفة وطأتها.
- وبحلول سنة ٢٣٢هـ وصعود المتوكل على سدة الحكم حتى لقي الامام عليه السلام وشيعته منه العنت والظلم والاضطهاد، حيث سيره مكرهاً الى سامراء، ووضعه تحت رقابة السلطة، وحاول مراراً إهانته، بل وقتله في إحدى المرات، وفي حالات أخرى النيل من شخصه بالاهانة، واخرى بالسجن، لكن الله سبحانه دفع عن وليه هذه المؤامرات. وبهذا الصدد قال الراوي: وكان المتوكل يجهد في الايقاع به ويعمل على الوضع من قدره في عيون الناس، فلا يتمكن من ذلك وهكذا إستمرت محنة الامام مع المتوكل حتى أهلكه الله مقتولاً عام ٢٤٧هـ. إعلام الوری ١٢٦/٢.
- وفي عصر المنتصر بن المتوكل عاش الامام بين ترقب وخوف أقل وطأة من السابق، لأن المنتصر كان لينا معه ومع شيعته، وبعد خلع المنتصر وقتله عام ٢٤٨هـ جاء المستعين العباسي ليعيد الامور الى سابقها من الضيق والاضطهاد، حتى آلت الامور الى المعتز العباسي بعد مقتل المستعين عام ٢٥٢هـ حيث دخل الامام في مرحلة جديدة من المراقبة والاضطهاد، تنتهي حياته الكريمة بعد هذه المعاناة مسموماً على يد المعتز العباسي الذي كان كأسلافه في القسوة والبطش، بينما الاعاجم والاتراك، والمغفلين من أوباش الناس يمرحون ويسرحون في مجبوحة اللذات والشهوات، كانت الدنيا تضيق بالامام الهادي عليه السلام وشيعته طيلة حكم بني العباس.
- ولا بد هنا من الاشارة الى ان الامام الهادي عليه السلام رغم المضايقة والرقابة والسجن، فقد كان يؤدي دوره الرسالي في رعاية الشيعة، وتربيته، والاشراف على إمرها، إماً عن طريق وكلائه، أو بالمراسلة وأحياناً عند خروجه عندما يطلبه الخليفة، وأحياناً يرد على المسائل الشرعية، ويعقد المجالس العلمية، ويحارب البدع والمقولات الباطلة، وأحياناً إرشاد الضالّ ومساعدة المحتاجين ولا سيما من شيعته الفقراء.



الخطبة المشؤومة

وزاد حقاً الحاكم العباسي لهيبة الامام عند الناس
فقد نوى جريمة نكراء وخطبة مشؤومة سوداء
بأن يفسد السم للإمام لكي تضيع امة الاسلام
ففجع الشيعة في شهادته وطافت الاملاك في جنازته
فبيته صار اليه مرقدًا وصار للامة دوماً مقصداً^(١)

(١) حاول المتوكل العباسي مرةً قتل الامام الهادي عليه السلام ولكن الله دفع شره فقد أورد الشيخ المجلسي أن المتوكل قال مرةً:

والله لأقتلن هذا الزنديق الذي يطعن في دولتي. بحار الانوار ٢٠٤/٥٠.

ويبدو أن تحفظ الامام وبراعة حكمته خلال تعاقب سلطة هؤلاء الخلفاء جعلته في مأمن من بطشهم به، حتى مجيء المعتز العباسي الذي ضاق ذرعاً مما شاهده من مكائته الدينية والاجتماعية في وسط الناس، فحسده على ذلك وضاق نفسه بما يسمع من مكارم أخلاقه مما دفعه على ارتكاب جريمة قتل الامام عليه السلام بأن دس له السم في طعامه عن طريق جلاوزته، مما جعل الامام يرقد في فراشه وهو يعاني أثر السم وبحضور ولده ووصيه الحسن العسكري عليه السلام والخلص من شيعته.

وتود هنا الاشارة الى أنه لا اعتبار للأقوال التي شككت في سمة أو فيمن سمة من الخلفاء، بعدما أتفق أكثر المؤرخين ولا سيما المعروفين منهم على أن المعتز العباسي قد قتله سماً في أواخر حكمه.

فقد نقل المؤرخون ولا سيما ممن أرخ لسيرته على رحيله شهيداً مسموماً في ٢٧ جمادي الثاني عام ٢٥٤هـ عن عمر أمدته ٤١ سنة وستة أشهر على يد المعتز العباسي، وقد دفن في



⇒

بيته بسامراء بعد أن صلى عليه وصيه من بعده، ولده ابو محمد الحسن العسكري عليه السلام ومعه وجوه بني هاشم، وجماعة من خلص الشيعة، بل حتى كبار رجالات بني العباس. رحل الامام العظيم بعد أن ترك للبشرية تراثاً فكرياً وعلمياً في مجالات الحديث، والتفسير، والفقه، ومكارم الاخلاق، والرواية، والادعية، بل في مختلف العلوم والمعارف، ومن المفيد هنا أن نشير الى أنه عليه السلام رحل وقد ترك عليه السلام على رواية المشهور أربعة اولاد، وبنت واحدة هم: ولده ابو محمد الحسن العسكري عليه السلام الامام من بعده، ومحمد المعروف بـ«سبع الدجيل»، والمدفون في بلد وله مزار مشهور، وجعفر المعروف بالكذاب وتروى عنه أحاديث ويقال أنه تاب في آخر عمره، والحسين وكان سيداً جليلاً. إما البنت فقيل إن اسمها عائشة، كما قال المفيد في الارشاد، والشبلنجي في نور الابصار، ومن قال أنها عليّة أوعالية، الطبرسي في إعلام الوري، والقمي في منتهى الآمال. وهكذا يقف الأربلي على مرقد الامام الهادي عليه السلام ليسطره بهذه القصيدة الرائعة مادحاً بها الامام عليه السلام حيث يقول:

ياأيها الرايحُ الغادي	عرجُ علي سيدنا الهادي
وأخلعُ إذا شارفت ذاك الثرى	فعلَ كلِّيم الله في الوادي
وقبّلُ الارض وسفّ تربةً	فيها العلى والشرف البادي
وقلّ سلامُ الله وقف على	مُستخرج من صلب أجوادِ
في البأس يروي شأفة المعتدي	بصولة كالأسد العادي
وفي الندى يجري الى غايةٍ	بنفس مولى العرف معتادِ
يعفو عن الجاني ويعطي المنى	في حالي وعدي وإيعادي
كأنّ ما يحويه من ماله	دراهم في كف نقادِ
مُبارك الطلعة ميمونها	وماجدُ من نسل أجدادِ
من معشر شادوا بناء العلى	كبيرهم والناشيء الشادي
كأنما جودهم واقفٌ	لمبتغي الجود بمرصادِ
عمّت عطايهم وإحسانهم	طلاعُ أغوار وانجادِ
ولاءهم من خير ما نلتُهُ	وخير ما قدمتُ من زادِ
إليهم سعي وفي حبّهم	ومدحهم نصي وإسنادي



تعلوا عليه قبة من الذهب
عدت عليها زمرة التكفير
لكنها وسط القلوب عامره
من القلوب اصبحت تفديها
لانها رمز الظلامات التي
من سلام للإمام الهادي
مردداً من روائح وغازي
ودمرتها قبطة الاجير
ميمونة سامية وطاهره
وتبذل الغلي لكي تبنيتها
مرت على ابناء تلك البضعة
مردداً من روائح وغازي^(١)

* * *

(١) رحل الامام الهادي عليه السلام وقد اصبحت مرقده فيما بعد محجة لكل قاصد، وموتلاً لكل طريد، وبُنيت له ولولده عليه السلام منارة كبرى تعلوها قبة ذهبية من اكبر القباب في العالم الاسلامي، ويحيط بها بناء شامخ يرتاده الناس إجلالاً وتعظيماً يتبركون به، ويبدو أن الحقد المتوارث والنصب المألوف الذي ورثه الاوباش من التكفيريين والنصاب ممن سبقهم قد فعل فعله في إيماننا هذه، كما كان معروفاً فيما مضى من الزمان، حيث رأينا تخريب قبر الامام علي عليه السلام وهدم قبر الحسين عليه السلام ونش قبر زيد بن السجاد وما تلا ذلك من الاعتداء المتواصل على مراقد الائمة عليهم السلام والاولياء والصالحين في كل مكان، ولا سيما ممن يرجع الى ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله ومن هو سائر على خطهم.

لقد إنبعثت هذه السموم الحاقدة من جديد، بل لتجسد مدى حقدنا ووحشيتها تجاه رموز أهل البيت عليهم السلام ومراقدهم المقدسة، إذ قامت فئة ضالة من أهل الكفر والنصب والعداء المتوارث بتفجير قبة الامامين العسكريين في سامراء، وتهديهم المرقد من الاساس، ونسف قبة الذهبية الكبيرة، وذلك في شهر شباط من عام ٢٠٠٦م ظلماً وعدواناً وحقداً، وما سبق ذلك وما تلاه من تهديم وحرق للكثير من مراقد الاولياء والصالحين من عترة رسول الله صلى الله عليه وآله أخزاهم الله ولعنهم، وفور وقوع هذه الكارثة تداعت دول، ومنظمات، وجماعات خيرية اسلامية وعالمية لغرض إعادة بناء هذا الصرح الخالد، وإعادة زاهياً خالداً من جديد.

إنا لله وإنا إليه راجعون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.



الجزء الثالث عشر

الامام الحسن بن علي
العسكري عليه السلام





الأهداء

الى ابي محمد الحسن العسكري عليه السلام

الامام الذي تكفل برعاية .. وحماية .. أمل المستضعفين

وببشر العالم بولادة المصلح العالمي ..

المنتظر .. الموعود

أقدم هذا الجزء من قوافل النور.





اضاءة

عند محطة الامام ابي محمد الحسن العسكري عليه السلام تكون ملحمة (قوافل النور) تكون قد شارفت على النهاية، حيث بدأت بالنبي المصطفى صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة عليهما السلام والحسن الحسين عليهما السلام مروراً بالائمة الطاهرين من ذرية الحسين عليه السلام وها هي تتوقف عند الحلقة ما قبل الأخيرة من هذه السلسلة الذهبية الربانية المباركة، التي اذهب الله عنها الرجس وطهرها تطهيراً، وهي حلقة الامام العسكري عليه السلام الذي قال فيه ابن الصباغ المالكي في فصوله المهمة:

(أنه سيد أهل عصره، وأمام أهل دهره، أقواله سديدة، وأفعاله حميدة، وإذا كانت أفاضل زمانه قصيدة فهو في بيت القصيدة، وإن انتظموا عقداً كان مكان الواسطة الفريدة، فارس العلوم لا يجارى...)

الى آخر كلامه في تقييم شخصية الامام العسكري عليه السلام التي كان لها الدور الفكري والثقافي والاجتماعي المتميز رغم المحنة التي عاشها وسط الظروف السياسية الصعبة، والصراعات الفئوية الحادة في تلك المرحلة في سامراء.

الا ان الامام العسكري عليه السلام استطاع ان يشق الطريق واضحاً وسط الفتن التي عصفت بالامة في تلك الفترة من تاريخها.

وهذا الجزء من (قوافل النور) قد تناول حياة الامام العسكري وحركته الحذرة، مستعرضاً عبر ابياته وهوامشه أهم النقاط والمحطات التي تمثل معالم شاخصة في سيرته الشريفة عليه السلام وتوقف هذا الجزء من الملحمة بشكل دقيق



وحساس للتعريف بطبيعة المنهج الحكيم الذي اعتمده الامام العسكري في حماية ورعاية ولده الامام المهدي المنتظر الموعود (عج) باعتباره المنقذ والمخلص العالمي لكل المستضعفين في الأرض.

فقد تعامل الامام العسكري مع هذه القضية بدقة وحساسية متناهية، فمن ناحية يجب ان يوصل نبأ الولادة المباركة الى كل شيعة ومحبيه، من اجل ان يكونوا شهوداً ثقة على هذا المولد الميمون، ومن ناحية اخرى يجب ان يخفي نبأ القضية عن عيون السلطة التي كانت تترصد بحذر وخوف شديدين من الفكرة المهدوية فضلاً وجود المهدي نفسه. ورغم هذه الموازنة الحساسة في هذا الموضوع استطاع الامام عليه السلام بحكمة ان يحقق الهدفين معاً.

كما اشار هذا الجزء من الملحمة لاهم الاحداث، والاتجاهات، والشخصيات السياسية، والثقافية، والاجتماعية، وذكر أهم تلامذته والرواة عنه.

نسأل الله تعالى ان يجعلنا من السائرين على هدى امامنا العسكري ومن المدافعين عن مدرسته ونهجه. انه سميع مجيب.



المولد المبارك

اطل بالرحمة والحنان
بدر حوى علائم التقاة
مذ حظيت مدينة الرسول
اعني به نجل الامام الهادي
وصيه الذي يُسمى العسكري
وأمة «حديث» الكريمة
وقيل انها تسمى «سوسن»
قد أرضعته الطهر والاباء
حتى نما وصار صلب العود
ينهل من معارف الرسالة
ويحمل الأسرار عن أبيه
كالنور في شهر ربيع الثاني
أبائه الائمة الدعاة
بطلعة ابن فاطم البتول
وسيد الزهاد والعباد
بنقل يحيى بن يسار العنبري
طاهرة نقية حليلة
دارت مع الهادي عليها المحن
والفخر والعزة والوفاء
ترعاه عين الخالق المعبود
ويقتفي محمداً وآله
وقد تجسدت جميعاً فيه^(١)

(١) تضاربت الاقوال في مكان وتاريخ ميلاد إمامنا الحسن العسكري عليه السلام وتراوحت هذه الاقوال في اغلب الروايات بين شهر رمضان أو ربيع الاول أو ربيع الثاني من عام ٢٣٠هـ أو ٢٣١هـ أو ٢٣٢هـ في المدينة المنورة، ولكن المرجح والمشهور أن ولادته في شهر ربيع الثاني في المدينة المنورة من عام ٢٣٢هـ. الارشاد/ ٣٣٥، اعلام الورى ١٣١/٢، المناقب ٥٢٣/٣. وقد أجمل هذا الاختلاف الحر العامل في أرجوزته عن أهل البيت عليهم السلام:

مولده شهر ربيع الآخر وذاك في اليوم الشريف العاشر
في يوم الاثنين وقيل الرابع وقيل في الثامن وهو شائع
ووردت عدة نصوص عن الامام الهادي عليه السلام بالوصية بالامامة من بعده لولده الحسن
العسكري عليه السلام إضافة لما ورد بهذا الشأن عن طريق آبائه وأجداده عليهم السلام.



⇒ قال الراوي: أوصى ابو الحسن الهادي عليه السلام الى ابنه الحسن قبل مضيّه بأربعة أشهر وأشهدني على ذلك وجماعة من الموالين. الكافي ١/١٣٤، الارشاد/ ٢٣٥.

ويعتبر تعدّد إسماء إمهات الائمة على طول التاريخ أمر طبيعي، لما ينطوي ذلك على أسباب ومصالح يعرفها الائمة عليهم السلام منها حراجة الظروف السياسية، ومنها المصالح الاجتماعية التي تشهدها تلك الازمنة، إضافة الى ما يقوله المؤرخون من ان اكثر أمهات الائمة عليهم السلام من الجوّاري، وكانت الجوّاري آنذاك لها عدة أسماء، علاوة على ذلك أن كثرة الاسماء ذال على شرف المُسمى، كما نُقل عن سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام فقد ذكر لها الرواة وأهل السير عشرات الاسماء لمصالح ومقامات تنطوي على ذلك.

امام بخصوص والده الامام الحسن العسكري فقد ورد في المصدر التاريخي انها ام ولد واسمها حديثه، وقد اشادت جل هذه المصدر بفضلها وجلالة قدرها، وكانت من العارفات الصالحات، وكانت في غاية الصلاح والورع والتقوى، حتى ان احد الرواة قال: لما أدخلت سليل أم أبي محمد الحسن العسكري على الامام الهادي قال عليه السلام: سليل مسلولة من الآفات والعاهات والارجاس والانجاس. ثم قال عليه السلام: سيُخرج لها منها حجته على أرضه ليملاً الارض عدلاً كما ملئت جوراً. اثبات الوصية/ ١٣٦.

وتشير المصادر أنها حملت بالامام الحسن العسكري عليه السلام في المدينة وأرضته هناك، وغذته وأسبغت عليه من جلائل الاخلاق، وارفع الصفات من طهر، وإباء، وعزة، ووفاء. ولا بدّ من الاشارة هنا أنها كانت تُعرف بـ«الجدّة» - أي جدّة الامام المهدي الحجة - ولما توفيت دُفنت في الروضة العسكرية المشرفة في سامراء جوار الامام الهادي عليه السلام وولدها الحسن العسكري خارج بيت الهادي عليه السلام.

نهل الامام الحسن العسكري عليه السلام من أبيه الهادي عليه السلام علوماً ومعارف كثيرة رغم قصر المدة التي قضاها معه كما أشرنا سابقاً في حياة الهادي عليه السلام، وتشير المصادر التاريخية الى أن أخلاق وصفات الامام الهادي عليه السلام بل وصفات أجداده السابقين عليهم السلام قد ترسخت في الامام الحسن العسكري عليه السلام.

وفي هذا الصدد قال الرواة: كانت أخلاق الامام الحسن العسكري كاخلاق جده رسول الله صلى الله عليه وآله في هديه، وسكونه، وعفافه، ونبله، وكرمه، وكان على صغر سنّه مقدماً على العلماء، والرؤساء، بل أن ما جرى للائمة من سبقة في الفضائل، والاسرار، وصفات الكمال تجري فيه ولمن بعده، وانهم في ذلك سواء. الشيعة في الميزان/ ١٥٤ للشيخ محمد جواد مغنية.



القبابُ وصفاته

القبابُ الرفيقُ والأمينُ والفاضلُ الخالصُ والميمونُ
المرشدُ النقيُّ ثم الناطقُ الرجلُ العالمُ ثم الصادقُ
قد وصفوه أسمرًا وأعينًا جميلَ وجهٍ وقويًا بدنا
ذو قامَةٍ وهيبةٍ وقورة وذو جلالَةٍ بابهي صورة^(١)

* * *

(١) ألقاب الانسان وأسمائه إنما تشتق من سلوكه، ومدى تجسّد أخلاقه في حياته وفي وسط مجتمعه، وبناءً على ذلك تعددت ألقاب وصفات الامام الحسن العسكري عليه السلام لما كان يتمتع به من سلوكيات أخلاقية سامية، وكان ذلك بأعتراف الصديق والعدو، وقد تضافرت كتب الاقدمين من أهل التاريخ والسير بنقل ألقاب وصفات كثيرة لأمامنا الحسن العسكري عليه السلام إضافة لما نقلوه من صفاته البدنية وما يتفرع منها من شؤون أخرى، فقد نقل ابن شهر آشوب قطعة تصوّر بعضاً من صفاته، حيث قال:

هو الحسن ابو محمد، نقي الجيب، بعيد الريب، بريء من العيب، أمين على الغيب، معدن الوقار، خافض الطرف، واسع الكف، كثير الحياء، شديد الوفاء، عظيم الرجاء، قليل الافتاء، كثير التبسم، سريع التحكّم ومن ألقابه: الصامت، الهادي، الزكي، السراج، المضيء، الشافي، المرضي، العسكري، وكان هو وأبوه وجدّه يعرفون في زمانهم بـ«ابن الرضا». المناقب ٥٢٣/٣

وقال الشبلنجي: وإسمه الحسن، وكنيته ابو محمد، وألقابه الخالص، السراج، العسكري، وصفته بين السُمرّة والبياض. نور الابصار/ ١٨٣.



معاناة العسكري

ظل ثلاثاً بعد عشرين سنة
وبعد أن تسنم الامامة
يُنقلُ من سجنٍ الى مطمورة
لم يُثنِه ذاك عن العبادة
يطيلُ من سجوده في سجنه
يأنسُ بالوحدةِ والسجانِ
حتى غدا سجانهُ مرتعداً
فسجنهُ مدرسة للتقوى
مواصلاً للشريعة الكرامِ
ولم تكن تُرهبه الجدرانُ
معلقٌ فؤادُهُ بالغيب

يشارك الهادي الليالي المحزنة
قاسى الذي قاساهُ باستقامه
مكبلاً يُرى بأقسي صورة
ولا عن الصلاة والوفادة
كأنهُ جنانه في عدنه
والصوم والصلاة والقرآنِ
وقد رأى الخشوع والتعبداً
وكفه بالقيد ليس يُلوى
بالنصح والتوجيه والاقدامِ
ولا يُخيف قلبه السجانُ
فهو إمام الحق دون ريب^(١)

(١) ولد الامام الحسن العسكري في المدينة سنة ٢٣٢هـ وذهب مع ابيه الهادي عليه السلام سنة ٢٣٤هـ قسراً الى سامراء، فكان مدة بقاءه بالمدينة سنتين فقط، ثم عاش بعد ذلك مع ابيه في سامراء قرابة ٢٢ سنة أو أكثر بشهور، حيث تسلّم منصب الامامة بعد إستشهاد ابيه سنة ٢٥٤هـ، ومكث في الامامة، ست سنين قضاهما في ظل ثلاث خلفاء قساة معه، وانتهت حياته المباركة بأغتياله مسموماً على يد المعتمد العباسي سنة ٢٦٠هـ وبذلك تعتبر مدة إمامته أقصر مدة في تاريخ إمامة إئمة أهل البيت عليهم السلام.



⇒ كما وأتسمت مواقفه بالحذر الشديد من طغاة زمانه أزاء الاحداث والوقائع التي حدثت آنذاك، حيث فرضت عليه الإقامة الجبرية، بل وأجبرته السلطة العباسية أحياناً على الحضور يومين من كل إسبوع لدار الخلافة، وعاصر طيلة إمامته كلاً من المعتز، والمهتدي، والمعتمد، وقد لاقى منهم أشد العنت، والضيق، والارهاب، والسجن، مرات عديدة. إتسمت حياته بالغموض وقلة المعلومات بسبب الظروف السياسية التي أحاطت بابيه الامام الهادي عليه السلام أما بعد وفاة إبيه وتسلمه مهام الامامة فقد جاءت مواقفه إمتداداً لمواقف إبيه من قبل بوصفه إماماً للمسلمين الشيعة وراعياً لمصالحهم.



علمه وعصره

لديه من علم النبي أبحرُ
فصبره كصبر أيوب غدا
ولم يزل في قلبه الإباءُ
فعصره قد كان عصر فتنه
لكنه واجهها بالصبرِ
جنود إبليس ومن تابعه
قد قلّ عنه الأهل والأصحاب
سوى الوفي من رجال الشيعة
وألف كنزٍ قد نماه حيدرُ
يُعرفُ عند الأولياء والعدا
برغم ما تبثه البغضاءُ
وقد توالى الف الف محنة
وبالتحدي لجنود الغدرِ
ومن مشى فيه ومن شابعه
وابتعد الخلانُ والاحبابُ
وثلةٌ سمعيةٌ مطيعةٌ^(١)

(١) عن أبي حمزة نصر الخادم قال: سمعت ابا محمد عليه السلام غير مرة يكلم الناس بلغاتهم، وفيهم ترك، وروم، وصقالبة، فتعجبت من ذلك وقلت: هذا ولد بالمدينة ولم يظهر لأحد حتى مضى أبو الحسن - أي الامام الهادي عليه السلام - ولا رآه احد فكيف هذا؟! احدث نفسي بذلك فأقبل عليّ وقال: ان الله جلّ اسمه بين حجته من ساير خلقه وأعطاه معرفة بكل شيء ويعطيه اللغات ومعرفة الأسباب والآجال والحوادث: ولولا ذلك لم يكن بين الحجة والمجوج فرق. اصول الكافي ١/٥٠٩. ح ١١.

عاصر الامام الهادي مدة امامته ستة من خلفاء بني العباس، المعتصم منذ سنة ٢٢٠-٢٣٢ والمتوكل ٢٣٢-٢٤٧هـ حيث قتل على يد الاتراك، ثم جاءت أيام المنتصر وكانت مدة خلافته ستة أشهر ويومين، ثم المستعين ٢٤٨-٢٥٢هـ كما عاصر الشطر الأكبر من خلافة المعتز ٢٥٢-٢٥٥هـ حيث كان استشهاد الامام الهادي سنة ٢٥٤هـ. وفي هذا العام تولى مهام الامامة ابنه الحسن العسكري عليه السلام.



⇒ وكانت الظروف التي تمر بها الدولة العباسية بعد تولي المتوكل ظروفاً صعبة جداً، إذ انها كانت تعد مؤشراً على ضعفها، وتشكل بداية لانحلالها، فالحروب الداخلية والخارجية من جهة، والقتال بين ابناء الخلفاء من جهة اخرى، كالذي حصل بين المستعين والمعتز والذي أدى الى تولي المعتز وخلع الاول عام ٢٥٢هـ كل واحد من هذه الصراعات كان له تأثيره المباشر في ايجاد الضعف والانحلال.

وفي ايام المتوكل قام المتوكل بهدم قبر الامام الحسين عليه السلام ومنع القاصدين لزيارته، لان المتوكل كان يتجاهر بعدائه لآل ابي طالب ومطاردتهم، ولم يرد تجاه تلك الاحداث اي تعليق من قبل الامام الهادي عليه السلام. - ويمكن ان يقال انه: لم يرد الينا عن موقف الامام مع الخلفاء شيء، سوى ما جاء عن موقفه من المتوكل وهو اقل القليل. - اعلام الهداية ٥١/١٣.

وكانت للامام الهادي عليه السلام منزلة سامية ومكانة رفيعة القدر لدى اهل المدينة لاحسانه اليهم وعلاقته لاقوية معهم، فلما أشخصه المتوكل ارسل يحيى ابن هرثمة لجلب الامام من المدينة الى سامراء عام ٢٣٤هـ اضطرب الناس وضجوا كما يروي يحيى بن هرثمة نفسه حيث قال: فذهبت الى المدينة فلما دخلتها ضج اهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس بمثله خوفاً على علي - اي الامام علي الهادي عليه السلام - وقامت الدنيا على ساق، لأنه كان محسناً إليهم ملازماً للمسجد لم يكن عنده ميل الى الدنيا، فجعلت اسكنهم، وأحلف لهم اني لم أوامر فيه بمكروه، وأنه لا بأس عليه، ثم فتشت منزله فلم أجد إلا مصاحف وأدعية وكتب علم فعظم في عيني. اعلام الهداية ٥٢/١٣.



ثورة الزنج

في عصره ثارت جموع الزنج
فبدأت ثورتهم في البصرة
كمثل أهواز وعبادان
وعظمت شوكتهم وانتصروا
وافسدوا في الارض دون رحمة
واحرقوا الدير والمزارعا
ثم ادعى صاحبهم بالنسب
لكنما الامام قد كذبه
بان رأس الزنج ليس منا
ثم قضى «المعتمد العباسي»
والحكيم والسطوة ما ترّجي
ثم سرت الى بلاد كثيرة
وغير ذلك من قرى ايران
وقتلوا ما قتلوا أو اسروا
وعبثوا بجهلهم في الامة
وخرّبوا الضياع والمشارعا
الى علي والى بنت النبي
وبعداها قال وقد أنبه
ولا يؤدي ما يؤدي عنا
على رجال الغي والادناس^(١)

* * *

(١) كانت ثورة الزنج حدثاً مهماً لما نتج عنها من آثار سيئة ، فقد صحب حركة الزنج هذه قتل، ونهب، وسلب، وإحراق، مما أدى الى اضطراب الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في عدة من الامصار التي سيطر عليها صاحب الزنج، فبدأت ثورتهم في البصرة، وامتدت الى عبادان، والاهواز وغيرهما.

والقضاء على هذه الحركة قد كلف الدولة كثيراً من الأموال والجند الذين هزمهم صاحب الزنج في أكثر من واقعة، وأخيراً تمكنت الدولة من القضاء عليهم.

وقد ادعى صاحب الزنج علي بن محمد انه ينتسب الى الامام علي عليه السلام ولكن الامام الحسن العسكري عليه السلام كذب هذا الادعاء، فعن محمد بن صالح الخثعمي قال: كتبت الى ابي محمد - الحسن العسكري عليه السلام - أسأله .. وكنت أريد ان أسأله عن صاحب الزنج الذي خرج بالبصرة.. فوقع عليه السلام: صاحب الزنج ليس منا أهل البيت. اعلام الهداية ١٣/١١٥-١١٦.



ثورة العلوي الصوفي

وتم قام العلوي الصوفي بمصر يذكي الحرب بالصفوف
محرراً بعض بقاع «أشنا» وناشراً عدالةً وأمناً
فاجأه فيها ابن طولون وقد طارده زحفاً لأخر البلد^(١)

* * *

(١) ظهر في صعيد مصر ابراهيم بن محمد، وكان يعرف بابن الصوفي وملك مدينة أشنا، وكانت معارك بينه وبين جيش الدولة بقيادة ابن طولون اقتتلوا فيها قتالاً شديداً، فقتل من رجال ابن الصوفي الكثير وانهمزم، ثم كانت وقعة اخرى مع جنده عام ٢٥٩هـ وانهمزم ابن الصوفي ايضاً الى المدينة، والقي القبض عليه وأرسل الى ابن طولون في مصر.

اعلام الهداية ١١٦/١٣.



ثورة علي بن زيد

وثار بعده عليُّ الزيدي وكاد للطغاة أي كيدِ
واندلعت ثورتهُ في الكوفة واصبحت في خطر محفوفة
قاتلهُ كيجورُ التركيُّ الفارس المقاتل الكميُّ
فقتلت جماعة الثوارِ واسرع البعض الى الفرارِ^(١)

* * *

(١) كانت حركة علي بن زيد في الكوفة سنة ٢٥٦هـ واستولى عليها، وأزال عنها نائب الخليفة واستقرّ بها، وسير إليه المعتمد الشاه بن مكيال في جيش كثيف فالتقوا واقتلوا وانهزم الشاه وقتل جماعة كثيرة من اصحابه ونجا الشاه، ثم وجه المعتمد كيجور التركي لمحاربتة، وقد ارسل كيجور الى علي بن زيد يدعوه الى الطاعة وبذل له الامان، وطلب علي بن زيد اموراً لم يجبه كيجور اليها، فخرج علي بن زيد من الكوفة وعسكر في القادسية، فبلغ خبره كيجور فواقعه فانهزم علي بن زيد وقتل جماعة من اصحابه.

اعلام الهداية ١١٧/١٣.



ثورة الحسن بن زيد

والحسن الزيدي في جرجان أقام دولة على الأيمان
وقاتل العساكر الكثيرة وانتصرت جموعه الصغيرة^(١)

* * *

(١) الحسن بن زيد العلوي: حيث بدأت ثورته عام ٢٥٠هـ بمدينة «طبرستان» فتغلب عليها ثم زحف نحو جرجان بعد حروب طويلة كذلك تغلب على مدينة «أمل» ومدينة «الري» حتى توفي عام ٢٧٠هـ بعد معارك وحروب طويلة مع كبار قادة السلطة العباسية آنذاك، ومنهم مفلح، موسى بن بغا، محمد بن طاهر، يعقوب بن الليث الصفار.



مساور الخارجي

وبعدھا ثار الفتى مساورُ
فانحسرت ثورتهُ بساعة
وجاهد الامام في لسانه
فردَّ كل شبهة وبدعة
الخارجيُّ الفاتك المغامرُ
برغم ما قد كان من شجاعة
ونصر الاسلام في بيانه
مؤكداً على كمال الشرعه^(١)

(١) خرج مسار الخارجي، وطوق بني زهير، وهو من الخورج ايضاً وقاتلهم الحسن بن ايوب بن احمد العدوي وهزمهم وقطع رأس مسار وانفذه الى سامراء. اعلام الهداية ١١٧/١٣. لقد ظهرت في العصر العباسي الثاني وبالاخص ايام إمامة الحسن العسكري عليه السلام الكثير من الانحرافات الفكرية والبدع الفاسدة والافكار الضالة التي نشأت في أوساط الامة الاسلامية آنذاك، ونستطيع أن نتلمس ذلك من خلال الكتاب الذي أصدره الامام عليه السلام الى أهل قم وهو يصور ظروف تلك المرحلة الفاسدة حيث قال عليه السلام: اللهم وقد شملنا زيغ الفتن وستولت علينا غشوة الحيرة وعطلت أحكامك وسعي في إتلاف وإفساد بلادك. منهج الدعوات / ٨٦.

ورغم ان الامام عليه السلام كان مراقباً من السلطة، مُشدداً عليه في أقواله وتصرفاته إلا أنه استطاع أن يؤدي دوره الفكري والعقائدي في التصدي لهذه البدع، والافكار، والانحرافات الفاسدة في الفكر والعقيدة، ويمكن تلخيص دوره بما يلي:
موقفه عليه السلام من قضية خلق القرآن:

قال ابو هاشم الجعفري: خطر ببالي أن أسأل أبا محمد العسكري هل القرآن مخلوق أم غير مخلوق فقال ابو محمد: يا أباهاشم: الله خالق كل شيء وما سواه مخلوق. المناقب ٥٣٥/٣. موقفه عليه السلام من الاشرار بالله والشك في وحدانيته:

قال سهل بن زياد الرازي: كتبت الى ابي محمد العسكري سنة ٢٥٥هـ: قد اختلف أصحابنا في التوحيد، فمنهم من يقول هو جسم، ومنهم يقول هو صورة؟ فوقع عليه السلام بخطه:



⇒
سألتموني عن التوحيد وهذا معزول، الله واحد أحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً
أحد، خالق وليس بمخلوق، يخلق ما يشاء من الاجسام وهو ليس بجسم، ويصور وهو ليس
بصورة. إصول الكافي: ١٠٣/١.

موقفه عليه السلام من القلقين في إمامته من ضعاف شيعته :

عن أحمد بن محمد بن مطهر قال: .. كتب يسأله بعض اصحابه عن وقف علي إمامة
جده موسى بن جعفر عليه السلام هل أتولاهم أم أتبرأ منهم؟ فكتب عليه السلام له: لا تتولهم، ولا تعد
مرضاهم، ولا تشهد جنازتهم، ولا تصل علي إحدٍ منهم أبداً، فإن من جحد إماماً من الله
أو ازاد إماماً ليست إمامته من الله كان كمن قال: إن الله ثالث ثلاثة، ان الجاحد أمر
آخرنا جاحد أمر أولنا والزائد فينا كالناقص. كشف الغمة ٩٣٣/٢.

وكتب إليه بعض شيعته يعرفه اختلاف شيعته، ويريد رأيه فكتب عليه السلام إليه: الناس علي
طبقات: المستبصر علي سبيل نجاة، مستمسك بالحق، متعلق بفرع الاصل، غير شاكٍ ولا
مرتاب، لا يجد عني ملجأ، وطبقة لم تأخذ الحق من أهله فهم كراكب البحر يموج عند
وجهه، ويسكن عند سكونه، وطبقة إستحوذ عليهم الشيطان شأنهم الرد علي أهل الحق،
ودفع بالباطل حسداً من عند أنفسهم، فدع من ذهب يميناً وشمالاً، فإن الراعي إذا أراد أن
يجمع غنمه جمعها بأهون سعي. تحف العقول/ ٣٦١.



موقفه من الكندي

و ذات يوم قيل ان الكندي
على كتاب الله بالتناقض
مُجمَعاً بعض نصوصٍ تبدو
فأرسل الامام يوماً سائلاً
من بعد ان أوصاه بالتلطف
وقال لو ان الذي قد كتبا
وقال لو ان مرادي منه
أليس هذا جائزاً في النظر
نعم وهذا غير خافٍ عندي
وقال من سرّ اليك هذا
فقال: شي بفؤداي عرضا
فقال: لا: مثلك ليس يهتدي
فقال قد علمنيه العسكري
فاطرق الكندي ثم قال
ثم دعا كتابه ومزقه

يردُ في كتابه عن عمدٍ
وبأختلاف الآي والتعارض
كأنها يُشتمُ فيها الضدُ
ألقي على مسمعه مسائلاً
وان يكون في سؤاله حفي
هذا الكتاب جاء يبغي سببا
غير الذي فهمت أنت عنه
فقال: في جوابه المختصر
و حار فيما سيقول الكندي
وصار في تعليمك الاستاذ
لكنه فيك أصاب الغرض
الى سؤال معجزٍ معقدٍ
ابو محمد بعيد النظر
أولائي بيت صدقوا المقالا
واشعل النار به وأحرقه⁽¹⁾

(1) إن إسحاق الكندي كان فيلسوف العراق في زمانه أخذ في تأليف تناقض القرآن الكريم، وشغل نفسه بذلك، وتفرد في منزله، وإن بعض تلامذته دخل يوماً على الامام الحسن العسكري عليه السلام فقال له ابو محمد عليه السلام: أما فيكم رجلٌ رشيدٌ يردع إستاذكم الكندي عما أخذ فيه من تشاغله بالقرآن؟! فقال التلميذ: نحن من تلامذته فكيف يجوز منا



⇒
الاعتراض عليه في هذا أو في غيره؟!، فقال له الامام: أتؤدي إليه ما ألقيه إليك؟ قال: نعم
فقال عليه السلام: صرّ إليه وتلطّف في مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله، فأذا وقعت الأنسة بعد
ذلك قل له: قد حضرتني مسأله أسألك عنها، فإنه يستدعي ذلك، ثم قل له: إن إناك هذا
المتكلم بهذا القرآن - يقصد إماماً الله، أو جبرائيل، أو محمد عليه السلام - وقال لك: هل يجوز أن
يكون مرادي منه غير المعاني التي قد ظننت أنك ذهبت إليها؟ فإنه - أي الكندي -
سيقول لك: إنه من الجائز لأنه - الكندي - رجل يفهم إذا سمع، فإذا قال لك ذلك فقل
له: فما يُدريك لعله - أي المتكلم بالقرآن - أراد غير الذي ذهبت أنت إليه فيكون لغير
معانيه الصحيحة. فلما صار الرجل الى الكندي والقى إليه هذه المسألة قال له الكندي:
أعدّ عليّ، ثم تفكر في نفسه وراى ذلك محتملاً في اللغة، وسائغاً في النظر، ثم قال له:
أقسمت عليك إلا أخبرتني من أين لك هذا، فقال التلميذ: إنه شيء عرض بقلبي فأوردته
عليك، فقال له الكندي: كلا ما مثلك من اهتدى الى هذا، ولا من بلغ هذه المنزلة فعرفني
من اين لك هذا؟، فقال التلميذ: أمرني به أبو محمد الحسن العسكري، فقال الكندي:
الآن جئت به وما كان ليخرج مثل هذا إلا من ذلك البيت، ثم إنه دعا بالنار وأحرق
جميع ما كان ألفه. المناقب ٥٢٥/٣، منتهى الآمال ٦٥٣/٢.

التناقض في القرآن يظهر واضحاً، إذا نظرنا الى ظاهر بعض الآيات، حيث يشتم منها
التناقض إلا بعد أن يشرحها أهل الذكر ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿فان خفتم ألا تعدلوا
فواحدة﴾ وقوله تعالى: ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم﴾ النساء/١٢٩.
حيث نلاحظ في ظاهر الآيتين التناقض، لكن الامام الصادق عليه السلام يُزيل هذا الاشكال عندما
يقول عليه السلام: في الآية الاولى أمر الله الرجال بالعدل بين الزوجتين، أو أكثر في المأكل،
والملبس، والمسكن وغيرها. إما في الآية الثانية تنفي أن يكون هناك عدل في الحب، والمودة
بين الزوجتين بأن يحبهما الرجل بصورة متساوية لأن هذا خارج عن اختيار الانسان
وإرادته.

وللفائدة يوجد هناك عدة أسماء تشبه أسم هذا الفيلسوف الكندي وهؤلاء من أصحاب
الامام الحسن العسكري عليه السلام ومنهم: ابو يعقوب إسحاق بن محمد، ويعقوب بن إسحاق.



في مواجهة البدع

وواجه الامام اهل الفرق
قد بعدت عن منهج الاسلام
وخالفت شريعة السماء
ففرقة تعرف «بالثنوية»
وفرقة صوفية حمقاء
قد ادعت طريقة في الدين
وانهمكت بالدف والاغاني
تلك التي انحرفها كالفرق
فجرت السوراء للامام
وابتدعت طريقة الاغواء
وهم مجوس أنجس البريه
وقد طغت في نهجها الاهواء
غريبة مشكوكة اليقين
ونسيت طريقة الرحمن^(١)

(١) لقد أنبأنا رسول الله ﷺ في حديث متواتر مشهور أن أُمَّته ستفترق من بعده الى عدة فرق على شاكلة الامم والديانات السابقة، وهذا إنما يحصل بسبب إتباع الهوى ورفض العقل وعدم إتباع الانبياء والاقتهاء برسالتهم، وعدم التقيد بما أوصوا به أممهم من بعدهم، ويشير تاريخ الاسلام الى أن الامة الاسلامية إفتقرت بعد وفاة رسول الله ﷺ الى جبهتين: جبهة تقيدت بما ورد عن رسول الله ﷺ وسارت على نهجه وموالاة من أوصى بهم من بعده، وجبهة إبتعدت عن النص وأستعملت الرأي والهوى، وقد ضمننت الجبهة عدة فرق ضالة عملت على تقويض الاسلام من داخله، وأشاعت فيه أفكاراً مبتدعة ضالة بحيث ضللت جمهوراً كبيراً من المسلمين، ومن هنا ظهرت أفكار الثنوية، والصوفية، والمرجئة، والمفوضة، والقدرية، وما يتصل بها من تشعبات خطيرة وأطروحات فاسدة، كان للأئمة دور كبير في التصدي لها على طول فترات إمامتهم، وقاموا بدحض هذه الآراء وبيان فسادها وتحذير الامة من آثارها الخطيرة، ولا سيما البسطاء من الناس، ومن جانب آخر عمل الأئمة ﷺ على إبعاد شيعتهم من التلبس بها أو تسرب أي منها الى صفوفهم.



⇒ ولعلّ الامام أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام هو اكثر الائمة إبتلاءً. يمثل هذه الافكار والفرق الضالة طيلة ايام إمامته، وذلك لقوة انتشارها في زمانه، ولكون السلطة العباسية قد انشغلت بلهوها وفسادها عن متابعة هذه الفرق إن لم تكن هي السبب المباشر لظهورها وإنتشارها.

موقفه عليه السلام من الثنوية: وهؤلاء من جملة الفرق المشركة التي تدّعي قدم غير الله معه، بل وتُشرك غيره معه، والثنوية: فرقة تزعم أن النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس الذين قالوا بقدم الظلام. والثنوية: هي فرقة تثبت مع القديم قديماً غيره، وهم من فرق المجوس حيث يقولون بأن للشر اصلاً وللخير إصلاً وهما النور والظلمة.

ويبدو أن أفكار هذه الفرقة تسربت الى الاسلام بسبب الاختلاط مع الامم الاخرى، وإنتشار الحضارة في عهد الامام العسكري عليه السلام.

وفي هذا المجال ينقل الحر العاملي: كتب الى الامام رجل يسأله الدعاء لوالديه وكانت الام مؤمنة، والاب ثنوي، فوقع له الامام: رحم الله والدتك. وهذا يعني أن والدك كافر وغير مشمول برحمة الله سبحانه. إثبات الهداة ٤٢٧/٣.

موقفه عليه السلام من الصوفية: الصوفية فرقة فاسدة نشأت تحت ستار الاسلام وقد ابتدعها رجل اسمه ابو هاشم الكوفي في القرن الثاني الهجري، وقد قامت بخداع الناس وبالذات العوام منهم تحت شعارات الزهد والتخلّي عن الدنيا، حيث قامت هذه الفرقة فألغت كلمة مسلم، ومؤمن، وجاءت بمصطلح «متصوف» الذي لم يعرفه لا الشيعة ولا بقية المذاهب في عصر الاسلام الاول، ثم تدرّج بهم الحال الى إستباحة الغناء، والرقص، والتصفيق بأعبارها شكلاً من أشكال العبادات المباحة، وبعد ذلك تسالم مذهبهم مع بقية مذاهب الناصبة والزنادقة في محاربة الشريعة الصحيحة المتمثلة في خط أهل البيت عليهم السلام وهذه الفرقة جملة من القبائح تُعدّ عندهم أصول يؤمنون بها ويعتبرونها من طلب الدين ومنها:

- الاعتقاد بمبدأ الحلول والاتحاد ووحدة الوجود.
- الاعتقاد بمذهب الكشف ومعرفة ما وراء الحجاب.
- الاعتقاد بصحة سقوط التكاليف الشرعية للمسلم اذا وصل الى مرحلة ما، حيث يقولون أن قوله تعالى ﴿وإعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ يندرج في ذلك.
- الاعتقاد بنفع نوع من الرياضيات الباطلة وترك مباحة الدنيا ومنها طول الجوع وشدة



⇒ السهر وعدم أكل اللحم.

- إظهار بدع وسلوكيات باطلة كالرقص والغناء والصياح والتصفيق والتغزل بالصبيان.
- موالاة أعداء الله ومعاداة أولياء الله .
- كثرة الابتداع في الدين ومنها الغلو في الكرامات.

ويبدو من خلال تفصي التاريخ أن هذه الفرقة قد قويت شوكتها وأستشرى فسادها ايام امامة الحسن العسكري عليه السلام ويبدو أن للسلطة العباسية يد في ذلك، إضافة الى كتمان انفس العلماء من التصدي لها بحيث بقيت الساحة الاسلامية فارغة لهؤلاء لبث سمومهم وضلالاتهم، ومن هنا قال الامام العسكري لأبي هاشم الجعفري وهو من أصحابه: يا أبا هاشم سيأتي زمان على الناس وجوههم ضاحكة مستبشرة، وقلوبهم مظلمة منكرة السنة فيهم بدعة والبدعة فيهم سنة، علماءهم شرار خلق الله على وجه الارض، لأنهم يميلون الى الفلسفة والتصوف، وايم الله إنهم من أهل العدول والتحرف».

ويبدو من خلال إستجلاء هذا النص أنه عليه السلام يحذر من فرقة الصوفية الذين يعبدون الدنيا ويعملون ضد السنة المباركة ويتدعون الرقص والغناء وغيره ويسرقون دين الناس الحقيقي عن طريق المخاريق والضلالات بأظهار التزهّد الكاذب والخداع المزيف.



وكلاء الامام عليه السلام واصحابه

لكنما الامام كان مثقلاً
مهدداً لنجله المهدي
اولهم عروة ثم الثاني
وجعفر الصيقل وابن العمري
واخرون غيرهم أكفاء
اصحابه بن روح النوبختي
ثم ابو طالب بن جعفر
وغيرهم من خيرة الرواة
بهم مشروع نظام الوكلاء
وحافظاً لأمره السري
علي بن جعفر الهَمَّان
وبعده محمد بن الجعفري
حفاً بهم في المحنة البلاء
ومن غدا مستهزئاً بالموت
ثم ابو القاسم وابن العمري
والبعض من أفاضل الدعاة^(١)

(١) إن نظام الوكلاء إنما هو جزء من خطة متكاملة وضعها الامام العسكري عليه السلام للتمهيد لغيبة ولده المهدي عليه السلام من قبل ضمن مشروع متكامل عمل به الأئمة المتأخرون للتمهيد لفكرة الغيبة الكبرى، حيث قام الامام العسكري عليه السلام أولاً بلاحتجاج عن الناس إلا لبعض خواصه المقربين ومن ثم عمل نظام الوكلاء حيث جعلهم طريقاً للاتصال بقواعده الشعبية، وعن طريقهم قضاء حوائج الشيعة، وكذلك استلام الاموال الواصلة إليه من الحقوق الشرعية، وكانت رسائله وتوقيعاته الى قواعده وبالخاصة الشيعة منها إنما يتم عن طريق وكلائه، وكان عليه السلام قد أصدر عدة كتب ورسائل عين أسماء هؤلاء الوكلاء ووثقتهم وعين مناطق خاصة بهم.

وهذا النظام الذي هو جزء من خطة متكاملة وصفها الأئمة ومنهم العسكري عليه السلام إنما بدأت بعدة خطوات منها التمهيد لقضية الغيبة إعلامياً وفكرياً يتلوها الاحتجاج عن الناس، ومن ثم وضع الوكلاء ليكونوا حلقة إتصال بين الامام وشيئته، وسيكون هذا



⇒ النظام لاحقاً مُهدداً لفكرة السفراء في ايام الغيبة الصغرى لولده الامام المهدي عليه السلام وقد نقلت لنا المصادر الامامية جملةً من النصوص المتواترة عن وكلائه وأسمائهم، وبعض مناطقهم، والكتب الصادرة منه بخصوص توثيقهم، وأنهم موضع أمانته وثقته ولعن والبراءة ممن انحرف منهم، ولعل ابرز وكلائه عثمان بن سعيد العمري، الذي وثقه الامام بنص خارج منه، كما نقل المسعودي ذلك في إثبات الوصية، وتُشير المصادر الى أن الامام جعل هؤلاء الوكلاء في أكثر المناطق الشيعية لأخذ الحقوق من الناس، ثم صرفها للمستحقين من الضعفاء، إضافة الى مسؤولياتهم في حل مشاكل الناس، وكان الامام يراقبهم ويؤيد أفعالهم، كما فعل مع علي بن جعفر الهمّان، الذي وكل إليه صرف الاموال في موسم الحج ... وتُشير المصادر أن وكيله المطلق في بغداد هو عثمان بن سعيد العمري. ونودّ الاشارة هنا أنه لا توجد ملازمة بين وكلائه وأصحابه وثقاته بل لكل منهم صفته ومسؤوليات عمله ومقامه عند الامام، لذا لا يجب الخلط في هذا المجال، ولعل ابرز وكلاء الامام هم:

- ابراهيم بن عبدة النيسابوري، وكيله في مدينة نيسابور .
- جعفر بن سهيل الصقيل.
- عثمان بن سعيد العمري، ويلقب بالزيّات أو السّمان، لعمله تمويهاً في تجارة الزيت. ولا بد من الاشارة هنا ان هناك خلط بين الرواة بين هذا الوكيل وآخر اسمه حفص بن عمرو العمري الملقب بالجمّال، وهو من أصحابه، إما الاول فهو من وكلائه.
- علي بن جعفر الهمّاني، وقد سبق وأن تعرضّ للسجن أيام المتوكل العباسي
- القاسم بن العلاء، وهو وكيل الامام في أذربيجان.
- عروة بن يحيى، ويلقب بالنخّاس، وقد انحرف هذا الرجل بعد أن كان وكيلاً للأمام في بغداد فتبرأ منه الامام ولعنه ثم دعا عليه بالهلاك فهلك، ويُحتمل أن الامام قد عينّ بعده في مكانه في بغداد العمري. ونودّ الاشارة هنا الى وجود؛ عروة الوكيل القمي وهو من اصحاب الامام، وقد ذكره الطوسي في إصحاب الامام في كتابه الرجال.
- محمد بن أحمد بن جعفر، ويلقب بالعطار.

ويبدو أن كل وكيل له يُعد من ثقاته، وإما اصحابه فهم كثر ومن المفيد هنا أن نشير الى ابرزهم:



-
- ⇒
- الحسين بن روح النوبختي، وقد ذكره ابن شهرآشوب ضمن اصحابه في المناقب.
 - إسماعيل بن علي النوبختي، وكنيته ابو سهل، وهو من كبار متكلمي الشيعة في بغداد، وله كتاب «الانوار في تاريخ الائمة الاطهار» وقد ذكره ابن النديم في كتابه «الفهرست» وقال عنه أنه فيلسوف متكلم، وهو خال ابي محمد الحسن بن موسى النوبختي صاحب كتاب «فرق الشيعة».
 - ابو طالب الحسن بن جعفر الفاقاي وقيل «الفأأي» البغدادي، وقد ذكره ابن شهرآشوب في المناقب.
 - ابو القاسم سعد بن عبد الله الاشقري القمي وهو عالم فقيه ذكره الطوسي في رجاله.



الاعداد للغيبة

وكان من نهج الامام العسكري
بجيث أخفى عنهم الولادة
الا لبعض من رجال الشيعة
فقد روى الصدوق والكليني
عن الولادة التي قد أخفيت
بأنه أخر آل طه
وخاتم المطهرين الأصفيا
يملاً كل الارض منه عدلا
من بعد ان قد ملئت بالظلم
فقد رأه من رجال عصره
منهم محمد بن عثمان ومن
ثم ابن أيوب الفتى محمد
وابن حكيم واسمه معاوية
قالوا دخلنا منزل الامام
فقد دهننا بفتى كالبدر
وقد دهننا لجميل المنظر
فقال ذا خليفتي عليكم

يهيئ الامة بالمنتظر
ولم يشاهد مرة كالعادة
بلمحة خاطفة سريعه
رواية تملأ كل عين
رواية صادقة قد رويت
والخلف الذي به تباهى
والصالحين من ذراري الانبيا
يظهر فيها عملا وقولا
وشريعة منهارة وهدم
بعض وقد تزودوا من بدره
حافظ في حديثه على السنن
ومن غدا في كل نادٍ يُحمدُ
وياله من ثقة وراوييه
ونحن اربعون في الظلام
بطلعة مليئة بالبشر
اذ كان يُشبه الامام العسكري
وهو الذي بحكمة يحتكم



فلا تفرّقوا عليه بعدي فتهلكوا نحساً بغير سعدٍ
ولا ترونه سواها أخرى لأنه سوف يغيّبُ دَهراً^(١)

(١) لا شك ولا ريب أن الامام العسكري عليه السلام كان على علم بتعلّق الارادة الالهية بغيبة ولده المهدي (عج) من بعده، ثم ظهوره ليقيم دولة العدل في الارض، وهذا الامر إنما يُلقى على عاتقه مسؤولية التمهيد لهذه الغيبة والاعداد لها عملياً، كون الامة آنذاك لم تعرف هذا الامر من قبل رغم معرفتها له نظرياً عن طريق النبي صلى الله عليه وآله والائمة عليهم السلام من خلال أقوالهم والتي روتها كتب جمهور المسلمين، لذلك عمد الامام العسكري عليه السلام رغم قسوة الوضع السياسي آنذاك الى ربط الامة بهذه الفكرة عملياً، وذلك عن طريق إقناعهم أولاً بفكرة ولادته، ثم مهد لذلك الامر بعد ذلك الى إقناعهم بغيبته، وقد سلك هذه الامر عن طريق جملة من الاجراءات يُمكن تلخيصها بما يلي :

- التمويه على السلطات الحاكمة وأجهزتها داخل المجتمع بشأن ولادته، لا سيما وأن السلطات كانت عارفة بأن هناك مَنْ سينهي طغيانها ووجودها بظهور هذا المخلص الاعظم وهو من ذريته، لذلك عمد الامام الى إخفاء ولادته والتكتم عليه بأقصى درجات الحيلة والحذر، ولم يصدر أو يصرح بأي شيء لهذه الولادة الا لُخلص شيعة، وبهذا الصدد يقول الشيخ الطبرسي: وكان العسكري قد أخفى مولد ولده المهدي لشدة طلب السلطان له، وإجتهاده في البحث عن أمره، فلم يره إلا الخواص من شيعة. اعلام الورى ١٥١/٢.

- اعلانه بعرضه عليه السلام على الخواص من شيعة ومَنْ يأمن به حتى يكون الامر معلوماً وليس أسطورة كما يتبادر الى الاذهان، وفي هذا المجال كان العسكري عليه السلام يبيّن بين خواصه وشيعة صفات ولده المهدي، وماذا سيفعل اذا خرج بعد غيبته الكبرى.

- مهّد الامام العسكري عليه السلام لغيبة ولده، ثم قيامه بعدة إجراءات، ومنها مسألة الاحتجاب عن الناس، وكذلك عمله بنظام الوكلاء - كما مر ذكره - وهذا الاجراء إنما هو تمهيد مسبق كما سيمر به ولده من بعده من غيبة صغرى وعمله بنظام السفراء. قال الصدوق بسند متصل الى أبي غانم الخادم قال: لما ولد لأبي محمد عليه السلام ولدٌ سماه محمد، ثم عرضه على أصحابه في اليوم الثالث وقال لهم : هذا صاحبكم من



⇒

بعدي وخليفتي عليكم، وهو القائم الذي تمتد إليه الاعناق بالانتظار فاذا أمتلأت الارض جوراً وظلماً خرج فملاًها قسطاً وعدلاً. اكمال الدين ٤٣٤/٢.

إضافة الى ذلك الطبرسي بسد الى جعفر بن محمد بن مالك الفرازي البزاز، عن جماعة عددهم اربعين نفرأ من شيعة الامام عليه السلام وخلص أصحابه منهم: علي بن بلال، أحمد بن هلال، معاوية بن حكيم، وابنه محمد بن معاوية بن حكيم، الحسن بن أيوب بن نوح، وأخوه محمد بن أيوب بن نوح، عثمان بن سعيد العمري، وابنه محمد بن عثمان بن سعيد العمري وغيرهم قالوا: قدمنا الى سامراء وحضرنا في بيت ابي محمد العسكري عليه السلام لنسأله عن الحجّة من بعده وكنا اربعين رجلاً فقام إليه عثمان بن سعيد العمري وقال له: يا ابن رسول الله أريد أن أسألك عن أمر أنت اعلم به مني، فقال له الامام عليه السلام: اجلس يا عثمان، فقام عثمان غاضباً ليخرج، فقال الامام عليه السلام: لا يخرجن أحد منكم، حتى كان بعد ساعة صاح الامام عليه السلام: يا عثمان هل أخبركم بما جئتم به؟ قالوا: نعم يا ابن رسول الله. قال: جئتم تسألونني عن الحجّة من بعدي. قالوا: نعم.

فأذا بالامام كأنه قطعة قمر أشبه الناس بأبي محمد. فقال الامام عليه السلام: هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم إطيعوه ولا تفرّقوا من بعدي فتهلكوا في اديانكم، ألا وإنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى يتمّ له عمر. اعلام الورى ٢٥٠/٢.



شهادة العسكري

قالوا فما مضت سوى أيام
اذ سمَّ من طاغية الزمان
فعمت الأحزان في سامرا
وضجت الجموع في البكاء
فيالها من حيرة خطيرة
فليس للشيعه من امام
سوى الامام الغائب المنتظر
ولم يزل مقامه مشهودا
وقبه سامية مذهبه
تشمخ بالعلياء في سامرا
مثابة للشيعه الثوار
حتى فجعنا نحن بالامام
وغادر الدنيا الى الجنان
مذ علمت شهادة ابن الزهرا
وناحت الشيعة بالعزاء
ومحنة كبيرة عسيرة
يقودهم في محنة الاسلام
محمد المهدي وابن العسكري
فيه الحشود تتبع الحشودا
لكل نفس حرة محببة
وقد طوت تحت التراب سرا
علامة التاريخ للاحرار⁽¹⁾

(1) لقد تعرّض الامام العسكري عليه السلام طيلة حياته القصيرة الى عدة محاولات للقتل قام بها ثلاثة من طواغيت عصره للتخلص منه جرياً على عادة من سبقهم ضد الائمة من أهل البيت عليهم السلام ولعل سجنه المتكرر في عهودهم من هذه المحاولات التي عمدت لها السلطات آنذاك لغرض تصفيته، إضافة الى الضغط الشديد والمراقبة. لكن الامام عليه السلام كان شديد الحذر في التعامل مع هؤلاء الطواغيت، إضافة الى حذره الشديد في التعامل مع حوادث عصره من ثورات العلويين ضد هذه السلطات، وأخيراً وبعد فشل كل هذه المحاولات عمد المعتمد العباسي الى سرعة التخلص من الامام لا سيما وهو يشكل بوجوده خطراً عظيماً على السلطة فقام بدس السم له.



→ وهكذا رحل الامام عليه السلام شهيداً مسموماً على يد المعتمد العباسي في الثامن من ربيع الاول سنة ٢٦٠ هـ عن عمر أمدته ٢٨ سنة ودُفن بجوار ابيه الهادي عليه السلام بداره بسامراء وكانت مدة إمامته ٦ سنوات، وكان لرحيله وقع عظيم في زمانه بحيث حدثت ضجة كبيرة في سامراء. وفي هذا الصدد ينقل ابن الصبّاح المالكي: لما رُفِعَ خبر وفاة الامام عليه السلام حدثت ضجة كبيرة في سامراء، وعُطِّلت الاسواق، وغُلِّقت ابواب الدكاكي، وركب بنو هاشم، والكتّاب، والقوّاد، والقضاة وسائر الناس الى أن حضروا جنازته فكانت سامراء يومئذ كأنها القيامة. ويبدو من خلال المؤلف ان الامام إذا مات يغسله ويصلي عليه إمام معصوم بعده يحلّ محله وهكذا صلى إمامنا المهدي «عج» على ابيه.

قال الرواي: وبعد وفاة العسكري أخذ أخوه جعفر الملقب بـ «الكذاب» تركته، وسعى الى السلطان في حبس جواريه، وشنّع على الشيعة في إنتظارهم لولده المهدي، وأدعى أنه الامام وسبّب لورثة الامام وشيعته كل بلاء ومحنة من حبس واعتقال، وإجتهاد الكذاب في القيام مقامه في الامامة فلم يقبله أحد من الطائفة، بل تبرأوا منه ولقبوه بالكذاب. وبعد رحيل الامام عليه السلام ترك للأمة الاسلامية تراثاً غزيراً في أغلب مجالات العلوم والمعارف وفي هذا المجال نُشير الى ما يلي:

- ترك تفسيراً للقرآن بأسم «تفسير العسكري».

- مجموعة من الاحكام الفقهية تشبه رسالة المقنعة.

- أقواله، وقصار حكمه، وإدعيته، ومواعظه.

- رسائله، وتوقيعاته، وأرشاداته الطبية.

ان الامام العسكري عليه السلام لم يترك بعده من الذرية سوى محمد ولده القائم «عج» الذي سيملاً الارض قسطاً وعدلاً بعد فسادها، وعلى هذا الاساس فإنه لا عبرة ولا اهتمام بمن يقول بغير ذلك من زيادة أو نقصان أو تعدد في ذريته، وتُشير المصادر الى أن جعفر الكذاب أخو الامام الحسن العسكري عليه السلام قد أشاع بعد إستشهاد العسكري أنه لا خلف للعسكري من بعده لكي تنتقل الامامة له، ولكن خابت مساعيه كما ذكرنا ذلك من قبل، وهناك آراء أخرى لا أساس لها من الصحة ويغلب عليها ضعف الدليل تقول بوجود ذرية له متعددة غير الامام المهدي «عج».

وهكذا انتقلت الامامة من الحسن العسكري عليه السلام الى ولده الحجة القائم «عج» سنة ٢٦٠ هـ.



فاجعة سامراء

لكنّ طالتها يد الارهاب
ففجرتها غيلة وإثماً
عصابة يقودها «الزرقاوي»
يكفرون أمة الاسلام
الف سلام للامام العسكري
حقداً على الائمة الاطياب
وارتكبت كفراً بها وظلماً
يقود كل خارجي غاوي
بالجهل والتضليل والآثام
الهاشمي الطاهر المطهر^(١)

(١) إن الحسد والحقد المتوارث من قبل النواصب والتكفيريين وبقايا فلول النظام البعثي المجرم أدى الى قيام فئة ضالة تكفيرية بتخريب قبرهما ظلماً وعدواناً وبغضاً لمدرسة اهل البيت عليهم السلام في شباط عام ٢٠٠٦ ومرقدهما الآن طور التعمير والبناء الجديد، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم. وفي مرقدهما يقول الاربلي في كشف الغمة هذه الابيات الخالدة وهو يخلعها تحت أذيال هذا المكان المقدس.

عرج بسامراء والشم ثرى
عرج على من جدّه صاعد
على الامام الطاهر المجتبي
على ولي الله في عصره
على كريم صوب معروفه
على إمام عدل أحكامه
وبلغنا عن عبد آله
وقل سلام الله أوقف على
دار بجمد الله قد أسست
أرض الامام الحسن العسكري
ومجدّه عال على المشتري
على الكريم الطيب العنصر
وابن خيار الله في الاعصر
يربي على صوب الحيا المطر
يسلط العرف على المنكر
تحية أزكى من العنبر
ذاك الجناب المرع الاخضر
على التقى والشرف الاظهر





حلّ بها شخصان من دوحة
العسكريان هما ما هما
غصنا علاءٍ قمرا سُدفه
من معشرٍ فاقوا جميعَ الوري
ياسادتي إنّ ولاءي لكم
أرجو بكم نيلَ الاماني غدًا

أغصانها طيبةُ المكسِر
فطوّلُ التقريضِ أو قصرِ
شمسا نهارِ فارسا منبرِ
جلالةِ ناهيكُ من معشرِ
من خير ما قدمتُ للمحشرِ
في مبعثي والامنِ في مقبري

والحمد لله

- ٦٩٠ -



القسم الرابع عشر

الامام محمد بن الحسن
المهدي المنتظر (عجل الله فرجه)





الأهّاء

الى الامام المهدي .. المنتظر .. الموعود
الى البقية الباقية من أئمة الهدى .. وأعلام الورى
الى الامل .. المشرق .. الغائب الذي لا بد ان يجيء
الى المصلح العالمى ، الذي يتطلع اليه المستضعفون بشغف وشوق
أختم هذه الملحمة من (قوافل النور)
وكل ما ارجوه ..
ان تكون محط رضاه .. وموضع عنايته
وذلك حسبى .





اضاءة

الحمد لله على توفيقه، حيث وصلت «ملحمة قوافل النور» الى ما تريد تحقيقه محطتها الاخيرة، الامام المهدي الموعود، الذي يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

الامام الغائب.. الأمل، الذي بشرت به الديانات السماوية، وأشارت الى قضيته كل الاتجاهات الفكرية، والسياسية ذات النزعة الاصلاحية العامة. فلم يعد الايمان بالمهدي المنتظر مقتصرأً على الشيعة الامامية، أو المسلمين، أو اصحاب الديانات، بل تشكل قضية المصلح العالمي نزعة فطرية انسانية عامة يتطلع اليها بشغف وشوق، كل المعذبين، والمحرومين في الارض. ولو توقفنا عند حديث واحد لرسول الله ﷺ وهو حديث يجمع التعبير كله في هذه القضية.. الأمل. حيث قال ﷺ:

«لو لم يبق من الدنيا الا يومٌ واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من ولدي اسمه اسمي يملأ الارض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً.»
ويدل هذا الحديث دلالة واضحة لا لبس فيها ولا غموض وعلى مستوى التحدي بان قضية المهدي هي من سنن الله في التاريخ، ولا شك ان الله تعالى لا يغلب في سننه ولا في قوانينه التاريخية.

وهذا الجزء الاخير من «قوافل النور» يواكب هذه القضية عبر سياقه الادبي والتاريخي بكل انسياب وشفافية، فيعرض الادلة والبراهين الشرعية والعقلية التي تثبت هذه القضية، ثم يقف مع قصة الولادة المباركة ودور الامام العسكري ﷺ في اخفائها عن عيون السلطة، وفي نفس الوقت يبشر ﷺ بها الثقة من شيعته والمخلصين المقربين، من اجل ان يكونوا شهوداً عدولاً على هذا الحدث التاريخي في حياة الانسانية.



وهكذا تمضي «قوافل النور» عبر نظم القوافي في تحديد الغيبة الصغرى والكبرى ومهمات الامام المهدي والحاجة اليه رغم الغيبة، ثم تشير الملحمة الى علامات الظهور، وملامح المستقبل المشرق المنشود من خلال ما ترسمه من خيوط للفجر الذي لا بد ان يجيء.

ثم تتوقف الملحمة قليلاً على اعتاب دولة العدل الألهي الموعودة، بعد فصول المحنة الطويلة، الرهيبة، وبعد مسيرة جهادية لاحبة لكل المؤمنين المخلصين والمستضعفين في الارض، الذين يواصلون طريقهم الصعب وسط الصخور والمعاناة.

فالحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما أهم، والحمد لله الذي وفقني على أكمال هذه الملحمة الطويلة المباركة، التي بدأتها في خضم معاناة الهجرة في المنافي الثلجية، وأكملتها بعد العودة الى العراق الحبيب، وأنا الى جوار جدنا الامام موسى بن جعفر الكاظم، وحفيده الامام محمد الجواد عليه السلام.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله.

﴿ربنا أمننا بما أنزلت واتبعنا الرسول فأكتبنا مع الشاهدين﴾

﴿ربنا افرغ علينا صبراً وثبت اقدمنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.



تاريخ الامام المهدي

في الفجر يوم النصف من شعبان
من بعد قرنين وخمسين سنة
حلّ لكي يُزيح عنها الظلما
فهو ابن هاديها الامام (العسكري)
وفي رواية اتتنا مسنده
قال صدوق القول في (الاکمال)
عن (بشر النخاس) مولى العسكري
بأن (نرجسا) من الله هبة
بنت ملوك الروم والنصارى
كي تحمل الامام في كرامة
ليس له من الامام أخوه
أشرق نور صاحب الزمان
وخمسة في الامة المتحنه
وينشر الامن بها والسلم
وشبل (نرجس) التي كالدرر
في كتب صحيحة معتمده
والشيخ في (الغيبة) في مقال
بسند مسلسل معتبر
للعسكري زوجة مهذبه
في شرف المحتد لا تجارى
وتنجب الموعود للامامة
فهو فريد أهله والصفوه^(١)

(١) أتفق عدد كبير من العلماء المؤرخين على ولادة الامام المهدي عليه السلام في فجر يوم النصف من شهر شعبان المبارك من عام ٢٥٥ هـ حيث أفاضت المصادر بولادته لينقذ الارض مما حلّ بها فساد وظلم على طول التاريخ.
وأن خبر ولادته، وما أحاط بها من سرية كبيرة قد استفاد نقله في مصادر المسلمين ممن عاصر تلك المرحلة وما بعدها، وقد أوردتها جملة من الاعلام والثقات من المؤرخين.
وجاء في اعلام الهداية في الجزء الخاص بالامام المهدي المنتظر عليه السلام: يستفاد من الروايات الواردة بشأن كيفية ولادته عليه السلام ان والده الامام الحسن العسكري عليه السلام احاط الولادة بكثير من السرية والخفاء، فهي تذكر ان الامام الحسن العسكري قد طلب من عمته السيدة



⇒
حكيمه بنت الامام الجواد عليه السلام ان تبقى في داره ليلة الخامس عشر من شهر شعبان واخبرها بأنه سيولد فيها ابنه وحجة الله في أرضه، فسألته عن امه فأخبرها أنها نرجس، فذهبت اليها وفحصتها فلم تجد فيها أثراً للحمل، فعادت للامام واخبرته بذلك، فابتسم عليه السلام وبين لها ان مثلها مثل أم موسى التي لم يظهر حملها ولم يعلم به احد الى وقت ولادتها، لان فرعون يتعقب اولاد بني اسرائيل خشية من ظهور موسى المبعث به فيذبح ابناءهم ويستحي نساءهم، وهذا الامر جرى مع الامام المهدي عليه السلام ايضاً، لان السلطات العباسية كانت ترصد ولادته إذ قد تنبأت بذلك طائفة من الاحاديث الشريفة. اعلام الهداية ١١٣/١٤.

ان ولادة الامام المهدي عليه السلام كانت بعناية خاصة من الله تعالى، مكنت نرجس من ولادته رضوان الله عليها من وضعه دون ان يظهر عليها اثر الحمل، الا في آخر ساعة حتى لا يكتشف الجهاز العباسي امر هذه الولادة المنتظرة.

غير ان السرية التامة لم تنسجم مع طبيعة الدور الذي ينتظر الامام المهدي عليه السلام باعتباره الامام الثاني عشر كما نص الرسول صلى الله عليه وآله في احاديث عديدة، فلا بد للامة الاسلامية عموماً ولشيعة اهل البيت عليهم السلام ان يكونوا على علم بولادة الامام الثاني عشر وانه ابن الامام العسكري عليه السلام دون سواه.

إن هذه المسألة من المسائل الاساسية في عقائد المسلمين الشيعة، ولا بد من ايضاحها بصورة ثابتة لا تقبل التشكيك، وذلك منعاً لأي محاولة انحراف جديدة قد تطرأ في الوسط الشيعي نتيجة الاختلاف في شخصية الامام الذي يخلف سابقه بعد وفاته.

ولقد تعرض الوسط الشيعي نتيجة هذه المسألة الى انشقاقات عديدة، ونشأت عدة فرق في فترات مختلفة، مثل الكيسانية، والزيدية، والاسماعيلية، والواقفية وغيرها.

لقد اعتمد الامام العسكري عليه السلام منهجية التعريف السري بولادة ابنه المنتظر وذلك في نطاق محدود جداً من اصحابه حتى يكونوا شهود عيان على ولادة المهدي عليه السلام فيتولون مهمة تعريف جماهير الشيعة بوجود امامهم الثاني عشر في الوقت المناسب، كما يمارسون عملية التصدي لاي انحراف يطرأ في الوسط الشيعي حول شخصية الامام.

وفي هذا الخصوص اقدم الامام العسكري عليه السلام على خطوات متتالية اتسمت بالهدوء والمنهجية الدقيقة، ففي اليوم الاول للولادة يأمر عليه السلام اخص اصحابه عثمان بن سعيد العمري ان يعق عن المولود وان يوزع الخبز واللحم بهذه المناسبة.



⇒ والامام المهدي عليه السلام هو الابن الوحيد ولا يوجد غيره للأمام الحسن العسكري عليه السلام وقد أشرنا الى ذلك مما تقدم في حياة إمامنا العسكري عليه السلام ضمن اجزاء هذه الملحة المباركة. وإماماً والدته فقد نقلتُ بعض مصادر الاقدمين جملة من إسمائها مثل: صقيل، ریحانة، سوسن، مريم، نرجس، ولعل أشهر إسمائها هو «نرجس». وقد أشار الشيخ الصدوق في كتابه «إكمال الدين» والشيخ الطوسي في كتابه «الغيبة» الى رواية النخاس، وهذه الرواية طويلة متواترة معتبرة مسندة الى بشر بن سليمان النخاس وهو من ولد ابي ايوب الانصاري الصحابي، وفيها يشرح النخاس حال السيدة نرجس والدة الامام المهدي عليه السلام وكيف وصلت الى اسيرة الامام الحسن العسكري عليه السلام بعد ان كانت رومية نصرانية، وكيف إبتاعها من سوق الرقيق ببغداد لتصبح بعد ذلك وعاءً صالحاً للامامة.

نكتفي بهذا التلميح عن هذه الرواية لشهرتها ولطولها ويبقى ان نذكر ما ورد في كتب السير والتاريخ من أن نرجس هي بنت يشوعا بن قيصر؛ ملك الروم وأمها من ولد أحد الحواريين المنتسب الى شمعون الصفا، وصي المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وقد عُرفت نرجس بالفضل، وجلالة القدر، وطول العبادة، وشدة الصبر، وطول المجاهدة.



الولادة المباركة

وفي مساء المولد المنور
عمته (حكيمه) النقيه
لكي ترى ولادة المهدي
قالت: ومن ذا رعاك الله
قالت: فلم يظهر عليها حمل
فمكثت حتى حلول السحر
حيث أحست بالمخاض (نرجس)
فانتبهت ساعتها حكيمه
إذا به على الصعيد يسجد
وهو يقول ناولينى عمه
مقبلاً إياه في عينيه
مستبشراً به نفاذ الوعد
يحمل أعباء الرسالات الغرر
امامة جاءت له في المهدي
حكمته وعلمه (كيحيى)

أوصى الامام الهاشمي العسكري
بأن تبيت عنده العشي
شاهدة على الفتى السني
فقال: نجل نرجس أراه
فقال: لا يرد مني قول
وهي تصلي بانتظار القمر
وخف منها صوتها والنفس
للطلعة المضيئة الكريمة
والعسكري هاتفاً: محمد!!
فتاي في الاضلاع كي أضمه
ليقرأ الأذان في أذنيه
بأنه المصلح وهو المهدي
مكملاً سيرة سيد البشر
كمثل (عيسى) في الهدى والرشد
وهو صبي مفرد في الدنيا^(١)

(١) قال الحسين بن حمدان: وحدثني من اثنى اليه من المشايخ عن حكيمه بنت محمد بن علي الرضا عليه السلام قال: كانت تدخل على ابي محمد عليه السلام فتدعو له ان يرزقه الله ولداً وانها قالت: دخلت عليه فقلت له كما اقول، ودعوت كما ادعو فقال: يا عمه اما ان الذي



⇒

تدعين الله ان يرزقنيه يولد في هذه الليلة وكانت ليلة الجمعة، فاجعلي افطارك معنا، فقلت: يا سيدي ممن يكون هذا الولد العظيم فقال لي عليه السلام: من نرجس يا عمّة، قالت فتأملتها فلم أرَ فيها اثر الحمل، فقلت لسيدي ابي محمد عليه السلام ما ارى بها حملاً فتبسم عليه السلام.

قالت حكيمة: فأقمت فأفطرت ونمت بقرب من نرجس وبات ابو محمد عليه السلام في غرفة في تلك الدار التي نحن فيها، فلما ورد وقت صلاة الليل قمت ونرجس نائمة ما بها أثر ولادة فأخذت في صلاتي ثم أوترت فأنا في الوتر حتى وقع في نفسي أن الفجر قد طلع ودخل قلبي شي فصاح ابو محمد عليه السلام من الغرفة: لم يطلع الفجر يا عمّة فاسرعت الصلاة، وتحركت نرجس فدنوت منها وضممتها إليّ وسميت عليها، ثم قلت لها: هل تحسين بشيء قالت: فأخذتني فترة، وأخذتني فترة، فانتبهت بحس سيدي فكشف الثوب عنه فاذا انا به عليه السلام ساجداً يلتقي الارض بمساجده فضمته الي فاذا انا به نظيف متنظف، فصاح بي ابو محمد عليه السلام: هلمي الي ابني يا عمّة، فجئت به اليه

- أجرى عليه السنّة النبوية للمولود الجديد كما حدّتها الشريعة المقدسة، حيث أذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى، وظهرت في ولادته كرامات تكشف عن عظمة شخصيته وانه بقية الله المدخر لليوم الموعود -

..... قالت حكيمة فلما اصبحت جئت لأسلم على ابي محمد عليه السلام فكشفت الستر لاتفقد سيدي عليه السلام فلم اره. فقلت: جعلت فداك ما فعل سيدي؟

فقال عليه السلام: يا عمّة استودعناه الذي استودعته ام موسى، موسى عليه السلام بحار الانوار ٢٥/٥١. تميز امر الامام المهدي عليه السلام من انه أمرٌ اختاره الله سبحانه لا سيما وأن هذا الامر قد حصل سابقاً في نبوة يحيى عليه السلام الذي اتاه الله سبحانه النبوة وهو ابن ثلاث سنين، كما قال تعالى: ﴿وآتيناها الحكم صبياً﴾ مريم/١٢. وكذلك حصل لنبي الله عيسى عليه السلام حيث كلم الناس في المهد ونال مرتبة النبوة، كما قال تعالى: ﴿قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً﴾ قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً مريم/٣٠.

وهناك مؤثرات في التاريخ تؤكد على هذا المنهج في المسيرة الاسلامية منها:

-- تأمير «إسامة بن زيد» وهو شاب لم يبلغ العشرين من عمره على جيش ضخّم وتمت إمرته على شيوخ المهاجرين والانصار رغم كبر إعمارهم، وهذا حصل بأمر الرسول عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى فكيف بفعله وأمره وهو بالضرورة نافذ.

⇐



- ⇒
- إتخاذ رسول الله ﷺ الامام علي عليه السلام وزيراً وناصرأ له، وأمر والده ابا طالب بالطاعة له بعدما أمر الله سبحانه بقوله «وأندر عشيرتك الاقربين» الشعراء/٢١٤.
 - وذلك في حديث الدار يوم الانذار المشهور عند المؤرخين.
 - إستلام الامام الجواد عليه السلام منصب الامامة وهو ابن سبع سنين بعد أن أرغم المعترضين عليه بالاقرار له بحضور المأمون العباسي، وكذلك حصل هذا الامر للأمام الهادي عليه السلام وهو ابن ثمان سنين.
 - أن مدار القيادة بكافة إشكالاتها ليس على كبر السن كما يعتقد البعض، بل بالحزم الشجاعة والعلم والمقدرة وبغض النظر عن العمر وطوله.
 - ذكر السيد محمد حسين الرضوي في كتابه حول الامام المهدي عليه السلام حيث قال: إن السر في جعل الامامة لمن له سبع أو خمس سنوات هو إمتحان الخلق بضرورة الانقياد والطاعة لأمر الله سبحانه وترك التكبر والترفع، وأن يُسلم بذلك لأنه من أمر الله وقضائه.
 - وبهذا الصدد ذكر الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر في دراسته بحث حول الولاية حيث قال: إن الامامة المبكرة ظاهرة واقعية في حياة أهل البيت عليهم السلام وليست مجرد إفتراض، كما أن هذه الظاهرة لها جذورها وحالاتها المماثلة في تراث السماء، ويكفي مثالا لهذه الظاهرة في التراث الرباني لأهل البيت عليهم السلام نبوة نبي الله يحيى عليه السلام ومتى ثبت ذلك كون الامامة المبكرة ظاهرة واقعية ومتواجدة عند أهل البيت عليهم السلام كما عند الامام الجواد عليه السلام والامام الهادي عليه السلام أو عند الانبياء والرسل كما عند يحيى عليه السلام وعيسى عليه السلام لم يعد هناك أي إعتراض فيما يخص إمامة المهدي عليه السلام وهو صغير.



القابه وصفاته

كُنِيَتُهُ كَكُنِيَةِ الرَّسُولِ وَنُورُهُ مِنْ طَلْعَةِ الْبَتُولِ
وَصَبْرُهُ صَبْرُ الْحُسَيْنِ جَدِّهِ وَحَدُّ سَيْفِهِ غَدَا كَحَدِّهِ
أَلْقَابُهُ الْحِجَّةُ وَالْمَهْدِيُّ وَالْقَائِمُ الْمُنْتَظَرُ التَّقِيُّ
وَالْخَلْفُ الصَّالِحُ وَالْبَقِيَّةُ وَهُوَ إِمَامُ الْحَقِّ فِي الْبَرِيَّةِ
فِي خَدِّهِ الْيَمَنِ أَحْلَى خَالِ كَأَنَّهُ الْكُوكَبُ فِي اللَّيَالِ
أَجْلَى الْجَبِينِ أَفْرَقُ الثَّيَابِ وَوَجْهَهُ يُنِيرُ كَالْمَرَايَا
وَشَعْرُهُ طَالَ لِمَنْكِيهِهِ وَنُورُهُ يُشْرِقُ مِنْ خَدْيِهِ^(١)

(١) إن صفات ومميزات الامام المهدي عليه السلام مشابهة تماماً لصفات آباءه الائمة عليهم السلام سواء كانت ذاتية أو سلوكية لأنهم منبع المثل العليا والصفات الرفيعة، ولما كانت صفة الصبر من أبرز صفات الامام الحسين عليه السلام لما عُرف عنه من شدة تحمّله وجلده لما يرى من تمزق في الامة الاسلامية في عهده وشدة تحكّم الطغاة آنذاك، مما جعله إمثولة في الصبر والتحمّل وشجاعاً في ميادين الوغى، حاملاً سيفه وعزمه ضد اعدائه، وهكذا حال ولده المهدي المنتظر عليه السلام في قوة صبره، وعظم جلده في فترة غيبته الكبرى.

وجاء في حديث اللوح المشهور في وصف القائم عليه السلام: وعليه كمال موسى، وبهاء عيسى، وصبر أيوب...

أن تعدّد الاسماء والالقب دالٌّ على شرف المسلمي، ولما كان الامام المنتظر بالمحل الاعلى من الشرف والسؤدد فقد تعددت ألقابه وكُنَاهُ، واعترف بها رواة التاريخ والسير.



- ⇒ قال الشيخ باقر شريف القرشي: إِمَّا إِسْمُهُ الشَّرِيفُ فَهُوَ كَأَسْمِ جَدِّهِ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ ﷺ وقد أْتُفِقَ المؤرِّخونَ والرواةُ أنَّ الذي سَمَّاهُ بهذا الاسم هو جَدُّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وقد نقلتُ أغلبَ مصادرِ التاريخِ والسيرِ جملةً من القابهِ المباركةِ ومنها: المهدي، القائم، المنتظر، الحجَّة، الخلف، الصالح، صاحب الزمان، صاحب الأمر، بقية الله. حياة المهدي/ ٢٧.
- قال الطبرسي: الامام المهدي هو المسمَّى بأسمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ والمكْتَنَى بكنيته ولا يحلُّ لأحدٍ أن يجمع بين الاثنين الى أن يزَيِّنَ اللهُ الأرضَ بظهورِ دولةِ ولده القائم. إعلام الوری ٢/ ٢١٣.
- وقد نقلتُ كلَّ مصادرِ الجمهورِ ما قاله رسولُ اللَّهِ ﷺ في أوصافهِ بشكلٍ متواترٍ مستفيضٍ، وهذه شذراتٌ من الاحاديث التي تبين أوصافه الجسدية، حيث ورد في المصادر ما يلي:
- نقل بسندٍ عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: المهدي رجلٌ من ولدي وجهه كالقمرِ الدُرِّي. عقد الدرر/ الحديث ٤٦.
 - قال الراوي: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: ليبعثنَّ اللهُ من عترتي رجلاً أفرق الثنايا، أجلى الجبين، يملأ الأرضَ قسطاً وعدلاً... البيان في أخبار صاحب الزمان/ ٢٣٢.
 - قال الراوي: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: المهدي رجلٌ من ولدي وجهه كالقمرِ الدُرِّي على خده الايمن خال كأنه كوكب درِّي... أرجح المطالب/ ٣٧٨. للشيخ عبيد الله الحنفي.
- كان ﷺ أشبه الناس برسولِ اللَّهِ ﷺ خُلُقاً وخُلُقاً، وكانت شمائله شمائل رسولِ اللَّهِ ﷺ حسب ما جاء في إصدق الروايات، ويمكن إجمال صفاته بما يلي:
- «كان ابيض، مشرباً حمرة، أجلى الجبين، أقنى الانف، له نور ساطع، بخده الايمن خال، أفرق الثنايا، ووجهه كالقمرِ الدُرِّي».



كتمان الامر

لكنه أخفى ظهور أمره وظل يسقيه الهدى من بحره
ولم يقل للناس عندي ولد فألف سهم خلفه مسدود
من الوشاة الحاقدين المردة ومن أناس مارقين حسده^(١)

* * *

(١) أشرنا فيما سبق ضمن ترجمة حياة الامام العسكري عليه السلام كيف تكتم الامام العسكري عليه السلام على ولادة ولده المهدي عليه السلام وغيبته عن الأنظار والاسماع خوفاً من السلطة العباسية الجائرة التي تتربص به، بل وأخفاه عن عيون السلطة ووشاتها من الحاقدين على أهل هذا البيت الطاهر، وبهذا الصدد نقل الشيخ الصدوق بسند متواتر الى أحمد بن الحسن بن إسحاق القمي قال: لما ولد الخلف الصالح كتب مولانا ابو محمد العسكري عليه السلام الى جدي أحمد بن اسحاق كتاباً فيه: ولد لنا مولود فليكن عندك مستوراً وعن جميع الناس مكتوماً، فإننا لم نُظهر عليه إلا الاقرب لقرابته والولي لولايته. إكمال الدين ٤٣٤/٢.



شهادة الثقة الاربعين

لكنه أخبر من كان ثقة أتوه أربعون من شيعته أخبرهم بأنه الامام ثم بدت لهم كراماتُ الفتى بحيث صار الكلُّ في يقينِ ذاك الذي يملأها بالعدلِ خمسَ سنين ظلَّ يُبديه لهم مهدداً لغيبة المهديِّ لأنه سوف يغيبُ فتره وبعضُ شيعتي به سيؤمنُ وبعضُهم يقولُ لن يعودا

من بعد أن اعطى لذاك الصدقة والسادة الخالصُ من صحبته من بعده والقائد الهمام من سورة (الطور) وآي (هل أتى) بأنهم يرون حامي الدين والقسطِ والهدى وخيرِ الفضلِ كي تطمئنَ للفتى عقولُهم ومخبراً عن أمره الخفيِّ تشككُ النفوسُ فيها امره وبعضُهم بحيرةٍ يمتحنُ وبعضُهم يقولُ لن يسودا^(١)

(١) قال الشيخ الصدوق في كتابه: حدثنا محمد بن علي ما جيلويه، ومحمد بن موسى بن المتوكل، واحمد بن محمد بن يحيى العطار، رضي الله عنهم. قالوا: حدثنا محمد بن يحيى العطار قال: حدثني اسحاق بن رباح البصري، عن أبي جعفر العمري قال: لما ولد السيد عليه السلام قال ابو محمد عليه السلام: ابعثوا الى ابي عمرو، فبعث اليه فصار اليه، فقال له: اشترِ عشرة الاف رطل خبز، وعشرة الاف رطل لحم، وفرقه، احسبه، قال: على بني هاشم وعقَّ عنه بكذا وكذا شاة. كمال الدين ٤٣١/٢.



⇒ كانت هذه الإشارة الاولى من الامام الحسن العسكري عليه السلام بولادة المهدي الموعود عليه السلام غير انها اشارة غير كافية للتعريف بشخصه وملامحه، لذلك يقدم الامام العسكري عليه السلام علي الخطوات اللاحقة المتمثلة في فسح المجال لعدد من المقربين اليه وكانوا اربعين راوياً ثقةً بالتعرف على المهدي عليه السلام عن قرب، والنظر اليه بصورة مباشرة، والتحدث معه، وهو خلال ذلك يراقب الاجواء بحذر شديد خوفاً من اكتشاف الجهاز العباسي شخصية المنتظر الموعود عليه السلام الذي يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

وقد إشرنا فيما سبق ضمن ترجمة الامام العسكري عليه السلام الى هذه الروايات، وذكرنا وجوهها ومصادرها، ولكن سنكتفي هنا بذكر ما نقله الشيخ الصدوق في كتابه إكمال الدين عن جماعة من أصحاب الامام العسكري عليه السلام قالوا: عرض علينا ابو محمد بن علي عليه السلام ابنه المهدي، ونحن في منزله وكنا اربعين رجلاً، وقال لنا: هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم إطيعوه، ولا تتفرقوا من بعدي في أديانكم فتهلكوا، أما أنكم لا ترونه بعد يومكم هذا. قالوا: فخرجنا من عنده، فما مضت إلا إيام قلائل حتى مضى ابو محمد العسكري عليه السلام...



حديث النبي ﷺ

وفاتهم ان النبي قال لا تنقضي الايام والدهور ييسط عدله لكل الناس ثم ولو ظل من الدهور لمده الله لكي يقوم ما من ولده ومن بني الحسين رواية جاءت عن الرسول أثبتها الرواة في الصحاح وغيرها جاء به كثير وانه من خير نسل فاطمة وهو الذي لا يكذب المقالا حتى يعود الغائب المستور وللضعاف منهم يواسي يوم ولو سويعة النشور وينشر الراية والعلوم ما بنوره يملأ كل عين سليمة المعقول والمنقول منيرة تشع كالصباح بأنه الخليفة الاخير موضحا في قوله علامة^(١)

(١) ذكرت كتب الجمهور ولا سيما كتب الصحاح منها على أن النبي ﷺ قد ذكر في مرات عديدة البشارة بظهور ولده المهدي عليه السلام من ذريته في آخر الزمان وأنه عليه السلام سييسط العدل في الارض بعد فسادها.

واليك شذرات مختارة من هذه الاحاديث المسندة المتواترة وهي كما يلي:

- قال رسول الله ﷺ: إن خلفائي وأوصيائي وحججي على الخلق من بعدي اثنا عشر أولهم علي بن ابي طالب، وآخرهم ولدي المهدي، الذي يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، والذي بعثني بالحق بشيراً لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج ولدي المهدي.. فرائد السمطين ج ٢ الحديث الاول.



- ⇒
- قال حذيفة بن اليمان قال: خطبنا رسول الله ﷺ فذكر ما هو كائن ثم قال ﷺ: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطولَ الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من ولدي من ذرية ابني الحسين، اسمه إسمي، وكنيته كنيتي.. ينابيع المودة/ ٤٩٠.
 - قال ابو ايوب الانصاري: قال رسول الله ﷺ لأبنته فاطمة في مرضه: والذي نفسي بيده لا بدَّ لهذه الأمة من مهدي، وهو والله من وُلدك.. بحار الانوار ٦٧/٥١.
 - ونقل الحموي الشافعي، عن الرضا عليه السلام عن آبائه قال: قال رسول الله ﷺ: الحسن والحسين إماما امتي بعد أبيهما وسيدا شباب أهل الجنة، وإمهما سيدة نساء العالمين، وأبوهما سيد الوصيين، ومن ولد الحسين تسعة إئمة تاسعهم القائم من ولدي..

فرائد السمطين: ج ٢ الحديث ٨



موقف السلطة

مما حداً ظلماً بني العباس
فبحثوا عنه بكل حاره
يُعينهم جعفر بن الهادي
ففتشوا الصبية والجواري
فمرةً بالوعد والاغراء
كي يعرفوا سرّ الامام حقا
لكنهم لم يفلحوا في سعيهم
ان يُرعبوا فيه خيار الناس
يتابعون خفيةً اخباره
بحقده في موقفٍ معادٍ
ونشروا الخوف بكل دارٍ
ومرةً بالسجن للنساء
ويوقعوا به ومن تبقى
ظلماً وقد ذاقوا وبال أمرهم^(١)

* * *

(١) لقد أشرنا فيما سبق الى خوف السلطة العباسية من تحركات الامام الحسن العسكري عليه السلام وشدة مراقبته له ولا سيما وأنها عارفة أنه سينجب ولداً سيكون وبالاً عليها وعلى شرعيتها المزيفة، وتُشير المصادر التاريخية الى أن المعتمد العباسي الذي عاصر بداية إمامة الامام المهدي عليه السلام هو الذي بادر الى مدهامة دار الامام العسكري عليه السلام والتفحص عن ورثته ومراقبة الحوامل من نساء بيته بحثاً عن ولده المولود المنتظر الموعود، كما مارست السلطة آنذاك كل وسائل الارهاب والارعاب ضد الائمة وأتباعهم ولا سيما ضد الامام العسكري عليه السلام.

وقد شرعت السلطة الجائرة بعد وفاة العسكري عليه السلام الى تطويق بيت الامام وأرهاب أهله عسى أن تعثر على ولده الموعود، وقد أستعانت السلطة في فعلها هذا بأخ الامام العسكري عليه السلام والمعروف ب «جعفر الكذاب» وهو أحد اولاد الامام الهادي عليه السلام وقد عُرف عنه بالانحراف عن خط والده الامام الهادي عليه السلام حيث إختار طريق السلطة الظالمة وأصبح فيما بعد خطراً على الامام المهدي عليه السلام، لكن الله سبحانه خيب مسعاه ومسعى السلطة العباسية وحفظ وليه من شرورهم.



اللفظ الالهي

فالله حافظٌ وليُّ أمره وحافظٌ عبادهُ في سره
بحكمةٍ بالغةٍ ولطفٍ يُظهرُ من يُظهرُ أو من يُخفي
فهو الذي يقدِّرُ الامورا ويكشفُ الغيوبَ والمستورا
خمسُ سنينَ عاشها الامامُ فيها ارتوى بقلبه الاسلامُ
كان قضاها في حنانِ العسكري بطيبٍ محتدٍ وطيبٍ معشرٍ^(١)

* * *

(١) عاش الامام المهدي عليه السلام في كنف ابيه العسكري عليه السلام خمس سنوات، وكان ابوه عليه السلام يحنو عليه، ويبالغ في الاهتمام به، ويمدّه بأسرار الامامة، ويبالغ في التعريف به بين شيعته المقربين، ويُعلن أنه الامام من بعده، وتُشير المصادر التاريخية أن الامام العسكري عليه السلام قد أمدّ ولده المهدي عليه السلام بكل وسائل العناية، والرعاية، والتبجيل، وقد أشرف في كل لحظة على رفع شأنه، وأنه كان دائماً يُصلي ويَدعو له بالحفظ، سواء اثناء ولادته أو ما بعدها. واليك وقفات مع الامام العسكري عليه السلام تجاه ولده المهدي عليه السلام وهو يقوم باعداده اماماً للرسالة المحمدية، ومنقذاً للمستضعفين في الارض، وهي كما يلي:

- إثبات وجوده بين رموز وعلماء الشيعة، واظهاره للثقات من شيعته خوفاً من إنطماس ذكره، وبالتالي نكران وجوده.
- اعداده للمسؤولية، وزقه للعلوم الاسلامية والاداب النبوية، التي ورثها من آباءه الطاهرين عليهم السلام.
- أمر شيعته بالرجوع إليه في معرفة المسائل والاحكام من بعده، ليشعرهم بوجود إمام يقوم مقامه بعده.
- هياً له من بعده نظام الوكلاء، والسفراء، ليعتاد عليه بعد إنتقاله عليه السلام الى جوار ربه.



رحيل الامام العسكري عليه السلام

حتى إذا قد شاءت الاقدارُ
يومَ رحيلِ والدِ الامامِ
وافتقد المهدي فيه ركنا
وطبّق العزاء سامراء
واقبل الشيعة في جموع
واضطرب الخليفة (اللامهتدي)
وكاد ان يخرج عنه الامرُ
وانما خفف حزن الشيعة
فهو الذي سيحمل اللواء

وارتجت الاركان والاسطارُ
من بعد ان كان له المحامي
يرى به عزيمة وأمنا
بجزنها وترفع البكاء
بعبرة سخينة الدموع
يوم فقدان الامام السيد
فمال للترك وماج القصرُ
علمهم بالقائم الوديعه
والعهد والامامة الغراء^(١)

* * *

(١) شرحنا ذلك فيما سبق ضمن ترجمة حياة الامام العسكري عليه السلام وأوضحنا كيف سُمّ الامام العسكري عليه السلام من قبل الخليفة العباسي، وما أعقب ذلك من فجيعة العالم الاسلامي به، وكيف أشرف الامام المهدي عليه السلام على الصلاة على جثمان والده، وما أعقب ذلك من تشييع مهيب للأمام الراحل، وبحضور أركان الدولة آنذاك، وما حصل يومئذ لمدينة سامراء من تعطل الحياة فيها وغلق أسواقها، وقد عمّ الشيعة ورموزها يومذاك حزن شديد لفقدان إمامهم، لكن وجود الامام المهدي عليه السلام هوّن الصدمة عليهم، وأمدّهم بالصبر مما جعلهم يرجعون إليه في مسائلهم العامة لا سيما وهو الوريث الوحيد للأمام بعد إبيه عليه السلام وهكذا رحل الامام العسكري عليه السلام لثمان خلون من شهر ربيع الاول سنة ٢٦٠هـ وله يومذاك ٢٨ سنة، ودُفن في داره بسامراء مع ابيه الهادي عليه السلام.



الصلاة على الامام العسكري عليه السلام

صلى على ابيه في الحشود
وكان جعفرُ بها تقدماً
قال: انا الوارثُ للامامِ
ولم يكن جعفرُ بالتقيي
فامتنع الشيعةُ عن صلاته
فاسرع المهديُّ للصلاة
فهو ابي دون جميع الخلقِ
ففرح الشيعةُ بالامامِ
وراح جعفرُ يكيّدُ الغدرا
وشُيعت جنازةُ ابنِ طه
ودفن الامامُ حيثُ داره
الى جواره الامامُ الهادي

مراقباً في وسطِ الجنودِ
وهو اخٌ للعسكري عُلماً
فهو اخي قلدي مقامي
ولا بذاك السيدِ المرضي
اذ لم يكن يُعرفُ في سماته
وقال يا عمُّ انا ذا آتِ
قد حزتُ في ذاك سهامِ السبقِ
اذ عرفوه دونما اتهامِ
فسمي الكذابُ بعدُ دهرا
طوبى لمن شيعها وآها
عامرةٌ تؤمها أنصاره
وسيدُ الزهادِ والعبادِ^(١)

(١) عندما غُسل جثمان الامام العسكري عليه السلام وأراد «جعفر الكذاب» عمّ الامام المهدي عليه السلام أن يُصلي على الجثمان المطهر لسلب الامامة، ظهر الامام المهدي عليه السلام وله من العمر خمسة سنوات، وأزاح عمّه عن الجثمان المطهر قائلاً له: تنح يا عم فأنا اولى بالصلاة منك على جثمان والدي. حتى رآه آنذاك الخاص والعام، وفرح به الشيعة، وعرفوا أنه الامام الوريث الموعود بالامامة بعد أبيه.

وبعد ذلك قام جعفر الكذاب مؤيداً بالسلطة الجائرة بالقيام بعدة اعمال مُشينة تجاه أسرة الامام العسكري عليه السلام وورثته من سجن وتعذيب، بحثاً عن الامام المهدي عليه السلام الذي أخفى. لقد مرّ ذكر مراسيم دفن الامام العسكري عليه السلام في قسمه الخاص ضمن هذه الملحمة، راجع القسم الثالث عشر، تحت عنوان شهادة الامام العسكري عليه السلام.



عصر الغيبة الصغرى

وأبتدأ المهديُّ عصرَ الغيبة متصلًا (بأبنِ سعيدِ العمري) وهو تقيٌّ من كبارِ الشيعة وبعدهُ ابنُه الفتى (محمدٌ) ثم (حسينُ بنُ روحٍ) بعده ثم (عليُّ بنُ محمدٍ) ومن أولاءِ كانوا السفراءَ الأربعة فهم له الأبوابُ والدعاةُ على أيديهم تخرجوا الرسائلُ سبعونَ عاماً مدةَ السفاره لأمةٍ إمامُها مستورٌ هم فقهاءٌ قادةٌ أبرارٌ تحملوا أمانةَ الإمامِ ونظّموا بالسرِّ أمرَ الشيعة بالوكلاءِ الأمناءِ البرره كانوا بسامرا وفي بغدادا بكلِ حكمةٍ ودونَ ريبه سفيره الثبتِ بتلكِ العُصرِ وهي له سامعةٌ مطيعه من بالتقى والزهد كان يُحمدُ من لم يخن معَ الامامِ عهدهُ قد عرفوه (السمرى) ذا المننُ ومن بهم سرُّ اللقاءِ أودعه ومن لهم قد وضحَ الاثباتُ وعن لسانهم يُجابُ السائلُ كانوا بها الملاذُ والمناره وعن عيونها توارى النورُ مُصدقونَ سادةٌ اخیارُ وجاهدوا الطغاةَ باستقامه بحقبةٍ مظلمةٍ مريعه يُدارُ شأنُ الامةِ المنتظره يواصلون الهمةَ والجهادا^(١)

(١) إعتبر بعض المؤرخين ان مدة غيبة الامام المهدي عليه السلام الصغرى قد دامت ٧٤ سنة، حيث ذكر محمد كاظم القزويني: لعل من الصحيح أن نقول أن الاستار والاختفاء كان



⇒ مُلازماً لحياة الامام المهدي عليه السلام منذ أوائل عمره وعلى هذا يمكن القول أن الغيبة الصغرى إبتدأت مع ولادته ويمكن إعتبار السنوات الخمس التي قضاها مع والده العسكري عليه السلام من ضمن مدة الغيبة الصغرى.

ويبدو ان هذا خطأ كون هذه السنوات الخمس قد رآه الناس والخلق من شيعته وغير شيعته في مرات كثيرة، وهذا يعني أن غيبته الصغرى في الواقع إبتدأت بعد وفاة والده العسكري عليه السلام وليس في ايام ولادته.

ان الغيبة الصغرى وما ترتب عليها من جعل السفراء والنواب قد أشار إليها الرسول الاكرم وأهل البيت عليهم السلام من قبل، كما ذكرت ذلك العشرات من النصوص الواردة بهذا الشأن، إضافة الى ذلك الى أن الامامين العسكريين عليهما السلام كانا قد مهدا لهذا الامر بوضعهما نظام السفارة والوكالة من قبل تمهيداً لوقوعها فيما بعد. واليك هنا عدة إشارات وتعليقات:

- إن الله سبحانه إنما أخفى مولده عليه السلام ومن ثم غيبه الغيبة الصغرى، وما تلاها حتى لا تكون في عنقه عليه السلام بيعة لأحدٍ من الطغاة أو الظالمين.
- هذه الغيبة وما تلاها غير خاضعة لتفسير العقل البشري المحدود، بل هناك حكمة من ورائها بعد ذلك، وما علينا إلا التسليم والانقياد لامر الله وحكمته عز وجل.
- إن الغيبة الصغرى وما تلاها لا تعني إبتعاد الامام المهدي عليه السلام عن المجتمع بصورة كلية كما يعتقد البعض، بل تشير الوقائع الى أنه عليه السلام كان حاضراً بصورة دائمة في وسط المجتمع، ويعيش معه همومه وقضاياه، بل ويتجاوب معه في أحيان كثيرة بالفكر، والعمل، والسلوك، والنجدة حسب مقتضيات الظروف والمصلحة في ذلك، وهذا أمر مؤكد حتى في أيام غيبته الكبرى.
- توجد لغيبته الصغرى والكبرى نظائر سواء على صعيد القرآن الكريم، أو التاريخ الانساني المدون مما جعلها مقبولة عقلاً، ومن ذلك غياب نبي الله يونس عليه السلام في بطن الحوت مدة طويلة ثم رجوعه ثانية لممارسة دوره القيادي للأمة، وهذا منصوص عليه في القرآن والكتب السماوية الاخرى، وكذلك عودة أهل الكهف بنص القرآن الكريم بعد الاختفاء فيه سنين متطاولة، وكذلك عزير عليه السلام ذاك الذي مرّ على القرية فأماته الله مائة عام ثم بعثه، كما ذكر في القرآن الكريم، وغير ذلك من هذه الامثلة والمشاهد.



⇒

إن الغيبة الصغرى وقعت لعدة أسباب تكمن ورائها حكمة آلهية، ومن هذه الاسباب:
- شدة المؤمرات التي تحوكتها السلطات الظالمة ضد الامام عليه السلام من قتل، أو سجن، أو مطارده.

- إن الغيبة الصغرى تمهيد مسبق لوقوع الغيبة الكبرى حتى لا تكون الغيبة الكبرى في وقوعها غريبة عن المجتمع، فهي مقدمة تمهيدية حكيمة لغيبة طويلة يتعد فيها الامام عليه السلام عن أنظار الامة وجماهيرها.

ومن هذا كله بدأت غيبة الامام الصغرى بالاختفاء عن الانظار مُتخذاً له جماعة من الثقات، الفقهاء، الابرار كنواب، وسفراء ليجعلهم وسيلة للاتصال بالامة الاسلامية عامة، وتُشير المصادر التاريخية أنه عليه السلام قد اتخذ له أربعة من النواب أو الوكلاء وهم:

١- الشيخ عثمان بن سعيد العمري المعروف بـ «الزيات أو السمان» لأنه كان يتاجر بالزيت تقيّة على عمله الرسالي، وقد وثقه الامام مرات عديدة وأثنى عليه، وبه بدأت الوكالة، وقد استمرت قرابة ٢٠ عاماً، وكنيته ابو عمرو، وأنه قد وافاه توقيع من الامام عليه السلام بأن يجعل ولده محمد نائباً بعد وفاته، وقد توفي في ٢٨٠هـ وقبره الآن ببغداد يُزار قرب سوق السراي شرق الجسر العتيق.

٢- محمد بن عثمان بن سعيد العمري، وكنيته ابو جعفر وقد عينه كما ذكرنا سابقاً بأمر الامام المهدي عليه السلام وقد بقي وكيلاً وسفيراً للأمام قرابة ٥٠ عاماً، وقد توفي عام ٣٠٥هـ وقبره ببغداد في محلة الخلاني عند مقام الشيخ عبد القادر الكيلاني.

٣- الحسين بن روح النوبختي، وكنيته ابو القاسم، وكان معروفاً بالفضل والوثاقة بين عامة الناس، وقد ابتدأت نيابته عام ٣٠٥هـ وبقي حتى توفي عام ٣٢٦هـ وقبره الآن ببغداد ومشهور يُزار كثيراً قرب محلة «الشورجة» ببغداد حوله بيوت وقصور عامرة.

٤- علي بن محمد السمرى، وكنيته ابو الحسن، وكان وكيلاً وسفيراً للأمام المهدي عليه السلام وبوفاته وقعت الغيبة الكبرى بناءً على رسالة أخرجها الامام عليه السلام على يديه للناس قبل ستة ايام من وفاته بأنه لا وكيل بعده، وقد توفي بعد هذه الايام الست لتقع الغيبة الكبرى، وكانت وفاته سنة ٣٢٨هـ وقبره الآن ببغداد شرق الجسر العتيق في سوق البزازين قرب قبر الكليني صاحب الكافي.

⇐



⇒ ومن الجدير ذكره أن النائب عن الامام يتخذ مجموعة من السفراء أو الوكلاء عنه في الامصار الاسلامية كبغداد، وسامراء، والبصرة، لكي ينقلوا عنه الحكم الشرعي أو جواب المسألة من النائب أولاً أو يتصلوا مباشرةً بالامام، ومن الوكلاء أو الفقهاء المعروفين: حاجز بن يزيد الوشاء، ابراهيم بن مهزيار، محمد بن ابراهيم بن مهزيار، أحمد بن اسحاق الاشعري، محمد بن جعفر الاسدي، القاسم بن العلاء، محمد بن شاذان.



المدعون للسفارة

لكن بعضاً ادعى (السفارة) يدفعهم لذلك الشيطان أول مدع هو (الشريعي) إذ ادعى بأنه للمهدي فخرج (التوقيع) بالبراءة ولعنته شيعة الامام و(الشلمغاني) كذلك ادعى ومثله (محمد النميري) ومثله المنحرف (الهلالي) أولائي بعض من تجرا وادعى حتى اذا مضت (السبعونا) وانقطعت بذلك السفاره وكان أمراً بين النكاره كي يُهدم الاساس والبيان جاء بأمر منكر فضيع باب وللحق القويم يهدي منه ومن اعماله المساءه ونبذته امه الاسلام وكالة المهدي بالزور سعى من لا يُرجى منه أي خير ومدعي السفارة (البلالي) زوراً وتكذيباً مقاماً ارفعاً تاركاً من بعدها الظنوناً لفقهاء الامه المختاره^(١)

(١) أن تاريخ تزوير السفارة في حياة الامام المهدي عليه السلام إنما ظهر في فترة متأخرة من بداية الغيبة الصغرى وأن الامام المهدي عليه السلام بعيد كل البعد عن سبب ظهور هذا الانحراف لأنه إمام معصوم، ولا يمكن أن يتطرق أي خطأ في إختياره لهذا الرجل المدعي الفاسد وإنما نشأ هذا الامر إما من تلقاء نفس هذا الشخص المنحرف منافسة للسفير الاصلي أو بسبب سوء إختيار السفير الاصلي ممن ينوب عنه مما أدى الى سوء هذا الاختيار. وقد شكّل هؤلاء المنحرفون المدعون للسفارة خطراً على السفارة كمهمة رسالية مثل التأثير على مهمة النواب الاصلاء، وتشويه خط الامام في إنجاز مهمته المقدسة، وخلق عدة



- ⇒ مشاكل عقائدية وإجتماعية في المجتمع الاسلامي آنذاك، وتشويه الدين كرسالة إلهية لقيادة البشر نحو الله سبحانه، كل هذا دعا الامام عليه السلام الى إصدار البيانات بلعنهم أو التبرؤ منهم ولعل من ابرز هؤلاء المدعين المنحرفين:
- ابو محمد الحسن الشريعي: وكان من أصحاب الامامين العسكريين عليهما السلام ثم ادعى السفارة زوراً، ونسب الى الائمة ما لا يليق بهم، ثم ظهر منه الكفر والالحاد، حتى لعنه الامام عليه السلام ومن ثم فعل ذلك نوابه وشيعته وتبرأوا منه.
 - محمد بن نصير النميري: كان من أصحاب الامام العسكري عليه السلام ثم ادعى السفارة، وظهر منه الالحاد، والافعال الفاسدة، وإشاعة المحرمات بين الناس، حتى صدر الامر من الامام عليه السلام بلعنه والبراءة منه.
 - أحمد بن ابراهيم العبرثائي: كان من أصحاب الامامين العسكريين عليهما السلام ثم عُرف عنه الغلو والشعوذة، حتى أنقلب أمره فصار ناصبياً، فلعنه الامام والشيعه في ذلك الزمان.
 - محمد بن علي بن بلال: ادعى الوكالة عن الامام وسرق الكثير من الاموال حتى صدر الامر من الامام عليه السلام بلعنه والبراءة منه.
 - محمد بن علي السلمغاني: ويعرف بـ«ابن العزاقر» له عدة مؤلفات دسّ فيها الكثير من الاحاديث المزورة، وعُرفت عنه عقائد فاسدة وهناك جماعة أخرى فعلت نفس الافاعيل من الشعوذة والادعاء والقول بالعقائد الفاسدة ومنهم: الحسين بن منصور الحلاج المتصوف، وابو دلف الكاتب، ومحمد بن أحمد البغدادي، وكل هؤلاء لعنهم الامام وأصدر الامر بفساد عقائدهم.



الغيبة الكبرى ودور الفقهاء

وأذن الوقت بعصر الغيبة وقال للامة من بعدي ارجعوا فأنهم حجة ربّ الباري هم حجة الله غدوا عليكم يستنبطون الفقه والاحكاما مهمة لهم مدى الازمان واستترت بذلك الامامه على ظهور المصلح الموعود فقد روى الرواة عن نبينا بأنه في آخر الزمان قوته ومجده الأثيلا

بمذر وظنة ورييه الى رواة قولنا لكي تعوا وفيهم ارث من المختار وحجة الله اننا عليهم ويعرفون الحل والحراما ليحفظوا معالم الايمان وخلفت اكثر من علامه بعد تقادم من العهود وأثبت الهداة عن صفينا يخرج من يعيد للايمان وروحه ونهجه الاصيلا^(١)

(١) إنتهت الغيبة الصغرى بوفاة النائب الرابع للأمام عليه السلام الشيخ علي بن محمد السمرى، وذلك في سنة ٣٢٨هـ وكان له من العمر ٧٤ سنة، وبوفاة النائب الرابع بدأت الغيبة الكبرى، والتي عُبر عنها بأنها سر الله الذي لا يطلع على وقته غيره سبحانه، حيث غاب الامام وأختفى مُبتدأً من دار أبيه في سامراء ليخرج الى بلاد الله العريضة، ويرى تحركات الناس، ويراقب همها وهمومها، وهو بذلك إنما يطبق مشروع الله العظيم وتخطيطه الحكيم تاركاً الامر كله من بعده بيد الفقهاء العاملين نيابة عنه في غيبته الطويلة، وبذلك انقطعت



⇒ طرق الاتصال بالامام مباشرة - الا ما ندر- وكان الامام عليه السلام قبل ذلك قد كتب الى أحد وجهاء الشيعة، وهو إسحاق بن يعقوب، عن طريق احد نوابه ما يلي:
وأما الحوادث الواقعة فأرجعوا فيها الى رواة حديثنا، فإنهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله عليهم.

وكان الامام عليه السلام قد كتب الى نائبه الرابع الشيخ السمرى قبل وفاته بستة أيام ما يلي:
بسم الله الرحمن الرحيم يا علي بن محمد السمرى عظم الله أجر إخوانك فيك، فأنتك ميّت بعد ستة أيام، فأجمع أمرك ولا توصي لأحد أن يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى.

وهكذا وقعت الغيبة الكبرى وفيها أحال الامام المهدي عليه السلام أمر الامة في حل قضاياها الى الفقهاء باعتبارهم حكماً بين المسلمين، ومرجعاً في شؤونهم الحياتية، وهؤلاء الفقهاء ممن ترجع الامة اليهم لهم شروط ومواصفات حدّدها الامام عليه السلام في بيانه الاخير لغرض تولّي النيابة عنه.



الحديث الصحيح

وجاء في وصية الرسول
ان أئمة الهدى اثنا عشر
يولد من ولد الحسين القائم
حيث اسمه محمد مثل اسمي
يملاًها قسطاً وعدلاً مثلما
والمسلمون اجمعوا عليه
في (الركن والمقام) حين يظهر
وصحبه تأوي اليه قزعا
بيعته كبيعة الغدير
بكثرة الرواة في المنقول
أولهم شمس وتاليهم قمر
في آخر الدهر له علائم
وان عزمه شبيه عزمي
قد ملأت ظلماً لاعنان السما
منتظرين بيعةً لديه
يحمل سيف جده يكبر
مستبشرين نوره اذ طلعا
في موقف كموقف الامير^(١)

(١) إن أحاديث ظهور الامام المهدي عليه السلام الصادرة من رسول الله صلى الله عليه وآله والائمة عليها السلام التي تشير انه من ذرية علي وفاطمة عليها السلام كثيرة ومتواترة، وقد أقر بصحتها وتواترها جمهور المسلمين كما أشرنا من قبل، وقد بلغت هذه الاحاديث من الكثرة بحيث يصعب استقصاؤها إلا على ذوي الاختصاص وسوف نورد بعضها كما أثبتتها كتب السير والتاريخ:

- جاء بسند متواتر الى ابن عباس «رض» قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن علياً إمام أمتي من بعدي ومن ولده القائم المنتظر الذي يملأ الارض عدلاً وقسطاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً. ينابيع المودة للقندوزي/٤٩٤.

- جاء بسند الى أم سلمة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المهدي من عترتي من ولد فاطمة.

كنز العمال ١٨٦/٢.



-
- ⇒
- جاء بسندٍ الى ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين ومطهرون معصومون تاسعهم المهدي المنتظر. ينابيع المودة ٣/٣٥٨.
 - جاء بسندٍ الى أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: لا تذهب الدنيا حتى يقوم على إمتي رجل من ولد الحسين يملأ الارض عدلاً كما ملئت ظلماً. ينابيع المودة ٣/٣٥٨.
 - جاء بسندٍ الى أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: المهدي من ذريتي يظهر بين الركن والمقام.. الشيعة والرجعة ١/١٥٠.
 - جاء بسندٍ الى ابي طفيل قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: يخرج في آخر الزمان رجل من ذريتي يجمع الله له قوماً قزعاً كقزع السحاب يؤلف الله بين قلوبهم عدتهم على عدد أهل بدر.. كنز العمال ٤/٥٥٧.



علامات الظهور

وقبل ذاك يظهر (السفنياني) و(الحسني) الطهر و(اليماني) وراية شرقية سوداء وهذه بعض العلامات التي وفي (الصحاح) جاءت الاخبار بانه لو ظل يوم واحد قضية وان بدت نقلية فقصة الخالص للانسان دانت بها الاجيال عبر الزمن والانتظار افضل العباده ففكرة (المهدي) من نور السما و(الحسني) الطهر و(اليماني) وبعد ذاك تخسف البيداء جاء بها النص باجلى صورة صادقة ينقلها الاخيار لطال حتى يخرجن القائد لكنها قضية عقليه مطبوعة في الفكر والوجدان حتى غدت سلاحها في المحن ما فاقه شيء سوى الشهاده ولا يراها من اصيب بالعمى^(١)

(١) تواترت الاخبار عن النبي ﷺ والائمة الهداة من ذريته بخروج الامام المهدي ﷺ آخر الزمان، وذكرت هذه الاخبار جملة من العلامات والحوادث التي تسبق ظهوره، أو تكون دالة على قرب ظهوره، كما أفادت بذلك كتب الجمهور من الفريقين، وقد جمع هذه العلامات بصورة إجمالية الشيخ المفيد في الارشاد منها: خروج السفنياني، وقتل الامام الحسين ﷺ وخسف بالبيداء، وإقبال رايات سود من خراسان. وعلى الاجمال يمكن القول أن علامات الظهور تُقسم الى قسمين: - اما علامات حتمية: وهي التي لا بد من وقوعها، والتي نُصتُ الاخبار المُسندة المتواترة على وجوب وقوعها، وهي الدليل الوحيد الذي نعرف من خلاله إقتراب الظهور.



⇒
- واما علامات غير حتمية: وهي حوادث يُمكن أن تقع أو لا تقع، بل تتغير تبعاً لطبيعة حركة المجتمع البشري، فالانحراف والافساد له أثر في وقوعها، وعلى العكس الاصلاح وعمل الخير له دور في عدم وقوعها، ومن هذه العلامات الفساد في المياه والغذاء ووقوع بعض الحوادث الكونية، وتدهور الوضع الاقتصادي واشتعال الحروب في الارض وغيرها.

إن فكرة ظهور مصلح عظيم تسعد به الانسانية بعد هذه المحن والبلايا فكرة قديمة آمنت بها الاجيال على اختلاف اديانها ومذاهبها وعقائدها، بل صارت حلمًا يراود البشرية على إمتداد التاريخ، ويعتقد الجميع سواء اصحاب رسالات سماوية أو اصحاب مبادئ وضعية أن وراء هذه الحقب المظلمة التي تعم الارض أمل مشرق تسطع به الشمس من جديد، وهم بذلك ينتظرون مصلحاً عظيماً يغير بثورته وجه العالم الحالك لصالح الحق والعدالة.

ويمكن القول أن هذا المصلح لن يكون غير الامام المهدي عليه السلام رغم تعدد الاسماء والمصطلحات في جميع أفكار الآخرين، فلو أخذنا المسلمين على كافة مذاهبهم فهم يعتقدون بذلك وأن الله سبحانه قد أشار الى إمام مصلح مُنتظر في كتابه العزيز عدة مرات ومن هذه الآيات قوله تعالى:

- ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون﴾ الانبياء/١٠٥.
 - وقوله تعالى: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ التوبة/٣٣.
 - وقوله تعالى ﴿ونريد أن نمنّ على الذين أستضعفوا في الارض ونجعلهم إئمة .. ونجعلهم الوارثين﴾ القصص/٥. وغيرها.
- وأن الرسول الاكرم عليه السلام الذي لا ينطق عن الهوى قد بشر المسلمين بظهور رجل من عترته، يظهر آخر الزمان يُصلح الارض بعد إفسادها، وقد أقر المسلمون بأحاديث الرسول عليه السلام هذه ونقلوها في صحاحهم ومساندهم، وأعتبروها متواترة صحيحة لا غبار عليها، وأن قضية الامام المهدي أمرٌ مُسلم به عند الجميع.
- إما في الديانات الاخرى والعقائد الوضعية فقد وردت الإشارة له في كتبهم المقدسة، وهنا نذكر بعض ما ورد حول هذه الفكرة عند غير المسلمين وكما يلي:



- ⇒
- جاء من «رؤيا القديس يوحنا»: وظهرت آية عجيبة في السماء امرأة تلبس الشمس والقمر تحت قدميها، وعلى رأسها إكليل من اثني عشر كوكباً حُبلى تصرخ من وجع الولادة، وقد أحاط بها تنين عظيم له سبعة رؤوس وعشر قرون، ووقف التنين امام المرأة ليبلع ولدها حين تلده، وقد ولدت ولداً ذكراً، وهو الذي سيحكم الامم كلها بعضاً من حديد. انجيل يوحنا صفحة ٤٠٤.
 - وجاء ايضاً في انجيل متي : كالبرق يخرج رجل من الشرق ويكون ظاهراً إنه ابن الانسان . انجيل متي الفصل/٢٤.
 - وإما عند اليهود ففي كتابهم المقدس التوراة «العهد القديم» فقد جاء في «مزامير داود»: به يقطع الله دابر الاشرار وإما الصديقون معه فيرثون الارض.
 - وفي كتاب الزرادشتيين المقدس «جاماسب نامه» فقد جاء هناك: يخرج رجل من أرض التازيين «العرب» على دين جده في جيش كبير يملأ الارض عدلاً.
 - وفي كتاب الصينيين المقدس «وشن جوك» فقد جاء هناك: وأخيراً ترجع الدنيا الى رجل يحب الله وهو من عباده المخلصين.
 - وفي كتاب الهنود المقدس «باسك» فقد جاء هناك: دور العالم ينتهي الى ملك عادل في آخر الزمان، يكون منصوراً بالملائكة والجن وبني آدم، ويكون الحق معه وبيديه كل كنوز البحار والارضين، ولا ترى الارض رجلاً اعظم منه.
 - وهكذا باتت قضية الامام المهدي عليه السلام وخروجه آخر الزمان قضية فطرية وتاريخية، وضرورة الاديان، والمذاهب، والمعتقدات على اختلاف أطروحاتها وتتنظره الاجيال وهي تعاني المحن آملة أن ينقذها بعد ضياع ودمار.
 - قال الرسول ﷺ: المهدي من ولدي الذي يفتح الله به مشارق الارض ومغاربها ذاك الذي يغيب عن أوليائه غيبة لا يثبت على القول بأمامته إلا من إمتحن الله قلبه للإيمان.



الكوفة عاصمة المهدي عليه السلام

وجاء في اخبارنا المؤكده
سيظهر القائم بالكتاب
من (مكة) يظهرُ حيث الكعبة
يسيرُ في جيوشه الموصوفه
ويقتلُ (الدجال) و(السفياي)
وينصبُ الراية عند (المسجد)
من بعد ان يخوضها معاركاً
وبعدا الى (دمشق) ينوي
يحرر (الاقصى) و(بيت المقدس)
بعد انتهاء الغيبة المسدده
مع الجنود الكثر والاصحاب
وجنده منصوره بالرهبه
نحو العراق حيث ارض (الكوفه)
وزمرة الفساد والطغيان
فياله من قائد مؤيد
يترك راس الظلم فيها هالكا
يضمّر (لليهود) امراً مطوي
بتضحيات من خيار الانفس^(١)

(١) تصرح بعض الاحاديث الشريفة أن اصحاب الامام المهدي عليه السلام الخاصين يجمعون في مكة، وبصورة إعجازية أو سريعة بوسائل النقل المتطورة ليدرکوا ظهور الإمام ويباعوه. ويخرج عليه السلام بجيشه متوجهاً الى كوفة التي يتخذها منطلقاً لتحركه العسكري بعد إنهاء فتنة السفياي والخسف الذي يقع بجيشه في البيداء. وينشر راية رسول الله ﷺ المذخورة عنده في نجف الكوفة، وتنصره الملائكة التي نصرت جده رسول الله ﷺ في معركة بدر، وتذكر الاحاديث الشريفة أنه يواجه واصحابه وجيشه صعوبات شديدة وتعباً في بداية تحركه العسكري، وحروبه التي تستمر ثمانية اشهر لتصفية الجبهة الداخلية فيما تستمر ملاحمه عشرين عاماً. ويلاحظ هنا ان المسير الذي يختاره عليه السلام هو المسير الذي اختاره جده الامام الحسين عليه السلام في



⇒
نهضته الاستشهادية في مكة الى الكوفة، التي منع جده سيد الشهداء عن الوصول اليها
فيصل سليله المهدي عليه السلام إليها ويحقق الأهداف الإصلاحية في الامة المحمدية التي سعى لها
جده سيد الشهداء عليه السلام وعندما يدخل الكوفة يجد فيها ثلاث رايات تضطرب فيوحدها
وينهي اضطرابها بنشره للراية المحمدية المذخورة، وينهي جيوب النفاق المتبقية فيها في
معركته مع الفرقة التي تصفها الاحاديث الشريفة بالبترية.
- ويظهر ان دخول الامام المهدي عليه السلام فلسطين يكون بعد تحرير بيت المقدس من الإفساد
اليهودي وإنهاء حاكميتهم عليها -
لذا قد يكون من الممكن القول بأن دخول الامام بيت المقدس يكون بعد تصفيته الجبهة
الداخلية ومقدمة لمواجهة الأعداء خارج العالم الإسلام، ي أو الروم حسب تعبير الروايات
وفتح كل الأرض. اعلام الهداية ١٤ / ٢١٦-٢١٨.



دولة العدل الالهي

وبعد ما تتسع الفتوحُ
حتى تدين الارض للمهدي
ويستتب العدلُ والأمانُ
اساسها حكمُ النبي الهادي
وتطهرُ الارضُ من الارجاسِ
ورايةُ لابن النبي تخفقُ
وحيث عيسى خلفه يصلي
ثم يقيمُ الحقُ فيها (تسعا)
وقيل سبعةً من الاعوامِ
تسمعه شيعته وتبصره
يغنى فيحثو المال فيها حثوا
يحيي بذاك سنة النبي
تسعد فيه الناس والبلادُ
يرتفع الاذان في الجوامع
وتخضع الاحبارُ والرهبانُ
وييسط العدلُ بكل الارضِ
ويأخذ الثارَ لعاشوراءِ
يدعو لنهج آل المصطفى

بكل ارضِ رايةً تلوحُ
وتنحني لحكمه القوي
في امة ميزانها الايمانُ
والخيرُ في قسط وفي رشادِ
ويعمرُ الهدى بكل الناسِ
تضيءُ فيها طلعة وتشرقُ
يسيرُ إثر خطوه كالظلِ
يمشي بقرآن الهدى ويسعى
ترف فيها راية الاسلامُ
تأخذُ منه رأيه وتنصره
دليلُهُ الى العطاء التقوى
وهو يميت بدعة الشقي
وتستقر الارض والعبادُ
ويخفت الناقوس في الصوامعِ
لحكمه وتخمدُ النيرانُ
وفعله لدى الجميع مرضي
من زمرة النفاق والشقاءِ
الطيبين الطاهرين الشرفا



ويرجع المغصوب من حقوقهم
يُعلم الناس الهدى والذكرى
حتى يقال قد عرفنا الدينا
يزيل اعلام الطغاة الفجره
يدعو أنا (بقية الله) لكم
(نريد أن نمن) بي قد نزلت
وفي الزبور والاناجيل وفي
بأن آخر الزمان يأتي
في ليلة او ليلتين يستوي
هذا الذي جاءت به الاخبار
وبعده لله أمرٌ صائرٌ
يفعل ما شاء بلا منازع
وخلقه ملكٌ له عبيدٌ

ويخذل السادر في عقوقهم
وينصر الحق صُراحاً جهراً
منه نقياً واضحاً مبيناً
ويرفع المستضعفين البرره
انا الذي بشر بي نبيكم
تلك عهدٌ في الكتاب فصلت
تواراة موسى والكتاب الاشرف
من يُصلح الامر وفيه يُفتي
أمرٌ بكفّ الهاشمي العلوي
ونقلته في الألى الاخيارُ
فهو العظيم والاله القادرُ
بحكمه يعمل دون مانع
وهو الرحيم الحق والودود^(١)

(١) إن قضية ظهور الامام المهدي عليه السلام سرٌّ لا يعلمه أحد الا الله سبحانه، وأن أمر خروجه منوط بأذن الله سبحانه وحكمته وعلمه وتقديره.

وعلى هذا الاساس لا يمكن الاعتماد على أي خبر ورد في هذا الشأن إلا من جهة المعصوم عليه السلام بحيث يكون هذا الحديث أو الخبر محكوم بصحة السند ووفق قوانين الجرح والتعديل، وعلى ضوء هذا لا يمكن إبداء أي رأي حول أمر هو من أبناء الغيب كقضية المهدي عليه السلام وظهوره إلا من جهة المعصوم عليه السلام وسوف نقوم بذكر جملة من هذه الاحاديث المتواترة والتي تلتزم بالشرط والضوابط التي اعتمدها المؤرخون في تقييم الرواية، وعلى الاجمال يمكن ذكر جملة نقاط وتعليقات تخص ظهور الامام المهدي عليه السلام وكما يلي:

- إن عملية ظهوره عليه السلام منوطة بتوفر أسبابها ومنها القيادة الحكيمة الكامنة فيه عليه السلام والدستور السامي الذي يسير وفق نهجه، ولا شك هو القرآن الكريم إضافة الى الشعار



⇒

الوجداني العاطفي الذي يستنهض به الامة، ووجود قاعدة جماهيرية صالحة لاستقباله والنهوض معه.

- لو ظهر ﷺ فإنه يبدأ عملية التغيير بالطرق الطبيعية المتوفرة في زمن ظهوره، ولا يستخدم المعجزات والخوارق إلا في حالات نادرة، ليكون أمر ظهوره وتغيير للعالم خاضعاً لنطاق العقل، ومُسايراً لصنيع جده رسول الله ﷺ في بداية الدعوة الاسلامية.
- سيكون منطلق ظهوره من مكة المكرمة حيث يُبايعه هناك المخلصون وعددهم كعدد اصحاب بدر كما جاء في الروايات، ثم يتجه بعد ذلك الى الكوفة في العراق ليتخذها عاصمة له، ويحرر هذا البلد من الطغاة والمفسدين ليتجه منها بعد ذلك الى تحرير العالم من الفساد، وبذلك تكون الكوفة عاصمة في بداية الاسلام للعالم في مستقبله الزاهر.
- بعد هذه نقل فيما يلي جملة من احاديث النبي ﷺ وأهل بيته الاطهار ﷺ بخصوص ما يحدث ايام الظهور، وأثنائها، وما بعدها، كما روّتها كتب الجمهور من الفريقين:
- جاء بسند متواتر الى أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: يُبايع لرجل من عترتي بين الركن، والمقام جماعة عدّتهم كعدد أهل بدر.. كنز العمال ١٨٨/٢.
- جاء في بسند متواتر الى قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: يخرج المهدي من المدينة الى مكة فيستخرجه الناس من بينهم فيبايعونه بين الركن والمقام وهو كاره.. أخبار المهدي ٧٦/٢.
- جاء بسند متواتر الى الصادق ﷺ في وصف اصحاب المهدي ﷺ قال: كأن قلوبهم زبر الحديد لا يشوبها شك في ذات الله، شعارهم يا لثارات الحسين، يسير الرعب أمامهم مسيرة شهر يمشون الى المولى إرسالاً، بهم ينصر الله إمام الحق. بحار الانوار ٣٠٨/٥٢.
- جاء بسند الى ابي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: يخرج رجل يُقال له السفيناني في عمق دمشق، وعامة من يتبعه من عشيرة كلب، ويخرج رجل من أهل بيتي في مكة، فيبلغ الى السفيناني خروجه فيبعث إليه جنداً من جنده فيهزمهم المهدي، فيسير إليه السفيناني بمن معه حتى إذا جاء بيداء من الارض خُسف فلا ينجو منهم إلا المخبر. عقد الدرر الحديث ١٢٣.
- جاء بسند الى ابي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: يخرج رجل من أهل بيتي.. يملأ الارض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويحكم على هذه الامة سبع سنين، وينزل بيت المقدس. غاية المرام، للسيد البحراني/ ٧٠٠.
- جاء بسند الى محمد بن الحنفية قال: ينزل خليفة من أهل البيت بيت المقدس آخر الزمان

⇐



- ⇒ يملأ الارض عدلاً، يبني بيت المقدس بناءً لم يُبن مثله، يملك أربعين سنة.. ويخرج الدجال وينزل عيسى بن مريم فيصلي خلفه - اي خلف الامام عليه السلام - . الملاحم والفتن ٥٣/١.
- جاء بسندٍ الى ابي جعفر الباقر عليه السلام قال: يظهر المهدي بمكة عند العشاء ومعه راية رسول الله ﷺ ويفتح الله له أرض الحجاز ثم تنزل راياته سواد الكوفة، ثم يبعث جنوده الى الآفاق ويُميت الجور وأهله، وتستقيم له البلدان ويفتح الله على يديه القسطنطينية...
العرف الوردي ٧١/٢.
- لابد هنا من الاشارة أن مدّن أمثال: المدينة، ومكة، والكوفة، ودمشق، وبيت المقدس، ورومية الغربية، سيكون لها شأن كبير في أيام الظهور، كما أن هناك أسماء ورموز إمثال: الدجال، والسفياي، واليماني، وسيكون لها شأن بارز عند ظهور الامام عليه السلام.
- جاء قال: يظهر من الروايات المتواترة أن ظهور الامام المهدي عليه السلام في وتر من السنين وأنه بعد أن تُعقد له الراية بمكة، يسير منها الى الكوفة، ثم يفرّق جنوده من هناك الى الامصار، وأن سلطانه يبلغ المشرق والمغرب، وتظهر له الكنوز ولا يبقى خراب في الارض إلا عمّره. إسعاف الراغبين، لأبن صبان الشافعي/ ١٢٩.
- وجاء بسندٍ الى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: إن خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي الأثنا عشر، أولهم علي بن ابي طالب، وآخرهم ولدي المهدي ... ينابيع المودة/ ٤٤٧.



الخاتمة

الى هنا ينقطع الكلامُ
وأخر القول مقال الحمدِ
فكن اله الكون انت الغافرا
في كل ساعة من الساعات
مكّن له في الارض حتى لا يُرى
بذاك تمت (قافلات النور)
قدمتها أنا ليوم حشري
أسأل من يقرأها الدعاء
تمت بمشهد الامام الكاظم
والحمد لله الكريم عندما
به على مهدينا السلامُ
على هدى طريقنا والرشدِ
والحافظ الدليل والمناصرا
تحرسه من سطوة الطغاة
عاص الى أمرك من بين الوري
ملحمة تبقى مدى الدهور
ذخراً لميزاني بيوم نشري
لي ولولدي منهم وفاء
سابع أهل البيت والاعاظم
ختمتها مصلياً مسلماً^(١)

(١) في نهاية هذه الملحمة المباركة لا يسعني الا ان اتوجه بالحمد والشكر والثناء لله سبحانه وتعالى، على ما وفقني لاتمامها رغم زحمة الاعمال والاشغال في العراق، الذي يمر بمحنة رهيبة الفصول، طويلة المعاناة.

ثم التحية والسلام على خير الخلق محمد رسول الله ﷺ الذي بعثه الله رحمة للعالمين، وعلى بضعته فاطمة الزهراء عليها السلام وعلى الائمة المكرمين الاطهار عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأخص منهم مهدي هذه الأمة الامام الحجة المنتظر عليه السلام الذي يطلع اليه ملايين المستضعفين في الارض، من أجل ان يبعث الامل في نفوسهم، ويرسي قواعد الحق والعدل والكرامة، ويهزم فلول الظلم والفساد والظلام، وما ذلك على الله بعزيز. اللهم إنا نرغب اليك في دولة كريمة، تعز بها الاسلام وأهله، وتذل بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها عن الدعاة الى طاعتك، ووالقادة الى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والاخرة.

والحمد لله رب العالمين





الفهرس

٥	اهل البيت ﷺ في القران
٦	اهل البيت ﷺ في السنة المطهرة
٧	المقدمة
١٣	رسالة تقريض
١٥	قوافل النور .. دراسة دلالية

الجزء الأول / النبي المصطفى ﷺ

٤٣	الاهداء
٤٥	اصاءة
٤٧	في البدء
٤٩	العرب قبل الاسلام
٥١	المولد المبارك
٥٣	بدء الدعوة
٥٧	الهجرة الى الحبشة
٦٠	الهجرة الى يثرب
٦٣	معركة بدر
٦٥	معركة احد
٦٧	معركة الخندق
٧٠	صلح الحديبية
٧٢	معركة خيبر
٧٣	معركة مؤتة
٧٤	رسائل النبي ﷺ الى الملوك
٧٥	فتح مكة
٧٧	معركة حنين
٨٠	غزوة تبوك
٨٢	مسجد ضرار
٨٣	الثلاثة الذين خلفوا
٨٥	البراءة من المشركين
٨٦	حجة الوداع وبيعة الغدير
٨٨	مرض النبي ﷺ ووفاته



الجزء الثاني/ الامام علي بن ابي طالب .. امير المؤمنين عليه السلام

٩٣الاهداء
٩٥اضاءة
٩٧أهل البيت في القران والسنة
١٠١المولد الشريف
١٠٣أول القوم اسلاماً
١٠٤مبيته في فراش النبي
١٠٥فضائله ومواقفه
١٠٦إمامته
١٠٨خلافته
١٠٩معركة الجمل
١١٣الكوفة العاصمة الجديدة
١١٥معركة صفين
١١٧مصرع عمار بن ياسر
١١٩خدعة رفع المصاحف
١٢١فتنة التحكيم
١٢٣معركة النهروان
١٢٦عهده لمالك الاشر
١٢٩مؤامرة الخوارج
١٣٠جرح الامام
١٣٢شهادته

الجزء الثالث/ فاطمة الزهراء .. سيدة نساء العالمين عليها السلام

١٣٥الاهداء
١٣٧اضاءة
١٣٩اصحاب الكساء
١٤٠الولادة المباركة
١٤٣خطبتها واحتجاجها
١٤٦وفاتها

الجزء الرابع/ الامام الحسن بن علي .. المجتبي عليه السلام

١٥١الاهداء
١٥٣اضاءة
١٥٥المولد المباركة

١٥٩	دوره التاريخي
١٦٠	في معركة الجمل
١٦٢	في معركة صفين
١٦٥	في الكوفة
١٦٧	خلافة الامام الحسن <small>عليه السلام</small>
١٦٩	محنته <small>عليه السلام</small>
١٧٠	خيانة قائد الجيش
١٧١	الهدنة وشروط الصلح
١٧٣	تداعيات الصلح
١٧٥	العودة الى المدينة
١٧٦	إغتياله بالسم
١٧٧	شهادته

الجزء الخامس/ الامام الحسين بن علي .. سيد الشهداء عليه السلام

١٨١	الاهداء
١٨٣	اضاءة
١٨٥	أدب المقاتل
١٨٩	المولد المبارك
١٩١	شمائل الحسين <small>عليه السلام</small>
١٩٣	الحسين <small>عليه السلام</small> ومشروع الثورة
١٩٤	ضحايا العقيدة من اصحاب الامام علي <small>عليه السلام</small>
١٩٦	هلاك معاوية وخلافة يزيد
١٩٨	الحسين يقرر مشروع الثورة
٢٠٠	رسول الحسين <small>عليه السلام</small> الى أهل البصرة
٢٠١	رسائل أهل الكوفة الى الحسين <small>عليه السلام</small>
٢٠٢	سفير الحسين <small>عليه السلام</small>
٢٠٣	سفر مسلم بن عقيل
٢٠٥	وصول ابن زياد الى الكوفة
٢٠٧	إشتعال الثورة قبل موعدها
٢٠٩	مسلم يقاتل وحده
٢١١	البيان الاول لثورة الحسين <small>عليه السلام</small>
٢١٣	الحسين <small>عليه السلام</small> يلتقي جيش الحر في الصحراء
٢١٤	الحسين <small>عليه السلام</small> يصل الى كربلاء
٢١٦	موقف الانصار عشية المعركة

٢١٨	يوم عاشوراء.....
٢١٩	دعاء الحسين <small>عليه السلام</small>
٢٢٠	خطبة الحسين <small>عليه السلام</small> قبل المعركة.....
٢٢٤	زهير بن القين يخطب بين الصفيين.....
٢٢٥	برير بن خضير يخطب بالناس.....
٢٢٦	الحسين <small>عليه السلام</small> امتداد لرسول الله.....
٢٢٨	موقف الحر.....
٢٣٠	الانصار يستبشرون بالشهادة.....
٢٣٢	اول امرأة تقتل مع الحسين <small>عليه السلام</small>
٢٣٤	ابو الشعثاء.....
٢٣٥	الحسين يصلي وسط المعركة.....
٢٣٦	شهادة حبيب من مظاهر الاسدي.....
٢٣٧	شهادة زهير بن القين.....
٢٣٩	شهادة برير بن خضير.....
٢٤٠	شجاعة عابس.....
٢٤١	جون يدافع عن الحسين <small>عليه السلام</small>
٢٤٤	استغاثة الحسين <small>عليه السلام</small>
٢٤٥	شهادة علي الاكبر.....
٢٤٧	بطولة عبد الله بن مسلم.....
٢٤٨	قتال آل ابي طالب.....
٢٥٠	شهادة القاسم.....
٢٥١	بطولة العباس.....
٢٥٤	وداع الحسين <small>عليه السلام</small> الاخير.....
٢٥٥	الطفل الرضيع.....
٢٥٦	دعاء الحسين <small>عليه السلام</small> قبل مقتله.....
٢٥٧	الحسين <small>عليه السلام</small> يهزم الجموع.....
٢٥٩	الوداع الثاني.....
٢٦٢	السهم تصيب قلب الحسين <small>عليه السلام</small>
٢٦٣	صريعاً يجبن شجعانها.....
٢٦٤	رأس الحسين <small>عليه السلام</small>
٢٦٥	فرس الحسين.....
٢٦٦	اللهم تقبل منا هذا القربان.....
٢٦٧	حرق الخيام ومحنة السجاد <small>عليه السلام</small>

الجزء السادس / الامام علي بن الحسين .. السجادة

٢٧١الاهداء
٢٧٣اضاءة
٢٧٧في محنة الاسر
٢٧٩من كربلاء الى الكوفة
٢٨٠خطبة زينب
٢٨٢موقف زيد بن ارقم
٢٨٣الحوار الساخن
٢٨٦موقف عبد الله بن عفيف الازدي
٢٨٨المسير نحو الشام
٢٨٩فضائل أهل البيت
٢٩١يزيد يعلن كفره وفجوره
٢٩٣الخطاب التاريخي
٢٩٧رأس الحسين بين يدي يزيد
٢٩٨موقف يحيى بن الحكم
٢٩٩موقف أبي برزة الاسلمي
٣٠٠موقف رسول قيصر
٣٠١موقف هند بنت عمرو زوج يزيد
٣٠٢فضول شيخ من الشام
٣٠٣الخطاب الشجاع
٣٠٦أسرة النبي في الخربة
٣٠٧لقاء الامام مع المنهال
٣٠٩المسير نحو المدينة
٣١٠العودة الى كربلاء
٣١٣العودة الى المدينة
٣١٧احداث عاشوراء لا تغيب عن الذاكرة
٣١٨المولد المبارك
٣٢٠الصحيفة السجادية
٣٢٢فضائل الإمام السجادة
٣٢٣الإمام السجادة في لسان الرواة والفقهاء
٣٢٥والبيت يعرفه والحل والحرم
٣٢٧ثورة المدينة
٣٣١ثورة التوابين



٣٣٤	ثورة المختار الثقفي
٣٣٧	رسالة الحقوق
٣٣٩	السجاد في ذمة الخلود
٣٤١	ملحق.. رسالة الحقوق

الجزء السابع/ الامام محمد بن علي .. الباقر

٣٦٩	الاهداء
٣٧١	اضاءة
٣٧٣	المولد المبارك
٣٧٥	مشاهد كربلاء
٣٧٦	حديث جابر بن عبد الله الانصاري
٣٧٨	اسماءه وصفاته
٣٧٩	حديث قتادة
٣٨٠	النص على امامته
٣٨١	الدور العلمي للامام الباقر
٣٨٣	رعايته للفقراء والمساكين
٣٨٤	احياء مجالس الحسين
٣٨٦	ازمة النقد في الدولة الاسلامية
٣٩٠	حلمه وسعة صدره
٣٩١	صبره ورأفته
٣٩٣	وصيته الخالدة
٣٩٦	وصيته الاخيرة
٣٩٧	شهادته

الجزء الثامن/ الامام جعفر بن محمد .. الصادق

٤٠١	الاهداء
٤٠٣	اضاءة
٤٠٥	المولد المبارك
٤٠٦	اسماءه والقابه
٤٠٧	خصاله وصفاته
٤٠٩	اقوال العلماء فيه
٤١٢	رواته وتلامذته
٤١٦	جامعة الامام الصادق
٤١٧	كرمه وسخاؤه



٤١٨	قصة الطفل والجارية
٤١٩	قصة ظريفة
٤٢٠	رواية مالك
٤٢١	الخور مع الزنادقة
٤٢٣	المعتزلة والاشاعرة
٤٢٤	عصر الامام الصادق <small>عليه السلام</small>
٤٢٦	شعر السيد الحميري
٤٢٨	تدوين العلوم
٤٢٩	ثورة زيد بن علي
٤٣٢	ثورة يحيى بن زيد
٤٣٤	صبر الامام الصادق <small>عليه السلام</small>
٤٣٥	رواية حميدة
٤٣٦	وصية الامام الصادق <small>عليه السلام</small>
٤٣٨	شهادته <small>عليه السلام</small>

الجزء التاسع/ موسى بن جعفر .. الكاظم عليه السلام

٤٤٣	الاهداء
٤٤٥	اضاءة
٤٤٧	المولد المبارك
٤٥٣	حكاية ابي حنيفة
٤٥٦	امامته وفضله
٤٥٨	كرمه وعطاؤه <small>عليه السلام</small>
٤٥٩	حكاية بشر الحافي
٤٦١	كلماته ومواظبه <small>عليه السلام</small>
٤٦٢	رواته وتلامذته <small>عليه السلام</small>
٤٦٤	انحراف الواقعة
٤٦٦	جرائم المنصور
٤٦٩	عهد المهدي
٤٧٢	اعتقال الامام <small>عليه السلام</small>
٤٧٤	عهد موسى الهادي
٤٧٦	ثورة فخ
٤٧٧	موقف النبي في فخ
٤٧٨	سبب الثورة
٤٧٩	بيعة صاحب فخ

٤٨١	معركة فخ
٤٨٥	تنبؤ الامام بمقتل موسى الهادي
٤٨٦	عهد الرشيد
٤٨٨	بغداد في عصر الرشيد
٤٨٩	محنة اهل البيت
٤٩١	دور البرامكة
٤٩٣	موقف الامام وحديث صفوان الجمال
٤٩٥	الاعلام المزيف
٤٩٦	حكاية حميد بن قحطبة
٤٩٨	هدم قبر الامام الحسين
٤٩٩	رسالة الرشيد
٥٠١	حكاية المأمون
٥٠٣	الرشيد يزور قبر النبي
٥٠٤	حدود فدك
٥٠٥	اعتقال الامام
٥٠٦	سجن البصرة
٥٠٧	من السجن ينشر علومه
٥٠٨	موقف عيسى
٥٠٩	سجن الفضل في بغداد
٥١٠	رواية القزويني
٥١١	دعاء الامام بالفرج
٥١٢	الاعتقال مرة اخرى
٥١٣	سجن السندي بن شاهك
٥١٤	رسالة الامام
٥١٥	اغتيال الامام
٥١٦	على الجسر ببغداد
٥١٧	موقف سليمان
٥١٨	في ذمة الخلود

الجزء العاشر/ الامام علي بن موسى .. الرضا

٥٢١	الاهداء
٥٢٣	اضاءة
٥٢٥	المولد المبارك
٥٢٦	الوالدة الطاهرة



٥٢٨	كنيته والقابله
٥٢٩	امامته
٥٣١	اخلاقه وعبادته وعلومه
٥٣٣	الواقفة
٥٣٥	موقف المأمون
٥٣٦	صفاته وسجاياه
٥٣٧	احتجاجاته
٥٣٨	كرمه وسخاؤه
٥٤٠	زهده الواعي
٥٤١	مناظراته العلمية
٥٤٣	صلاة الاستسقاء
٥٤٥	دعاؤه في عرفات
٥٤٦	حكاه عصره
٥٤٨	نبوءة الرضا
٥٤٩	ثورة محمد بن جعفر الصادق
٥٥١	نهاية هارون وصراع الاخوة
٥٥٣	بيعة المأمون
٥٥٤	انتفاضات الاقاليم
٥٥٦	بيعة الرضا
٥٥٨	الرحيل الى خرسان
٥٦٠	حديث السلسلة
٥٦٢	الوصول الى طوس
٥٦٣	لقاء المأمون
٥٦٤	شروط البيعة
٥٦٥	الشعراء والقصيدة التاريخية
٥٦٧	صلاة العيد
٥٦٩	الزواج السياسي
٥٧٠	الغلاة والزنادقة
٥٧٢	علومه
٥٧٤	الاضطرابات السياسية
٥٧٦	رواته وتلامذته
٥٧٩	شهادة الرضا



الجزء الحادي عشر/ الامام محمد بن علي .. الجواد عليه السلام

٥٨٥الاهداء
٥٨٧اضاءة
٥٨٩المولد المبارك
٥٩٠صفاته والقابه
٥٩٣حياته مع ابيه <small>عليه السلام</small>
٥٩٥شهادة الامام الرضا <small>عليه السلام</small>
٥٩٦امامة الامام الجواد <small>عليه السلام</small>
٥٩٧العلاقة مع المأمون
٥٩٩المناظرة المشهورة
٦٠٢علمه وعطاؤه
٦٠٣اصحاب الامام الجواد <small>عليه السلام</small>
٦٠٨خلافة المعتصم
٦١٠الثورات على المعتصم
٦١٢دور الاتراك
٦١٤محنة الجواد <small>عليه السلام</small>
٦١٥شهادته <small>عليه السلام</small>
٦١٧مرقده ومشهده

الجزء الثاني عشر/ الامام علي بن محمد .. الهادي عليه السلام

٦٢٣الاهداء
٦٢٥اضاءة
٦٢٧المولد المبارك
٦٢٩القابه وصفاته <small>عليه السلام</small>
٦٣١مع ابيه
٦٣٢عودة الامام الجواد <small>عليه السلام</small>
٦٣٣دور الامام الهادي <small>عليه السلام</small>
٦٣٤امامة الهادي <small>عليه السلام</small>
٦٣٥اصحابه ورواته
٦٣٩الوضع السياسي والاجتماعي
٦٤٠فتنة خلق القرآن
٦٤٢الغلاة
٦٤٤حقد المتوكل



٦٤٧	الهادي في سامراء
٦٤٩	هلاك المتوكل
٦٥١	سيطرة الاتراك
٦٥٤	الخطة المشؤومة

الجزء الثالث عشر / الامام الحسن بن علي .. العسكري عليه السلام

٦٥٩	الاهداء
٦٦١	اضاءة
٦٦٣	المولد المبارك
٦٦٥	القابه وصفاته <small>عليه السلام</small>
٦٦٦	معاناة العسكري <small>عليه السلام</small>
٦٦٨	علمه وعصره
٦٧٠	ثورة الزنج
٦٧١	ثورة العلوي الصوفي
٦٧٢	ثورة علي بن زيد
٦٧٣	ثورة الحسن بن زيد
٦٧٤	مساور الخارجي
٦٧٦	موقفه من الكندي
٦٧٨	في مواجهة البدع
٦٨١	وكلاء الامام واصحابه <small>عليه السلام</small>
٦٨٤	الاعداد للغيبة
٦٨٧	شهادة العسكري <small>عليه السلام</small>
٦٨٩	فاجعة سامراء

الجزء الرابع عشر / الامام محمد بن الحسن .. المهدي المنتظر عليه السلام

٦٩٣	الاهداء
٦٩٥	اضاءة
٦٩٧	تاريخ الامام المهدي <small>عليه السلام</small>
٧٠٠	الولادة المباركة
٧٠٣	القابه وصفاته
٧٠٥	كتمان الامر
٧٠٦	شهادة الثقة الاربعين
٧٠٨	حديث النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small>
٧١٠	موقف السلطة

٧١١اللطف الالهي
٧١٢رحيل الامام العسكري <small>عليه السلام</small>
٧١٣الصلاة على الامام العسكري
٧١٤عصر الغيبة الصغرى
٧١٨المدعون للسفارة
٧٢٠الغيبة الكبرى ودور الفقهاء
٧٢٢الحديث الصحيح
٧٢٤علامات الظهور
٧٢٧الكوفة عاصمة المهدي <small>عليه السلام</small>
٧٢٩دولة العدل الالهي
٧٣٣الخاتمة
٧٣٥الفهرس

